تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد السابع

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

I.S.B.N. 977 - 238 - 034 - 1

دار الكتاب المصري
٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
تليفون: ٣٩٢٢١٦٨/٣٩٢٤٢٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص ب: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر
FAX: (202) 3924657
ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

دار الكتاب اللبناني
شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣١ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: الكتاب - ص.ب: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان
FAX: (9611) 351433
ATT: MR. HASSAN EL- ZEIN

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م

H. 1420 A.D. 1999

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول

المجلد الرابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

الدولة العلوية

أخبار الدولة العلوية المزاحمة لدولة بني العباس

ونبدأ منهم بدولة الادارسة بالمغرب الاقصى . قد تقدّم لنا ذكر شيعة أهل البيت لعليّ بن أبي طالب وبنيه رضي الله عنهم، وما كان من شأنهم بالكوفة، وموجدتهم على الحسن في تسليم الامر لغيره، واضطراب الامر على زياد بالكوفة من أجلهم، حتى قتل المتولون كِبَر[1] ذلك، منهم حجر بن عَديّ وأصحابه ثم استدعوا الْحُسَيْنَ بعد وفاة مُعاوِيَة فكان من قتله بكربلاء ما هو معروف

---

(١) يشير السياق أنها تعني «الجزاء» ولم تذكر كتب اللغة أنه من معانيها وجاء «الاثم الكبير» من جملة المعاني. وفي لسان العرب: وقوله تعالى: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾، قال ثعلب: يعني معظم الإفك.

ثم ندم الشيعة على قعودهم عن مناصرته فخرجوا بعد وفاة يزيد وبيعة مروان ، وخرج عبيد الله بن زياد عن الكوفة ، وسمو أنفسهم التوّابين ، وولوا عليهم سُلَيْمان بن صُرَد ، ولقيتهم جيوش ابن زياد بأطراف الشام فاستلحموهم .

ثم خرج المختار بن أبي عُبَيْد بالكوفة طالباً بدم ٱلْحسَيْن رضي الله عنه ، وداعيا لمحمد بن ٱلْحَنَفِيَّة وتبعه على ذلك جموعه من الشيعة ، وسماهم شرطة الله ، وزحف اليه عبيد الله بن زياد فهزمه المختار وقتله ، وبلغ محمد بن ٱلْحَنَفِيَّةِ من أحوال المختار ما نقمه عليه فكتب اليه بالبراءة منه فصار الى الدعاء لعبد اللهِ بن الزُّبَيْر . ثم استدعى الشيعة من بعد ذلك زيد بن عليّ بن الحسين الى الكوفة أيام هِشام بن عبد الملك ، فقتله صاحب الكوفة يوسف ابن عمر وصلبه ، وخرج اليه ابنه يحيى بالْجوْزَجان من خُراسان فقُتِلَ وصُلِبَ كذلك ، وطلت دماء أهل البيت في كل ناحية ، وقد تقدم ذلك كله في أخبار الدولتين .

ثم اختلف الشيعة وافترقت مذاهبهم في مصير الامامة إلى العلوِيّة وذهبوا طرائق قِدَدا ، فنهم الامامِيّة القائلون بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ بالامامة ، ويسمونه الوصيّ بذلك ، ويتبرؤون من الشيخين لما منعوه حقه بزعمهم ، وخاصموا زيداً بذلك حين دعا بالكوفة . ومن لم يتبرأ من الشيخين رفضوه فسموا بذلك رافضة .

ومنهم الزيدية القائلون بامامة بني فاطمة لفضل عليّ وبنيه على سائر الصحابة، وعلى شروط يشترطونها، وإمامة الشيخين عندهم صحيحة وان كان عليّ أفضل؛ وهذا مذهب زيد واتباعه، وهم جمهور الشيعة، وأبعدهم عن الانحراف والغلوّ.

ومنهم الكيسانيّة نسبة الى كيسان يذهبون الى امامة محمد ابن الحَنَفيَّةِ وبنيه من بعد الحسن والحسين، ومن هؤلاء كانت شيعة بني العباس القائلون بوصيَّةِ أبي هاشم بن محمد بن الحنفية الى محمد بن عليّ بن عبدالله بن عباس بالامامة.

وانتشرت هذه المذاهب بين الشيعة، وافترق كل مذهب منها الى طوائف بحسب اختلافهم. وكان الكيسانية شيعة بني الحنفية أكثرهم بالعراق وخُراسان. ولما صار أمر بني أميّة الى اختلال أجمع أهل البيت بالمدينة، وبايعوا بالخلافة سراً لمحمد بن عبدالله بن حسن المُثنَّى بن الحسن بن عليّ وسلم له جميعهم، وحضر هذا العقد أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، وهو المنصور، وبايع فيمن بايع له من اهل البيت، وأجمعوا على ذلك لتقدّمه فيهم لما علموا له من الفضل عليهم، ولهذا كان مالك وأبو حنيفة رحمهما الله يحتجان اليه حين خرج من الحجاز، ويريدون أن امامته أصح من امامة أبي جعفر لانعقاد هذه البيعة من قبل، وربما صار اليه الامر عند الشيعة بانتقال الوصيَّةِ من زيد بن عليّ. وكان ابو حنيفة يقول بفضله، ويحتج الى حقه فتأدّت اليهما

المحنة بسبب ذلك أيام أبي جعفر المنصور ، حتى ضرب مالك على الفتيا في طلاق المكره ، وحبس أبو حنيفة على القضاء .

ولما انقرضت دولة بني أمية ، وجاءت دولة بني العباس ، وصار الامر لأبي جعفر المنصور سعى عنده ببني حسن ، وأن محمد ابن عبدالله يروم الخروج ، وأنّ دعاته ظهروا بخراسان فحبس المنصور لذلك بني حسن واخوته حسن وابراهيم وجعفر ، وعلي القائم ، وابنه موسى بن عبدالله ، وسليمان وعبدالله ابن اخيه داود ، ومحمد واسمعيل واسحق بنو عمه ابراهيم بن الحسن في خمسة وأربعين من أكابرهم وحبسوا بقصر ابن هُبيْرَة ظاهر الكوفة حتى هلكوا في حبسهم ، وارهبوا لطلب محمد بن عبدالله فخرج بالمدينة سنة خمس وأربعين ، وبعث اخاه ابراهيم الى البصرة فغلب عليها وعلى الاهواز وفارس وبعث الحسن بن معاوية الى مكة فملكها ، وبعث عاملًا الى اليمن ، ودعا لنفسه ، وخطب على منبر النبي صلّى الله عليه وسلم وتسمى بالمهدي وكان يُدعى النفس الزكيّة ، وحبس رباح بن عثمان المريّ عامل المدينة فبلغ الخبر الى أبي جعفر المنصور فأشفقوا من أمره وكتب اليه كتابه المشهور ، ونصه :

بعد البسملة من عبدالله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبدالله .

أما بعد ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾. وأنّ لك ذمّة الله وعهده وميثاقه، إن تبت من قبل أن نقدرَ عليك أن نؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن تابعك وجميع شيعتك، وأن أعطيكَ ألف ألف درهم، وأنزلك من البلاد حيث شئت، وأقضي لك ما شئت من الحاجات، وأن أطلق من سُجِنَ من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك، ثم لا أتبع أحداً منكم بمكروه. وان شئت ان تتوثق لنفسك فوجّه إليّ من يأخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما أحببت والسلام.

فأجابه محمد بن عبدالله بكتاب نصه بعد البسملة من عبدالله محمد المهدي أمير المؤمنين ابن عبدالله محمد.

أما بعد ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني فقد تعلم أنّ الحقّ حقّنا، وانكم انما أعطيتموه بنا ونهضتم فيه بسعينا وحزتموه بفضلنا، وان أبانا علياً عليه السلام، كان الوصيّ والإمام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء، وقد علمتم انه ليس أحد من بني

هاشم يشيد بمثل فضلنا ، ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا ونسيبنا ، وانا بنو بنته فاطمة في الاسلام من بينكم فإنا أوسط بني هاشم نسباً وخيرهم أمّاً وأبا ، لم تلدني العجم ، ولم تعرف فيّ أمّهات الاولاد ، وان الله عز وجل لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أصحابه أقدمهم إسلاماً وأوسعهم علماً وأكثرهم جهاداً عليّ بن أبي طالب ، ومن نسائه أفضلهنّ خديجة بنت خُوَيْلد أوّل من آمن بالله وصلى الى القِبْلَة ، ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ، ومن المتولدين في الاسلام سيدا شباب أهل الجنة ، ثم قد علمت أن هاشماً ولد علياً مرتين من قبل جدّي الحسن والحسين فما زال الله يختار لي حتى اختار لي في معنى النـار ، فولدني أرفع الناس درجة في الجنة ، وأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة ، فأنا ابن خير الاخيار ، وابن خير الاشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار . ولك عهد الله ان دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته إلّا حداً من حدود الله أو حقّاً لمسلم أو مُعاهد فقد علمت ما يلزمك في ذلك فأنا أوفى بالعهد منك ، وأحرى بقبول الامان منك . فاما أمانك الذي عرضت عليّ فهو أيّ الامانات هي أأمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن عليّ أم أمان أبي مسلم ؟ والسلام .

فأجابه المنصور بعد البسملة : من عبدالله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبدالله .

فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك ، فاذا جلّ فخرك بالنساء لتضلّ به الحفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة ، ولا الآباء كالعصبة والاولياء ، وقد جعل الله العمّ أباً وبدأ به على الولد فقال جلّ ثناؤه عن نبيه عليه السلام واتّبعت مِلّة آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب . ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة ، فأجابه اثنان أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك . وأما ما ذكرت من النساء وقراباتهنّ فلو أعطى على قرب الانساب ، وحق الاحساب ، لكان الخير كله لآمنة بنت وهب . ولكنّ الله يختار لدينه من يشاء من خلقه .

وأمّا ما ذكرت من فاطمة أمّ أبي طالب فانّ الله لم يهد أحداً من ولدها إلى الاسلام ، ولو فعل لكان عبدالله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الآخرة والاولى ، وأسعدهم بدخول الجنة غداً . ولكن الله أبى ذلك فقال انك لا تهدي من أحببت ، ولكنّ الله يهدي من يشاء ، وأمّا ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أمّ علي بن أبي طالب ، وفاطمة أمّ الحسين ، وأنّ هاشماً ولد علياً مرّتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرّتين ، فخير الاوّلين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لم يلده هاشم إلا مرّة واحدة ، ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة .

وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانّ الله عز وجل قد أبى ذلك فقال : ما كان محمد أبا أَحدٍ من

رجالكم ولكن رسولَ اللهِ وخاتَمَ النبيّين ، ولكنكم قرابة ابنته وانها لقرابة قريبة ، غير أنها امرأة لا تحوز الميراث ، ولا يجوز أن تومَّ فكيف تورث الامامة من قبلها ولقد طلب بها أبوك من كل وجه ، وأخرجها تخاصم ، ومرضها سراً ودفنها ليلاً ، وأبى الناس إلّا تقديم الشيخين : ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره . ثم أخذ الناس رجلاً رجلاً فلم يأخذوا أباك فيهم ثم . كان في أصحاب الشورى ، فكل دفعه عنها ، بايع عبد الرحمن عثمان ، وقبلها عثمان ، وحارب أباك طلحة والزبير ، ودعا سعداً الى بيعته فاغلق بابه دونه . ثم بايع ، معاوية بعده ، وأفضى أمر جدّك الى ابيك الحسن فسلمه الى معاوية بخزف ودراهم ، وأسلم في يديه شيعته ، وخرج الى المدينة فدفع الامر الى غير أهله ، واخذ مالاً من غير حلّة ، فان كان لكم فيها شيء فقد بعتموه ، فأمّا قولك ان الله اختار لك في الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذاباً فليس في الشر خيار ، ولا من عذاب الله هيّن ، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتخر بالنار ، سترِدُ فتعلم ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

وامّا قولك لم تلدك العجم ، ولم تعرف فيك أمهات الاولاد ، وانك أوسط بني هاشم نسباً ، وخيرهم أماً وأبا ، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً وقدّمت نفسك على من هو خير منك اوّلا وآخراً واصلاً وفصلاً . فخرت على ابراهيم بن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، وعلى والد والده ، فانظر ويحك أين تكون من الله غداً وما ولد قبلكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عليّ بن الحسين ، وهو لأمّ ولد ، ولقد كان خيراً من جدّك حسن بن حسن . ثم ابنه محمد خير من أبيك ، وجدته أم ولد ، ثم ابنه جعفر وهو خير ، ولقد علمت أنّ جدّك علياً حكّم الحكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به ، فأجمعا على خلعه . ثم خرج عمك الحسين بن علي بن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ، ثم أتوا بكم على الأقتاب كالسُبيّ المجلوب الى الشام ، ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أميّة وحرّقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل ، حتى خرجنا عليهم فأدركنا بسيركم اذ لم تدركوه ، ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار كل صلاة مكتوبة ، كما يلعن الكفرة فسفّهناهم وكفّرناهم وبيّنا فضله ، وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا بما ذكرنا من فضل علي قدّمناه على حمزة والعبّاس وجعفر ، كل أولئك مضوا سالمين مسلماً منهم ، وابتلي ابوك بالدماء .

ولقد علمت أنّ مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم ، وولاية زمزم ، وكانت للعباس من دون اخوته فنازعنا فيها أبوك الى عُمَرَ فقضى لنا عُمَرُ بها وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيّاً إلّا العباس ، وكانَ وارثه دون عبد

المطلب، وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس انه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث، ولو أن العباس اخرج الى بدر كرهاً لمات عماك طالب وعقيل جوعاً ويلحسان جفان عُتْبَةَ وشَيْبَةَ، فأذهب عنهما العار والشَّنار. ولقد جاء الاسلام والعبّاس يمون به طالب للازمةِ التي اصابتهم، ثم فدى عقيلًا يوم بدر فعززناكم في الكفر وفديناكم من الاسر وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وادركنا بثأركم اذ عجزتم عنه، ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام.

ثم عقد ابو جعفر على حربه لعيسى ابن عمه موسى بن علي، فزحف اليه في العساكر، وقاتله بالمدينة فهزمه، وقتله في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين، ولحق ابنه عليّ بالسند الى ان هلك هنالك، واختفى ابنه الآخر عبد الله الاشتر الى ان هلك في اخبار طويلة قد استوفيناها كلها في اخبار أبي جعفر المنصور، ورجع عيسى الى المنصور فجهزه لحرب ابراهيم، اخي محمد، بالعيرة[1] فقاتله آخر ذي القعدة من تلك السنة فهزمه، وقتله حسبما مر ذكره هنالك، وقتل معه عيسى بن زيد بن علي فيمن قتل من اصحابه.

وزعم ابن قتيبة ان عيسى بن زيد بن علي ثار على المنصور

(١) الظاهر انها اسم موقع.

بعد قتل ابي مسلم، ولقيه في مائة وعشرين الفاً، وقاتله اياماً الى ان همّ المنصور بالفرار، ثم أتيح له الظفر فانهزم عيسى ولحق بابراهيم بن عبد الله بالبصرة فكان معه هنالك إلى أن لقيه عيسى ابن موسى بن علي وقتلها كما مرّ.

ثم خرج بالمدينة أيام المهدي سنة تسع وستين من بني حسن الحسين بن علي بن حسن المثلث، وهو أخو عبد الله بن حسن المثنى، وعمّ المهدي، وبويع للرضا من آل محمد وسار الى مكة، وكتب الهادي الى محمد بن سليمان بن علي وقد كان قدم حاجاً من البصرة فولّاه حربه يوم التَرْوِيَة فقاتله بفخّة على ثلاثة أميال من مكة، وهزمه وقتله، وافترق اصحابه، وكان فيهم عمه ادريس بن عبد الله فأفلت من الهزيمة مع من افلت منهم يومئذٍ، ولحق بمصر نازعاً الى المغرب، وعلى بريد مصر يومئذٍ واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين، وكان يتشيع فعلم بشأن ادريس وأتاه الى المكان الذي كان به مستخفياً، وحمله على البريد الى المغرب ومعه راشد مولاه فنزل بوليلي سنة ست وسبعين، وبها يومئذ اسحق بن محمد بن عبد الحيد أمير أوربة من قبائل البربر، وكبيرهم لعهده فأجاره وأكرمه، وجمع البربر على القيام بدعوته، وخلع الطاعة العبّاسيّة، وكشف القناع واجتمع عليه البرابرة بالمغرب فبايعوه وقاموا بأمره، وكان فيهم مجوس فقاتلهم الى ان اسلموا.

وملك المغرب الاقصى، ثم ملك تَلَمسان سنة ثلاث وسبعين، ودخلت ملوك زناتة اجمع في طاعته، واستفحل مُلكه، وخاطب ابراهيم بن الأغلب صاحب القَيْرَوان، وخاطب الرشيد بذلك فشدّ إليه الرشيد مولى من موالي المهدي اسمه سليمان بن حريز، ويعرف بالشّماخ، وانفذه بكتابه الى ابن الأغلب فأجازه ولحق بادريس مظهراً للنزوع اليه فيمن نزع من وحدان المغرب متبرّئاً من الدعوة العباسيّة، ومنتحلاً للطالبيين واختصه الامام ادريس وحلي بعينه، وكان قد تأبط سمّاً في سنون فناوله إياه عند شكايته من وجع أسنانه فكان فيها فيما زعموا حتفه، ودفن ببوليلى سنة خمس وسبعين، وفرّ الشماخ، ولحقه راشد بوادي ملوية فاختلفا بينهما ضربتين قطع فيها راشد يده، وأجاز الشمّاخ الوادي فأعجزه وبايع البرابرة بعد مهلكه ابنه ادريس سنة ثمان وثمانين، واجتمعوا على القيام بأمره ولحق به كثير من العرب من افريقية والاندلس، وعجز بنو الأغلب أمراء افريقية عنه فاستفحلت له ولبنيه بالمغرب الاقصى دولة إلى ان انقرضت على يد أبي العافية وقومه مكناسة أولياء العبيديين عام ثلاثة عشر وثلثمائة حسبما نذكر ذلك في أخبار البربر، ونعدّد ملوكهم هناك واحداً واحداً، وانقراض دولتهم وعودها، ونستوعب ذلك كله لانه أمسّ بالبربر فانهم كانوا القائمين بدعوتهم .

ثم خرج يحيى أخو محمد بن عبدالله بن حسن وادريس في

الديلم سنة ست وسبعين أيام الرشيد ، واشتدّت شوكتهم وسرّح الرشيد لحربه الفضل بن يحيى فبلغ الطالقان ، وتلطف في استنزاله من بلاد الديلم على أن يشترط ما أحب ويكتب له الرشيد بذلك خطه ، فتم بينهما ، وجاء به الفضل فوفى له الرشيد بكل ما أحب ، وأجرى له أرزاقاً سَنِيَّةً ثم حبسه بعد ذلك لسعاية كانت فيه من آل الزبير فيقال أطلقه بعدها ، ووصله بمال ويقال سمَّه لشهرٍ من اعتقاله ، ويقال أطلقه جعفر بن يحيى افتياتاً فكان بسببه نَكْبة البرامكة ، وانقرض شأن بني حسن ، وخفيت دعوة الزَيْديَّة حيناً من الدهر حتى كان منهم بعد ذلك باليمن والديلم ما نذكره والله غالب على أمره .

الخبر عن خروج الفاطميين بعد فتنة بغداد

كانت الدولة العباسية قد تمهدت من لدن أبي جعفر المنصور منهم ، وسكن أمر الخوارج والدعاة من الشيعة من كل جهة حتى إذا هلك الرشيد ، ووقع بين بنيه من الفتنة ما وقع ، وقتل الامين بيد طاهر بن الحسين ، ووقع في حصار بغداد من الحرب والعبث ما وقع ، وبقي المأمون مقيماً بخراسان تسكيناً لأهلها عن ثائرة الفتن ، وولّى على العراق الحسن بن سهل اتسع الخرق حينئذ بالعراق وأشيع عن المأمون أن الفضل بن سهل غلب عليه ، وحجره فامتعض الشيعة لذلك ، وتكلموا وطمع العلوية في التوثب على

الأمر فكان في العراق أعقاب ابراهيم بن محمد بن حسن المثنى المقتول بالبصرة أيام المنصور .

وكان منهم محمد بن اسمعيل بن ابراهيم ولقبه أبوه طباطبا ، للكنة كانت في لسانه، أيام مرباه بين داياته فلقب بها . وكان شيعته من الزَّيْدِيَّة وغيرهم يدعون الى إمَامَتِهِ لأنها كانت متوارَثَةً في آبائه من ابراهيم الامام جدّه على ما قلناه في خبره ، فخرج سنة تسع وتسعين ، ودعا لنفسه ، ووافاه أبو السرايا السريّ ابن منصور كبير بني شيبان فبايعه وقام بتدبير حربه ، وملك الكوفة وكثر تابعوه من الأعراب وغيرهم . وسرح الحسن بن سهل زهير بن المسيب لقتاله فهزمه طباطبا واستباح معسكره، ثم مات محمد في صبيحة ذلك اليوم فجأة ، ويقال ان أبا السرايا سمّه لما منعه من الغنائم فبايع أبو السرايا يومه ذلك لمحمد ابن محمد بن زيد بن عليٍّ زين العابدين واستبدّ عليه ، وزحفت عليهم جيوش المأمون فهزمهم أبو السرايا ، وملك البصرة وواسط والمدائن .

وسرّح الحسن بن سهل لحربه هَرْثَمَةَ بن أَعْيُنْ وكان مغضباً فاسترضاه وجهّز له الجيوش ، وزحف الى أبي السرايا وأصحابه فغلبهم على المدائن ، وهزمهم وقتل منهم خلقاً ، ووجه أبو السرايا الى مكة الحسَين الافطس ابن الحسن بن علي زين العابدين ، وإلى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن حسن المثنّي ابن الحسن ، والى البصرة زيد بن موسى بن جعفر الصادق ، وكان يقال له زيد النار

لكثرة من أحرق من الناس بالبصرة فلكوا مكة والمدينة والبصرة، وكان بمكة مسرور الخادم الأكبر، وسليمان بن داود بن عيسى فلما أحسوا بقدوم الحسين فرّوا عنها، وبقي الناس في الموقف فوضى، ودخلها الحسين من الغد فعاث في أهل الموسم ما شاء الله، واستخرج الكنز الذي كان في الكعبة من عهد الجاهليّة، وأقرّه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده، وقدره فيما قيل مائتا قنطار اثنتان من الذهب فأنفقه وفرّقه في أصحابه ما شاء الله.

ثم إنّ هرثمة واقع أبا السرايا فهزمه، ثم بحث عن منصور ابن المهدي فكان أميراً معه، واتبع أبا السرايا فغلبه على الكوفة، وخرج الى القادسيّة، ثم الى واسط ولقيه عاملها وهزمه، ولحق بجلولا مغلولاً جريحاً فقبض عليه عاملها وقدمه الى الحسن بن سهل بالنَّهْرَوان فضرب عنقه، وذلك سنة مائتين وبلغ الخبر الطالبيّين بمكة فاجتمعوا وبايعوا محمد بن جعفر الصادق، وسمّوه أمير المؤمنين، وغلب عليه ابناه عليّ وحسين فلم يكن يملك معهما من الأمر شيئاً، ولحق ابراهيم بن أخيه موسى الكاظم بن جعفر الصادق باليمن في أهل بيته فدعا لنفسه هنالك، وتغلب على الكثير من بلاد اليمن، وسُمّيَ الجزّار لكثرة ما قتل من الناس.

وخلص عامل اليمن وهو اسحق بن موسى بن عيسى الى المأمون فجهزه لحرب هؤلاء الطالبيين فتوجه الى مكة وغلبهم عليها، وخرج محمد بن جعفر الصادق إلى الاعراب بالساحل فاتبعهم

اسحق وهزمهم، ثم طلبهم وطلب محمد الامان فأمّنه، ودخل مكة وبايع للمأمون وخطب على المنبر بدعوته، وسابقته الجيوش الى اليمن فشرّدوا عنه الطالبيين وأقاموا فيه الدعوة العباسية، ثم خرج الحسين الافطس، ودعا لنفسه بمكة، وقتله ابنيه علياً ومحمداً.

ثم انّ المأمون لما رأى كثرة الشيعة واختلاف دعاتهم، وكان يرى مثل رأيهم أو قريباً منه في شأن عليّ والسبطين فعهد بالعهد من بعده لعلي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سنة احدى ومايتين، وكتب بذلك الى الآفاق، وتقدّم الى الناس فنزع السواد ولبس الخضرة، فحقد بنو العباس ذلك من أمره وبايعوا بالعراق لعمّه ابراهيم بن المهدي سنة اثنتين ومائتين، وخطب له ببغداد، وعظمت الفتنة. وشخص المأمون من خُراسان متلافياً أمر العراق وهلك عليّ بن موسى في طريقه فجأةً، ودفن بطوس سنة ثلاث ومائتين. ووصل المأمون الى بغداد سنة أربع، وقبض على عمه ابراهيم وعفا عنه، وسكن الفتنة.

وفي سنة تسع بعدها خرج باليمن عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب يدعو للرّضا من آل محمد، وبايعه أهل اليمن وسرّح اليه المأمون مولاه ديناراً، واستأمن له فأمّنه وراجع الطاعة.

ثم كثر خروج الزيدية من بعد ذلك بالحجاز والعراق والجبال والديلم، وهرب الى مصر خلق، وأخذ منهم خلق، وتتابع دعاتهم.

فأول من خرج منهم بعد ذلك محمد بن القاسم عليّ بن عمر بن زين العابدين ، هرب خوفاً من المُعتَصم سنة تسع عشرة ومائتين ، وكان بمكان من العبادة والزهد فلحق بخراسان، ثم مضى الى الطالقان ودعا بها لنفسه ؛ واتبعته امم الزيدية كلهم . ثم حازبه عبد الله بن طاهر صاحب خراسان فغلبه وقبض عليه ، وحمله الى المعتصم فحبسه حتى مات ، ويقال انه مات مسموماً .

ثم خرج من بعده بالكوفة أيضاً الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين الاعرج بن علي بن زين العابدين ، واجتمع اليه الناس من بني أسد وغيرهم من جموعه وأشياعه ، وذلك سنة احدى وخمسين ومائتين ، وزحف اليه ابن بشكال من امراء الدولة فهزمه ، ولحق بصاحب الزنج فكان معه . وكاتبه أهل الكوفة في العود اليه ، وظهر عليه صاحب الزنج فقتله . وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة قبله بقليل ، واجتمعت له جموع العبيد من زنج البصرة وأعمالها ، وكان يقول في لفظه من أعلمه أنه من ولد عيسى ابن زيد الشهيد وأنه عليّ بن محمد بن زيد بن عيسى . ثم انتسب الى يحيى بن زيد الشهيد ، والحق أنه دعيّ في أهل البيت كما نذكره في أخباره .

وزحف اليه المُوَفَّقُ أخو المُعتَمَدِ ودارت بينه وبينهم حروب إلى أن قتله ، ومحا أثر تلك الدعوة كما قدّمناه في اخبار الموفق ونذكره في أخبارهم .

ثم خرج في الديلم من ولده الحسن بن زيد بن الحسن السبط الداعي المعروف بالعلوي ، وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل ابن الحسن خرج لخس وخمسين فملك طَبَرَسْتانَ وجَرْجان وسائر أعمالها ، وكانت له ولشيعته الزَّيْدِيَّة دولة هنالك . ثم انقرضت آخر المائة الثالثة ، وورثها من ولد الحسن السبط ، ثم من ولد عمر بن عليّ ابن زين العابدين الناصر الأُطروش ؛ وهو الحسن بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن عمر ، وهو ابن عمّ صاحب الطالقان . أسلم الديلم على يد هذا الاطروش وملك بهم طبرستان وسائر اعمال الداعي ، وكانت له ولبنيه هنالك دولة . وكانوا سبباً لملك الديلم البلاد وتغلبهم على الخلفاء كما تذكر ذلك في أخبار دولتهم .

ثم خرج باليمن من الزيدية من ولد القاسم الرسيّ بن ابراهيم طباطبا ، أخي محمد صاحب أبي السرايا عام ثمانية وثمانين ومائتين يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي فاستولى على صعدة واورث عقبه فيها ملكا باقياً لهذا العهد ، وهي مركز الزيدية كما نذكر في أخبارهم . وفي خلال ذلك خرج بالمدينة الاخوان محمد وعليّ ابنا الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم وعاثا في المدينة عيثاً شديداً ، وتعطلت الصلاة بمسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم نحواً من شهر وذلك سنة احدى وسبعين .

ثم ظهر بالمغرب من دعاة الرافضة أبو عبد الله الشيعي في كتامة من قبائل البربر عام ستة وثمانين ومائتين داعياً لعبيد الله المهدي

محمد بن جعفر بن محمد بن اسمعيل الامام بن جعفر الصادق فظهر على الاغالبة بالقيروان، وبايع لعبيد الله المهدي سنة ست وتسعين فتم أمره وملك المغربين، واستفحلت له دولة بالمغرب ورثها بنوه. ثم استولوا بعد ذلك على مصر سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فملكها منهم المعز لدين الله معدبن اسمعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، وشيد القاهرة. ثم ملك الشام واستفحل ملكه الى ان انقرضت دولتهم على العاضد[1] منهم على يد صلاح الدين بن أيوب سنة خمس وستين وخمسمائة.

ثم ظهر في سواد الكوفة سنة ثمان وخمسين ومائتين من دعاة الرافضة رجل اسمه الفرج بن يحيى، ويدعى قرمط، بكتاب زعم أنه من عند احمد بن محمد بن الحَنَفِيَّة فيه كثير من كلمات الكفر والتحليل والتحريم، وادَّعى أن أحمد بن الحَنَفِيَّة هو المهدي المنتظر، وعاث في بلاد السواد، ثم في بلاد الشام وتلقب وَكْرَوَيْه بن مَهْرَوَيْه واستبدّ طائفة منهم بالبحرين ونواحيها ورئيسهم أبو سعيد الجناجيّ، وكان له هناك ملك ودولة أورثها بنيه من بعده الى ان انقرضت أعوامهم كما يذكر في أخبار دولتهم. وكان أهل البحرين هؤلاء يرجعون الى دعوة العُبَيْدِيّين بالمغرب وطاعتهم.

ثم كان بالعراق من دعاة الاسماعيلية وهؤلاء الرافضة طوائف

---

(١) كذا. والسياق يقتضي: في أيام.

آخرون ، استبدوا بكثير من النواحي ، ونسب اليهم فيها القلاع : قلعة الموت وغيرها ، وينسبون تارة الى القرامطة ، وتارة الى العبيديين ، وكان من رجالاتهم الحسن بن الصبّاح في قلعة الموت وغيرها الى ان انقرض أمرهم آخر الدولة السلجوقية .

وكان باليامة ومكة والمدينة من بعد ذلك دول للزَيديّةِ والرافِضَة فكان باليامة دولة لبني الأخضر ، وهو محمد بن يوسف ابن ابراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن المَثّنى ، خرج أخوه اسمعيل بن يوسف في بادية الحجاز سنة اثنتين وخمسين ومائتين وملك مكة . ثم مات فمضى أخوه محمد الى اليامة فملكها واورثها لبنيه الى ان غلبهم القرامطة .

وكان بمكة دولة لبني سليان بن داود بن حسن المَثّنى ، خرج محمد بن سليان أيام المأمون وتسمى بالناهض ، وملك مكة ، واستقرّت امارتها في بنيه إلى أن غلبهم عليها الهواشم وكبيرهم محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون فملكها من ابراهيم سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وغلب بني حسن على المدينة وداول الخطبة بمكة بين العبّاسيّين والعُبَيديّين واستفحل ملكه في بنيه الى أن انقرضوا آخر المائة السادسة ، وغلب على مكة بنو أبي نمي امراؤها لهذا العهد . ملك أوّلهم أبو عزيز قتادة بن ادريس مطاعن ابن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن محمد بن سليان بن

عبد الله بن موسى الجون وورث دولة الهواشم وملكهم ، اورثها بنيه الى هذا العهد كما نذكر في أخبارهم ، وهؤلاء كلهم زيلية .

وبالمدينة دولة للرافضة لولد الهناء . قال المسبّحي : اسمه الحسن ابن طاهر بن مسلم ، وفي كتاب العُتبي مؤرّخ دولة ابن سبكتكين انّ مسلماً اسمه محمد بن طاهر ، وكان صديقاً لكافور ، ويدبر أمره وهو من ولد الحسن بن عليّ زين العابدين . واستولى طاهر بن مسلم على المدينة أعوام ستين وثلثمائة وأورثها بنيه لهذا العهد كما نذكر في أخبارهم ، والله وارث الارض ومن عليها .

الأدارسة ملوك المغرب

الخبر عن الأدارسة ملوك المغرب الأقصى ومبدأ دولتهم وانقراضها ثم تجددها مفترقة في نواحي المغرب

لما خرج حسين بن عليّ بن حسن المثلث بن حسن المثنّى بن الحسن السبط بمكة في ذي العقدة سنة ست وتسعين ومائة أيام المهدي ، واجتمع عليه قرابته وفيهم عماه ادريس ويحيى ، وقاتلهم محمد بن سليمان بن عليّ بفجة على ثلاثة أميال عن مكة فقتل الحسين في جماعة من أهل بيته وانهزموا وأسر كثير منهم . ونجا يحيى بن ادريس وسليمان ، وظهر يحيى بعد ذلك في الديلم ، وقد ذكرنا خبره من قبل وكيف استنزله الرشيد وحبسه .

وأما ادريس ففرّ ولحق بمصْر ، وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين ، وكان واضح يتشيّع فعلم شأن ادريس وأتاه الى الموضع الذي كان به مستخفياً ، ولم ير شيئاً أخلص من ان يحمله على البريد الى المغرب ففعل ، ولحق ادريس بالمغرب الاقصي هو ومولاه راشد ، ونزل بوَليلى سنة اثنتين وسبعين ، وبها يومئذ اسحق بن محمد بن عبدالحميد أمير أوربة وكبيرهم لعهده فأجاره ، وأجمع البرابرُ على القيام بدعوته ، وكشف القناع في ذلك ، واجتمعت عليه زواغة ولواتة ومدراته وغياثة ونفرة ومكناسة وغمارة وكافة البرابر بالمغرب فبايعوه ، وقاموا بأمره .

وخطب الناس يوم بويع فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه لا تمدّن الأعناق الى غيرنا فانّ الذي تجدونه عندنا من الحقِّ لا تجدونه عند غيرنا ولحق به من اخوته سليمان ، ونزل بأرض زناته من تلِمسان ونواحيها ونذكر خبره فيما بعد .

ولما استوثق أمر ادريس وتمت دعوته زحف الى البرابرة الذين كانوا بالمغرب على دين المجوسيّة واليهودية والنّصرانيّة مثل قندلاوه وبهلوانه ومديونة وما زار ، وفتح تامستا ومدينة شاله وتادلا ، وكان أكثرهم على دين اليهودية والنصرانية فأسلموا على يديه طوعاً وكرها وهدم معاقلهم وحصونهم . ثم زحف الى تلمسان وبها من قبائل بني يعرب ومغراوه سنة ثلاث وسبعين ، ولقيه أميرها محمد بن خرز ابن جزلان فأعطاه الطاعة ، وبذل له ادريس الأمان ولسائر زناتة

فأمكنه من قياد البلد ، وبنى مسجدها وأمر بعمل منبره ، وكتب اسمه فيه حسبما هو مخطوط في صفح[1] المنبر لهذا العهد . ورجع الى مدينة وليلي ، ثم دسَّ اليه الرشيد مولى من موالي المهدي اسمه سليمان بن حريز ويعرف بالشمَّاخ أنفذه بكتابة الى ابن الأغلب فأجازه ، ولحق بادريس مُظهِراً النزوع اليه فيمن نزع من وهران المغرب متبرّئاً من الدعوة العبّاسيّة ومنتحلاً للطلب. واختصه الامام ادريس وحلا بعينه وكان قد تأبط سُمًّا في سنون، فناوله اياه عند شكايته من وجع اسنانه ، فكان فيه كما زعموا حتفه ودفن بوليلى سنة خمس وسبعين .

وفرّ الشَّمَّاخ ولحقه فيما زعموا راشد بوادي مَلويّة فاختلفا ضربتين قطع فيها راشد يد الشمَّاخ ، وأجاز الوادي فأعجزه واعتلق بالبرابر من أوربة وغيرهم فجمل[2] من دعوته في ابنه ادريس الأصغر من جاريته كنزه ، بايعوه حملاً ثم رضيعاً ثم فصيلاً الى ان شبَّ واستتم فبايعوه بجامع وليلي سنة ثمان وثمانين ابن احدى عشرة سنة ، وكان ابن الاغلب دسَّ اليهم الاموال واستمالهم حتى قتلوا راشداً مولاه سنة ست وثمانين ، وقام بكفالة ادريس من بعده أبو خالد بن يزيد بن الياس العبديّ ،

---

(١) كذا بالأصل وربما كان المقصود بها «صحف» أو «جنب».

(٢) فجمل: والعبارة كلها مشوشة . إلا أن ابن خلدون قد يستعمل أحياناً بعض الكلمات العامية المتداولة في المغرب.

والسوس الاقصى واختص يحيى [1] بأصيلا والعرائش وبلاد زوغة وما الى ذلك .

واختص عيسى بشالة وسلا وازمور وتامستا وما الى ذلك من القبائل . واختص حمزة بوليلي واعمالها ، وأبقى الباقين في كفالتهم وكفالة جدّتهم كنزة لصغرهم . وبقيت تلمسان لولد سليمان بن عبد الله . وخرج عيسى بازمور على أخيه محمد طالباً الامر لنفسه فبعث لحربه أخاه عمر بعد ان دعا القاسم لذلك فامتنع . ولما أوقع عمر بعيسى وغلب على ما في يده استتابه إلى أعماله باذن أخيه محمد . ثم أمره أخوه محمد بالنهوض الى حرب القاسم لقعوده عن اجابته في محاربة عيسى فزحف اليه ، وأوقع به ، واستتاب عليه الى ما في يده فصار الريف البحري كله من عمل عمر هذا من تيكيسان ، وبلاد غمارة الى سبته ، ثم الى طنجة . وهذا ساحل البحر الرومي ثم ينعطف الى أصيلا ثم سلا ، ثم ازمور وبلاد تامستا ، وهذا ساحل البحر الكبير . وتزهد القاسم وبنى رباطا بساحل أصيلا للعبادة الى ان هلك .

واتسعت ولاية عمر بعمل عيسى والقاسم ، وخلصت طويته لاخيه محمد الامير ، وهلك في امارة أخيه محمد ببلد صنهاجة بموضع يقال له فج الفرس سنة عشرين ومائتين ، ودفن بفاس وعمر هذا هو

(١) هنا بياض بالأصل ولدى مراجعة المجلد السادس المختص ببلاد المغرب ظهر لنا أن المذكور هنا هو الصحيح وأن البياض ترك من الناسخ بدون مبرر.

جدّ الحموديين الدائلين بالأندلس من بني أمية كما نذكره. وعقد الامير محمد على عمله لولده عليّ بن عمر. ثم كان مهلك الأمير محمد لسبعة أشهر من مهلك أخيه عمر سنة احدى وعشرين ومائتين بعد أن استخلف ولده علياً في مرضه وهو ابن تسع سنين فقام بأمره الاولياء والحاشية من العرب وأوربة وسائر البربر وصنائع الدولة، وبايعوه غلاماً مُتَرَعْرِعاً، وقاموا بأمره وأحسنوا كفالته وطاعته فكانت أيامه خير أيام، وهلك سنة أربع وثلاثين لثلاث عشرة سنة من ولايته، وعهد لأخيه يحيى بن محمد فقام بالامر، وامتدّ سلطانه، وعظمت دولته، وحسنت آثار أيامه.

واستجدّت فاس في العمران وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار، وبنيت الأرباض، ورحل اليها الناس من الثغور القاصية واتفق ان نزلتها امرأة من أهل القيروان تسمى أم البنين بنت محمد الفهريّ وقال ابن أبي ذرع اسمها فاطمة، وانها من هوّارة. وكانت مثرية بموروث أفادته من ذويها واعتزمت على صرفه في وجوه الخير فاختطت المسجد الجامع بعدوة القرويين أصغر ما كان سنة خمس وأربعين في أرض بيضاء كان أقطعها الامام ادريس، وأنبطت بصحنها بئراً شراباً للناس فكأنما نبهت بذلك عزائم الملوك من بعدها، ونقلت اليه الخطبة من جامع ادريس لضيق محلّته وجوار بيته.

واختط بعد ذلك أحمد بن سعيد بن أبي بكر اليفرني صومعته

سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، على رأس مائة سنة من اختطاط الجامع حسبما هو منقوش في الحجارة بالركن الشرقي منها . ثم أوسع في خطّتـه المنصور بن أبي عامر ، وجلب اليه الماء وأعدّ له السقاية والسلسلة بباب الحفاة منه . ثم أوسع في خطته آخر ملوك لمتونة من الموحدين ، وبني مرين واستمرت العمارة به ، وأنصرفت هممهم الى تشييده والمنافسات في الاحتفال به فبلغ الاحتفال فيه ما شاء الله حسبما هو مذكور في تواريخ المغرب . وهلك يحيى هذا سنة [1] وولِيَ ابنه يحيى بن يحيى فأساء السيرة وكثر عيثه في الحرم ، وثارت به العامّة لمركب شنيع اتاه وتولى كِبَرَ الثورة عبد الرحمن بن أبي سهل الحزامي ، وأخرجوه من عُدوَةِ القَرَوِيّين الى عُدوة الأندلسيين فتوارى ليلتين ، ومات أسفا لليلته . وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس . وبلغ الخبر بشأن يحيى الى ابن عمه عليّ بن عمر صاحب الريف . واستدعاه أهل الدولة من العرب والبربر والموالي فجاء الى فاس ودخلها وبايعوه ، واستولى على أعمال المغرب الى ان ثار عليه عبد الرزاق الخارجي ، خرج بجبال لمتونة وكان على رأي الصُفْرِيـة فزحف الى فاس ، وغلب عليها ففرّ الى أوربة ، وملك عبد الرزاق عدوة الاندلس ، وامتنعت منه عدوة القرويين ، وولوا على أنفسهم يحيى بن القاسم بن ادريس ، وكان يعرف بالصرام ، بعثوا اليه فجاءهم في جموعه ، وكانت بينه وبين

(١) لم نعثر في المراجع التي لدينا على مهلك يحيى هذا.

الخارجي حروب . ويقال انه أخرجه من عدوة الاندلس ، واستعمل عليها ثَعْلَبَةَ بن مُحارب بن عبد الله ، كان من أهل الربض بقرطبة من ولد المهلّب بن أبي صُفْرَة . ثم استعمل ابنه عبدالله المعروف بعبود من بعده ، ثم ابنه محارب بن عبود بن ثعلبة الى ان اغتاله الربيع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومائتين . وقام بالامر مكانه يحيى بن ادريس بن عمر صاحب الريف ، وهو ابن أخي عليّ بن عمر فملك جميع اعمال الادارسة ، وخطب له على سائر أعمال المغرب ، وكان أعلى بني ادريس ملكاً وأعظمهم سلطاناً ، وكان فقيهاً عارفاً بالحديث ، ولم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه في السلطان والدولة . وفي أثناء ذلك كله خلط[1] الملك للشيعة بافريقية ، وتغلّبوا على الاسكندرية واختطوا المهديّة كما نذكره في دولة كتامة . ثم طمحوا الى مُلك المغرب ، وعقدوا لمضالة بن حبوس كبير مكناسة ، وصاحب تاهرت على محاربة ملوكه سنة خمس وثلثمائة ، فزحف اليه في عساكر مكناسة وكتامة ، وبرز لمدافعته يحيى ابن ادريس صاحب المغرب بجموعه من المغرب ، وأولياء الدولة من أوربة وسائر البرابرة والموالي ، والتقوا على مكناسة وكانت الدبرة على يحيى وقومه ، ورجع الى فاس مغلولا ، وأجاز له بها معاملة إلى أن صالحه على مال يؤدّيه اليه وطاعة معروفة لعبيد الله الشيعي سلطانه ، يؤدّيها فقبل الشرط ، وخرج عن الامر ، وخلع

(١) كذا . ولم نجد لها معنى يناسب السياق . ولعلها : خلص ، بمعنى : تمّ .

نفسه ، وأنفذ بيعته الى عبيد الله المَهْدِيّ وأبقى عليه مصالحه في سكنى فاس ، وعقد له على عملها خاصة ، وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية أمير مكناسة يومئذ وصاحب سنوروتازه على سائر أعمال البربر كما نذكره في أخبار مكناسة ودولة موسى .

وكان بين موسى بن أبي العافية وبين يحيى بن ادريس شحناء وعداوة ، يضطغنها كل واحد لصاحبه حتى اذا عاد مضالة الى المغرب في غزاته الثانية سنة تسع أغزاه موسى بن أبي العافية بطلحة بن يحيى بن ادريس صاحب فاس ، فقبض عليه مضالة واستصفى امواله وذخائره وغرّ به الى أصيلا والريف عمل ذي قرباه ورحمه ، وولى على فاس ريحان الكتاميّ . ثم خرج يحيى يريد افريقية فاعترضه ابن أبي العافية وسجنه سنتين وأطلقه ولحق بالمهدية سنة احدى وثلاثين ، وهلك في حصار أبي يزيد سنة [1] واستبد ابن أبي العافية بملك المغرب ، وثار على ريحان الكتاميّ بفاس سنة ثلاث عشرة وثلثمائة الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقَّب بالحجَّام ، ونفى ريحان عنها وملكها عامين ، وزحف للقاء موسى بن أبي العافية ، وكانت بينهما حروب شديدة هلك فيها ابنه منهال بن موسى ، وانجلت المعركة على اكثر من الف قتيل ، وخلص الحسن الى فاس منهزماً وغدر به حامد بن حمدان الأوربي واعتقله .

وبعث الى موسى فوصل الى فاس وملكها وطالبه باحضار

(١) لم نعثر في المراجع التي لدينا على مهلك يحيى هذا.

الحسن فدافعه عن ذلك ، وأطلق الحسن متنكراً فتدلى من السور فسقط ومات من ليلته . وفرّ حامد بن حمدان الى المهدية ، وقتل موسى بن أبي العافية عبد الله بن ثعلبة بن محارب وابنيه محمداً ويوسف ، وذهب ملك الادارسة ، واستولى ابن أبي العافية على جميع المغرب وأجلى بني محمد بن القاسم بن ادريس ، وأخاه الحسن الى الريف فنزلوا البصرة ، واجتمعوا الى كبيرهم ابراهيم بن محمد ابن القاسم أخي الحسن وولوه عليهم ، واختط لهم الحصن المعروف بهم هنالك وهو حجر النسر سنة سبع عشرة وثلثمائة ، وانزلوه وبنو عمر بن ادريس يومئذ بغمارة من لدن تيجساس الى سبتة وطنجة ، وبقي ابراهيم كذلك . وشمر الناصر المرواني لطلب المغرب ، وملك سبتة علي بن ادريس سنة تسع عشرة ، وكبيرهم يومئذ أبو العيش بن ادريس بن عمر فانجابوا له عنها وأنزل بها حاميته . وهلك ابراهيم بن محمد كبير بني محمد فتولى عليهم من بعده أخوه القاسم الملقب بكانون ، وهو أخو الحسن الحجام ، واسمه القاسم ابن محمد بن القاسم ، وقام بدعوة الشيعة انحرافاً عن أبي العافية ومذاهبه . واتصل الامر في ولده ، وغمارة أولياؤهم والقائمون بأمرهم كما نذكره في أخبار غمارة .

ودخلت دعوة المروانيين خلفاء قرطبة الى المغرب ، وتغلبت زناتة على الضواحي . ثم ملك بنو يعرب فاس وبعدهم مغراوة وأقام الادارسة بالريف مع غمارة وتجدّد لهم به ملك في بني محمد ،

وبني عمر بمدينة البصرة وقلعة حجر النسر ومدينة سبتة وأصيلا . ثم تغلب عليهم المروانيون وأثخنوهم إلى الاندلس ، ثم أجازوهم الى الاسكندرية . وبعث العزيز العُبَيْدِيّ بن كانون منهم لطلب ملكهم بالمغرب فغلبه عليه المنصور بن أبي عامر وقتله .

وعليه كان انقراض أمرهم ، وانقراض سلطان أوربة من المغرب ، وكان من أعقاب الادارسة الذين أووا إلى غمارة فكانوا الدائلين من ملوك الاموية بالاندلس . وذلك أنّ الادارسة لما انقرض سلطانهم ، صاروا الى بلاد غمارة واستجدوا بها رياسة ، واستمرّت في بني محمد وبني عمر من ولد ادريس بن ادريس ، وكانت للبربر اليهم بسبب ذلك طاعة وخلطة . وكان بنو حمود هؤلاء من غمارة فأجازوا مع البربر حين أجازوا في مظاهرة المستعين . ثم غلبوه بعد ذلك على الامر وصار لهم ملك الاندلس حسبما نذكر في أخبارهم .

وأما سليمان أخو ادريس الأكبر فانه فرّ الى المغرب أيام العباسيّين فلحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه ادريس ، وطلب الامر هناك فاستنكره البرابرة وطلبه ولاة الأغالِبَة فكان في طلبهم تصحيح نَسَبه . ولحق بتِلِمسان فملكها وأذعنت له زناتة وسائر قبائل البربر هنالك ، وورث ملكه ابنه محمد بن سليمان على سننه ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الأوسط ، واقتسموا ممالكه ونواحيه فكانت تلمسان من بعده لابنه محمد بن أحمد بن القاسم بن محمد بن أحمد ، وأظنّ هذا القاسم هو الذي يدّعي بنو عبد الواد

نسبه فان هذا أشبه من القاسم بن ادريس بمثل هذه الدعوى . وكانت ارشكول لعيسى بن محمد بن سليمان وكان منقطعاً إلى الشيعة . وكانت جراوة لادريس بن محمد بن سليمان ، ثم لابنه عيسى ، وكنيته أبو العيش ، ولم تزل امارتها في ولده ووليها بعده ابنه ابراهيم بن عيسى ، ثم ابنه يحيي بن ابراهيم ، ثم أخوه ادريس ابن ابراهيم ، وكان ادريس بن ابراهيم صاحب أرشكول منقطعاً إلى عبد الرحمن الناصر وأخوه يحيى كذلك . وارتاب من قبله ميسور قائد الشيعة فقبض عليه سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، ثم انحرف عنهم فلما أخذ ابن أبي العافية بدعوة العلوية نابذ أولياء الشيعة فحاصر صاحب جراوة الحسن بن أبي العيش ، وغلبه على جراوة فلحق بابن عمه ادريس بن ابراهيم صاحب أرشكول . ثم حاصرها البوري بن موسى بن أبي العافية وغلب عليهما ، وبعث بهما الى الناصر فأسكنهما قرطبة ، وكانت تنس لابراهيم بن محمد ابن سليمان ، ثم لابنه محمد من بعده ، ثم لابنه يحيى بن محمد ، ثم ابنه عليّ بن يحيى ، وتغلب عليه زيري بن منادسنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ففرّ الى الجبر بن محمد بن خزر ، وجاز ابناه حمزة ويحيى الى الناصر فتلقاهما رحباً وتكرمة . ورجع يحيى منهما الى طلب تنس فلم يظفر بها . وكان من ولد ابراهيم هذا احمد بن عيسى بن ابراهيم صاحب سوق ابراهيم ، وسليمان بن محمد بن ابراهيم من رؤساء المغرب الأوسط . وكان من بني محمد بن سليمان هؤلاء

وَبَطُوش بن حناتِش بن الحسن بن محمد بن سليمان قال ابن حزم وهم بالمغرب كثير جداً، وكان لهم بها ممالك، وقد بطل جميعها، ولم يبق منهم بها رئيس بنواحي بجاية. وحمل بني حمزة هؤلاء جوهر الى القيروان، وبقيت منهم بقايا في الجبال والاطراف معروفون هنالك عند البربر، والله وارث الارض ومن عليها.

الخبر عن صاحب الزنج وتصاريف أمره واضمحلال دعوته

هذه الدعوة فيها اضطراب منذ أوّلها فلم يتمّ لصاحبها دولة، وذلك أنّ دعاة العَلَوِيّة منذ زمان المُعتَصِم من الزَّيْدِيَّة كما شرحناه، وكان من أعظمهم الذين دعا لهم شيعتهم بالنواحي عليّ ابن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الشهيد، ولما اشتهر أمره فرّ وقتل ابن عمه عليّ بن محمد بن الحسن بن علي بن عيسى، وبقي هو متغيباً فادّعى صاحب الزنج هذا سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهدي انه هو فلما ملك البصرة ظهر هذا المطلوب، ولقيه صاحب الزنج حياً معروفاً بين الناس فرجع عن دعوى نسبه وانتسب اليه الى يحيى بن يزيد قتيل الجون ونسبه المسعودي الى طاهر بن الحسين بن عليّ وقال فيه علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر.

ويشكل[1] ذلك بأنّ الحسين بن فاطمة لم يكن له عقب إلّا من زين العابدين، قاله ابن حزم وغيره فان أراد

(١) كذا ولعلها: ويشك في الخ.

بطاهر ، طاهر بن يحيى المحدث بن الحسن بن عبيدالله بن الحسن الاصغر بن زين العابدين فتطول سلسلة نسبه ، وتشتمل على اثني عشر الى الحسين بن فاطمة ، ويبعد ذلك الى العصر الذي ظهر فيه. والذي عليه المحققون الطبري وابن حزم وغيرهما أنه رجل من عبد القيس من قرية تسمى ودريفن من قرى الري ، واسمه عليّ بن عبد الرحيم حدّثته نفسه بالتوثب ، ورأى كثرة خروج الزيدية من الفاطميين فانتحل هذا النسب وادّعاه ، وليس من أهله . ويصدق هذا انه كان خارجياً على رأي الازارقة يعلن الطائفتين من أهل الجمل وصفين ، وكيف يكون هذا من علويّ صحيح النسب ؟ ولأجل انتحاله هذا النسب وبطلانه في دعاويه فسد أمره فقتل ولم تقم له دولة بعد أن فعل الافاعيل ، وعاث في جهات البصرة ، واستباح الامصار وخرّبها ، وهزم العساكر وقتل الامراء الاكابر ، واتخذلنفسه حصوناً قتل فيها من جاوبه لمكره ، سنة الله في عباده .

وسياق الخبر عنه انه شخص من الذين حجبوا ببغداد مع جماعة من حاشية المنتصر ، ثم سار الى البحرين سنة تسع وأربعين ومائتين فادّعى أنه علويّ من ولد الحسين بن عبيد الله بن عباس بن عليّ ، ودعا الناس الى طاعته فاتبعه كثير من أهل هجر . ثم تحوّل الى الاحساء ، ونزل على بعض بني تميم ومعه قوارة يحيى بن محمد الأزرق وسليمان بن جامع ، وقاتل أهل البحرين فهزموه وافترقت العرب عنه ، ولحق بالبصرة والفتنة فيها بين البلالية والسعدية ،

وبلغ خبره محمد بن رجاء العامل فطلبه فهرب وحبس ابنه وزوجته وبعض أصحابه ، ولحق هو ببغداد فانتسب الى عيسى بن زيد الشهيد كما قلناه ، وأقام بها حولاً . ثم بلغه أن البلالية والسعدية أخرجوا محمد بن رجاء من البصرة ، وأن أهله خلصوا فرجع الى البصرة في رمضان سنة خمس وخمسين ، ومعه يحيى بن محمد وسليمان ابن جامع .

ومن أهل بغداد الذين استمالهم جعفر بن محمد الصمدحاني ، وعلي بن أبانٍ وعبدان غير من سمينا فنزل بظاهر البصرة ، ووجه دعوته الى العبيد من الزنوج وأفسدهم على مواليهم ورغبهم في العتق ، ثم في الملك ، واتخذ راية رسم فيها ، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية . وجاءه موالي العبيد في طلبهم فأمرهم بضربهم وحبسهم ، ثم أطلقهم . وتسايل اليه الزنوج واتبعوه ، وهزم عساكر البصرة والأُبلّه وذهب الى القادسيّة ، وجاءت العساكر من بغداد فهزمهم ، ونهب النواحي ، وجاء المدد الى البصرة مع جعلان من قوّاد الترك ، وقاتلوه فهزمهم . ثم ملك الابلة واستباحها ، وسارّ الى الاهواز ، وبها ابراهيم بن المدبر على الخوارج فافتتحها وأسر ابن المدبر سنة ست وخمسين ، الى أن فرّ من محبسهم فبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة سبع وخمسين ، وهو يومئذ عامل البصرة وسار من واسط فهزمه علي بن أبان من قواد الزنج لحربهم ، هزمه الى البحرين فتحصّن بالبصرة ، وزحف

علي بن أبان لحصاره حتى نزل على أمانه ، ودخلها وأحرق جامعها ، ونكب عليه صاحب الزنج فصرفه ، وولى على البصرة مكانه يحيى ابن محمد البحراني .

وبعث المعتمد محمد المولد الى البصرة فأخرج عنها الزنج ؛ ثم بيتوا محمد بن المولد فهزموه ؛ ثم ساروا الى الاهواز ، وعليها منصور الخياط فواقع الزنج فغلبوه وكان المعتمد قد استقدم أخاه أبا أحمد الموفق من مكة وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن ؛ ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز ، وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكوردجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح . ثم انهزم سعيد ابن صالح فعقد يارجوج لمنصور بن جعفر مكانه ؛ ثم قتله الزنج كما قلناه فأمر المعتمد أخاه الموفق بالمسير اليهم في ربيع سنة ثمان وخمسين ، وعلى مقدمته مفلح فأجفل الزنج عن البصرة ، وسار قائدهم علي بن ابان فلقي مفلحاً فقتل مفلح وانهزم أصحابه ورجع الموفق الى سامرّا وكان اصطيخور ولي الاهواز بعد منصور الخياط ، وجاءه يحيى بن محمد البحراني من قوّاد الزنج ، وبلغهم مسير الموفق فانهزم يحيى البحراني ، ورجع في السفن فأخذ وحمل الى سامرّا فقتل وبعث صاحب الزنج مكانه علي بن أبان وسليمان الشعراني فملكوا الأهواز من يد اصطيخور سنة تسع وخمسين ، بعد أن هزموه وهرب في السفن فغرق .

وسرّح المعتمد لحربهم موسى بن بغا بعد ان عقد له على تلك الأعمال فبعث الى الاهواز عبد الرحمن بن مفلح ، والى البصرة اسحق بن كيداجق ، والى باداورد ابراهيم بن سليمان ، وأقاموا في حروبهم مدّة سنة ونصفها . ثم استعفى موسى بن بغا وولى على تلك الأعمال مكانه مسرور البلخي ، وجهز المعتمد أخاه أبا أحمد الموفق لحربهم بعد أن عهد له بالخلافة ولقبه الناصر لدين الله الموفق، وولاه على أعمال المشرق كلها الى آخر اصفهان ، وعلى الحجاز فسار لذلك سنة اثنتين وستين واعترضه يعقوب الصفار يريد بغداد فشغل بحربه ، وانهزم الصفار وانتزع من يده ما كان ملكه من الأهواز .

وكان مسرور البلخي قد سار الى المعتمد وحضر معه حرب الصَفَّار فاغتنم صاحب الزنج خُلُوّ تلك النواحي من العسكر ، وبث سراياه للنهب والتخريب في القادِسيَّة ، وجاءت العساكر من بغداد مع اغرتمش وخشنش فهزمهم الزنج وقائدهم سليمان بن جامع ، وقتل خشنش . وكان علي بن أبان من قوادهم قد سار الى الاهواز ، وأميرها يومئذٍ محمد بن هزار مرد الكردي فبعث مسرور البلخي أحمد بن الينونة للقائهم فغلب أوّلاً على الاهواز علي بن أبان ، ثم ظاهره ، محمد بن هزار مرد والاكراد فرجع الى السوس ، وأقام علي بن أبان وصاحبه بتستر ، وطمع انه يخطب لصاحب الزنج فخطب هو للصفار فاقتتلا ، وانهزم علي بن أبان وخرج ، واضطربت فارس بالفتنة .

ثم ملك الصفار الاهواز وواعد الزنج ، وسار سليمان بن جامع من قواد الزنج ، وولى الموفق على مدينة واسط أحمد بن المولد فزحف اليه الخليل بن أبان فهزمه ، واقتحم واسطاً واستباحها سنة أربع وستين وضربت خيولهم في نواحي السواد الى النُّعْمَانِيَّة الى جَرْجَرايا فاستباحوها ، وسار علي بن أبان الى الاهواز فحاصرها ، واستعمل الموَفّق عليها مسروراً البلخي فبعث تكيد البخاري الى تستر فهزمهم علي بن أبان وجماعة الزنج ، وسألوه الموادعة فوادعهم واتهمه مسرور فقبض عليه ، وبعث مكانه أغرتمش فهزم الزنج أوّلاً ثم هزموه ثانياً فوادعهم. ثم سار علي بن أبان الى محمد بن هزارمرد الكردي فغلبه على رامهرمز حتى صالحه عليها على مائتي ألف درهم ، وعلى الخطبة له في أعماله . ثم سار ابن أبان لحصار بعض القلاع بالاهواز فزحف اليه مسرور البلخي فهزمه واستباح معسكره .

وكان الموفق لما اقتحم الزنج مدينة واسط بعث ابنه أبا العباس سنة ست وستين في عشرة آلاف من المقاتلة ، ومعه السفن في النهر عليها أبو حمزة نصير فكتب اليه نصير بأن سليمان بن جامع أقبل في المقاتلة ، والسفن براً وبحراً ، وعلى مقدمته الجناني ، ولحقهم سليمان بن موسى الشعراني بالعساكر ، ونزلوا من الطفح الى أسفل واسط فسار اليهم أبو العباس فهزمهم فتأخروا وراءهم وأقام على واسط يردّد عليهم الحروب والهزائم مرة بعد أخرى ثم أمر صاحب الزنج قائده ابن أبان وابن جامع أن يجتمعا لحرب أبي

العباس بن الموفق ، وبلغ ذلك الموفق فسار من بغداد في ربيع سنة سبع وستين فانتهى الى المنيعة ، وقاتل الزنج فانهزموا أمامه واتبعهم أصحاب أبي العباس ابنه فاقتحموا عليهم المنيعة وقتلوا وأسروا ، وهدم سور المنيعة وطمس خندقها ، وهرب الشعراني وابن جامع ، وسار أبو العباس الى المنصورة بطهشا فنازلها وغلب عليها ، وأفلت ابن جامع الى واسط وغلب على ما فيها من الذخائر والاموال ، وهدم سورها وطمّ خنادقها ورجع الى واسط .

ثم سار الموفق الى الزنج بالأهواز واستخلف ابنه هرون على جنده بواسط ، وجاءه الخبر برجوع الزنج الى طهشا والمنصورة فرد اليهم من يوقع بهم ، ومضى لوجهه فانتهى الى السوس وعليّ ابن أبان بالاهواز فسار الى صاحبه واستأمن المخلفون هنالك الى الموفق فامنهم ، وسار الى تستر وأمن محمد بن عبدالله الكردي ، ثم وافى الأهواز وكتب الى ابنه هرون أن يوافيه بالجند بنهر المبارك من فرات البصرة وبعث ابنه أبا العباس لحرب الخبيث بنهر أبي الخصيب واستأمن اليه جماعة من قواده فأمنهم وكتب اليه بالدعوة والاعذار ، وزحف اليه في مدينته المختارة له ، وأطلق السفن في البحر وعبى عساكره وهي نحو من خمسين ألفاً والزنج في نحو من ثلثمائة ألف مقاتل ، ونصب الآلات ورتب المنازل للحصار ، وبنى المقاعد للقتال واختط مدينة الموفقية لنزوله ، وكتب بحمل الاموال والميرة اليها فحملت ، وقطع الميرة عن المختارة ،

وكتب الى البلاد بانشاء السفن والاستكثار منها ، وقام يحاصرها
من شعبان سنة سبع وستين الى صفر من سنة سبعين .
ثم اقتحم عليهم المختارة فملكها وفر الخبيث وابنه انكلاي وابن
جامع الى معقل أعدّة ، واتبعه طائفة من الجند فانقطعوا عنه ،
وأمرهم من الغد باتباعه فانهزم وقتل من أصحابه واسر ابن جامع.
ثم قتل صاحب الزنج وجيء برأسه ، ولحق انكلاي بالديناري في
خمسة آلاف ، ولحقهم أصحاب الموفق فظفروا بهم وأسروهم أجمعين .
وكان درمونة من قواده قد لحق بالبطيحة ، واعتصم بالمغايض
والآجام ليقطع الميرة عن أصحاب الموفق . فلما علم بقتل صاحبه
استأمن الى الموفق فأمنه . ثم أقام الموفق بمدينته قليلا وولى على
البصرة والأُبُلّه وكوردِجْله ، ورجع الى بغداد فدخلها في جمادى
سنة سبعين ؛ وكان لصاحب الزنج من الولد محمد ولقبه انكلاي ،
ومعناه بالزنجية ابن الملك ، ثم يحيى وسليان والفضل حبسوا في
المطبق الى أن هلكوا . والله وارث الارض ومن عليها .

الخبر عن دعاة الديلم والجبل من العلوية وما كان لهم من الدولة بطبرستان للداعي وأخيه أولاً. ثم للأطروش وبنيه وتصاريف ذلك الى انقضائه

كان أبو جعفر المنصور قد اختص من العلوية من بني الحسن
السبط حافده الحسن بن زيد بن الحسن وولاه المدينة ، وهو الذي
امتحن الامام مالكاً رحمه الله كما هو معروف . وهو الذي أغرى

المنصور من قبل ببني حسن وأخبره بدسيسة محمد المهدي وابنه عبد الله في شأن الدعاء لهم حتى قبض عليهم وحملهم الى العراق كما قدّمناه . وكان له عقب بالريّ منهم : الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن والي المدينة ، ولما حدث بين عامل طبرستان محمد بن أوس الكافل بها لسليمان بن عبد الله بن طاهر نائباً عن محمد بن طاهر صاحب خراسان ، وبين محمد وجعفر من بني رستم من أهل نواحي طبرستان حادث فتنة ، وقد تقدّم ذكرها ، أغروا به أهل تلك النواحي وبعثوا الى الديلم ليستنجدوا بهم عليه ، وكانوا على المجوسية يومئذ ، وهم حرب لمحمد بن أوس لدخوله بلادهم ، وقتله وسبيه منهم أيام المسالمة ، وملكهم يومئذ وهشوذار ابن حسان فأجابوا ابني رستم الى حربه .

وبعث ابنا رستم الى محمد بن ابراهيم بطبرستان لكون الدعوة له فامتنع ودلهم على الحسن بن زيد بالري فاستدعوه بكتاب محمد بن ابراهيم فشخص اليهم ، وقد اتفق الديلم وابنا رستم وأهل ناحيتهم على بيعته فبايعوه ، وانضم اليهم أهل جبال طبرستان . وزحف الى آمد فقاتله ابن أوس دونه ، وخالفه الحسن بن زيد في جماعة الى آمد فملكها ، ونجا ابن أوس الى سليمان بن عبدالله ابن طاهر بسارية وزحف اليهم الحسن فخرجوا للقائه فناشبهم الحرب ، وبعث بعض قواده ، الى سارية فملكها ، وانهزم سليمان

الى جرجان ، واستولى الحسن على معسكره بما فيه وعلى حرمه وأولاده فبعثهم اليه في السفن .

ويقال : انّ سليمان انهزم له لدسيسة التشيُّع التي كانت في بني طاهر ، ثم أقبل الحسن بن زيد الى طبرستان فملكها وهرب عنها سليمان ، ثم بعث الحسن دعاته الى النواحي ، وكان يعرف بالداعي العلوي فبعث الى الري القاسم ابن عمه علي بن اسمعيل ، وبها القاسم بن علي بن زين العابدين السمري فملكها ، واستخلف بها محمد بن جعفر بن أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن زين العابدين . وبعث الى قَزْوين الحُسَيْن المعروف بالكَوْكَبي بن أحمد بن محمد بن اسمعيل بن محمد بن جعفر ، وهزمه وأسره فبعث الحسن بن زيد قائده دواجن إلى محمد بن ميكال فهزمه وقتله ، وملك الريّ من يده ، وذلك سنة خمسين ومائتين .

ثم زحف سليمان بن عبدالله بن طاهر من جَرْجَان في العساكر فأجفل الحسن بن زيد عن طَبَرَسْتان الى الدَيْلَم ودخلها سليمان . ثم قصد سارِيَة وأتاه ابنا قاران بن شهرزاد من الديلم ، وأتاه أهل آمد وغيرهم طائعين فصفح عنهم . ثم سار محمد بن طاهر الى لقاء الحسن فهزمه ، وقتل من أعيان أصحابه ثلثمائة وأربعين رجلًا . ثم زحف موسى بن بغا لحربهم سنة ثلاث وخمسين فلقيه الحسن الكوكبي على قزوين ، وانهزم الي الديلم ، واستولى موسى بن بغا على قزوين . ثم رجع الكوكبي سنة ست وخمسين فاستولى

على الري ، واستولى القاسم بن علي بعدها على الكرخ سنة سبع ثم زحف الحسن بن زيد الى جرجان ، وبعث اليها محمد بن طاهر صاحب خُراسان العساكر فهزمهم الحسن ، وغلبهم عليها ، وانتقض أمر ابن طاهر بخراسان من يومئذ واختلف المغلبون عليه ، وكان ذلك داعياً الى انتزاع يعقوب الصَفَّار خُراسان من يده . ثم غلبه الحسين سنة تسع وخمسين على قومس .

استيلاء الصفار على طبرستان

كان عبدالله السخري ، ينازعه يعقوب بن الليثِ الصَفَّـــار الرياسة بِجسْتان ، فلما استولى يعقوب على الأمر هرب عبدالله الى نيسابور مستجيراً بابن طاهر فَأجاره . فلما هلك يعقوب الصفار بنيسابور ، هرب عبدالله الى الحسن بن زيد ونزل سارِيَة وبعث فيه يعقوب الصفار فلم يسلمه الحسن بن زيد ، فسار اليه يعقوب سنة ستين ، وهزمه فلحق بأرض الديلم ، ولحق عبدالله بالريّ . وملك يعقوت سارِيَة وآمد ، وجبى خراجهـا ، وسار في طلب الحسن فتعلق بجبـال طَبَرَسْتان واعترضته الأمطار والأوحال فلم يخلص الا بمشقَّة . وكتب الى الخليفة بخبر الحسن ، وما فعله معه ، وسار الى الري في طلب عبدالله السخري فأمكنه منــه ، والي الريّ فقتله .

ثم رجع الحسن بن زيد الى طبرستان سنة احدى وستين ،

وغلب عليها أصحاب الصفار ، واقتطعها عنهم . ثم انتقض السِجِسْتاني على يعقوب بن الليث بخراسان ، وملكها من يده كما ذكرناه فسار وحاربه أبو طَلحة بن شَرْكب وأمره الحسن بن زيد فسار السِجسْتاني الى محاربته بسبب ذلك سنة خمس وستين ، وانتزع جرجان من يده ، ثم خرج عنها لقتال عمرو بن الليث بعد موت أخيه يعقوب كما نذكر في أخبارهم ، فملكها الحسن بن زيد . ثم أوقع السِجستانِيّ بالحسن بن زيد سنة ست وستين ، كبسه بجرجان وهو غازٍ فهزمه ، ولحق بآمد ، وملك سارية ، واستخلف عليها الحسن بن محمد بن جعفر بن عبدالله الشيعي بن الحسين الأصغر ابن زين العابدين . وانصرف فأظهر الحسن بسارية قتل الحسن بن زيد ، ودعا لنفسه فبايعه جماعة . ثم وافاه الحسن بن زيد فظفر به وقتله .

وفاة الحسن بن زيد وولاية أخيه

ثم توفي الحسن بن زيد صاحب طَبَرَسْتان في رجب سنة سبعين ووليَ مكانه أخوه محمد ، وكان قيامهم أوّلاً على ابن طاهر كما ذكرناه . ثم غلب يعقوب الصفّار على خُراسان ، وانتقض عليه أحمد السِجستاني ، وملكها من يده . ثم مات يعقوب سنة خمس وستين ووليَ مكانه اخوه عمرو وزحف الى خُراسان ، وقاسم السجستاني فيها ، وكانت بينهما حروب ، وكان الحسن داعي

طبرستان يقابلها جميعاً إلى ان هلك ، وولي مكانه أخوه كما ذكرناه . وكانت قزوين تَغَلّب عليها اثناء ذلك عساكر المُوَفّق ، ووليها أذكوتكين من مواليهم فزحف الى الريّ سنة اثنتين وسبعين ، وزحف إليه محمد بن زيد في عالم كبير من الديلم وأهل طبرستان وخراسان فانهزم ، وقتل من عسكره ستة آلاف ، وأسر ألفان ، وغنم أذكوتكين عسكره جميعاً وملك الريّ وفرّق عماله في نواحيها . ثم مات السِجستاني وقام بأمره في خراسان رافع بن الليث من قواد الظاهِرِيّة فغلب محمد بن زيد على طَبَرْستان وجَرجان فلحق بالديلم ، ثم صالحه سنة احدى وثمانين ، وخطب له فيها سنة اثنتين وثمانين على أن ينجده على عمرو بن الليث ، وكتب له عمرو بن الليث يعذله عن ذلك فأقصر عنه ، فلما غلب عمرو على رافع رعى لمحمد بن زيد خذلانه لرافع فخلّى له عن طبرستان وملكها .

مقتل محمد بن زيد

كان عمر بن الليث لما ملك خُراسان ، وقتل رافع بن هَرْثَمَة ، طلب من المُعْتَضَد ولاية ما وراء النهر فولّاه . واتصل الخبر باسمعيل بن أحمد الساماني ملك تلك الناحية فعبر جيحون ، وهزم جيوش عمرو بن الليث ، ورجع الى بخارى فزحف عمرو بن الليث من نيسابور الى بَلْخ وأعوزه العبور . وجاء اسمعيل فعبر النهر ،

وأخذ عليه الجهات بكثرة جموعه فأصبح كالمحاصر . ثم اقتتلوا فانهزم عمرو وأسره اسمعيل ، وبعث به الى المعتضد سنة ثمان وثمانين فحبسه الى أن قتل ، وعقد لاسمعيل على ما كان بيد عمرو . ولما اتصل بمحمد بن زيد ، واقعة عمرو وأسره سار من طَبَرَستان لا يرى أنّ اسمعيل يقصدها فلما انتهى الى جرجان بعث اليه اسماعيل يصدّه عن ذلك فأبى ، فسرّح اليه محمد بن هرون ، وكان من قواد رافع بن هرثمة ، وصار من قواد اسمعيل بن سامان فلقي محمد بن زيد على جرجان واقتتلوا فانهزم محمد بن هرون أوّلا . ثم رجعت الكرّة على محمد بن زيد ، وافترقت عساكره ، وقتل من عسكره عالم وأسر ابنه زيد ، وأصابته هو جراحات هلك منها ، لأيام قلائل ، وغنم ابن هرون عسكره بما فيه ، وسار الى طبرستان فملكها ، وبعث بزيد الى اسمعيل فأنزله ببخارى ، ووسع عليه الانفاق ، واشتدّت عليه شوكة الديلم . وحاربهم اسمعيل سنة تسع وثمانين ، وملكهم يومئذ ابن حسان فهزمهم ، وصارت طبرستان وجرجان في ملك بني سامان مع خراسان ، إلى أن ظهر بها الأُطروش كما نذكر بعد . ويقال إنّ زيد ابن محمد بن زيد ملك طبرستان من بعد ذلك ، الى ان توفي وملكها من بعده ابنه الحسن بن زيد .

ظهور الأطروش العلوي وملكه طبرستان

الأطروش هذا من وَلَدِ عمر بن زين العابدين الذي كان منهم داعي الطالقان أيام المعتصم ، وقد مرّ ذلك . واسم الأطروش الحسن بن عليّ بن الحسين بن علي بن عمر ، دخل الى الديلم بعد مقتل محمد بن زيد وأقام فيهم ثلاث عشرة سنة ، يدعوهم الى الاسلام ويأخذ منهم العشر ، ويدافع عنهم ملكهم ابن حسان فأسلم منهم خلق كثير ، واجتمعوا عليه وبنى في بلادهم المساجد ، وحملهم على رأي الزيدية فدانوا به . ثم دعاهم الى المسير معه الى طبرستان . وكان عاملها محمد بن نوح ، من قبل أحمد بن اسمعيل بن سامان ، وكان كثير الاحسان اليهم فلم يجيبوا الاطروش الى البغي عليه . ثم عزل ابن سامان عن طبرستان ابن نوح ، وولى عليها غيره فأساء السيرة فأعاد اليها ابن نوح ، ثم مات فاستعمل عليها أبا العباس محمد بن ابراهيم ، صعلوكاً فأساء السيرة وتنكر لرؤساء الديلم ، فدعاهم الحسن الاطروش للخروج معه فأجابوه. فسار اليهم صعلوك ، ولقيهم بشاطىء البحر على مرحلة من سالوس فانهزم وقتل من اصحابه نحو من أربعة آلاف ، وحصر الاطروش بقيتهم في سالوس حتى استأمنوا اليه فأمّنهم ونزل آمد .

وجاء صهره الحسن بن قاسم بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم ابن محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد والي المدينة ،

وقد مرّ ذكره فلم يحضر قتل أولئك المستأمنين، واستولى الاطروش على طبرستان وتسمى الناصر، وذلك سنة احدى وثلثمائة، ولحق صعلوك بالريّ، وسار منها الى بغداد.

ثم زحف الناصر سنة اثنتين فخرج عن آمد، ولحق بسالوس، وبث اليه صعلوك العساكر فهزمهم الحسن الداعي، وهو الحسن ابن زيد. ثم زحفت اليه عساكر خراسان وهي للسعيد نصر بن أحمد فقتلوه سنة أربع وثلثمائة، وولي صهره وبنوه، وكانت بينهم حروب بالديلم كما نذكره. وكان له من الولد أبو القاسم وأبو الحسن، وكان قوّاده من الديلم جماعة منهم ليلى بن النعمان، وولاه صهره الحسن بعد ذلك جرجان، وما كان بن كالي وكانت له ولاية استراباذ، ويقرأ من كتاب الديلم، وكان من قواده الديلم جماعة أخرى منهم اسفار بن شيرويه من أصحاب ما كان ومرداويح[1] من أصحاب اسفار والسيكري من أصحابه أيضاً، ومولويه من أصحاب مرداويح، ويأتي الخبر عن جميعهم.

وكان الحسن بن قاسم صهر الأطروش، وكان رديفه في الامر حتى كان يعرف بالداعي الصغير، واستعمل على جرجان سنة ثمان وثلثمائة ليلى بن النعمان من كبار الديلم، وكان له مكان في قومه، وكان الأطروش وأولاده يلقّبونه المؤيّد لدين الله،

(١) قال المسعودي في مروج الذهب وتفسير مرداويح معلق الرجال وقد يكتب مزداويح بالزاي.

المنتصر لآل رسول الله ، وكانت خراسان يومئذ لنصر بن أحمد من بني سامان .

وكان الدامغان ثغرها من ناحية طبرستان ، وكان بها فراتكين من موالي ابن سامان فوقعت بينه وبين ليلى حروب ، وهزمه ليلى ، واستفحل أمره ، ونزع اليه فارس مولى فراتكين فأكرمه وأصهر اليه بأخته واستأمن اليه أبو القاسم بن حفص وهو ابن أخت أحمد بن سهل قائد السامانية عندما نكب خاله أحمد فأمّنه وأجاره . ثم حرضه الحسن بن قاسم الداعي الصغير على المسير الى نيسابور فسار اليها ، ومعه أبو القاسم بن حفص فملكها من يد فراتكين ، سنة ثمان وثلثمائة . وخطب بها للداعي ، وأنفذ السعيد نصر عساكره إليه من بخارى مع قائده حمويّة بن علي ، ومعه محمد بن عبيدالله البلعي وأبو جعفر صعلوك ، وخوارزم شاه وسيجور الدواني ويقراخان فلقيهم ليلى بطوس ، وقاتلوه فانهزم إلى آمد ، ولم يقدر على الحصار ، ولحقه يقراخان فقبض عليه ، وبعث حمويه من قتله ، واستأمن الديلم اليهم فأمّنوهم ، وأشار حمويه بقتلهم فاستجاروا بالقواد ، وبعث برأس ليلى الى بغداد ، وذلك في ربيع من سنة تسع وبقي فارس مولى فراتكين بجرجان .

إمارة العلوية بطبرستان بعد الأطروش

ولما قتل الحسن الأطروش سنة أربع وثلثمائة ، كما قدّمناه ، ولّى مكانه بطبرستان صهره ، وهو الحسن بن القاسم ، وقد مرّ ذكره ، ويسمى بالداعي الصغير ، وتلقب بالناصر . وبعض الناس يقولون هو الحسن بن محمد أخي الاطروش ، هكذا قال ابن حزم وغيره ، وليس بصحيح ، وانما هو صهره الحسن بن القاسم من عقب الحسين بن زيد والي المدينة . ثم من عقب حافده[1] محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن ، وكان أبو الحسن بن الأطروش باستراباذ فبايع له ما كان بن كالي ، وقام بأمره فلما قتل ليلى بن النعمان صاحب جرجان ، وعاد فرتكين اليها ، ثم انصرف عنها ، وجاءه أبو الحسن بن الاطروش باستراباذ فبايع له فلكها ، فبعث السعيد بن سامان صاحب خراسان قائده سيجور الدواني في أربعة آلاف فارس لحصاره بجرجان فحاصره شهراً ، ومع الحسن صاحب جيشه سرخاب بن وهشوداب ، وهو ابن عم ماكان بن كالي فلما اشتدّ بهم الحصار خرج أبو الحسن وسرخاب في ثمانية آلاف من الديلم والجند فانهزم سيجور أوّلا فاتبعوه ، وقد أكمن لهم الكمائن فخرجت عليهم ، وقتل من الديلم والجند نحو أربعة

---

(١) الحافد: الخادم. الناصر. التابع: والحفيد أيضاً.

آلاف، وخلص أبو الحسن في البحر الى استراباذ، ولحقه بسرخاب فخلفه، واقام سيجور بجرجان.

ثم هلك سرخاب وسار أبو الحسن الى سارية، واستخلف ما كان بن كالي على استراباذ فاجتمع اليه الديلم، وولوه على أنفسهم، وزحف اليه عساكر السعيد بن سامان فحاصروه مدّة. ثم خرج عن استراباذ الى سارية فملكوها وولوا عليها بقراخان، وعادوا الى جرجان، ثم الى نيسابور ثم سار ما كان بن كالي الى استراباذ وملكها من يد بقراخان، ثم ملك جرجان، وأقام بها، وذلك سنة عشر وثلثمائة. ثم استولى اسفار بن شيرويه على جرجان، واستقلّ بها، وكان سبب ذلك أنّه كان من أصحاب ما كان ابن كالي، ونكره لبعض أحواله فطرده من عسكره، وسار الى أبي بكر بن محمد بن اليسع من السامانية بنيسابور فخدمه، وبعثه في عسكر الى جرجان ليفتحها له، وقد كان ما كان سار الى طبرستان، وولى على جرجان مكانه أخاه أبا الحسن عليّاً، وكان أبو الحسن بن الاطروش معتقلاً عنده، وهمّ ليله بقتله، وقصده في محبسه فظفر به أبو علي وقتله، وخرج من الدار واختفى، وبعث من الغد الى القوّاد فبايعوا له، وولوا على جيشه عليّ بن خرشيد ورضوا به.

واستقدموا اسفار بن شيرويه فاستأذن بكر بن محمد وقدم عليهم، وسار اليهم ما كان بن كالي فحاربوه وغلبوه على

طبرستان ، وأنزلوا بها أبا عليّ بن الأطروش فأقام بها أياماً ، ومات على اثره عليّ بن خرشيد صاحب جيشه ، وجاء ما كان بن كالي لحرب اسفار بطبرستان فانهزم اسفار ولحق ببكر بن محمد بجرجان ، وأقام الى ان توفي سنة خمس عشرة وثلثمائة فولاه السعيد على جرجان ، وأرسل الى مرداويج بن دينار الجبلي ، وجعله امير جيشه ، وزحفوا الى طبرستان فملكوها . وكان الحسن بن القاسم الداعي قد استولى على الريّ وقزوين وزنجان وأبهر وقمّ ، وقائده ما كان بن كالي الديلمي فسار الى طبرستان ، وقاتله أسفار فانهزم ما كان ، والحسن بن القاسم الداعي ، وقتل بخذلان أصحابه إيّاه ، لأنه كان يشتدّ عليهم في تغيير المنكرات فتشاوروا في ان يستقدموا هذرسيدان من رؤساء الجبل ، وكان خال مرداويج ووشكين فيقدّموه عليهم ، ويحبسوا الحسن الداعي وينصبوا أبا الحسن بن الاطروش .

ونما الخبر بذلك الى الداعي ، وقدم هذرسيدان فلقيه الداعي مع القوّاد وأدخلهم الى قصره بجرجان ليأكلوا من مائدته فدخلوا ، وقتلهم عن آخرهم فعظمت نفرتهم عنه فخذلوه في هذا الموطن وقتل ، واستولى اسفار على طبرستان والريّ وجرجان وقزوين وزنجار وأبهر وقُمّ والكرج ، ودعا للسعيد بن سامان صاحب خُراسان ، وأقام بسارية ، واستعمل على آمد هرون بن بهرام ، وقصد بذلك استخلاصه لنفسه لانه كان يخطب لأبي جعفر ، من

ولد الناصر الأُطروش فولاه آمد وزوّجه باحدى نسائه الأعيان بها[1] وحضر عرسه أبو جعفر وغيره من العلويين ، وهجم عليه اسفار يوم عرسه بآمد فقبض على أبي جعفر وغيره من أعيان العلويين ، وحملهم الى بخارى فاعتقلوا بها الى ان خلصوا من بعد ذلك .

ومن تاريخ بعض المتأخرين : أنّ الحسن بن القاسم الداعي صهر الأُطروش ، بويع بعد موته ولُقِّب الناصر ، وملك جرجان . وكان الديلم قد اشتملوا على جعفر بن الاطروش ، وتابعوه فصار الداعي الى طبرستان وملكها ، ولحق جعفر بدُنْباوَنْد[2] فقبض عليه علي بن احمد بن نصر وبعث به إلى علي بن وهشوذان بن حسان ملك الديلم وهو عامله ، فحبسه علي بن وهشودان بن حسان ملك الديلم فلما قتل أطلقه من بعده حسرة فيروز فاستجاش جعفر بالديلم ، وعاد الى طبرستان فملكها وهرب الحسن . ثم مات جعفر فبويع أبو الحسن ابن أخيه الحسن فلما ظهر ما كان بن كالي بايع للحسن الداعي وأخرجه اليه ، وقبض على الحسن أحمد وهو ابن أخي جعفر وحبسه بجرجان عند أخيه أبي عليّ ليقتله فقتله الحسن ونجا ، وبايعه القوّاد بجرجان .

ثم حاربه ما كان فانهزم الحسن الى آمد ، ومات بها ،

(١) كذا . ولعلها زائدة أو لعلها : فبنى بها .

(٢) قوله دنباوند بضم الدال المهملة وسكون النون وباء موحدة وألف وفتح الواو وسكون النون ثم دال مهملة ثم دال مهملة وبعضهم يقول دماوند بالميم والأول أصح ا هـ من أبي الفداء .

وبويع أخوه أبو جعفر بن محمد بن أحمد ، وقصده مـا كان من الريّ فهرب من آمد الى سارية ، وبها اسفار ابن شيرويه . فقاتل دونه ، وانهزم اسفار الى جرجـان ، واستأمن الى أبي بكر بن محمد بن اليـاس . ثم بايع مـا كان لابي القـاسم الداعي ، وخرج الحسن الى الريّ وطلب مرداويح بثأر خاله سيداب بن بندار . وكان الداعي بجرجـان سنة احدى وعشرين وثلثمائة ، وانصرف ما كان الى الديلم ، ثم ملك طبرستان وبايع بها لابي عليّ الناصر ابن اسمعيل بن جعفر بن الاطروش ، وهلك بعـد مدة . ومضى أبو جعفر محمد بن ابي الحسن أحمد بن الاطروش الى الديـلم ، الى أن غلب مرداويح عـلى الريّ فكتب اليه وأخرجه عن الديلم ، وأحسن اليه . فلما غلب على طبرستان وأخرج ما كان عنها بايع لابي جعفر هذا ، وسمي صاحب القلنسوة الى أن مات ، وبويع أخوه ولقب الثائر ، وأقام مع الديلم . وزحف سنة ست وثلاثين الى جرجان ، وبها ركن الدولة بن بويه فسرّح اليه ابن العميد فانهزم الثـائر ، وتعلق بالجبال ، وأقـام مع الديلم وملوك العجم يخطبون له الى أن هلك سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، لثـلاثين سنة مـن ملكه ، وبايعوا لاخيـه الحسين بن جعفر ، وتلقب بالنـاصر ، وتقبض عليه ليكوبن وشكس ملك الجبل وسلمه وانقرض ملك الفاطميين أجمع بتلك الجبال والبقاء لله وحده

الاسماعيلية

الخبر عن دولة الاسماعيلية ونبدأ منهم بالعبيديين الخلفاء بالقيروان والقاهرة، وما كان لهم من الدولة من المشرق والمغرب

أصل هؤلاء العبيديين من الشيعة الامامية، وقد تقدم لنا حكاية مذهبهم، والبراءة من الشيخين ومن سائر الصحابة، لعدولهم عن بيعة علي الى غيره، مع وصية النبيّ صلى الله عليه وسلم له بالامامة بزعمهم، وبهذا امتازوا عن سائر الشيعة. والا فالشيعة كلّهم مطبقون على تفضيل عليّ ولم يقدح ذلك عند الزيدية في إمامة أبي بكر لقولهم بجواز إمامة المفضول مع الأفضل، ولا عند الكيسانية لانهم لم يدّعوا هذه الوصية فلم يكن عندهم قادح فيمن خالفها. وهذه الوصية لم تعرف لاحد من أهل النقل. وهي من موضوعات الامامية[1]، وقد يسمون

---

(١) الشيعة بفرقها تعتقد أن النبي ﷺ عهد إلى الإمام علي عليه السلام، بالخلافة من بعده، وأنه اصطفاه دون سائر قومه، وأنه في سيرته الشريفة لم يترك فرصة سانحة إلا وذكر بها فضله. ففي بدء الدعوة الإسلامية لما نزلت الآية الكريمة: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ جمع بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون شخصاً. فقال لهم يا بني عبد المطلب إن الله قد بعثني إلى الخلق كافة فمن يجيبني إلى هذا الأمر يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه غير علي. (السيرة الحلبية، وابن الأثير، وحياة محمد لهيكل، الطبعة الأولى).

وبعد هذا التأسيس صدرت منه أحاديث كثيرة فيها إشارات صريحة إلى أن الإمام هو الخليفة =

رافضة ، قالوا لانه لما خرج زيد الشهيد بالكوفة ، واختلف عليه الشيعة ناظروه في أمر الشيخين ، وأنهم ظلموا علياً فنكر ذلك عليهم فقالوا له : وأنت أيضاً فلم يظلمك أحد ، ولا حق لك في الامر ، وانصرفوا عنه ورفضوه فسموا رافضة ، وسمي أتباعه زيدية . ثم صارت الامامة من عليّ الى الحسن ، ثم الحسين ، ثم ابنه عليّ زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، كل هؤلاء بالوصية ، وهم ستة أئمة لم يخالف أحد من الرافضة في امامتهم .

ثم افترقوا من هنا فرقتين : وهم الاثنا عشرية والاسماعيلية . واختص الاثنا عشرية باسم الامامية لهذا العهد ، ومذهبهم أنّ الامامة انتقلت من جعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم ، وخرج دعاته بعد موت أبيه فحمله هرون من المدينة وحبسه عند عيسى بن جعفر ، ثم أشخصه الى بغداد وحبسه عند ابن شاهك .

=من بعده، وقد أجمع على رواية هذه الأحاديث كتب السنة منها حديثه يوم تزويجه فاطمة، ومنها حديث الطائر المشوي، ومنها حديث فتح خيبر، وأحاديث كثيرة صدرت منه في حياته آخرها حديث غزوة تبوك فقد تواتر هذا الحديث، وهو قوله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي. إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي.

ولا يخفى أن تلك الأحاديث براهين ساطعة وأدلة ناطقة على أن علياً ولي عهده وخليفته من بعده وأنه أنزله منه منزلة هارون من موسى ولم يستثن من جميع المنازل إلا النبوة. وأظهر المنازل التي كانت لهارون من موسى، وزارته له وشد أزره به واشتراكه معه في أمره، وخلافته عنه، وفرض طاعته على جميع أمته، فعليّ بحكم هذا النص خليفة رسول الله في قومه ووزيره في أهله وأفضل أمته، وله على الأمة مثل الذي كان لهارون في حياة موسى. وأحاديث الوصية والخلافة لا تنفرد بها الشيعة ومن أحب التبحر فعليه بالمجلد التاسع من البحار للشيخ المجلسي، وكتاب الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني، والمراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين وغيرها كثير.

ويقال انّ يحيي بن خالد سمَّه في رطب فقتله ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وزعم شيعتهم أنّ الامام بعده ابنه عليّ الرضا وكان عظيماً في بني هاشم ، وكانت له مع المأمون صحبة ، وعهد له بالأمر من بعده سنة احدى ومائتين عند ظهور الدعاة للطالبيين ، وخروجهم في كل ناحية . وكان المأمون يومئذ بخراسان ، لم يدخل العراق بعد مقتل أخيه الامين فنكر ذلك عليه شيعة العباسيّين وبايعوا لعمه ابراهيم بن المهدي ببغداد ، فارتحل المأمون الى العراق وعليّ الرضا معه ، فهلك عليّ في طريقه سنة ثلاث ومائتين ودفن بطوس ، ويقال ان المأمون سمه .

ويحكى أنه دخل عليه يعوده في مرضه فقال له أوصني ، فقال له عليّ إياك أن تعطي شيئا وتندم عليه ، ولا يصح ذلك لنزاهة المأمون عن اراقة الدماء بالباطل ، سيما دماء أهل البيت . ثم زعم شيعتهم انّ الامر من بعد عليّ الرضا لابنه محمد التقي[1] ، وكان له من المأمون مكان ، وأصهر اليه في ابنته فأنكحه المأمون اياها سنة خمس ومائتين . ثم هلك سنة عشرين ومائتين ودفن بمقابر قريش وتزعم الاثنا عشرية أنّ الامام بعده ابنه عليّ ، ويلقبونه الهادي ، ويقال الجواد ، ومات سنة أربع وخمسين ومائتين وقبره بقمّ ، وزعم ابن سعيد أنّ المقتدر سمَّه .

ويزعمون أنّ الامام بعده ابنه الحسن ، ويلقب العسكري ،

(١) هو محمد الجواد كما في كتب التاريخ والسير.

لانه ولد بسرّ من رأى، وكانت تسمى العسكر، وحبس بها بعد أبيه الى أن هلك سنة ستين ومائتين، ودفن الى جنب أبيه في المشهد، وترك حملا[1] ولد منه ابنه محمد فاعتقل، ويقال دخل مع أمّه في السرداب بدار أبيه، وفقد، فزعمت شيعتهم أنه الامام بعد أبيه، ولقبوه المهدي والحجة. وزعموا أنه حيّ لم يمت، وهم الآن ينتظرونه، ووقفوا عند هذا الانتظار، وهو الثاني عشر من ولد عليّ، ولذلك سميت شيعته الاثني عشرية. وهذا المذهب في المدينة والكرخ والشام والحلة والعراق، وهم حتى الآن على ما بلغنا يصلون المغرب، فاذا قضوا الصلاة قدموا مركباً الى دار السرداب بجهازه وحليته ونادوا بأصوات متوسطة، أيها الامام اخرج الينا فان الناس منتظرون، والخلق حائرون، والظلم عام، والحق مفقود فاخرج الينا فتقرب الرحمة من الله آثارك، ويكرّرون ذلك الى ان تبدو النجوم، ثم ينصرفون الى الليلة القابلة، هكذا دأبهم. وهؤلاء من الجهل بحيث ينتظرون من يقطع بموته مع طول الامد، لكن التعصب حملهم على ذلك، وربما يحتجون لذلك بقصة الخضر والأخرى أيضاً باطلة، والصحيح أنّ الخضر قد مات.

وامّا الاسماعيلية فزعموا أنّ الامام بعد جعفر الصادق ابنه اسمعيل، وتوفي قبل أبيه. وكان أبو جعفر المنصور طلبه فشهد

(١) كذا ولعلها: وترك حاملاً ولد منها.

له عامل المدينة بأنه مات . وفائدة النص عندهم على اسمعيل ، وان كان مات قبل أبيه بقاء الامامة في ولده كما نص موسى على هرون صلوات الله عليهما ومات قبله . والنص عندهم لا مرجع وراءه ، لانّ البداء على الله محال . ويقولون في ابنه محمد انه السابع التامّ من الائمة الظاهرين ، وهو أوّل الائمة المستورين عندهم الذين يستترون ويظهرون الدعاة ، وعددهم ثلاثة ، ولن تخلو الارض منهم عن امام ، إمّا ظاهر بذاته أو مستور ، فلا بدّ من ظهور حجته ودعاته . والائمة يدور عددها عندهم على سبعة عدد الاسبوع ، والسموات والكواكب ، والنقباء تدور عندهم على اثني عشر . وهم يغلِّطون الائمة حيث جعلوا عدد النقباء للائمة . واوّل الائمة المستورين عندهم محمد بن اسمعيل ، وهو محمد المكتوم ، ثم ابنه جعفر المصدّق ، ثم ابنه محمد الحبيب ، ثم ابنه عبدالله المهدي صاحب الدولة بافريقية والمغرب التي قام بها أبو عبدالله الشيعي بكتامة .

وكان من هؤلاء الاسماعيلية القرامطة ، واستقرّت لهم دولة بالبحرين في أبي سعيد الجنابيّ وبنيه أبي القاسم الحسين بن فروخ ابن حوشب الكوفي داعي اليمن لمحمد الحبيب ، ثم ابنه عبدالله ويسمى بالمنصور ، وكان من الاثني عشرية أوّلا فلما بطل ما في أيديهم رجع الي رأي الاسماعيلية وبعث محمد الحبيب أبو عبدالله الي اليمن داعية له فلما بلغه عن محمد بن يعفر ملك صنعاء أنه

أظهر التوبة والنسك ، وتخلى عن الملك فقدم اليمن ووجد بها شيعة يعرفون ببني موسى في عدن لاعة . وكان عليّ بن الفضل من أهل اليمن ، ومن كبار الشيعة ، وطاهر بن حوشب على أمره ، وكتب له الامام محمد بالعهد لعبدالله ابنه ، وأذن له في الحرب فقام بدعوته وبثها في اليمن وجيش الجيوش ، وفتح المدائن وملك صنعاء ، وأخرج منها بني يبعن ، وفرّق الدعاة في اليمن واليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب ، وكان يظهر الدعوة للرضا من آل محمد ، ويبطن محمداً الحبيب تستراً ، الى ان استولى على اليمن ، وكان من دعاته أبو عبدالله الشيعي صاحب كتامة . ومن عنده سار الى افريقية فوجد في كتامة من الباطنية خلقاً كثيراً ، وكان هذا المذهب هنالك من لدن الدعاة الذين بعثهم جعفر الصادق الى المغرب . أقاموا بافريقية وبثوا فيها الدعوة ، وتناقله من البرابرة أمم ، وكان أكثرهم من كتامة فلما جاء أبو عبدالله الشيعي داعية المهدي ووجد هذا المذهب في كتامة فقام على تعليمه وبثه واحيائه ، حتى تمّ الامر وبويع لعبدالله كما نذكر الآن في اخبارهم .

دولة العبيديين

ابتداء دولة العبيديين

واولهم عبيدالله المَهْدِيّ بن محمد الحبيب بن جَعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق. ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القَيْروان وغيرهم وبالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالطعن في نسبهم، وشهد فيه أعلام الأئمة. وقد مرّ ذكرهم فان كتاب المعتضد إلى ابن الاغلب بالقيروان، وابن مدرار بسجلماسة، يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهد بصحة نسبهم. وشعر الشريف الرضيّ مسجل بذلك. والذين شهدوا في المحضر فشهادتهم على السماع، وهي ما علمت. وقد كان نسبهم ببغداد منكراً عند أعدائهم شيعة بني العباس منذ مائة سنة فتلوّن الناس بمذهب أهل الدولة، وجاءت شهادة عليه مع أنها شهادة على النفي، مع أنّ طبيعة الوجود في الانقياد اليهم، وظهور كلمتهم حتى في مكة والمدينة أدلّ شيء على صحة نسبهم.

وأما من يجعل نسبهم في اليهودية والنَصْرانِيَّة ليعمون[1]

(١) كذا. وتسمى هذه اللام لام التعليل، أو لام كي. ومن المعلوم أن الفعل المضارع بعدها ينصب بأن المضمرة.

القدح وغيره فكفاه ذلك اثماً وسفسفة . وكان شيعة هؤلاء العُبَيْديين بالمشرق واليمن وافريقية . وكان أصل ظهورهم بافريقية دخول الحلواني وأبي سفيان من شيعتهم إليها أنفذهما جعفر الصادق ، وقال لهما بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر فنزل أحدهما ببلد مراغة ، والآخر ببلد سوف جمار وكلاهما من أرض كتامة ففشت هذه الدعوة في تلك النواحي ، وكان محمد الحبيب ينزل سَلَمْيَة من أرض حِمْص ، وكان شيعتهم يتعاهدونه بالزيارة اذا زاروا قبر الحسين ، فجاء محمد بن الفضل من عدن لاعة من اليمن لزيارة محمد الحبيب ، فبعث معه رستم ابن الحسن بن حوشب من أصحابه لاقامة دعوته باليمن ، وأنّ المهدي خارج في هذا الوقت ، فسار وأظهر الدعوة للمهدي من آل محمد بنعوته المعروفة عندهم ، واستولى على أكثر اليمن ، وتسمى بالمنصور ، وابتنى حِصْناً بجبل لاعة .

وملك صنعاء من بني يعفر ، وفرّق الدعاة في اليمن واليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب . وكان أبو عبدالله الحسين بن محمد بن زكريا المعروف بالمحتسب ، وكان محتسباً بالبصرة ، وقيل انما المحتسب أخوه أبو العباس المخطوم وأبو عبدالله هذا يعرف بالمعلِّم لانه كان يُعلِّم مذهب الاماميَّة ، فاتصل أبو عبدالله بمحمد الحبيب ، ورأى ما فيه من الأهلية فأرسله الى ابن حوشب باليمن ليأخذ عنه ، ثم يذهب الى المغرب ،

يقصد بلد كتامة فيظهر بينهم الدعوة . فجاء أبو عبدالله الى ابن حوشب ولزمه ، وشهد مجالسه ، وأفاد علمه .

ثم خرج مع حاج اليمن الى مكة فلقي بالموسم رجالات كتامة ورؤساءهم ، وفيهم من لقى الحلواني وابن بكار وأخذوا عنهما فقصدهم أبو عبدالله في رحالهم ، وكان منهم موسى بن حريث كبير بني سكان من جملة أحد شعوبهم وأبو القاسم الورنجومي من أحلافهم ، ومسعود بن عيسى بن ملال المساكتي ، وموسى ابن تكاد فجلس اليهم وسمعوا منه مذاهبهم ، ورأوا ما هو عليه من العبادة والزهد فعلق بقلوبهم ، وصار يتمهدهم في رحالهم فاغتبطوا به واغتبط بهم . ولما أرادوا الرحلة الى بلادهم سألوه الصحبة فوافقهم طاوياً وجه مذهبه عنهم ، بعد أن سألهم عن قومهم وعصابتهم وبلادهم وملكة السلطان فيهم فكشفوا له علم ذلك وأنهم انما يعطون السلطان طاعة معروفة فاستيقن تمام أمره فيهم ، وخرج معهم الى المغرب ، وسلكوا طريق الصحراء ، وعدلوا عن القيروان الى أن وصلوا بلد سوماتة ، وبها محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي من بجاية الاندلس نزيلا عندهم ، وكان قد أدرك الحلواني وأخذ عنه . فنزل أبو عبدالله الشيعي عليه فأكرمه ، وفاوضه ، وتفرس ابن حمدون فيه أنه صاحب الدولة .

ثم ارتحلوا وصحبهم ابن حمدون ، ودخلوا بلد كتامة منتصف ربيع سنة ثمان وثمانين ومائتين فنزل علي موسى بن حريث ببلده

انكجان في بلد بني سكتان من جبيلة ، وعين له مكان منزله بفجّ الاخيار ، وأنّ النص عنده من المهديّ بذلك ، وبهجرة المهدي ، وأنّ انصار الأَخيار من أهل زمانه ، وأنّ اسمهم مشتق من الكتمان . واجتمع اليه الكثير من أهل كتامة ، ولقي علماءهم واشتمل عليه الكثير من أهوائهم فجاهر بمذهبه ، وأعلن بامامة أهل البيت ، دعا للرضا من آل محمد ، واتبعه أكثر كتامة ، وكانوا يسمونه بأبي عبدالله الشيعيّ والمشرقيّ . وبلغ خبره الى أمير افريقية ابراهيم بن أحمد بن الاغلب فبعث اليه بالتهديد والوعيد ، فأساء الردّ عليه ، وخاف رؤساء كتامة عادية ابن الاغلب ، وأغراهم عمال بلادهم بالشيعي ، مثل موسى بن عياش صاحب مسيلة ، وعليّ بن حفص بن عسلوجة صاحب سريف . وجاء ابن تميم صاحب يلزمه فاجتمعوا وتفاوضوا في شأنه ، وحضر يحيى المساكتي وكان يدعى الامير ، ومهديّ بن أبي كمارة رئيس لهَيْعَة ، وفرج بن حيران رئيس إجانة ، وتمل بن بجل رئيس لطانة . وراسلوا بيان بن صقلان رئيس بني سكتان ، وأبو عبدالله الشيعي عندهم بجبل ايكجان ، في أن يسلمه اليهم أو يخرجه من بلدهم ، وحذروه عاقبة أمره فردّ أمره الى أهل العلم ، فجاؤا بالعلماء وهموا باغتياله فلم يتم لهم ذلك ، وأطبقت بجيلة على مظاهرته فهزموا هؤلاء المثيرين عليه وردّوهم خائبين .

ثم راجعوا بيان بن صقلاب في أمره ولاطفوه حتى صفا اليهم ،

وشعر بذلك أبو عبدالله الشيعيّ وأصحابه ، فبعثوا الى الحسن ابن هرون الغسّاني يسألونـه الهجرة اليهم فأجابهم ، ولحق ببلدة تازروت من بـلادهم واجتمعت غسّان لنصرته مع بطون كتامة الذين بايعوه من قبل ، فاعتز وامتنع وعظم أمره . ثم انتقض على الحسن بن هرون أخوه محمد منافسة له في الرياسة ، وكان صديقاً لمهديّ بن أبي كمارة فداخله في التثريب على أبي عبدالله ، وعظمت الفتنة بين لهيعة وغسان ، وولى أبو عبدالله الشيعي الحسن بن هرون على حروبه ، وظهر بعد أن كان مختفياً .

وكان لمهدي بن أبي كمارة شيخ لُهَيْعَة أخ اسمه أبو مديني ، وكان من أحباب أبي عبدالله فقتل أخاه مهديًّا ورأس على لهيعة مكانه فصاروا جميعاً إلى ولاية أبي عبدالله وأبي مديني شيخهم .

ثم تجمعت كتامة لحرب الشيعي وأصحابه ، ونازلوه بمكانه من تازروت . وبعث الشيعي سهل بن فوكاش الى فحل بن نوح رئيس لطانة ، وكان صهره ، لينجد له عن حربهم في السلم فمشى الى كتامة ، وأبوا إلّا أن يناجزوهم الحرب ، فغلبهم أبو عبدالله وأصحابه ، وانهزمت كتامة وأبلى عروبة بن يوسف الملوشي في ذلك اليوم بلاءً حسناً ، واجتمعت إلى أبي عبدالله غسّان كلها ويلزمة ولهيعة وعامّة بجاية ورئيسهم يومئذ ماكنون بن ضَبارَة وأبو زاكي تمام بن معارك . ولحق بجيلة من بجباية فرج بن خيران ، ويوسف بن محمد من لطانة ، وفحل بن نوح ، واستقام

أمر الباقي للشيعي وجمع فتح بن يحيى من أطاعه من قومه مسالمة لحرب الشيعي فسار اليهم وأوقع بهم ، ولحق فلّهم بسطيف .

ثم استأمنوا اليه فأمّنهم ودخلوا في أمره ، وولى منهم هرون ابن يونس على حروبه . ولحق رئيسهم فتح بن يحيى بعجيسة ، وجمع ثانية لحربه الشيعي فسار اليه ومعه جموع كتامة ، وتحصن منه فتح ببعض قلاعهم فحاصره الشيعي وفتحها ، واجتمعت اليه عجيسة وزواوة وجميع قبائل كتامة ، ورجع الى تازروت وبثّ دعاته في كل ناحية فدخل الناس في أمره طوعاً وكرهاً . ولحق فتح بن يحيى بالامير ابراهيم بن أحمد بتونس ، واستحثّه لحرب الشيعي . ثم فتح أبو عبدالله مساكتة بمداخلة بعض أهلها ، وقتل صاحبها موسى بن عيّاش وولّى عليها ماكنون بن ضبارة الجايي وهو ابو يوسف ولحق ابراهيم بن موسى بن عياش بأبي العباس ابراهيم بن الأغلب بتونس ، بعد خروج أبيه الى صِقِلّيّة . وكان فتح بن يحيى المساكتي قد نزع اليه من قبل ذلك ، ووعده المظاهرة فجهز العساكر ، وعقد عليها لابنه أبي خوال ، وزحف من تونس سنة تسع وثمانين فدوّخ كتامة ، ثم صمد الى تازروت فلقيه أبو عبدالله الشيعي في جموعه ببلد ملوسة فهزمهم أبو خوال ، وفرّ الشيعي من قصر تازروت الى ايكجان فامتنع بها ، فهدم أبو خوال القصر ، واتبعه . وتوّغل أبو خوال في بلاد كتامة فاضطرب أمره ، وتوقع البيات .

وسار ابراهيم بن موسى بن عياش من عسكر أبي خوال

الى نواحي مسيلة يتجسّس الأخبار فتواقع مع طائفة من أصحاب الشيعي فهزموه ، واتبعوه الى المعسكر فاضطرب ، وأجفل ابو خوال ، وخرج من بلاد كتامة ، واستوطن أبو عبدالله ايكجان ، وبنى بها بلداً وسماها دار الهجرة . واستبصر الناس في أمره ، ودخلوا في دعوته . ثم هلك الحسن بن هرون ، وجهز أبو العباس العساكر ثانية مع ابنه أبي خوال ، ورده لحرب الشيعي وكتامة فسار في بلادهم ، ورجع منهزماً ، وأقام قريباً منهم يدافعهم ، ويمنعهم من التقدّم . وفي خلال ذلك هلك ابراهيم بن أحمد بن الأغلب ، وقتل ابنه ابو العباس ، وقام بالأمر ابنه زيادة الله فاستدعى أخاه أبا خوال وقتله ، وانتقل من تونس الى وقادة ، وانهمك في لذاته ، وانتشرت جيوش الشيعي في البلاد ، وعلا أمره وبشّرهم بأنّ المهدي قرب ظهوره فكان كما قال .

وصول المهدي الى المغرب، واعتقاله بسجلماسة، ثم خروجه من الاعتقال وبيعته

ولما توفي محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن اسمعيل الامام ، عهد الى ابنه عبيدالله وقال له : انت المهدي وتهاجر بعدي هجرة بعيدة ، وتلقى محناً شديدة . واتصل خبره بسائر دعاته في افريقية واليمن ، وبعث اليه أبو عبدالله رجالاً من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم ، وأنّهم في انتظاره . وشاع خبره ، واتصل

بالعباسيّين فطلبه المكتفي ففرّ من أرض الشام الى العراق. ثم لحق بمصر ومعه ابنه أبو القاسم غلاماً حدثاً وخاصته ومواليه ، بعد أن كان أراد قصد اليمن فبلغه ما أحدث بها عليّ بن الفضل من بعد ابن حوشب ، وأنه أساء السيرة فانثنى عن ذلك ، واعتزم على اللحاق بأبي عبدالله الشيعي بالمغرب فارتحل من مصر الى الاسكندرية ثم خرج من الاسكندرية في زي التجّار . وجاء كتاب المكتفي الى عامل مصر ، وهو يومئذ عيسى النوشري بخبرهم ، والقعود لهم بالمراصد ، وكتب نعته وحليته فسرح في طلبهم حتى وقف عليهم ، وامتحن أحوالهم فلم يقف على اليقين في شيء منها فخلى سبيلهم .

وجدّ المهدي في السير ، وكان له كتب في الملاحم منقولة عن آبائه سرقت من رَحْلِه في طريقه ، فيقال ان ابنه أبا القاسم استردّها من بَرْقَةِ حين زحف إلى مصر ، ولما انتهى الى طرابلس وفارقه التجار أهل الرفقة بعث معهم أبا العباس أخا أبي عبدالله الشيعي الى أخيه بكتامة ، ومرّ بالقَيْرَوان ، وقد سبق خبرهم الى زيادة الله ، وهو يسأل عنهم فقبض على أبي العباس ، وساءله فأنكر فحبسه . وكتب الى عامل طرابلس بالقبض على المهدي ففاته ، وسار الى قسنطينة . ثم عدل عنها خشية على أبي العباس ، أخي الشيعي المعتقل بالقيروان فذهب الى سجلماسة ، وبها اليَسَع ابن مدرار فأكرمه .

ثم جاء كتاب زيادة الله ، ويقال كتاب المكتفي بأنّه المهدي

الذي داعيته في كتامة فحبسه اليسع ، ثم ان أبا عبدالله الشيعي بعد مهلك أبي خوال الذي كان مضايقاً لهم اجتمعت اليه سائر كتامة ، وزحف الى سطيف فحاصرها مدّة ، وكان بها عليّ بن جعفر بن عسكوجة صاحبها ، وأخوه أبو حبيب فلكها وكان بها أيضاً داود بن جاثة من كبار لُهَيْعَة ، لحق بها فيمن لحق من وجوه كتامة فقام بها من بعد علي واخيه ، واستأمن أهل سطيف فأمّنهم أبو عبدالله ودخلها فهدمها ، وجهّز زيادة الله العساكر الى كتامة مع قريبه ابراهيم بن حشيش ، وكانوا أربعين ألفاً فانتهى الى قسنطينة ، فأقام بها وهم متحصنون بجبلهم . ثم زحف اليهم وواقعهم عند مدينة يلزمة فانهزم الى باغاية ، ولحق بالقيروان . وكتب الشيعي بالفتح الى المهدي مع رجال من كتامة ، أخفوا أنفسهم حتى وصلوا اليه وعرّفوه بالخبر . ثم زحف الشيعي الى طَبْنَة فحاصرها وقتل فتح بن يحيى المساكتي ، ثم افتتحها على الامان . ثم زحف الى يلزمة فملكها عَنْوَةً .

وجهز زيادة الله العساكر مع هرون الطبني عامل باغاية فانتهوا الى مدينة أزمول ، وكانوا في طاعة الشيعي فهدمها هرون وقتل أهلها ، وزحف اليه عروبة بن يوسف من أصحاب الشيعي فهزمه وقتله . ثم فتح الشيعي مدينة ينجبت كلّها على يد يوسف الغسّاني ، ولحق عسكرها بالقَيْرَوان . وشاع عن الشيعي وفاؤه بالامان فأمّنه الناس ، وكثر الارجاف بزيادة الله فجهز

العساكر وأزاح العلل ، وأنفق ما في خزائنه وذخائره ، وخرج بنفسه سنة خمس وتسعين ، ونزل الاربس .

ثم حاد عن اللقاء ، وأشار عليه أصحابه بالرجوع الى القيروان ، ليكون ردأ للعساكر فرجع ، وقدم على العساكر ابراهيم بن أبي الأغلب من قرابته ، وأمره بالمقام هنالك . ثم زحف الشيعي إلى باغاية فهرب عاملها وملكها صلحاً ، وبعث الى مدينة قرطاَجنَّه فافتتحها عنوة ، وقتل عاملها ، وسرح عساكره في افريقية فردّدوا فيها الغارات على قبائل البَرْبَر من نَفزَةَ وغيرهم . ثم استأمن اليه أهل تيفاش فأمنهم ، واستعمل عليهم صواب بن أبي القاسم السكتاني فجاء ابراهيم بن أبي الأغلب واقتحمها عليه . ثم نهض الشيعي في احتفال من العساكر الى باغاية ، ثم الى سكتانة ، ثم الى تَبَسَة ففتحها كلها على الامان . ثم الى القصرين من قمودة فأمّن أهلها وأطاعوه . وسار يريد رقادة فخشي ابراهيم ابن أبي الاغلب على زيادة الله لقلة عسكره ، فنهض الى الشيعي واعترضه في عساكره واقتتلوا ، ثم تحاجزوا ، ورجع الشيعي الى ايكجان ، وابراهيم الى الاربِس .

ثم سار الشيعي ثانية بعساكره الى قسَنْطِينة فحاصرها ، واقتحمها على الامان ، ثم الى قفصة كذلك ، ثم رجع الى باغاية فأنزل بها عسكراً مع أبي مكدولة الجيلي . ثم سار الى ايكجان ، وخالفه ابراهيم الى باغاية ، وبلغ الخبر الى الشيعي فسرّح لقتاله

أبا مديني بن فروخ اللهيمي ، ومعه عروبة بن يوسف الملوشي ، ورجاء بن أبي قنّة في اثني عشر ألفاً فقاتلوا ابن أبي الأغلب ، ومنعوه من باغاية فرحل عنها ، واتبعوه الى فجّ العرعر ورجعوا عنه . ثم زحف أبو عبدالله الشيعي سنة ست وتسعين في مائتي ألف مـن العساكر الي ابراهيم بن أبي الأغلب بالأريس . ثم اقتتلوا أياماً ، ثم انهزم ابراهيم ، واستبيح عسكره ، وفرّ الى القيروان ، ودخل الشيعي الأريس فاستباحها ، ثم سـار فنزل قمودة ، واتصل الخبر بزيادة الله وهو برقـادة ففر الى المشرق ، ونهبت قصوره . وافترق أهل رقادة الى القيروان وسوسة . ولما وصل ابراهيم بن أبي الأغلَب الى القيْرَوان نزل قصر الامارة ، وجمع الناس ، وأرادهم على البيعة له على أن يعينوه بالأموال فاعتدوا[1] ، وتصايحت به العـامة ففر عنها ، ولحق بصاحبه . وبلغ أبا عبدالله الشيعي خبر فرارهم بسبيبة فقدم الى رقادة ، وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير فساروا ، وأمّنوا الناس ، وجاء على أثرهم .

وخرج أهل رقادة والقيروان للقائه فأمّنهم وأكرمهم ، ودخل رقادة في رجب سنة ست وتسعين ، ونزل قصرها ، وأطلق أخاه أبا العبّاس من الاعتقـال ونادى بالامان فتراجع الناس ، وفر العمال في النواحي . وطلب أهـل القيروان فهربوا ، وقسم دور

(١) كذا، وينبغي: فاعتدوا عليه.

البلد ، على كتامة فسكنوها ، وجمع أموال زيادة الله وسلاحه فأمر بحفظها وحفظ جواريه ، واستأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعين أحداً . ونقش على السكة من أحد الوجهين بلغت حجة الله ، ومن الآخر تفرّق أعداء الله ، وعلى السلاح عدّة في سبيل الله ، وفي وسم الخيل ، الملك لله .

ثم ارتحل الى سجلماسة في طلب المهدي ، واستخلف على افريقية أخاه أبا العباس ، وترك معه أبا زاكي تمام بن معارك الألجائي ، واهتز المغرب لخروجه ، وفرت زناتة من طريقه . ثم بعثوا اليه بالطاعة فقبلهم ، وأرسل الى اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة يتلطفه فقتل الرسل ، وخرج للقائه . فلما تراءى الجمعان انفضّ معسكره ، وهرب هو وأصحابه وخرج أهل البلد من الغد للشيعي ، وجاؤا معه الى محبس المهدي وابنه فاخرجهما وبايع للمهدي ، ومشى مع رؤساء القبائل بين أيديهما وهو يبكي من الفرح ويقول : هذا مولاكم ، حتى أنزله بالمخيّم ، وبعث في طلب اليسع فأدرك وجيء به فقتل ، وأقاموا بسجلماسة أربعين يوماً ، ثم ارتحلوا الى افريقية ، ومروا بأيكجان ، فسلّم الشيعي ما كان بها من الأموال للمهديّ .

ثم نزلوا رقادة في ربيع سنة سبع وتسعين ، وحضر أهل القيروان ، وبويع للمهدي البيعة العامة ، واستقام أمره ، وبثّ دعاته في الناس فأجابوا إلا قليلاً عرض عليهم السيف ، وقسّم

الاموال والجواري في رجال كتامة ، وأقطعهم الأعمال ، ودوّن الدواوين وجبى الأموال ، وبعث العمّال على البلاد فبعث على طرابلس ماكنون بن ضبارة الألجاني ، وعلى صِقلّية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير ، فسار اليها ونزل البحر ، ونزل مازر في عيد الاضحى من سنة سبع وتسعين ، فاستقضى اسحق بن المنهال ، وولّى أخاه على كريت . ثم أجاز البحر سنة ثمان وتسعين الى العُدْوَة الشمالِيَّة ، ونزل بسيط قلوريّة من بلاد الافرنج فأثخن فيها ، ورجع الى صِقلِّية فأساء السيرة في أهلها فثاروا به وحبسوه ، وكتبوا الى المهدي فقبل عذرهم ، وولى عليهم مكانه عليّ بن عمر البلوي فوصل خاتم تسع وتسعين .

مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه

لما استقام سُلطان عُبَيْدِالله المهديّ بافريقية استبدّ بأمره ، وكفح أبا عبدالله الشيعي وأخاه أبا العبّاس عن الاستبداد عليه ، والتحكم في أمره فعظم ذلك عليهما ، وصرح أبو العبّاس بما في نفسه فنهاه أخوه أبو عبدالله عن ذلك فلم يصغ اليه . ثم استماله أبو العباس لمثل رأيه فأجابه ، وبلغ ذلك الى المهدي فلم يصدقه . ثم نهى أبا عبدالله عن مباشرة الناس ، وقال انه مفسد للهيبة فتلطف في رده ولم يجبه اليه ففسدت النيّة بينهما ، واستفسدوا كتامة وأغروهم به وذكروهم بما أخذه من أموال ايكجان ،

واستأثر به دونهم وألقوا إليهم أنّ هذا ليس هو الامام المعصوم الذي دعونا اليه ، حتى بعث الى المهدي رجل كان في كتامة يعرف بشيخ المشايخ ، وقال له جئنا بآية على أمرك فقد شككنا فيك ، فقتله المهدي ، ثم عظمت استرابتهم واتفقوا على قتل المهدي ، وداخلهم في ذلك أبو زاكي تمام بن معارك ، وغيره من قبائل كتامة .

ونمي الخبر الى المهديّ فتلطّف في أمرهم وولّى من داخلهم من قوّاد كتامة على البلاد ، فبعث تمام بن معارك على طرابلس ، وبعث الى عاملها ماكنون بقتله ، فقتله عند وصوله . ثم اتهم المهدي ابن الغريم بمداخلتهم ، وكان من أصحاب زيادة الله فأمر بقتله واستصفاء أمواله ، وكان أكثرها لزيادة الله . ثم انّ المهدي استدعى عروبة بن يوسف ، وأخاه حباسة ، وأمرهما بقتل الشيعي وأخيه فوقفا لهما عند القصر ، وحمل عروبة على أبي عبدالله فقال له لا تفعل ، فقال الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك ، ثم أجهز عليهما في نصف جمادى سنة ثمان وتسعين . ويقال إن المهديّ صلى على أبي عبدالله وترحم عليه ، وعلم أن الذي حمله على ذلك اغراء أبي العباس أخيه ، وثارت فتنة بسبب قتلهما من أصحابهما فركب المهدي وسكنها . ثم ثارت فتنة أخرى بين كتامة وأهل القيروان ، وفشا القتل فيهم فركب المهدي وسكنها ، وكف الدعاة عن

طلب التشيّع من العامة ، وقتل جماعة من بني الأغلب برقادة لما رجعوا اليها بعد زيادة الله .

بقية أخبار المهدي بعد الشيعي

ولما استقام أمر المهدي بعد الشيعي ، جعل ولاية عهده لابنه أبي القاسم نزار ، وولّى على برقة وما إليها حباسة بن يوسف . وعلى المغرب أخاه عروبة ، وأنزله باغاية فسار الى تاهرت فاقتحمها ، وولى عليها دواس بن صولات اللهيص . ثم انتقضت عليه كتامة بقتله أبا عبدالله الشيعي ، ونصبوا طفلاً لقبوه المهدي ، وزعموا أنه نبيّ ، وأنّ أبا عبدالله الشيعي لم يمت فجهز ابنه أبا القاسم لحربهم فقاتلهم وهزمهم ، وقتل الطفل الذي نصبوه ، وأثخن فيهم ورجع . ثم انتقض أهل طرابلس سنة ثلثمائة ، وأخرجوا عاملهم ماكنون فبعث اليهم ابنه أبا القاسم فحاصرها طويلاً ، ثم فتحها واثخن فيهم وأغرمهم ثلثمائة ألف دينار . ثم أغزى ابنه أبا القاسم وجموعه كتامة سنة احدى وثلثمائة الى الاسكندرية ومصر ، وبعث اسطوله في البحر في مائتين من المراكب ، وشحنها بالامداد ، وعقد عليها لحباسة بن يوسف ، وسارت العساكر فملكوا برقة ثم الاسكندرية والفيوم .

وبعث المقتدر العساكر من بغداد مع سبكتكين ومؤنس الخادم فتواقعوا مرّات ، وأجلاهم عن مصر فرجعوا الى المغرب .

ثم عاد حباسة في العساكر في البحر سنة اثنتين الى الاسكندرية فملكها ، وسار يريد مصر فجاء مؤنس الخادم من بغداد لمحاربته فتواقعوا مرّات ، وكان الظهور آخراً لمؤنس ، وقتل من أصحابه نحو من سبعة آلاف . وانصرف الى المغرب فقتله المهدي وانتقض لذلك أخوه عروبة بالمغرب ، واجتمع اليه خلق كثير من كتامة والبربر . وسرح اليهم المهدي مولاه غالباً في العساكر فهزمهم ، وقتل عروبة وبني عمه في أمم لا تحصى . ثم انتقض اهل صقلية وتقبضوا على عاملهم عليّ بن عمرو ، وولوا عليهم أحمد بن قهرب فدعا للمقتدر العباسي ، وذلك سنة أربع وثلثمائة . وخلع طاعة المهدي وجهز اليه الأسطول مع الحسن بن أبي خنزير فلقيه أسطول بن قهرب فغلبه ، وقتل ابن أبي خنزير .

ثم راجع أهل صقلية أمرهم وكاتبوا المهدي وثاروا بابن قهرب فخلعوه ، وبعثوا به إلى المهدي فقتله على قبر ابن أبي خنزير ، وولّى على صقلية علي بن موسى بن أحمد ، وبعث معه عساكر كتامة . ثم اعتزم المهدي على بناء مدينة على ساحل البحر يتخذها معصماً لاهل بيته لما كان يتوقعه على الدولة من الخوارج .

ويحكى عنه أنه قال : بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار ، وأراهم موقف صاحب الحمار بساحتها فخرج بنفسه يرتاد موضعاً لبنائها ، ومر بتونس وقرطاجنة حتى وقف على مكانها جزيرة متصلة بالبر كصورة كف اتصلت بزند ، فاختط المهدية

بها ، وجعلها دار ملكه ، وأدار بها سوراً محكماً ، وجعل لها أبواباً من الحديد وزن كل مصراع مائة قنطار ، وابتدأ بنائها آخر سنة ثلاث . ولما ارتفع السور رمى من فوقه بسهم الى ناحية المغرب ، ونظر الى منتهاه وقال : الى هذا الموضع يصل صاحب الحمار يعني أبا يزيد . ثم أمر أن يُنْحَتَ في الجبل دار لانشاء السفن تسع مائة سفين ، وبحث[1] في أرضها أهراء للطعام ومصانع للماء ، وبنى فيها القصور والدور فكملت سنة ست ، ولما فرغ منها قال اليوم أمنت على الفواطم .

ثم جهز ابنه أبا القاسم بالعساكر الى مصر مرة ثانية سنة سبع وثلثمائة فملك الاسكندرية ، ثم سار فملك الجيزة والاشمونين وكثيراً من الصعيد . وكتب الى اهل مكة بطلب الطاعة فلم يجيبوا اليها ، وبعث المقتدر مؤنساً الخادم في العساكر وكانت بينه وبين أبي القاسم عدة وقعات ظهر فيها مؤنس ، وأصاب عسكر أبي القاسم الجهد من الغلاء والوباء فرجع الى افريقية ، وكانت مراكبهم قد وصلت من المهدية الى الاسكندرية في ثمانين اسطولا[2] مدداً لابي القاسم ، وعليها سليمان الخادم ويعقوب الكتامي ، وكانا شجاعين ، وســـار الاسطول من طرسوس

---

(١) بمعنى حفر.

(٢) كذا في الأصل والأصح : في ثمانين سفينة، لأن الأسطول هو مجموع السفن التي تملكها دولة من الدول.

للقائهم في خمسة وعشرين مركباً والتقوا على رشيد[1] وظفرت مراكب طرسوس، وأحرقوا وأسروا سليمان ويعقوب فمات سليمان في حبس مصر . وهرب يعقوب من حبس بغداد إلى افريقية .

ثم اغزى المهدي سنة ثمان مضالة بن حبوس في رجالات مكناسة الى بلاد المغرب ، فأوقع بملك فاس من الادارسة ، وهو يحيي بن ادريس بن ادريس بن عمرو ، واستنزله عن سلطانه الى طاعة المهدي فأعطى بها صفقته ، وعقد لموسى بن أبي العافية المكناسي من رجالات قومه على أعمال المغرب ورجع . ثم عاود غزو المغرب سنة تسع فدوّخه ومهّد جوانبه ، وأغراه قريبه عامل المغرب موسى بن أبي العافية بيحيي بن ادريس صاحب فاس ، فتقبض عليه ، وضم فاس إلى أعمال موسى ، ومحا دعوة الادريسية من المغرب ، وأجهضهم عن اعماله فتحيزوا الى بلاد الريف وغمارة واستجدّوا بها ولاية كما نذكره في أخبار غمارة .

ومنهم كان بنو حمود العلويون المستولون على قرطبة عند انقراض ملك الامويين في سنة ثلاث وأربعمائة ، كما نذكر هنالك . ثم صمد مضالة الى بلاد سجلماسة فقتل أميرها من آل مدرار المكناسيين المنحرف عن طاعة الشيعة ، وعقد لابن عمه كما نذكر في أخبارهم . وسار في أتباعه زناتة في نواحي المغرب فكانت بينه وبينهم حروب ، هلك مضالة في بعضها على يد محمد

(١) هي بلدة الرشيد، ميناء على الساحل المصري.

ابن خزر . واضطرب المغرب فبعث المهدي ابنه أبا القاسم غازياً الى المغرب في عساكر كتامة وأولياء الشيعة سنة خمس عشرة وثلثمائة ففرّ محمد بن خزر واصحابه الى الرمال .

وفتح أبو القاسم بلد مزاتة ومطماطة وهوّارة وسائر الأباضيّة والصُفرية ونواحي تاهرت قاعدة المغرب الأوسط الى ما وراءها ثم عاج الى الريف فافتتح بلد لكور من ساحل المغرب الاوسط . ونازل صاحب جراوة من آل ادريس وهو الحسن بن أبي العيش ، وضيّق عليه ودوّخ أقطار المغرب ، ورجع ولم يلق كيداً . ومرّ بمكان بلد المسيلة وبها بنو كملان من هوّارة ، وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم الى فجّ القيروان ، وقضى الله أن يكونوا أولياء لصاحب الحمار عند خروجه . ولما نقلهم أمر ببناء المسيلة في بلدهم وسمّاها المُحَمَّدِيّة ، ودفع علي بن حمدون الأندلسي من صنائع دولتهم الى بنائها ، وعقد له عليها وعلى الزاب بعد اختطاطها فبناها وحَصَّنها وشحنها بالأقوات فكانت مدداً للمنصور في حصار صاحب الحمار كما يذكر .

ثم انتقض موسى بن أبي العافية عامل فاس والمغرب ، وخلع طاعة الشيعة ، وانحرف الى الأمويّة من وراء البحر ، وبث دعوتهم في أقطار المغرب فنهض اليه أحمد بن بصلين المكناسي قائد المهدي ، وسار في العساكر فلقيه ميسور وهزمه ، وأوقع به

وبقومه بكناسة ، وأزعجه عن الغرب الى الصحارى وأطراف البلاد ، ودوخ المغرب ، وثقف أطرافه ورجع ظافراً .

وفاة عبيد الله المهدي وولاية ابنه أبي القاسم

ثم توفي عبيدالله المهدي في ربيع سنة اثنتين وعشرين ، لأربع وعشرين سنة من خلافته ، وولي ابنه أبو القاسم محمد ، ويقال نزار بعده ، ولقب القائم بأمر الله فعظم حزنه على أبيه حتى يقال انه لم يركب سائر أيامه الا مرتين ، وكثر عليه الثوار . وثار بجهات طرابلس ابن طالوت القرشي ، وزعم أنه ابن المهدي ، وحاصر طرابلس . ثم ظهر للبربر كذبه فقتلوه . ثم أغزى المغرب وملكه ، وولى على فاس أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذابي ، وحاصر الادارسة ملوك الريف وغوارة فنهض ميسور الخصي من القيروان في العساكر ، ودخل المغرب ، وحاصر فاس ، واستنزل عاملها أحمد بن بكر . ثم نهض في اتباع موسى فكانت بينهما حروب ، وأخذ الثوري بن موسى في بعضها أسيراً ، وأجلاه ميسور عن المغرب ، وظاهره عليه الادارسة الذين بالريف ، وانقلب ميسوراً الى القيروان سنة أربع وعشرين ، وعقد للقاسم بن محمد كبير أدارسة الريف من ولد محمد بن ادريس على أعمال بن أبي العافية ، وما يفتحه من البلاد فلك المغرب كلها ما عدا فاس ، وأقام دعوة الشيعة بسائر أعماله . ثم جهز أبو القاسم اسطولا

ضخماً لغزو ساحل الافرنجة ، وعقد عليه ليقرب بن اسحق فأثخن في بلاد الافرنجة ، وسبي ونازل بلد جنوة وافتتحها ، وعظم صنع الله في شأنها ، ومروا بسردانية من جزر الفرنج فأثخنوا فيها . ثم مروا بقرقيسا من سواحل الشام فأحرقوا مراكبها . ثم بعث عسكراً الى مصر مع خادمه زيران فملكوا الاسكندرية ، وجاءت عساكر الاخشيد من مصر فأزعجوهم عنها ورجعوا الى المغرب .

أخبار أبي يزيد الخارجي

وهو أبو يزيد مخلد بن كيراد ، وكان أبوه كيراد من أهل قسطيلة من مدائن بلد توزر ، وكان يختلف الى بلاد السودان بالتجارة وبها ولد ولده أبو يزيد ونشأ بتوزر . وتعلم القرآن وخالط النكارية من الخوارج ، وهم الصُفرِيّة فمال الى مذهبهم ، وأخذ به ثم سافر الى تاهرت ، وأقام بها يعلم الصبيان . ولما صار الشيعي الى سجلماسة في طلب المهدي انتقل هو الى تقيوس ، وأقام يعلم فيها . وكان يذهب الى تكبير أهل مِلّته ، واستباحة الاموال والدماء والخروج على السلطان . ثم أخذ نفسه بالحسبة على الناس ، وتغيير المنكر سنة ست عشرة وثلثمائة فكثر اتباعه . ولما مات المهدي خرج بناحية جبل أوراس ، وركب الحمار ، وتلقب بشيخ المؤمنين ، ودعا للناصر صاحب الاندلس

من بني أُمَيّة فاتبعه امم من البربر . وزحف اليه عامل باغاية فلقيه في جموع البربر وهزمه ، وزحف الى باغاية فحاصرها ثم انهزم عنها ، وكتب الى بني واسى من قبائل زناتة بضواحي قسنطينة يأمرهم بحصارها فحاصروها سنة ثلاث وثلاثين . ثم فتح تبسة صلحاً ، ومجانة كذلك ، وأهدى له رجل من أهل مرماجنة حماراً أشهب فكان يركبه وبه لُقِب . وكان يلبس جبة صوف قصيرة ضيقة الكمين .

وكان عسكر الكتاميّين على الأُربس فانفضوا ، وملكها أبو يزيد وأحرقها ونهبها ، وقتل في الجامع من لجأ اليه ، وبعث عسكراً الى سبيبة ففتحها وقتل عاملها . وبلغ الخبر الى القاسم فقال لا بدّ أن يبلغ المصلى من المهدية . ثم جهز العساكر وبعثها الى رقادة والقيروان ، وبعث خادمه ميسوراً الخصيّ لحربه ، وبعث عسكراً مع خادمه بشرى الى باجة فنهض اليه أبو يزيد وهزمه الى تونس ، ودخل أبو يزيد باجة فنهبها وأحرقها ، وقتل الاطفال وسبى النساء ، واجتمع اليه قبائل البربر ، واتخذ الأبنية والبيوت وآلات الحرب ، وبعث اليه بشرى عسكراً من تونس . وبعث أبو يزيد للقائهم عسكراً آخر فانهزم أصحاب أبي يزيد وظفر أصحاب بشرى .

ثم ثار أهل تونس ببشرى فهرب فاستأمنوا لأبي يزيد فأمّنهم وولى عليهم ، وسار الى القيروان ، وبعث القائم خديمه بشرى

للقائم ، وأمره أن يبعث من يتجسس عن أخباره فبعث طائفة ، وبعث أبو يزيد طائفة أخرى فانهزم عسكر أبي يزيد ، وقتل منهم أربعة آلاف ، وجيء بأسراهم الى المهدية فقتلوا فسار أبو يزيد الى قتال الكتاميين فهزم طلائعهم ، وأتبعهم الى القيروان ، ونزل على رقادة في مائتي ألف مقاتل ، وعاملها يومئذ خليل بن اسحق ، وهو ينتظر وصول ميسور بالعساكر ، ثم ضايقه أبو يزيد وأغراه الناس بالخروج فخرج ، وهزمه أبو يزيد فمضى الى القيروان . ودخل أبو يزيد رقادة فعاث فيها وبعث أيوب الزويلي في عسكر الى القيروان فملكها في صفر سنة ثلاث وثلاثين ، ونهبها وأمّن خليلا فقتله أبو يزيد ، وخرج اليه شيوخ أهل القيروان فأمّنهم ورفع النهب عنهم وزحف ميسور الى أبي يزيد ، وكان معه أبو كملان فكاتبوا أبا يزيد ، وداخلوه في الغدر بميسور . وكتب اليه القائم بذلك فحذّرهم فطردهم عنه . ولحقوا بأبي يزيد ، وسار معه الى ميسور فانهزم ميسور ، وقتله بنو كملان وجاؤا برأسه فأطافه بالقيروان ، وبعث بالبشرى الى البلاد .

وبلغت هزيمة ميسور الى القائم بالمهدية فاستعدّ للحصار ، وأمر بحفر الخنادق ، وأقام أبو يزيد سبعين عاماً في مخيم ميسور ، وبث السرايا في كل ناحية يغنمون ويعودون ، وأرسل سرية الى سوسة ففتحوها عنوة واستباحوها ، وخرب عمران افريقية من

سائر الضواحي ، ولحق فَلُّهم بالقيروان حفاة عراة . ومات أكثرهم جوعاً وعطشاً .

ثم بعث القائم الى رؤساء كتامة والقبائل ، وإلى زيري بن مناد ملك صَنْهَاجَة بالمسير الى المهدِيَّة فتأهبوا لذلك ، وسمع أبو يزيد بخبرهم فنزل علـى خمسة فراسخ من المهدية ، وبث السرايا في جهاتها ، وسمع كتامة بافتراق عسكره في الغارة فخرجوا لبياته آخر جمادى الأولى . وكان ابنه فضل قد جاء بالمدد من القيروان فبعثه للقاء كتامة ، وركب في اثرهم ، ولقي أصحابه منهزمين . ولما رآه الكتاميُّون انهزموا بغير قتال واتبعهم أبو يزيد إلى باب المهدية ورجع . ثم جاء بعد أيام لقتالهم فوقف على الخندق المحدث ، وعليه جماعة من العبيد فقاتلهم ساعة ، وهزمهم ، وجاوز السور إلى البحر ، ووصل المصلى على رمية سهم من البلد ، والبربر يقاتلون من الجانب الآخر . ثم حمل الكتاميون عليهم فهزموهم ، وبلغ ذلك أبا يزيد ، وسمع بوصول زيري بن مناد فاعتزم أن يمرّ بباب المهدية ، ويأتي زيري وكتامة من ورائهم فقاتلوا أهل الأرباض ، ومالوا عليه لما عرفوه ليقتلوه ، وتخلص بعد الجهد ، ووصل الى منزله فوجدهم يقاتلون العبيد كما تركهم فقوي أصحابه وانهزم العبيد .

ثم رحل وتأخر قليلاً وحفر على معسكره خندقاً ، واجتمع عليه خلق عظيم من البربر ونفوسة والزاب وأقاصي المغرب ،

وضيّق على أهل المِزّيَة ، ثم زحف اليها آخر جمادى فقاتلها وتورّط في قتالها يومه ذلك . ثم خلص ، وكتب الى عامل القيروان ان يبعث اليه مقاتلتها فجاؤا ، وزحف بهم آخر رجب فانهزم ، وقتل من أصحابه . ثم زحف الزحف الرابع آخر شوال ولم يظفر ، ورجع الى معسكره ، واشتدّ الحصار على أهل المهدية حتى أكلوا الميتات والدواب ، وافترق أهلها في النواحي ، ولم يبق بها إلا الجند . وفتح القائم أهراء[1] الزرع التي أعدّها المهدي وفرّقها فيهم . ثم اجتمعت كتامة وعسكروا بقُسَنْطينَة فبعث اليهم أبو يزيد بعثاً من ورنجومة وغيرهم فهزموا كتامة ، ووافت أبا يزيد حشود البربر من كل ناحية وأحاط بسوسة وضيق عليها .

ثم انتقض البربر عليه بما كان منه من المجاهرة بالمحرّمات والمنافسة بينهم فانفَضُّوا عنه ، ورجع الى القيروان سنة أربع وثلاثين . وغنم أهل المهدية معسكره ، وكثر عبث البربر في أمصار افريقية وضواحيها ، وثار أهل القيروان بهم ، وراجعوا طاعة القائم . وجاء عليّ بن حمدون من المَسيلة بالعساكر فبيّته أيُّوب بن أبي يزيد وهزمه ، وسار الى تونس وجاءت عساكر القائم فواقعوه مرات ، وانهزم الى القيروان في ربيع سنة أربع

(١) قوله: أهراء قال المجد: والهري بـالضم بيت كبير يجمـع فيه طعـام السلطان، الجمع: إهراء. ا هـ.

وثلاثين . فبعث أيوب ثانية لقتال عليّ بن حمدون ببلطة . وكانت حروبه معه سجالاً الى أن اقتحم عليه البلد بمداخلة بعض أهلها . ولحق ابن حمدون ببلاد كتامة ، واجتمعت قبائل كتامة ونفزة ومزاتة وعسكروا بقسنطينة . وبعث ابن حمدون العساكر الى هوارة فأوقعوا بهم ، وجاءهم مدد أبي يزيد فلم يغن عنهم . وملك ابن حمدون مدينة يتجست وباغاية .

ثم زحف أبو يزيد الى سوسة في جمادى الآخر من سنته وبها عسكر القائم ، وتوفي القائم وهو بمكانه من حصارها .

وفاة القائم وولاية ابنه المنصور

ثم توفي القائم أبو القاسم محمد بن عبيدالله المهدي صاحب افريقية ، بعد أن عهد الى ولده اسمعيل بعده ، وتلقب بالمنصور ، وكتم موت أبيه حذراً أن يطلع عليه أبو يزيد وهو بمكانه من حصار سوسة ، فلم يسمّ بالخليفة ، ولا غيّر السكة ولا الخطبة ولا البنود إلى أن فرغ من أمر أبي يزيد كما يذكر .

بقية أخبار أبي يزيد ومقتله

ولما مات القائم كان أبو يزيد محاصر السوسة كما تقدم ، وقد جهد أهلها الحصار ، فلما وليّ اسمعيل المنصور ، وكان أوّل عمله أن بعث الاساطيل من المهديّة الى سوسة مشحونة بالمدد من

المقاتلة والامتعة والميرة مع رشيق الكاتب ، ويعقوب بن اسحق ، وخرج بنفسه في أثرهم وأشار أصحابه بالرجوع فرجع ووصل الاسطول الى سوسة ، وخرجوا لقتال أبي يزيد ، وعساكر سوسة معهم فانهزم أبو يزيد ، واستبيح معسكره نهباً واحراقاً ، ولحق بالقيروان فمنعه أهلها من الدخول ، وثاروا بعامله فخرج اليه ، ورحل الى سبيبة وذلك أواخر شوّال سنة أربع . وجاء المنصور الى القيروان وأمّن أهلها ، وأبقى على حرم أبي يزيد وأولاده ، وأجرى عليهم الرزق ، وخرجت سريّة من عسكر المنصور لاستكشاف خبر أبي يزيد . وجاءت أخرى من عسكر أبي يزيد لمثل ذلك ، فالتقوا وانهزمت سرية المنصور ، فقوي أبو يزيد بذلك ، وكثر جمعه ، وعاد فقاتل القيروان وخندق المنصور على عسكره ، وقاتلهم أبو يزيد فكان الظفر أوّل يوم للمنصور ثم قاتلهم ثانياً فانهزموا وثبت المنصور وراجع أصحابه من طريق المهديّة وسوسة .

ولما رأى أبو يزيد امتناعهم عليه رحل أواخر ذي القعدة ، ثم رجع فقاتلهم ، وكانت الحرب سجالًا ، وبعث السرايا الى طريق المهدية وسوسة نكاية فيهم ، وبعث الى المنصور في حرمه وأولاده فبعثهم اليه بعد أن وصلهم . وقد كان أقسم على الرحيل فلما وصلوا اليه نكث وقاتلهم خامس المحرّم سنة خمس وثلاثين ، فهزمهم . ثم عبّى المنصور عساكره منتصف المحرم ، وجعل البرابر

في الميمنة وكتامة في الميسرة ، وهو وأصحابه في القلب . وحمل أبو يزيد على الميمنة فهزمها ، ثم على القلب فلقيه المنصور واشتدّ القتال . ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم وأسلم اثقــــــاله وعسكره ، وقتل خلق من أصحابه وبلغت رؤس القتلى الذي في أيدي صبيــان القيروان عشرة آلاف ، ومضى أبو يزيد لوجهه ، ومرّ ببــاغاية فمنعه أهلها من الدخول فأقــام يحاصرها ، ورحل المنصور في ربيع الاوّل لاتبــاعه ، واستخلف على المهدية مراماً الصقلي وأدركه على باغاية فأجفل المنصور في اتباعه . وكلما قصد حصناً سبقه المنصور اليه إلى ان نزل المنصور طَبْنَة فجاءته رسل محمد بن خزر أمير مغراوة ، من أصحاب أبي يزيد ، ومواطنه بالغرب الأوسط فاستأمــن للمنصور فــامنه ، وأمره بطلب أبي يزيد .

ووصل أبو يزيد الى بني بَرْزال وكانوا نَكارِيّة ، وبلغه خبر المنصور في اتباعه فسلك الرملة . ثم عاد الى نواحي غمرة فصادف المنصور وقاتله فانهزم أبو يزيد الى جبل سالات ، والمنصور في أثره في جبالٍ وأوعارٍ ومضايق تُفضي إلى القفر ، وأصابهم الجهد وعلم أنّه ليس أمامه إلا المفازة الى بلاد السودان فرجع الى غمرة من بلاد صَنْهاجة . ووفد عليه هنالك زيري بن مناد أمير صنهاجة فأكرمه ووصله كما يجب له . وجاء كتاب محمد بن خزر بالمكان الذي فيه أبو يزيد من المفازة ، وأقام المنصور هنالك لمرض

أصابه فرجع أبو يزيد الى المسيلة وحاصرها . فلما عوفي المنصور رحل أوّل رجب سنة خمس وثلاثين وقصده فأفرج عن المسيلة ، وقصد المفازة يريد بلاد السودان فأبى عليه بنو كملان أصحابه فرجعوا إلى جبال كتامة وعجيسة فتحصنوا بها . وجاء المنصور فنزل بساحتهم عاشر شعبان ، ونزل أبو يزيد فقاتلهم فانهزم وأسلم عسكره وأولاده ، وطعنه بعض الفرسان فأكبه وحامى عنه أصحابه فقتل في الحومة ما يزيد على عشرة آلاف ، وتخلص .

ثم سار المنصور في أثره أوّل رمضان ، ولم يقدر أحد من الفريقين على الهزيمة لضيق المكان وصعوبته . ثم انهزم أبو يزيد لما ضرسه الحرب ، وترك اثقاله وساروا الى رؤس الجبال يرمون بالصخر ، وتزاحفوا حتى تعانقوا بالأيدي ، وكثر القتل . ثم تحاجزوا وتحصّن أبو يزيد بقلعة كتامة ، واستأمن الذين معه من هوارة فأمّنهم المنصور ، وحصر أبا يزيد في القلعة وقاتلها غير مرة حتى افتتحها عنوةً وأضرمها ناراً ، وقتل أصحاب أبي يزيد في كل ناحية ، وجمع أهله وأولاده في القصر ، وأظلم الليل فأمر المنصور باشعال النيران في الشَعْرَاء[1] المحيطة بالقصر ، حتى أضاء الليل لتكون أحواله بمرأى منهم حذراً من فراره ، حتى خرج الليل وحمل في أصحاب المنصور حملة منكرة فأفرجوا له ، وأمر المنصور بطلبه فألفوه ، وقد حمله ثلاثة من أصحابه لانه كان جريحاً فسقط

(١) الشجر الكثير.

من الوعر وارتث[١] فحملوه الى المنصور فسجد سجدة الشكر ، وأقام عنده الى سلخ المحرم من سنة ست وثلاثين .

ثم هلك من الجراحة التي به فأمر بسلخ جلده ، وحشوه تبناً ، واتخذ له قفصاً فأدخل فيه مع قردين يُلاعبانه بعثاله[٢] . ورحل الى القيروان والمهدية ، ولحق ابنه فضل بمعبد بن خزر ، وزحف به الى طبنة وبسكرة . وقصد المنصور فانهزم معبد ، وصعد الى كتامة فبعث اليه العساكر مع مَوْلَيَيْه شفيع وقيصر ، ومعهما زيري بن مناد في صنهاجة ، فانهزم فضل ومعبد ، وافترق جمعهم ، ورجع المنصور الى القيروان فدخلها .

بقية أخبار المنصور

ثم انتقض حميد بن يصلبتن عامل المغرب وانحرف عن طاعة الشيعة ، ودعا للأموية من وراء البحر ، وزحف الى تاهرت فحاصرها فنهض اليه المنصور في صفر سنة ست وثلاثين ، وجاء الى سوق حمزة فأقام به . وحشد زيري بن مناد جموع صنهاجة من كل ناحية ، ورحل مع المنصور فأفرج حميد عن تاهرت ، وعقد عليها ليعلى بن محمد اليفرني ، وعقد لزيري بن مناد على قومه وعلى سائر بلادهم . ثم رحل لقتال لواتة فهربوا الى الرمال ،

---

(١) قوله وارتث أي حمل من المعركة كما في القاموس .

(٢) لم نجد «عثال» وفي أقرب الموارد: لحية عثولة : كبيرة، كثة .

وأقام هو على وادي ميناس ، وكان هنالك ثلاثة جبال ، كل منهم عليه قصر مبني بالحجر المنحوت فوجد في وجه احد هذه القصور كتابة على حجر فسيح فأمر المنصور التراجمة بقراءته ، واذا فيه أنا سليمان السردغوس ، خالف أهل هذا البلد على الملك ، فبعثني اليهم ففتح الله عليهم وبنيت هذا البناء لأذكر به . ذكر هذه الغريبة ابن الرقيق في تاريخه .

ثم رحل المنصور الى القيروان بعد ان خلع على زيري بن مناد وحمله ، ودخل المنصورية في جمادى سنة ست وثلاثين فبلغه انّ فضل بن أبي يزيد جاء الى جبل أوراس ، وداخل البربر في الثورة فخرج اليه المنصور فدخل الرمل ، ورجع المنصور الى القيروان ثم الى المهديّة ، ورجع فضل بن أبي يزيد الى باغاية . وأقام يحاصرها فغدر به باطيط ، وبعث برأسه الى المنصور .

ثم عقد سنة تسع وثلاثين للحسين بن عليّ بن أبي الحسين الكلبيّ على صِقِلّية وأعمالها ، وكانت لخليل بن اسحق فصرفه الحسين واستقلّ بولايتها ، فكان له فيها ولبنيه مُلكٌ سنذكره . وبلغ المنصور انّ ملك افرنجة يريد غزو المسلمين فأخرج أسطوله ، وشحنه بالعساكر لنظر مولاه فرج الصقلي ، وأمر الحسين بن عليّ عامل صقلية بالخروج معه فأجازوا البحر الى عُدْوَةِ الافرنجة ، ونزلوا قلورية ولقيهم رجاء ملك الفرنجة فهزموه . وكان فتحاً لا كفاء له ، وذلك سنة أربعين وثلثمائة ، ورجع فرج بالغنائم الى

المهدية سنة اثنتين وأربعين ، وكان معبد بن خزر بعد مظاهرته لفضل بن أبي يزيد لم يزل منتقضاً وأولياء المنصور في طلبه حتى أخذ في بعض الوقائع ، وسيق مع ابنه الى المنصور فطيف بهما في أسواق المنصورية ، ثم قتلا سنة احدى وأربعين وثلثمائة .

وفاة المنصور وولاية ابنه المعز

ثم توفي المنصور اسمعيل بن القاسم سلخ رمضان سنة احدى وأربعين لسبع سنين من خلافته ، أصابه الجهد من مطر وثلج تجلّد على ملاقاته ، ودخل على أثره الحمام فعيت[1] حرارته ، ولازمه السهر فمات . وكان طبيبه اسحق بن سليمان الاسرائيلي قد نهاه عن الحمام فلم يقبل . وولي الامر بعده ابنه معدّ ، ولقّب المعز لدين الله فاستقام أمره ، وخرج لجبل أوراس سنة اثنتين وأربعين ، وجالت فيه عساكره واستأمن اليه بنو كملان ومليلة من هوارة ، ودخلوا في طاعته فأمّنهم وأحسن اليهم . واستأمن اليه محمد بن خزر بعد قتل أخيه معبد فأمّنه ، ورجع الى القيروان وترك مولاه قيصر في العساكر ، وعقد له على باغاية فدوّخ البلاد وأحسن إلى الناس ، وألف من كان شارداً من البربر . ورجع بهم الى القيروان فأكرمهم المعز ووصلهم . ثم وفد بعدهم محمد بن

(١) عجز منها .

خزر أمير مغراوة فلقّاه مبرّة وتكريماً . وأقام عنده بالقيروان الى ان هلك سنة ثمان وأربعين .

واستقدم المُعزّ زيري بن مناد سنة ثلاث وأربعين أمير صنهاجة ، فقدم من استير فاجزل صلته ، ورده الى عمله . وبعث الى الحسين بن عليّ عامل صِقِلّية سنة أربع وأربعين أن يخرجه باسطوله الى ساحل المرية من بلاد الاندلس ، فعاث فيه ، وغنم وسبى ، ورجع فأخرج الناصر صاحب الاندلس اسطوله الى سواحل افريقية ، مع غالب مولاه فمنعتهم العساكر ، وأقلعوا . ثم عاودوا سنة خمس وأربعين في سبعين مركباً فأحرقوا مرسى الخزر ، وعاثوا في جهات سوسة ، ثم في نواحي طبرنة ورجعوا .

واستقام أمر المُعزّ في بلاد افريقية والمغرب ، واتسعت ايالته وكانت أعماله من ايفكان خلف تاهرت بثلاثة مراحل ، الى زناتة التي دون مصر ، وعلى تاهرت وايفكان يعلى بن محمد اليفرني ، وعلى أشير وأعمالها زيري بن مناد الصنهاجي ، وعلى المسيلة وأعمالها جعفر بن علي الاندلسي ، وعلى باغاية وأعمالها قيصر الصقلي . وكان على فاس أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي ، وعلى سجلماسة محمد بن واسول المكناسي . ثم بلغه سنة سبع وأربعين أن يعلى بن محمد اليفرني داخل الأموية من وراء البحر ، وأن أهل المغرب الأقصى نقضوا طاعة الشيعة فأغزى جوهراً الصقلي الكاتب الى المغرب بالعساكر ، وكان على وزارته ،

وخرج معه جعفر بن عليّ صاحب المسيلة ، وزيري بن مناد صاحب أشير ، وتلقاهم يعلى بن محمد صاحب المغرب الأوسط .

ولما ارتحل عن ايفكان وقعت هيعة في أصحاب صيلة ، وقيل له انّ بني يعرب أوقعوها فتقبّض على يعلى ، وناشته سيوف كتامة لحينه ، وخرب ايفكان وأسر ابنه يدو بن يعلى ، وتمادوا إلى فاس ، ثم تجاوزوها الى سلجماسة فأخذها ، وتقبض على الشاكر لله محمد بن الفتح الذي تلقّب بامير المؤمنين من بني واسول ، وولى ابن المعتز من بني عمه مكانه ودوّخ المغرب الى البحر . ثم رجع الى فاس وحاصرها وواليها يومئذ أحمد بن بكر ابن أبي سهل الجذامي ، وقاتلها مدّة فامتنعت عليه ، وجاءته هدايا الأمراء الأدكرنية من السوس . ثم رحل الى سلجماسة ، وبها محمد بن واكول من مكناسة ، وقد تلقب بامير المؤمنين الشاكر لله ، وضرب السكة باسمه ؛ تقدّست عزة الله ، فلما سمع بجوهر هرب ، ثم أخذ أسيراً وجيء بـه الى جوهر ، وسار عن سلجماسة ، وافتتح البلاد في طريقه . ثم عاد الى فاس ، وأقام في حصارها الى ان افتتحها عنوة على يد زيري بن مناد تسنم أسوارها ليلاً ، ودخلها وتقبض على أحمد بن بكر ، وذلك سنة ثمان وأربعين ، وولى عليها من قبله وطرد عمال بني أمَيّة من سائر المغرب . وانقلب الى القيروان ظافراً عزيزاً ، وضم تاهرت الى زيري بن مناد . وقدم بالفاطميين ، وباحمد بن بكر وبمحمد بن

واسال أسيرين في قفصين ، ودخل بهما الى المنصورية في يوم مشهود. وكانت ولاية المغرب والمشرق منقسمة بين مَوْلَيَيْه فيصر ومظفر ، وكانا متغلبين على دولته فقبض عليهما سنة تسع وأربعين وقتلهما .

وفي سنة خمسين كان تغلب النصارى على جزيرة اقريطش ، وكان بها أهل الاندلس من جالية الحكم بن هشام بسبب ثورة الرفض ، ففرّ بهم الى الاسكندرية فثاروا بها ، وعبدالله بن طاهر يومئذ عامل مصر فحاصرهم بالاسكندرية ، حتى نزلوا على الامان ، وان يجيزوا البحر الى جزيرة اقريطش فعمروها ونزلوها منذ تلك الايام ، وأميرها أبو حفص البلوطي منهم ، واستبدّ بها وورث بنوه رياسة فيها الى ان نازلهم النصارى في هذه السنة في سبعمائة مركب ، واقتحموها عليهم عنوة ، وقتلوا منهم وأسروا وبقيت في أيدي النصارى لهذا العهد ، والله غالب على أمره .

وافتتح صاحب صِقِلّية سنة احدى وخمسين قلعة طرمين ، من حصون صقلية ، بعد حصار طويل أجهدهم فنزلوا على حكم صاحب صقلية بعد تسعة أشهر ونصف للحصار ، وأسكن المسلمين بالقلعة وسماها المُعِزّية نسبة الى المُعزّ صاحب افريقية . ثم سار صاحب صقلية بعدها ، وهو أحمد بن الحسن بن عليّ بن أبي الحسن الى حصار رمطة من قلاع صقلية فاستمدوا ملكهم صاحب القُسْطَنْطِينِيّة فجهز لهم العساكر برّاً وبحراً ، واستمد صاحب صقلية

المعز فأمدّه بالعساكر مع ابنه الحسن ووصل مدده الى مدينة ميسنى ، وساروا بجموعهم الى رمطة ، وكان على حصارها الحسن ابن عمار فحمل عسكراً على رمطة وزحف الى عسكر الروم مستميتاً فقاتلهم فقتل أمير الروم وجماعة من البطارقة ، وهزموا أقبح هزيمة ، واعترضهم خندق فسقطوا فيه ، وأثخن المسلمون فيهم وغنموا عسكرهم . واشتدّ الحصار على أهل رمطة ، وعدموا الاقوات فاقتحمها المسلمون عنوة ، وركب فلّ الروم البحر يطلبون النجاة فاتبعهم الامير أحمد بن الحسن في اسطوله فأدركهم ، وسبح بعض المسلمين في الماء فخرّق مراكبهم وانهزموا ، وبث أحمد سرايا المسلمين في مدائن الروم فغنموا منها وعاثوا فيها حتى صالحوهم على الجزية ، وكانت هذه الواقعة سنة أربع وخمسين وتسمى وقعة المجاز .

فتح مصر

ثم إنّ المعز لدين الله بلغه اضطراب أحوال مصر بعد موت كافور الاخشيديّ ، وعظم فيها الغلاء ، وكثرت الفتن وشغل بغداد عنهم بما كان من الفتن بين بختيار بن معز الدولة ، وعضد الدولة ابن عمه فاعتزم المعز على المسير الى مصر ، وأخرج جوهراً الكاتب الى المغرب لحشد كتامة ، وأوعز إلى عمال برقة لحفر الآبار في طريقها ، وذلك سنة خمس وخمسين فسيره الى مصر ،

وخرج لتوديعه وأقام أياماً في معسكره ، وسار جوهر وبلغ خبره إلى عساكر الاخشيدية بمصر فافترقوا ، وكان ما يذكر في أخبارهم ، وقدم جوهر منتصف شعبان من سنة ثمان وخمسين فدخلها ، وخطب في الجامع العتيق منه باسم المعتز ، وأقيمت الدعوة العَلوِيَّة . وفي جمادى من سنة تسع وخمسين دخل جوهر جامع ابن طولون فصلّى فيه ، وأمر بزيادة حيّ على خير العمل في الاذان فكان أوّل أذانٍ أُذِّن به في مِصْر . ثم بعث الى المُعزّ بالهدايا وباعيان دولة الاخشيدية فحبسهم المعز بالمهدية ، وأحسن الى القضاة والعلماء من وفدهم ، وردّهم الى مصر ، وشرع جوهر في بناء القاهرة واستحثّ المعز للقدوم على مصر .

فتح دمشق

ولما فُتِحَتْ مصر ، وأخذ بنو طفج هرب منهم الحسن بن عبدالله بن طفج الى مكة ، ومعه جماعة من قُوّادهم ، فلما استشعر جوهر به بعث جعفر بن فلاح الكتامي في العساكر اليه فقاتله مراراً ، ثم أسره ومن كان معه من القوّاد ، وبعث بهم الى جوهر فبعث بهم جوهر الى المعز بافريقية . ودخل جعفر الرملة عَنوَةً فاستباحها ، ثم أمّن من بقي وجبى الخراج وسار الى طَبَرِيّة ، وبها ابن مُلهم وقد أقام الدعوة للمعز فتجافى عنه ، وسار الى دمشق فافتتحها عنوة وأقام بها الخطبة للمعز لأيام من المحرّم

سنة تسع وخمسين ، وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمي ، وكان مُطاعاً فيهم فجمع الاوباش والذعار وثار بهم في الجمعة الثانية ، ولبس السواد ، وأعاد الخطبة للمطيع فقاتلهم جعفر ابن فلاح أياماً وأولى عليهم الهزائم . وعاثت جيوش المغاربة في أهل دِمَشْق فهرب ابن أبي يعلى ليلاً من البلد ، وأصبحوا حيارى ، وكانوا قد بعثوا الشريف الجعفري الى جعفر في الصلح فأعاده اليهم بتسكين الناس والوعد الجميل ، وان يدخل البلد ، فيطوف فيه ، ويرجع الى معسكره فدخل ، وعاث المغاربة في البلد بالنهب فثار الناس بهم وحملوا عليهم ، وقتلوا منهم ، وشرعوا في حفر الخنادق وتحصين البلد .

ومشى الشريف أبو القاسم في الصلح بينهم وبين جعفر بن فلاح ، فتم ذلك منتصف ذي الحجة من سنة تسع وخمسين ، ودخل صاحب شرطة جعفر فسكن الناس وقبض على جماعة من الأحداث ، وقتل منهم وحبس . ثم قبض على الشريف أبي القاسم ابن أبي يعلى في المحرم من سنة ستين ، وبعث به الى مصر ، واستقام مُلْكُ دِمَشْقَ لجعفر بن فلاح ، وكان خرج بافريقية في سنة ثمان وخمسين أبو جعفر الزناتي واجتمعت اليه جموع من البربر والنكاريّة ، وخرج اليه المعزّ بنفسه ، وانتهى الى باغاية ، وافترقت جموع أبي خزر ، وسلك الأوعار فعاد المعز وأمر بلكين بن زيري بالمسير في طلبه فسار لذلك حتى انقطع عنه

خبره ، ثم جـاء أبو جعفر مستأمناً سنة تسع وخمسين فقبله ، وأجرى عليه الرزق ، وعلى أثر ذلك وصلت كتب جوهر باقامة دعوته بمصر والشام ، وباستدعائه اليها فاشتدّ سرور المعز بذلك ، وأظهره في الناس ، ونطق الشعراء بامتداحه . ثم زحف القرامطة الى دمشق وعليهم ملكهم الأعصم ، ولقيهم جعفر بن فلاح فظفر بهم وقتلهم . ثم رجعوا اليه سنة احدى وستين وبرز اليهم جعفر فهزموه وقتلوه ، وملك الأعصم دمشق ، وسـار الى مصر ، وكاتب جوهر بذلك للمعز فاعتزم على الرحلة اليها .

مسير المعز الى مصر ونزوله بالقاهرة

ولما انتهت هذه الاخبار الى المُعِزّ اعتزم على المسير الى مصر ، وبدأ بالنظر في تمهيد المغرب وقطع شواغله ، وكان محمد بن الحسن ابن خزر المَغْراويّ مخالفاً عليه بالمغرب الاوسط ، وقد كثرت جموعه من زناتة والبربر ، وكان جباراً طاغياً فأهمّ المعز أمره ، وخشي على افريقية غـائلته ، فأمر بلكين بن زيري بن منـاد بغزوه ، فغزاه في بلاده ، وكانت بينهما حروب عظيمة . ثم انهزم محمد بن خزر وجموعه ، ولما أحسّ بالهزيمة تحامل على سيفه فقتل نفسه ، وقتل في المعركة سبعة عشر من أمراء زناتة ، وأسر منهم كثير وذلك سنة ستين .

وسرّ المعزّ ذلك ، وقعد للهناء به . واستقدم بلكين بن زيري

فاستخلفه على افريقية والمغرب ، وأنزله القَيْرَوان وسمّاه يوسف ، وكنّاه أبا الفتوح ، وولى على طرابلس عبدالله بن يخلف الكتامي ، ولم يجعل لبلكين ولاية عليه ، ولا على صاحب صقلية . وجعل على جباية الاموال زيادة الله بن الغريم ، وعلى الخراج عبد الجبّار الخُراساني ، وحسين بن خلف المْرَصَدِي بنظر بلكين ، وعسكر ظاهر المنصورية آخر شوّال من سنة احدى وستين ، وأقام على سردانية قريباً من القيروان حتى فرغ من أعماله ، ولحقته عساكره ، وأهل بيته وعماله وحمل له ما كان في قصره من الأموال والامتعة . وارتحل بعد أربعة أشهر من مقامه ، وسار معه بلكين قليلًا ، ثم ودعه ورده الى عمله ، وسار هو الى طرابلس في عساكره ، وهرب بعضهم الى جبل نفوسة فامتنعوا به ، وسار الى برقة فقتل بها شاعره محمد بن هانئ الأندلسي ، وجد قتيلًا بجانب البحر في آخر رجب من سنة اثنتين وستين . ثم سار الى الاسكندرية وبلغها في شعبان من هذه السنة ، ولقيه بها أعيان مصر فأكرمهم ووصلهم ، وسار فدخل القاهرة لخمس من رمضان من هذه السنة فكانت منزله ومنزل الخلفاء بعده الى آخر دولتهم .

حروب المعز مع القرامطة واستيلاؤه على دمشق

كان للقرامطة على بني طَفْجٍ بدمشق ضريبة يؤدّونها إليهم ،

فلما ملك ابن فلاح بدعوة المُعِزّ قطع تلك الضريبة ، وآسفهم بذلك فرجعوا الى دمشق ، وعليهم الاعصم ملكهم ، فبرز اليهم جعفر بن فلاح فهزموه وقتلوه ، وملكوا دمشق وما بعدها الى الرملة ، وهرب من كان بالرملة وتحصّنوا بيافا . وملك القرامطة الرملة ، وجهزوا العساكر على يافا ، وساروا الى مصر ، ونزلوا عين شمس وهي المعروفة لهذا العهد بالمطرية . واجتمع اليهم خلق كثير من العرب ، وأولياء بني طفج ، وحاصروا المغاربة بالقاهرة ، وقاتلوهم أياماً فكان الظفر بهم . ثم خرج المغاربة واستماتوا ، وهزمهم فرحلوا الى الرملة ، وضيقوا حصار يافا ، وبعث اليهم جعفر بالمدد في البحر فأخذه القرامطة وانتهى الخبر الى المعز بالقيروان . وجاء الى مِصْر ودخلها كما ذكرناه .

وسمع أنهم يريدون المسير الى مصر فكتب الى الأعصم يذكّره فضل بنيه ، وأنهم انما دعوا له ولآبائه وبالغ في وعظه وتهدده فاساء في جوابه ، وكتب اليه : وصل كتابك الذي قل تحصيله ، وكثر تفصيله ، ونحن سائرون اليك والسلام . وسار من الأحساء الى مصر ، ونزل عين شمس في عساكره ، واجتمع اليه الناس من العرب وغيرهم . وجاء حسّان بن الجرّاح في جموع عظيمة من طيء ، وبث سراياه في البلاد فعاثوا فيها وأهم المعز شأنه فراسل ابن الجراح ، واستماله بمائة ألف دينار على ان ينهزم عن القرامطة واستحلفوه على ذلك . وخرج المعز ليوم عينوه

لذلك فانهزم ابن الجراح بالعرب . وثبت القرامطة قليلًا ، ثم انهزموا وأخذ منهم نحو ألف وخمسمائة أسير . وساروا في اتباعهم ولحق القرامطة باذرعات ، وساروا منها الى الاحساء ، وقتلوا صبراً ونهب معسكرهم . وجرّد المعز القائد أبا محمود في عشرة آلاف فارس ، وبعث المعز القائد ظالم ابن موهوب العقيلي والياً على دمشق فدخلها ، وكان العامل بهـــــا من قبل القرامطة أبو اللجاء وابنه في جماعة منهم فحبسهم ظالم ، وأخذ أموالهم ، ورجع القائد أبو محمود من اتباع القرامطة الى دمشق فتلقاه ظالم وسرّ بقدومه ، وسأله المقام بظاهر دمشق حذراً من القرامطة ففعل ودفع أبا اللجاء وابنه فبعث بهم الى مصر فحبسوا بها ، وعاث أصحاب أبي محمود في دمشق فاضطرب الناس ، وقتل صاحب الشرطة بعضهم فثاروا به وقتلوا أصحابه . وركب ظالم بذراريهم وأجفل أهل الضواحي الى البلد من عيث المغاربة ، ثم وقعت في منتصف شوّال من سنة ثلاث وستين فتنة بين العامّة وبين عسكر أبي محمود وقاتلوه أياماً . ثم هزمهم وتبعهم الى البلد ، وكان ظالم بن موهوب يداري العامّة فأشفق في هذا اليوم على نفسه ، وخرج من دار الامارة وأحرق المغاربة ناحية باب الفراديس ، ومات فيها خلق ، واتصلت الفتنة الى ربيع الآخر من سنة أربع وستين . ثم وقع الصلح بينهم على اخراج ظالم من

البلد ، وولاية جيش بن الصمصامة ابن اخت محمود فسكن الناس اليه ، ثم رجع المغاربة الى العيث ، وعاد العامّة الى الثورة ، وقصدوا القصر الذي فيه جيش فهرب ولحق بالعسكر ، وزحف الى البلد فقاتلهم وأحرق ما كان بقي ، وقطع الماء عن البلد فضاقت الأحوال ، وبطلت الاسواق ، وبلغ الخبر الى المعزّ فنكر ذلك على أبي محمود واستعظمه ، وبعث الى ريّان الخادم في طرابلس يأمره بالمسير الى دمشق لاستكشاف حالها ، وان يصرف القائد أبا محمود عنها فصرفه الى الرملة ، وبعث الى المعز بالخبر ، وأقام بدمشق إلى أن وصل أفتكين والياً على دمشق .

وكان أفتكين هذا من موالي عزّ الدولة بن بويه ، ولما ثار الاتراك على ابنه بختيار مع سبكتكين ، ومات سبكتكين ، قدمه الاتراك عليهم ، وحاصروا بختيار بواسط ؛ وجاء عضد الدولة لانجاده فاجفلوا عن واسط فتركوه ببغداد . وسار أفتكين في طائفة من الجند الى حمص فنزل قريباً منها ، وقصده ظالم بن موهوب العُقَيْليّ ليقبضه فعجز عنه ، وسار افتكين فنزل بظاهر دمشق وبها زياد خادم المعزّ ، وقد غلب عليه ، وعلى أعيان البلد الأحداث والذعار ؛ فلم يملكوا معهم أمر أنفسهم فخرج الاعيان الى افتكين ، وسألوا منه الدخول اليهم ليولوه ، وشكوا اليه حال المغاربة ، وما يحملونهم عليه من عقائد بعض الرفض ، وما أنزل بهم عمالهم من الظلم والعسف فأجابهم واستحلفهم وحلف

لهم ، وملك البلد ، وخرج منها زياد الخادم ، وقطع خطبة المعز العلوي ، وخطب للطائع العباسي ، وقمع أهل الفساد ، ودفع العرب عما كانوا استولوا عليه من الضواحي . واستقل ملك دمشق ، وكاتب المعزّ بطلب طاعته وولايتها من قبله فلم يثق اليه ، ورده ، وتجهَّز لقصده ، وجهَّز العساكر فتوفي بعسكره ببلبيس كما يذكر .

وفاة المعز وولاية ابنه العزيز

ثم توفي المعزّ بمِصْر في منتصف ربيع الآخر سنة خمس وستين لثلاث وعشرين سنة من خلافته ، ووَلِيَ ابنه نزار بعهده اليه ، ووصيته ، ولُقِّبَ العزيز بالله ، وكتم موت أبيه الى عيد النحر من السنة فصلّى بالناس ، وخطبهم ودعا لنفسه ، وعزّى بأبيه ، وأقرّ يعقوب بن كلس على الوزارة كما كان أيام أبيه ، وأقرّ بلكين بن زيري على ولاية افريقية ، وأضاف اليه ولاية عبدالله ابن يخلف الكتامي ، وهي طرابلس ، وسرت وجر أبيه . وكان أهل مكة والمدينة قد خطبوا للمعزّ أبيه في الموسم ، فتركوا الخطبة للعزيز فبعث جيوشه الى الحجاز فحاصروا مكة والمدينة ، وضيّقوا عليهم حتى رجعوا الى دعوتهم ، وخطب للعزيز بمكة ، وكان أمير مكة عيسى بن جعفر ، والمدينة طاهر بن مسلم ، ومات في هذه السنة فولي ابنه الحسن وابن أخيه مكانه .

بقية أخبار أفتكين

ولما توفي المعز وولي العزيز قام افتكين ، وقصد البلاد التي لهم بساحل الشام فبدأ بصيدا فحاصرها ، وبها ابن الشيخ في رؤس المغاربة ، وظالم بن موهوب العقيلي فبرزوا اليه ، وقاتلوه فاستنجد لهم ، ثم كر عليهم وأوقع بهم ، وقتل منهم أربعة آلاف ، وسار الى عكة فحاصرها ، وقصد طَبَرِيَّة وفعل فيها مثل صيدا . ورجع واستشار العزيز وزيره يعقوب بن كلس فأشار بارسال جوهر الكاتب إليه ، فجهزه العزيز وبعثه ، وأقبل افتكين على أهل دمشق يريهم التحوُّل عنهم ، ويذكرهم بذلك ليختبرهم فتطارحوا اليه ، واستماتوا واستحلفهم على ذلك ، ووصل جوهر في ذي القعدة سنة خمس وستين فحاصر دمشق شهرين ، وضيق حصارها وكتب أفتكين الى الأعصم ملك القرامطة يستنجده فسار اليه من الاحساء ، واجتمع اليهم من رجال الشام والعرب نحو من خمسين ألفاً وأدركوا جوهراً بالرملة ، وقطعوا عنه الماء فارتحل الى عسقلان فحاصروه بها حتى بلغ الجهد ، وأرسل جوهر الى افتكين بالمغاربة والوعد ، والقرمطي يمنعه ، ثم سأله في الاجتماع فجاءه افتكين ، ولم يزل جوهر يعتلُّ له في الدروة[1] والغارب ، وأفتكين يعتذر بالقرمطي ويقول : أنت حملتني على مداراته . فلما أيس منه ، كشف له عما هم فيه

(١) لم نجد لها بهذا الشكل معنى. ولعلها: الذروة؛ وهي أعلى الشيء.

من الضيق ، وسأله الصنيعة وأنها يتّخِذها عند العزيز فحلف له على ذلك ، وعزله القرمطي .

وأراه جوهر أن يحمل العزيز على المسير بنفسه فضُمّ من عزله وأبى إلا الوفاء ، وانطلق جوهر إلى مصر وأغرى العزيز بالمسير اليهم فتجهز في العساكر ، وسار وجوهر في مقدّمته ورجع افتكين والقرمطي الى الرملة ، واحتشدوا ووصل العزيز فاصطفوا للحرب بظاهر الرملة في محرّم سنة سبع وستين . وبعث العزيز الى افتكين يدعوه الى الطاعة ، يُرَغِّبه ويعده بالتقدُّم في دولته ، ويدعوه الى الحضور عنده فتقدّم بين الصفين ، وترجّل وقبّل الأرض وقال : قل لأمير المؤمنين لو كان قبل هذه لسارعت ، وأمّا الآن فلا يمكنني . وحمل على الميسرة فهزمهم وقتل الكثير منهم فامتعض العزيز وحمل هو والميمنة جميعاً فهزمهم ، ووضع المغاربة السيف فقتلوا نحواً من عشرين ألفاً . ثم نزل في خيامه ، وجيء بالاسرى فخلع على من جاء بهم ، وبذل لمن جاء بافتكين مائة ألف دينار ، فلقيه المفرج بن دغفل الطائي ، وقد جهده العطش فاستسقاه فسقاه ، وتركه بعرشه مكرماً . وجاء الى العزيز فأخبره بمكانه ، وأخذ المائة ألف التي بذلها فيه ، وأمكنه من قياده .

ولما حضر عند العزيز وهو لا يشكّ انه مقتول أكرمه العزيز ووصله ، ونصب له الخيام ، وأعاد اليه ما نهب له ، ورجع

بـه الى مصر فجعله أخص خدمه وحجـابه ، وبعث الى الاعصم القرمطي من يردّه اليه ليصله ، كما فعل بافتكين فأدرك بطبرية ، وامتنع من الرجوع فبعث اليه بعشرين ألف دينـار ، وفرضها له ضريبة . وسار القرمطي الى الاحساء ، وعـاد العزيز الى مصر ، ورقي رتبة افتكين وخصّ بـه الوزير يعقوب بن كلس فسمّه ، وسمع العزيز بأنه سمه فحبسه أربعين يوماً وصادره على خمسمائة ألف دينار ؛ ثم خلع عليه ، وأعاده الى وزارته . وتوفي جوهر الكاتب في ذي القعدة من سنة احدى وثمانين ، وقام ابنه الحسن مقامه ، ولقّب قائد القوّاد .

وكان افتكين قد استخلص لأيام وزارته بدمشق رجلاً اسمه قسام فعلا صيته وكثر تابعه ، واستولى على البلد . ولما انهزم أفتكين والقرامطة ، بعث العزيز القائد أبا محمود بن ابراهيم والياً على دمشق كما كان لأبيه المعز فوجد فيها قسّاماً قد ضبط البلد ، وهو يدعو للعزيز فلم يتم له معه ولاية . وبقي قسام مستبداً عليه الى أن مـات أبو محمود سنة سبعين . ثم جاء أبو ثعلب بن حمدان صاحب الموصل إلى دمشق ، عند انهزامه أمام عضُد الدولة فمنعه قسام من الدخول ، وخـاف أن يغلبه عـلى البلد بنفسه أو بأمر العزيز ، واستوحش أبو ثعلب لذلك فقـاتله قليلاً ، ثم رحـل الى مطريّة .

وجاءت عساكر العزيز مع قائده الفضل فحاصروا قساماً

بدمشق ، ولم يظفروا به ، ورجعوا ؛ ثم بعث العزيز سنة تسع وستين سليمان بن جعفر بن فلاح فنزل بظاهرها ، ولم يمكّنه قسام من دخولها ، ودس الى النـاس فقاتلوه ، وأزعجوه عن مكانه . وكان مفرج بن الجراح أمير بني طيء ، وسائر العرب بأرض فِلَسْطين قد كثرت جموعه ، وقويت شوكته ، وعاث في البلاد ، وخرّبها فجهز العزيز العساكر لحربه ، مع قائده بلتكين التركي فسار الى الرملة ، واجتمع اليه العرب من قيس وغيرهم ؛ ولقي ابن الجراح وقد أكمن لهم بلتكين من ورائهم ، فانهزم ومضى الى انطاكية ، فاجاره صاحبها .

وصادف خروج ملك الروم من القسطنطينية الى بلاد الشام فخاف ابن الجرّاح ، وكاتب بكجور مولى سيف الدولة وعامله على حمص ، ولجأ اليه فأجاره . ثم زحف بلتكين الى دمشق وأظهر لقسام انه جاء لاصلاح البلد . وكان مع قسام جيش بن الصمصامة ابن أخت أبي محمود قد قام بعده في ولايته ، فخرج الى بلتكين فأمره بالنزول معه بظاهر البلد هو وأصحابه . واستوحش قسام وتجهّز للحرب . ثم قاتل وانهزم أصحابه ، ودخل بلتكين أطراف البلد فنهبوا وأحرقوا . واعتزم أهل البلد على الاستئمان الى بلتكين ، وشافهوه بذلك فأذن لهم وسمع قسام فاضطرب وألقى ما بيده ، واستأمن الناس الى بلتكين لأنفسهم

ولقسام فأمن الجميع . وولى على البلد أميراً اسمه خطلج فدخل البلد ، وذلك في المحرّم سنة اثنتين وسبعين .

ثم اختفى قسام بعد يومين فنهبت دوره ودور أصحابه ، وجاء ملقياً بنفسه على بلتكين فقبله ، وحمله الى مصر فأمنه العزيز . وكان بكجور في غويّة من غلمان سيف الدولة وعامله على حمص . وكان يمدّ دمشق أيام هذه الفتنة والغلاء ، ويحمل الاقوات من حمص اليها ، ويكاتب العزيز بهذه الخدم . ثم استوحش سنة ثلاث وسبعين من مولاه أبي المعالي فاستنجز من العزيز وعده إياه بولاية دِمَشْق ، وصادف ذلك انّ المغاربة بمصر أجمعوا على التوثّب بالوزير بن كلس ، ودعت الضرورة الى استقدام بلتكين من دمشق فأمره العزيز بالقدوم ، وولاية بكجور على دمشق ففعل ، ودخلها بكجور في رجب من سنة ثلاث وسبعين ، وعاث في أصحاب ابن كلس وحاشيته بدمشق ، لما كان يبلغه عنه من صدّ العزيز عن ولايته .

ثم أساء السيرة في أهل دمشق فسعى ابن كلس في عزله عند العزيز ، وجهّز العساكر سنة ثمان وسبعين مع منير الخادم ، وكتب الى نزال عامل طرابلس بمظاهرته ، وجمع بكجور العرب وخرج للقائه فانهزم . ثم خاف من وصول نزال فاستأمن لهم وتوجّه الى الرقّة فاستولى عليها ، ودخل منير دمشق واستقرّ في ولايتها ، وارتفعت منزلته عند العزيز وجهزه لحصار سعد الدولة

بحلب . وكان بكجور بعد انصرافه من دمشق الي الرقة سأل من سعد الدولة العود إلى ولاية حمص فمنعه فأجلب عليه ، واستنجد العزيز لحربه وبعث الي نزال عامل طرابلس بمظاهرته فسار اليه بالعساكر ، وخرج سعد الدولة من حلب للقائهم . وقد أضمر نزال الغدر ببكجور ، تقدّم إليه بذلك عيسى بن نسطورس وزير العزيز بعد ابن كلس .

وجاء سعد الدولة للقائهم ، وقد استمدّ عامل انطاكية للروم فأمدّه بجيش كثير وداخل العرب الذين مع بكجور في الانهزام عنه ، ووعدوه ذلك من أنفسهم فلما تراءى الجمعان ، وشعر بكجور بخديعة العرب استمات ، وحمل على الصفّ بقصد سعد الدولة فقتل لؤلؤ الكبير مولاه بطعنه اياه ، ثم حمل عليه سعد الدولة فهزمه فسار الى بعض العرب ، وحمل الي سعد الدولة فقتله ، وسار الى الرقّة فملكها وقبض جميع أمواله وكانت شيأً لا يعبّر عنه . وكتب أولاده الى العزيز يستشفعون به فشفع الى سعد الدولة فيهم أن يبعثهم الى مصر ، ويتهدّده على ذلك فأساء سعد الدولة الردّ ، وجهّز لحصار حلب الجيوش مع منجوتكين فنزل عليها وحاصرها ، وبها أبو الفضائل ابن سعد الدولة ، ومولاه لؤلؤ الصغير . وأرسلا الى بسيل ملك الروم يستنجدانه ، وهو في قتال بلغار فبعث الى عامل انطاكية أن يمدّهما فسار في خمسين الفاً حتى

نزل جبس العاصي ، وبلغ خبره الى منجوتكين فارتحل عن حلب ، ولقي الروم فهزمهم وأثخن فيهم قتلاً وأسراً .

وسار الى انطاكية وعاث في نواحيها ، وخرج أبو الفضائل في مغيب منجوتكين الى ضواحي حلب فنقل ما فيها من الغلال وأحرق بقيتها لتفقد عساكر منجوتكين الاقوات . فلما عاد منجوتكين الى الحصار جهز عسكره ، وأرسل لؤلؤ الى أبي الحسن المغربي في الصلح فعقد له ذلك ، ورحل منجوتكين الى دمشق ، وبلغ الخبر الى العزيز فغضب . وكتب الى منجوتكين بالعود الى حصار حلب وإبعاد الوزير المغربي ، وأنفذ الاقوات للعسكر في البحر الى طرابلس . وأقام منجوتكين في حصار حلب . وأعادوا مراسلة ملك الروم فاستنجدوه وأغروه ؛ وكان قد توسط بلاد البلغار فعاد مُجِدًّا في السير . وبعث لؤلؤ الى منجوتكين بالخبر حذراً على المسلمين ، وجاءته جواسيسه بذلك فأجفل بعد أن خرّب ما كان اتخذه في الحصار من الاسواق والقصور والحمامات . ووصل ملك الروم الى حلب ولقي أبا الفضائل ولؤلؤاً ، ثم سار في الشام وافتتح حمص وشيزر ، ونهبها ، وحاصر طرابلس أربعين يوماً ، فامتنعت عليه ، وعاد الى بلاده ، وبلغ الخبر الى العزيز فعظم عليه ، واستنفر الناس للجهاد ، وبرز من القاهرة ، وذلك سنة احدى وثمانين . ثم انتقض منير في دمشق فزحف اليه منجوتكين الى دمشق .

أخبار الوزراء

كان وزير المعزّ لدين الله ، يعقوب بن يوسف بن كلس أصله من اليهود وأسلم ، وكان يدبّر الأحوال الاخشيديّة بمصر ، وعزله أبو الفضائل ابن الفرات سنة سبع وخمسين ، وصادره فاستتر بمصر ، ثم فرّ الى المغرب ولقي المعزّ لدين الله ، وجاء في ركابه الى مصر فاستوزره وعظم مقامه عنده ، واستوزره بعده ابنه العزيز الى أن توفي سنة ثمانين ، وصلى عليه العزيز وحضر دفنه ، وقضى عنه دينه . وقسّم عمله فردّ النظر في الظلامات الى الحسن بن عمّار كبير كتامة ، وردّ النظر في الأموال الى عيسى بن نسطورس ، ولم تزل الوزارة سائر دولتهم في أرباب الاقلام ، وكانوا بمكان ، وكان منهم البارزي . وكان مع الوزارة قاضي القضاة وداعي الدعاة . وسأل أن يرسم اسمه على السكة فغرب ومنع ، ومات قتيلاً بتنيس . وأبو سعيد النسري ، وكان يهودياً وأسلم قبل وزارته والجرجاني وقطع الجرجاني في أمر منع من الكتب فيه فكتب وحلف الحاكم بيمين لا تكفّر ليُقَطِّعَنَّه . ثم ردّه بعد ثلاث وخلع عليه وابن أبي كُدَيْنَة ثلاثة عشر شهراً . ثم صرف وقتل وأبو الطاهر بن باشاد ، وكان من أهل الدين واستعفى فأُعفي ، وأقام معتكفاً في جامع مصر ، وسقط ليلة من السطح فمات . وكان آخرهم الوزير أبو القاسم بن المغربي ، وكان بعده بدر الجيالي أيام المستنصر وزير

سيف الدولة ، واستبدّ له على الدولة ، ومن بعده منهم كما يأتي في أخبارهم .

أخبار القضاة

كان النُعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حَيُّون في خطة القضاء للمُعِزّ بالقَيْرَوان . ولما جاء الى مِصْر أقام بها في خِطّة القضاء الى أن توفي ، وولي ابنه عليّ ، ثم توفي سنة أربع وسبعين وثلثمائة ، فولّى العزيز أخاه أبا عبدالله محمداً ، خلع عليه وقلّده سيفاً . وكان المعزّ قد وعد أباه بقضاء ابنه محمد هذا بمصر ، وتمّ في سنة تسع وثمانين أيام الحاكم . وكان كبير الصيت ، كثير الاحسان ، شديد الاحتياط في العدالة فكانت أيامه شريفة . وولي بعده ابن عمه أبو عبدالله الحسين عليّ بن النُعمان أيام الحاكم ، ثم عزل سنة أربع وتسعين ، وقتل وأحرق بالنار ، وولي مكانه ملكة بن سعيد الفارقي إلى أن قتله الحاكم سنة خمس وأربعمائة بنواحي القصور ، وكان عالي المنزلة عند الحاكم ومداخلاً له في أمور الدولة ، وخالصة له في خلواته . وولّى بعده أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي العوّام . واتصل في آخرين إلى آخر دولتهم ، كان كثيراً ما يجمعون للقاضي المظالم والدعوة فيكون داعي الدعاة ، وربما يُفرِدون كلّا منهما . وكان القاضي عندهم يصعد مع الخليفة المنبر مع من يصعده من أهل دولته عندما يخطب الخلفاء في الجمع والاعياد .

وفاة المعز وولاية ابنه الحاكم

قد تقدّم لنا أنّ العزيز استنفر الناس للجهاد سنة احدى وثمانين، وبرز في العساكر لغزو الروم، ونزل بلبيس فاعتورته الأمراض، واتصلت به إلى أن هلك آخر رمضان سنة ست وثمانين لاحدى عشرة سنة ونصف من خلافته، ولقب الحاكم بأمر الله، واستولى برجوان الخادم على دولته كما كان لابيه العزيز بوصيته بذلك، وكان مدبّر دولته، وكان رديفه في ذلك أبو محمد الحسن بن عمّار ويُلَقَّب بأمين الدولة؛ وتغلب على ابن عمار، وانبسطت أيدي كتامة في أموال الناس وحرمهم، ونكر منجوتكين تقديم ابن عمار في الدولة، وكاتب برجوان بالموافقة على ذلك فأظهر الانتقاض، وجهز العساكر لقتاله مع سليمان بن جعفر بن فلاح فلقيهم بعسقلان؛ وانهزم منجوتكين وأصحابه، وقتل منهم ألفين، وسيق أسيراً الى مصر فأبقى عليه ابن عمار، واستماله للمشارقة.

وعقد على الشام لسليمان بن فلاح، ويكنّى أبا تميم، فبعث من طبرية أخاه علياً إلى دمشق فامتنع أهلها فكاتبهم أبو تميم، وتهدّدهم وأذعنوا، ودخل على البلد ففتك فيهم. ثم قدّم أبو تميم فأمّن وأحسن، وبعث أخاه علياً الى طرابلس، وعزل عنها جيش ابن الصمصامة فسار الى مصر، وداخل برجوان في الفتك بالحسن بن عمار وأعيان كتامة، وكان معهما في ذلك شكر،

خادم عضد الدولة، نزع الى مصر بعد مهلك عضد الدولة ونكبة أخيه شرف الدولة إياه فخلص الى العزيز فقرّبه، وحظي عنده فكان مع برجوان وجيش بن الصمصامة. وثارت الفتنة، واقتتل المشارقة والمغاربة فانهزمت المغاربة، واختفى ابن عمار وأظهر برجوان الحاكم وجدّد له البيعة، وكتب الى دمشق بالقبض على أبي تميم بن فلاح فنهب، ونهبت خزائنه، واستمرّ القتل في كتامة واضطربت الفتنة بدمشق، واستولى الأحداث. ثم أذن برجوان لابن عمّار في الخروج من أستاره، وأجرى له أرزاقه على أن يقيم بداره.

واضطرب الشام فانتقض أهل صور، وقام بها رجل ملّاح اسمه العلاقة، وانتقض مفرج بن دغفل بن الجرّاح، ونزل على الرملة، وعاث في البلاد، وزحف الدوقس ملك الروم إلى حِصْن أفامِيَة محاصراً لها. وجَهَّز برجوان العساكر مع جيش ابن الصمصامة فسار الى عبدالله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدون، واسطولاً في البحر، واستنجد العلاقة ملك الروم فأنجده بالمقاتلة في المراكب، فظفر بهم أسطول المسلمين. واضطرب أهل صور، وملكها ابن حمدان؛ وأسر العلاقة، وبعث به الى مصر فسلخ وصلب، وسار جيش ابن الصمصامة الى الفرج بن دغفل فهرب أمامه، ووصل الى دِمَشق وتلقاه أهلها مذعنين، وأحسن اليهم وسكنهم، ورفع أيدي العدوان عنهم.

ثم سار الى أفامية وصافّ الروم عندها فانهزم أوّلاً هو وأصحابه وثبت بشارة الاخشيدي بن قرارة في خمسمائة فارس ، ووقف الدوقس ملك الروم على رابية في ولده ، وعدّة من غلمانه ينظر فعل الروم في المسلمين فقصد كردي من مصاف الأخشيدي ، وبيده عصا من حديد يسمى الخشت ، وظنه الملك مستأمناً ، فلما دنا منه ضربه بالخشت فقتله ، وانهزم الروم واتبعهم جيش ابن الصمصامة إلى أنطاكية يغنم ويسبي ويحرق . ثم عاد مظفراً الى دمشق فنزل بظاهرها ولم يدخل . واستخلص رؤساء الاحداث واستحجبهم وأقيم له الطعام في كل يوم ، وأقام على ذلك برهةً . ثم أمر أصحابه اذا دخلوا للطعام أن يغلق باب الحجرة عليهم ، ويوضع السيف في سائرهم فقتل منهم ثلاثة آلاف ، ودخل دمشق ، وطاف بها ، وأحضر الاشراف فقتل رؤساء الاحداث بين أيديهم ، وبعث بهم الى مصر ، وأمن الناس .

ثم انه توفي وولى محمود بن جيش ، وبعث برجوان الى بسيل ملك الروم فصالحه لعشر سنين ، وبعث جيشاً الى بَرْقَة وطرابلس المغرب ففتحها ، وولّى عليها يانساً الصِقّليّ . ثم ثقل مكان برجوان على الحاكم فقتله سنة تسع وثمانين ، وكان خصياً أبيض ، وكان له وزير نصراني استوزره الحاكم من بعده . ثم قتل الحسين بن عمار ، ثم الحسين بن جوهر القائد . ثم جهز العساكر مع يارختكين الى حلب ، وقصد حسّان بن فرج الطائي ، لما بلغ من

عيثه وفساده . فلما رحل من غزوه الى عسقلان لقيه حسان وأبوه مفرج فانهزم وقتل ، ونهبت النواحي ، وكثرت جموع بني الجرّاح ، وملكوا الرملة ، واستقدموا الشريف أبا الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة فبايعوه بالخلافة .

ثم استمالهما الحاكم ورغبهما فرداه الى مكة ، وراجعا طاعة الحاكم ، وراجع هو كذلك ، وخطب له بمكة . ثم جهز الحاكم العساكر الى الشام مع عليّ بن جعفر بن فلاح ، وقصد الرملة فانهزم حسان بن مفرج وقومه ، وغلبهم على تلك البلاد واستولى على أموالهم وذخائرهم ، وأخذ ما كان لهم من الحصون بجبل السراة ، ووصل الى دمشق في شوّال سنة تسعين فملكها واستولى عليها ، وأقام مفرج وابنه حسان شريدين بالقفر نحواً من سنتين . ثم هلك مفرج ، وبعث حسان ابنه الى الحاكم فأمنه وأقطعه ، ثم وفد عليه بمصر فأكرمه ووصله .

خروج أبي ركوة ببرقة والظفر به

كان أبو رَكْوَةَ هذا يزعم أنّه الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل ، وانه هرب من المنصور بن أبي عامر حين تتبَّعهم بالقتل وهو ابن عشرين سنة ، وقصد القَيْرَوان فأقام بها يعلّم الصبيان . ثم قصد مِصْرَ وكتب الحديث ، ثم سار الى مكة واليمن والشام ، وكان يدعو للقائم من ولد أبيه

هشام، واسمه الوليد، وانما لقبه أبا ركوة لانه كان يحملها لوضوئه على عادة الصوفيَّة . ثم عاد الى نواحي مصر ونزل على بني قُرَّة من بادية هلال بن عامر، وأقام يعلم الصبيان ويؤمهم في صلاتهم . ثم أظهر ما في نفسه، ودعا للقائم . وكان الحاكم قد أسرف في القتل في أصناف النـاس وطبقاتهم، والناس معه على خطر، وكان قتل جماعة من بني قرّة وأحرقهم بالنار لفسادهم، فبـادر بنو قرّة، وكانوا في اعمـال بَرْقَة فأجابوه وانقادوا له وبايعوا. وكان بينهم وبين لواتَة ومَزاتة وزِناتة جيرانهم في الأَصل حروب ودماء فوضعوها، واتفقوا على بيعته .

وكتب عـامل برقة أنيال الطويل بخبرهم إلى الحاكم فأمره بالكفّ عنهم . ثم اجتمعوا وسـاروا الى برقة فهزموا العـامل برمادة، وملكوا برقة، وغنموا الأموال والسلاح وقتـلوه . وأظهر أبو ركوة العدل، وبلغ الخبر الى الحاكم فاطمأنّت نفسه، وكف عن الأذى والقتل، وجهّز خمسة آلاف فارس مع القائد أبي الفتوح الفضل بن صالح فبلغ ذات الحَمَّام، وبينها وبين برقة مفازة صعبة معطشة، وأمر أبو ركوة من غور المياه التي فيها على قلبهـا . ثم سار للقـائهم بعد خروجهم من المفازة على جهد العطش فقاتلهم، ونال منهم وثبت أبو ركوة، واستأمن اليه جماعة من كِتامَةَ لما نالهم من أذى الحاكم وقتله فأمّنهم، ولحقوا به، وانهزمت عساكر الحاكم، وقتل خلق كثير منهم. ورجع

أبو ركوة الى برقة ظافراً ، وردّد البعوث والسرايا الى الصعيد وأرض مِصْرَ . وأهمّ الحاكم أمره ، وندم على ما فرّط .

وجهز عليّ بن فلاح العساكر لحربهم . وكاتب الناس أبا ركوة يستدعونه ؛ وممن كتب إليه الحسن بن جَوْهر قائد القوّاد ، وبعثهم في ستة عشر ألف مقاتل سوى العرب ، وبعث أخاه في سَرِيَّةٍ فواقع بني قرّة وهزمهم ، وقتل من شيوخهم عبد العزيز بن مُصْعَب ، ورافع بن طراد ومحمد بن أبي بكر ، واستمال الفضل بني قرّة فاجابه ماضي بن مقرب من أمرائهم ، وكان يطالعه باخبارهم . وبعث عليّ بن فلاح عسكراً الى الفيّوم فكبسه بنو قرّة وهزموه ؛ ونزل أبو ركوة بالهرمين ، ورجع من يومه . ثم رحل الفضل الى الفيّوم لقتالهم فواقعهم برأس البركة وهزمهم ، واستأمن بنو كلاب وغيرهم ، ورجع عليّ بن فلاح ، وتقدّم الفضل لطلب أبي ركوة ، وخذل ماضي بن مُقرّب بني قرّة عن أبي ركوة فقالوا له انج بنفسك الى بلد النُوبَة ، ووصل الى تخومهم وقال : أنا رسول الحاكم ، فقالوا : لا بدّ من استئذان المَلِك ، فوكلوا به ، وطالعوا الملك بحقيقة الحال . وكان صغيراً قد ولي بعد سرقة أبيه ، وبعث اليه الفضل بشأنه ، وطلبه فكتب الى شجرة بن مينا قائد الخيل بالثغر بأن يسلّمه الى نائب الحاكم ، فجاء به رسول الفضل ، وأنزله الفضل

في خيمة ، وحمله الى مصر فطيف به على جمل لابساً طُرْطوراً[١] وخلفه قرد يصفعه . ثم حمل الى ظاهر القاهرة ليقتل ، فمات قبل وصوله ، وقطع رأسه وصلب . وبالغ الحاكم في اكرام الفضل ، ورفع مرتبته ؛ ثم قتله بعد ذلك ، وكان ظفر الحاكم بأبي ركوة سنة سبع وتسعين .

بقية أخبار الحاكم

كان الحسن بن عمار زعيم كتامَة مدبر دولته كما ذكرناه ، وكان بَرْجُوانُ خادمه وكافله ، وكان بين الموالي والكِتَامِيّين في الدولة منافسة . وكان كثيراً ما يفضي الى القتال . واقتتلوا سنة سبع وثمانين . وأركب المغاربة ابن عمار ، والموالي برجوان ، وكانت بينهم حروب شديدة . ثم تحاجزوا واعتزل ابن عمّار الأمور ، وتخلّى بداره عن رسومه وجراياته ، وتقدّم برجوان بتدبير الدولة . وكان كاتب بن فِهْر بن إبراهيم يربع[٢] ، وينظر في الظلامات ، ويطالعه . وولّى على برقة يَأْنَس صاحب الشرطة مكان صندل . ثم قتل برجوان سنة تسع وثمانين ، ورجع التدبير الى القائد أبي عبدالله الحسين بن جوهر ، وبقي ابن فهر على حاله . وفي سنة تسعين انقطعت طرابلس عن منصور بن بَلْكين بن زيري صاحب افريقية ، وولى عليها يأنس العزيزي ، من موالي العزيز

(١) القلنسوة الدقيقة الطويلة .

(٢) ربع الحبل : فتله من أربع طاقات ، ولا محل لها هنا . ولعلها كلمة عامية بمعنى جلس على ركبتيه .

فوصل اليها ، وأمكنه عامل المنصور منها ، وهو عَصولة بن بَكّار .

وجاء الى الحاكم بأهله ووُلْدِه وماله وأُطلق يد يأنس على مخلّفه بطرابلس ، يقال كان له من الولد نيف وستون بين ذكر وأنثى ، ومن السراري خمس وثلاثون فتلُقّي بالمَبَرّة وهُيّيء له القصور ، ورتب له الجراية وقلّده دِمَشْقَ وأعمالها فهلك بها لسنة من ولايته . وفي سنة اثنتين وتسعين وصل الصريخ من جهة فلفول بن خَزْرون المُغراوِيّ في ارتجاع طرابلس الى منصور بن بلكين ، فجهزت العساكر مع يحيى بن علي الأندلسي الذي كان جعفر أخوه عامل الزاب للعبيديين ، ونزع الى بني أُمية وراء البحر . ولم يزل هو وأخوه في تصريفهم الى أن قتل المنصور بن أبي عامر جعفراً منهما ، ونزع أخوه يحيى الى العزيز بمصر فنزل عليه ، وتصرف في خدمته وبعثه إلآن الحاكم في العساكر لما قدّمناه فاعترضه بنو قُرّة ببرقة ففضّوا جموعه . ورجع الى مصر وسار يأنس من برقة الى طرابلس فكان من شأنه مع عصولة ما ذكرناه .

وبعد وفاة عصولة ولى على دمشق مُفْلِح الخادم ، وبعده عليّ ابن فلاح سنة ثمان وتسعين . وبعد مسير يأنس ولى على برقة صَندَل الأَسود . وفي سنة ثمان وتسعين عزل الحسين بن جوهر القائد ، وقام بتدبير الدولة صالح بن علي بن صالح الروباذِيّ . ثم نكب حسين القائد بعد ذلك وقتل ، ثم قتل صالح بعد ذلك ،

وقام بتدبير الدولة الكافي بن نصر بن عبدون ، وبعده زرعة بن عيسى بن نسطورس ، ثم أبو عبدالله الحسن بن طاهر الوزان . وكثر عيث الحاكم في أهل دولته ، وقتله إيّاهم - مثل الجرجراى[1] وقطعه أيديهم ، حتى ان كثيراً منهم كانوا يهربون من سطوته ، وآخرون يطلبون الأمان فيكتب لهم به السجلّات .

وكان حاله مضطرباً في الجور والعدل ، والاخافة والأمن ، والنسك والبدعة . وأما ما يرمى به من الكفر ، وصدور السجلات باسقاط الصلوات فغير صحيح ، ولا يقوله ذو عقل ، ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته . وأما مذهبه في الرافضة فمعروف . ولقد كان مضطرباً فيه مع ذلك ، فكان يأذن في صلاة التراويح ثم ينهى عنها . وكان يرى بعلم النجوم ويؤثره . وينقل عنه أنّه منع النساء من التصرف في الاسواق ، ومنع من أكل الملوخيا . ورفع اليه ان جماعة من الروافض تعرّضوا لأهل السنة في التراويح بالرجم ، وفي الجنائز فكتب في ذلك سجلًّا قرئ على المنبر بمصر كان فيه :

أما بعد ، فان أمير المؤمنين ، يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين ، لا إِكْراهَ في الدِّين الآية . مضى أمس بما فيه ، وأتى اليوم بما يقتضيه . معاشر المسلمين نحن الأئمة ، وأنتم الأمة . لا يحلّ

(١) هو أحد الوزراء الذين سبق ذكرهم .

قتل من شهد الشهادتين [1] ولا يحل عروة بين اثنين ، تجمعها هذه الأخوة ، عصم الله بها من عصم ، وحرم لها ما حرم ، من كل محرّم ، من دم ومال ومنكح ، الصلاح والاصلح بين الناس أصلح ، والفساد والافساد بين العباد يستقبح . يطوى ما كان فيما مضى فلا ينشر ، ويعرض عما انقضى فلا يُذكر . ولا يقبل على ما مرّ وأدبر من إجراء الأمور على ما كانت عليه في الأيام الخالية أيّام آبائنا الائمة المهتدين ، سلام الله عليهم أجمعين ، مهديهم بالله ، وقائمهم بأمر الله ، ومنصورهم بالله ، ومعزّهم لدين الله ، وهو اذ ذاك بالمهدية والمنصورية ، وأحوال القيروان تجري فيها ظاهرة غير خفية ، ليست بمستورة عنهم ولا مطوية . يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون . صلاة الخمس للدين بها جاءهم فيها يصلون ، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون . يخمس في التكبير على الجنائز المخمّسون ، ولا يمنع من التكبير عليها المربعون . يؤذّن بحيّ على خير العمل المؤذّنون ، ولا يُؤذى من بها لا يُؤذِّنون . لا يسب أحد من السلف ، ولا يحتسب على الواصف فيهم بما يوصف ، والخالف فيهم بما خلف . لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده وإلى الله ربه ميعاده ، عنده كتابه ، وعليه حسابه . ليكن عباد الله على مثل

(١) بياض بالأصل والسياق يدل على أن سير الكلام طبيعي .

هذا عملكم منذ اليوم ، لا يَسْتَعْلي مسلم على مسلم بما اعتقده ، ولا يعترض معترض على صاحبه فيما اعتمده . من جميع ما نصه أمير المؤمنين في سجله هذا ، وبعد قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتَدَيْتُم إلى الله مرجِعُكُم جميعاً فينبّئكم بما كنتم تعملون . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . كتب في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

وفاة الحاكم وولاية الظاهر

ثم توفي الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز نزار ، قتيلًا ببركة الحبش بمصر ، وكان يركب الحمار ويطوف بالليل ، ويخلو بدار في جبل المقطم للعبادة ، ويقال لاستنزال روحانية الكواكب . فصعد ليلة من ليالي [1] لثلاث بقين من شوّال سنة احدى عشرة ركب على عادته ومشى معه راكبان فردّهما واحداً بعد آخر في تصاريف أموره . ثم افتُقِد ولم يرجع ، وأقاموا أياماً في انتظاره . ثم خرج مظفر الصِقِلّيّ والقاضي وبعض الخواص الى الجبل فوجدوا حماره مقطوع اليدين ، واتبعوا أثره الى بركة

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٧ ص ٣٠٤: وكان سبب فقده أنه خرج يطوف ليلة على رسمه وأصبح عند قبر الفقاعي، وتوجه إلى شرقي حلوان، ومعه ركابيان، فأعاد أحدهما مع جماعة من العرب إلى بيت المال، وأمر لهم بجائزة؛ ثم عاد الركابي الآخر، وذكر أنه خلفه عند العين والمقصبة.

الحبش فوجدوا ثيابه مزررة ، وفيها عدّة ضربات بالسكاكين فأيقنوا بقتله .

ويقال بلغه عن أخته أن الرجال يتناوبون بها فتوعدها فأرسلت الى ابن دُواس من قوّاد كتامة ، وكان يخاف الحاكم فأغرته بقتله ، وهونته عليه ، لما يرميه به الناس من سوء العقيدة ، فقد يهلك الناس ونهلك معه . ووعدته بالمنزلة والاقطاع فبعث اليه رجلين فقتلاه في خلوته . ولما أيقنوا بقتله اجتمعوا الى أخته ستّ الملك فأحضرت عليّ بن دواس ، وأجلس عليّ بن الحاكم صَبِيًّا لم يناهز الحُلُم ، وبايع له الناس ولُقّب الظاهر لاعزاز دين الله ، ونفذت الكتب الى البلاد بأخذ البيعة له .

ثم حضر ابن دواس من الغد ، وحضر معه القوّاد فأمرت ستّ الملك خادمها فعلاه بالسيف أمامهم حتى قتله ، وهو ينادي بثار الحاكم فلم يختلف فيه اثنان ، وقامت بتدبير الدولة أربع سنين . ثم ماتت ، وقام بتدبير الدولة الخادم مِعْضاد وتافر بن الوزان ، وولى وزارته أبو القاسم علي بن أحمد الجرجراي وكان متغلّباً على دولته ، وانتقض الشام خلال ذلك ، وتغلب صالح ابن مرداس من بني كلاب على حلب ، وعاث بنو الجراح في نواحيه فبعث الظاهر سنة عشرين قائده الزريريّ والي فلسطين في العساكر ، وأوقع بصالح بن الجراح ، وقُتِل صالح وابنه وملك دِمَشق .

وملك حلب من يد شبل الدولة نصر بن صالح وقتله ، وكان بينه وبين بني الجرّاح قبل ذلك وهو بفلسطين حروب ؛ حتى هرب من الرملة الى قيسارية فاعتصم بها ، وأخرب ابن الجراح الرملة وأحرقها . وبعث السرايا فانتهت الى العريش وخَشِي أهل بَلْبيس وأهل القُرافَة على أنفُسِهم فانتقلوا الى مِصْرَ ، وزحف صالح ابن مرداس في جموع العرب لحصار دمشق ، وعليها يومئذ ذو القرنين ناصر الدولة بن الحسين . وبعث حسان ابن الجراح اليهم بالمدد ، ثم صالحوا صالح بن مرداس ، وانتقل الى حصار حلب ، وملكها من يد شعبان الكتامي وجردت العساكر من الشام مع الوزيري ، وكان ما تقدّم ، وملك دمشق وأقام بها .

وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر

ثم توفي الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن علي ابن الحاكم منتصف شعبان سنة سبع وعشرين لست عشرة سنة من خلافته ، فولي ابنه أبو تميم معدّ ، ولقِّب المستنصر بأمر الله ، وقام بأمره وزير أبيه أبو القاسم علي بن أحمد الجرجراي ، وكان بدمشق الوزيري واسمه أقوش تكين[1] . وكانت البلاد صلحت على يديه لعدله ورفقه وضبطه ، وكان الوزير الجرجراي يحسده ويبغضه ،

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص-٣٢: أنوشتكين الدزبري نائب المستنصر بالله صاحب مصر بالشام.

وكتب اليه بابعاد كاتبه أبي سعيد فأنفذ اليه أنه يحمل الوزيري على الانتقاض فلم يجب الوزيري الى ذلك واستوحش ، وجاء جماعة من الجند الى مصر في بعض حاجاتهم فداخلهم الجرجراي في التوثّب به ، ودسّ معهم بذلك الى بقية الجند بدمشق فتعللوا عليه (١) فخرج الى بَعْلَبَكّ سنة ثلاث وثلاثين ، فمنعه عاملها من الدخول فسار الى حماة فمنع أيضاً فقوتل ، وهو خلال ذلك ينهب فاستدعى بعض أوليائه من كفرطاب ، فوصل اليه في ألفي رجل ، وسار الى حلب فدخلها وتوفي بها في جمادى الآخرة من السنة ، وفسد بعده أمر الشام ، وطمع العرب في نواحيه ، وولى الجرجراي على دمشق الحسين بن حمدان فكان قصارى أمره منع الشام ، وملك حسّان بن مُفَرِّج فِلَسْطين ، وزحف مُعِزّ الدولة ابن صالح الكلابي الى حلب فملك المدينة ، وامتنع عليه أصحاب القلعة ، وبعثوا الى مصر للنجدة فلم ينجدهم فسلموا القلعة لمعز الدولة بن صالح فملكها .

مسير العرب الى أفريقية

كان المعزّ بن باديس قد انتقض دعوة العُبَيْدِيين بافريقية ،

---

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ٣٢ في حوادث سنة ٤٣٣ : فاظهروا الشغب عليه، وقصدوا قصره، وهو بظاهر البلد، وتبعهم من العامة من يريد النهب فاقتتلوا فعلم الدزبري ضعفه وعجزه عنهم ففارق مكانه، واستصحب أربعين غلاماً له وما أمكنه من الدواب والأثاث والأموال ونهب الباقي وسار إلى بعلبك.

وخطب للقائم العباسي ، وقطع الخطبة للمستنصر العلوي سنة أربعين وأربعمائة فكتب اليه المستنصر يتهدده . ثم انه استوزر الحسين ابن عليّ التازوري بعد الجرجراي ، ولم يكن في رتبته فخاطبه المعزّ دون ما كان يخاطب من قبله ، كان يقول في كتابه اليهم عبده ، ويقول في كتاب التازوري صنيعته فحقد ذلك ، وأغرى به المستنصر وأصلح بين زغبة ورياح من بطون هلال ، وبعثهم الى افريقية وملكهم كل ما يفتحونه ، وبعث الى المعز : أما بعد فقد أرسلنا اليك خيولًا ، وحملنا عليها رجالًا فحولًا ، ليقضي الله أمراً كان مفعولًا . فساروا الى برقة فوجدوها خالية ، لان المُعِزّ كان أباد أهلها من زِنَاتَةَ فاستوطن العرب برقة ، واحتقر المعز شأنهم ، واشترى العبيد واستكثر منهم ، حتى اجتمع له منهم ثلاثون ألفاً .

وزحف بنو زُغْبَةَ الى طرابلس فملكوها سنة ست وأربعين ، وجازت رياح الأثبج وبنو عدي الى افريقية فاضرموها ناراً . ثم سار أمراؤهم الى المعز ، وكبيرهم مؤنس بن يحي من بني مرداس من زياد فأكرمهم المعز ، وأجزل لهم عطاياه فلم يغن شيأً ، وخرجوا الى ما كانوا عليه من الفساد ، ونزل بافريقية بلاء لم ينزل بها مثله . فخرج اليهم المعز في جموعه من صَنْهاجَةَ والسودان نحواً من ثلاثين ألفاً ، والعرب في ثلاثة آلاف فهزموه وأثخنوا في صنهاجة بالقتل واستباحوهم . ودخل المُعِزُّ القَيْرَوان مهزوماً .

ثم بيّتهم يوم النحر ، وهم في الصلاة فهزموه أعظم من الاولى .

ثم سار اليهم بعد أن احتشد زناتة معه فانهزم ثالثة ، وقتل من عسكره نحو من ثلاثة آلاف ، ونزل العرب بمصلّى القَيْرَوان ، ووالوا عليهم الهزائم ، وقتلت منهم أمم . ثم أباح لهم المعز دخول القيروان للميرة فاستطالت عليهم العامة فقتلوا منهم خلقاً ، وأدار المعز السور على القيروان سنة ست وأربعين . ثم ملك مؤنس بن يحيي مدينة باجة سنة ست وأربعين ، وأمر المعز أهل القيروان بالانتقال الى المهدِيَّة للتحصين بها ، وولى عليها ابنه تميا سنة خمس وأربعين . ثم انتقل اليها سنة تسع وأربعين ، وانطلقت أيدي العرب على القيروان بالنهب والتخريب ، وعلى سائر الحصون والقرى كما يذكر في أخبارهم . ثم كانت الخطبة للمستنصر ببغداد على يد البساسيري من مماليك بني بُوَيْه عند انقراض دولتهم ، واستيلاء السلجوقية كما نذكره في أخبارهم .

مقتل ناصر الدولة ابن حمدان بمصر

كانت أمّ المستنصر متغلّبة على دولته ، وكانت تصطَنِع الوزراء وتولّيهم ، وكانوا يتخذون الموالي من الأتراك للتغلّب على الدولة . فمن استوحشت منه أغرت به المستنصر فقتله . فاستوزرت أوّلا أبا الفتح الفلاحي ، ثم استوحشت منه فقبض عليه المستنصر وقتله ، ووزر بعده أبا البركات حسن بن محمد

وعزله . ثم ولي الوزارة أبا محمد التازوري من قرية بالرملة تسمى تازور ، فقام بالدولة الى ان قتل . ووزر بعده أبو عبدالله الحسين ابن البابلي ، وكان في الدولة من موالي السودان ناصر الدولة ابن حمدان ، واستمالوا معهم كتامَةَ والَمصامِدَة . وخرج العبيد الى الضياع واجتمعوا في خمسين ألف مقاتل ، وكان الاتراك ستة آلاف ، وشكوا الى المستنصر فلم يشكهم ، فخرجوا الى غرمائهم والتقوا بكوم الريش ، وأكمن الاتراك للعبيد ولقوهم فانهزموا ، وخرج كمينهم على العبيد ، وضربوا البوقات والكاسات فارتاب العبيد وظنوه المستنصر فانهزموا وقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفاً .

وفدى الأتراك وتغلبوا ، وعظم الافتراء فيهم فخلت الخزائن ، واضطربت الامور وتجمع باقي العسكر من الشام وغيره الى الصعيد ، واجتمعوا مع العبيد وكانوا خمسة عشر ألفاً ، وساروا الى الجيزة فلقيهم الاتراك ، وعليهم ناصر الدولة بن حمدان فهزموهم الى الصعيد ، وعاد ناصر الدولة والاتراك ظافرين . واجتمع العبيد في الصعيد ، وحضر الاتراك بدار المستنصر فأمرت أمه العبيد بالدار أن يفتكوا بمقدّمي الاتراك ففعلوا وهربوا الى ظاهر البلد ، ومعهم ناصر الدولة ، وقاتل أولياء المستنصر فهزمهم ، وملك الاسكندرية ودمياط وقطع الخطبة منها ومن سائر الريف للمستنصر . وراسل الخليفة العباسي ببغداد وافترق الناس من

القاهرة . ثم صالح المستنصر ودخل القاهرة واستبدّ عليه ، وصادر أمه على خمسين ألف دينار ، وافترق عنه أولاده وكثير من أهله في البلاد . ودسّ المستنصر لقواد الاتراك بأنه يحوّل الدعوة فامتعضوا لذلك ، وقصدوه في بيته ، وهو آمن منهم فلما خرج اليهم تناولوه بسيوفهم حتى قتلوه وجاؤا برأسه ، ومروا على أخيه في بيته فقطعوا رأسه ، وأتوا بهما جميعاً الى المستنصر ، وذلك سنة خمس وستين ، وولى عليهم الذكر منهم وقام بأمر الدولة .

استيلاء بدر الجمالي على الدولة

أصل بدر هذا من الأرمن من صنائع الدولة بمصر ومواليها ، وكان حاجباً لصاحب دمشق ، واستكفاه فيما وراء بابه . ثم مات صاحبُ دِمَشق فقام بالامور الى أن وصل الامير على دمشق ، وهو ابن منير فسار هو الى مصر وترقى في الولايات الى أن وليّ عكا وظهر منه كفاية واضطلاع . ولما وقع بالمستنصر ما وقع من استيلاء الترك عليه ، والفساد والتضييق ، استقدم بدراً الجمالي لولاية الامور بالحضرة فاستأذن في الاستكثار من الجند لقهر من تغلّب من جند مصر فاذن له في ذلك ، وركب البحر من عكا في عشرة مراكب ، ومعه جند كثيف من الأرمن وغيرهم فوصل الى مصر ، وحضر عند الخليفة فولّاه ما وراء

بابه ، وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق ، ولقّبه بالسيّد الأجل أمير الجيوش ، مثل والي دمشق . وأضيف الى ذلك كافل قضاة المسلمين ، وداعي دعاة المؤمنين ، ورتب الوزارة وزاده سيفه[1] وردّ الامور كلها اليه ، ومنه الى الخليفة . وعاهده الخليفة على ذلك ، وجعل اليه ولاية الدعاة والقضاة ، وكان مبالغاً في مذهب الامامية فقام بالامور ، واستردّ ما كان تغلب عليه أهل النواحي مثل ابن عمّار بطرابلس ، وابن معروف بعسقلان وبني عقيل بصور . ثم استردّ من القواد والأمراء بمصر جميع ما أخذوه أيام الفتنة من المستنصر من الاموال والامتعة .

وسار الى دمياط وقد تغلب عليها جماعة من المفسدين من العرب وغيرهم فاثخن في لَواتة بالقتل والنهب في الرجال والنساء ، وسبى نساءهم ، وغنم خيولهم . ثم سار الى جهينة وقد ثاروا ومعهم قوم من بني جعفر فلقيهم على طرخ العليا سنة تسع وستين فهزمهم ، وأثخن فيهم ، وغنم أموالهم . ثم سار الى أسوان وقد تغلّب عليها كنز الدولة محمد فقتله وملكها ، وأحسن الى الرعايا ونظم حالهم وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين ، وعادت الدولة الى أحسن ما كانت عليه .

---

(١) كذا بالأصل ومقتضى السياق : وزاد على ترتيبات الوزارة حمل السيف .

وصول الغز إلى الشام واستيلاؤهم عليه وحصارهم مصر

كان السلجوقية وعساكرهم من الغز قد استولوا في هـذا العصر عـلى خُراسان والعراقين وبغداد ، وملكهم طُغرُلبك ، وانتشرت عساكرهم في سائر الاقطار ، وزحف اتسز بن أُز من أمراء السلطان ملك شاه وسمـاه الشاميون أَقْسَفْس ، والصحيح هذا ، وهو اسم تركي هكذا قال ابن الاثير فزحف سنة ثلاث وثلاثين ، بـل وستين ففتح الرملة ، ثم بيت المقدس ، وحاصر دمشق وعاث في نواحيها ، وبها المُعَلّى بن حيدرة ، ولم يزل يوالي عليها البعوث الى سنة ثمان وستين ، وكثر عسف المعلى بأهلها مع ما هم فيه من شدّة الحصار فثاروا به ، وهرب الى بلسيس . ثم لحق بمصر فحبس الى ان مات ، ولما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى منهم ولقبوه وزير الدولة . ثم اضطربوا ممـا هم فيه من الغلاء ، وجاء أمير من القـدس فحاصرهم حتى نزلوا على أمانه .

وأنزل وزير الدولة بقلعة بانياس ، ودخل دمشق في ذي القعدة ، وخطب فيها للمقتدي العباسي . ثم سار الى مصر سنة تسع وستين فحاصرها ، وجمع بدر الجمالي العساكر من العرب وغيرهم وقاتله فهزمه ، وقتل أكثر أصحابه ، ورجع اتسز منهزماً الى الشام فأتى دمشق ، وقد صانوا مخلّفه فشكرهم ورفع عنهم خراج سنة تسع

وستين ، وجاء الى بيت المقدس فوجدهم قد عاثوا في مخلفه ، وحصروا أهله وأصحابه في مسجد داود عليه السلام فحاصرهم ودخل البلد عَنوَةً ، وقتل اكثر أهله حتى قتل كثيراً في المسجد الاقصى .

ثم جهز أمير الجيوش بدر الجمالي العساكر من مصر مع قائده نصير الدولة فحاصر دمشق ، وضيق عليها ، وكان ملك السُلجوقيّةِ السلطان ملك شاه قد أقطع أخاه تُتُش سنة سبعين وأربعمائة بلاد الشام ، وما يفتحه منها فزحف الى حلب وحاصرها وضيّق عليها ، ومعه جموع كثيرة من التركمان فبعث اليه اتسز من دمشق يستصرخه فسار اليه ، وأجفلت عساكر مصر عن دمشق ، وخرج اتسز من دمشق للقائه فقتله وملك البلد ، وذلك سنة احدى وسبعين . وملكَ ملكْ شاه بعد ذلك حلب ، واستولى السلجوقية على الشام أجمع وزحف أمير الجيوش بدر الجمالي من مصر في العساكر الى دمشق ، وبها تاج الدولة تتش فحاصره وضيق عليه ، وامتنع عليه ، ورجع ، وزحفت عساكر مصر سنة اثنتين وثمانين الى الشام فاسترجعوا مدينة صور من يد أولاد القاضي عين الدولة بن أبي عقيل ، كان أبوهم قد انتزى عليها ، ثم فتحوا مدينة صيدا ، ثم مدينة جبيل ، وضبط أمير الجيوش البلاد وولى عليها العمال . وفي سنة أربع وثمانين استولى الفرنج على جزيرة صِقِلّيّة ، وكان أمير الجيوش قد ولّى على مدينة صور

منير الدولة الجيوشي مِن طائفته فانتقض سنة ست وثمانين ، وبعث اليه أمير الجيوش العساكر فثار به أهل المدينة ، واقتحمت عليهم العساكر ، وبعث منير الدولة الى مصر في جماعة من أصحابه فقتلوا كلهم .

ثم توفي أمير الجيوش بدر الجمالى سنة سبع وثمانين في ربيع الاول لثمانين سنة من عمره . وكان له موليان أمين الدولة لاويز ونصير الدولة أفتكين ، فلما قضى بدر نحبه استدعى المستنصر لاويز ليقلِّده فانكر ذلك افتكين ، وركب في الجند وشغبوا على المستنصر ، واقتحموا القصر ، وأسمعوه خشن الكلام فرجع الى ولاية ولد بدر ، وقدّم للوزارة ابنه محمداً الملك أبا القاسم شاه ، ولقبه بالأفضل مثل لقب أبيه . وكان أبو القاسم بن المقري رديفاً لبدر في وزارته بما كان اختصه لذلك ، فولى بعد موته الوزارة المقري ، وكانت عندهم عبارة عن التوقيع بالقلم الغليظ . وقام الافضل أبو القاسم بالدولة ، وجرى على سنن أبيه في الاستبداد ، وكانت وفاة المستنصر قريباً من ولايته .

وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي

ثم توفي المستنصر معدّ بن الظاهر يوم التروِيَة سنة سبع وثمانين لستين سنة من خلافته ، ويقال لخمس وستين بعد أن لقي أهوالا وشدائد وانفتقت عليه فتوق استهلك فيها أمواله وذخائره حتى

لم يكن له الا بساطه الذي يجلس عليه ، وصار الى حد العزل والخلع ، حتى تدارك أمره باستقدام بدر الجمالي من عكا فتقوّم أمره ، ومكنه في خلافته . ولما مات خلف من الولد أحمد ونزاراً وأبا القاسم . وكان المستنصر فيما يقال قد عهد لنزار ، وكانت بينه وبين أبي القاسم الافضَل عداوة فَخشِي بادرته ، وداخل عمته في ولاية أبي القاسم ، على أن تكون لها كفالة الدولة ، فشهدت بأنّ المستنصر عهد له بحضر القاضي والداعي فبويع ابن ست ، ولِقّب المستعلي بالله وأكره أخوه الأكبر على بيعته ففرّ الى الاسكندَرِيّة بعد ثلاث ، وبها نصير الدولة أفتَكين مولى بدر الجمالي الذي سعى للأفضَلِ فانتقض وبايع لنزار بعهده ، ولُقِب المصطفى لدين الله .

وسار الافضل بالعساكر وحاصرهم بالاسكندرية ، واستنزلهم على الأمان وأعطاهم اليمين على ذلك ، واركب نزاراً السفن الى القاهرة وقتل بالقصر . وجاء الأفضل ومعه أفتكين أسيراً فاحضره يوماً ووبخه فهمّ بالردّ عليه فقتل بالضرب بالعصى ، وقال : لا يتناول اليمين هذه القتلة ، ويقال إنّ الحسين ابن الصبّاح رئيس الاسماعيلية بالعراق قصد المستنصر في زيّ تاجر وسأله إقامة الدعوة له ببلاد العجم فأذن له في ذلك ، وقال له الحسن من إمامي بعدك ؟ فقال : ابني نزار ! فسار ابن الصبّاح ودعا الناس ببلاد العجم اليه سراً . ثم أظهر أمره وملك القلاع

هنالك ، مثل قلعة الموت وغيرها كما نذكره في أخبار الإسماعيلية ، وهم من أجل هذا الخبر يقولون بامامة نزار .

ولما ولي المستعلي خرج ثغر عن طاعته وولي عليه واليه كشيلة ، وبعث المستعلي العساكر فحاصره ، ثم اقتحموا عليه ، وحملوه الى مصر فقتل بها سنة احدى وتسعين وأربعمائة . وكان تُتُش صاحب الشام قد مات ، واختلف بعده ابناه رضوان ودقاق ، وكان دقاق بدمشق ، ورضوان بحلب فخطب رضوان في أعماله للمستعلي بالله أياماً قلائل ثم عاودوا الخطبة للعباسيين .

استيلاء الفرنج على بيت المقدس

كان بيت المقدس قد أقطعه تاج الدولة تتش للأمير سُلَيمان بن أرتق التركماني ، وقارن ذلك استفحال الفرنج واستطالتهم على الشام ، وخروجهم سنة تسعين وأربعمائة ، ومرّوا بالقسطنطينية وعبروا خليجها وخلّى صاحب القسطنطينية سبيلها ليحولوا بينه وبين صاحب الشام من السلجوقية والغزّ فنازلوا أوّلاً انطاكية فأخذوها من يد باغيسيان ، من قواد السلجوقية ، وخرج منها هارباً فقتله بعض الأرمن في طريقه ، وجاء برأسه إلى الفرنج بأنطاكية. وعظم الخطب على عساكر الشام ، وسار كربوقا صاحب الموصل فنزل مرج دابق واجتمع اليه دقاق بن تُتُش ، وسليمان بن أرتق ،

وطَغْتَكين أتابك صاحب حمص ، وصاحب سنجار ، وجمعوا من كان هنالك من الترك والعرب ، وبادروا الى انطاكية لثلاثة عشر يوماً من حلول الفرنج بها .

وقد اجتمع ملوك الفرنج ومقدمهم بنميد ، وخرج الفرنج وتصادموا مع المسلمين فانهزم المسلمون ، وقتل الفرنج منهم ألوفا ، واستولوا على معسكرهم ، وساروا الى مَعَرّة النُعْمان ، وحاصروها أياماً ، وهربت حاميتها ، وقتلوا منها نحواً من مائة ألف ، وصالحهم ابن مُنقِذ على بلده شيزر ، وحاصروا حِمْصَ فصالحهم عليها جناح الدولة ، ثم حاصروا عكّة فامتنعت عليهم ، وادرك عساكر الغزّ من الوهن ما لا يعبر عنه فطمع أهل مصر فيهم ، وسار الأفضل بن بدر بالعساكر لاسترجاع بيت المقدس فحاصرها ، وبها سُقمان ، وأبو الغازي ابنا أرتق ، وابن أخيهما ياقوتي وابن عمهما سوتج ، ونصبوا عليها نيفا وأربعين منجنيقا ، وأقاموا عليها نيفاً وأربعين يوماً ثم ملكوها بالامان في سنة تسعين .

وأحسن الأفضل الى سقمان وأبي الغازي ومن معهما ، وخلّى سبيلهم ، فسار سقمان إلى بلد الرّها وأبو الغازي الى بلد العراق ، وولى الأفضل على بيت المقدس ، ورجع الى مِصْرَ ثم سارت الفَرَنج الى بيت المقدس وحاصروه نيفاً وأربعين يوماً ، ونصبوا عليه برجين ، ثم اقتحموها من الجانب الشماليّ لسبع بقين من شعبان ، واستباحوها أسبوعاً ، ولجأ المسلمون الى مِحْراب داود

عليه السلام ، واعتصموا به ، إلى أن استنزلهم الفَرَنج بالأمان ، وخرجوا إلى عسقلان ، وقتل بالمسجد عند الشجرة سبعون ألفاً ، وأخـذوا من المسجد نيفاً وأربعين قنديلًا من الفضة ، يزن كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة ، وتنوراً من الفضة يزن أربعين رطلًا بالشامي ، ومـائة وخمسين قنديلًا من الصُفر ، وغير ذلك مما لا يحصى . وأجفل أهل بيت المقدس وغيرهم من أهل الشام الى بغداد ، باكين على ما أصاب الاسلام ببيت المقدس من القتل والسَبي والنَهْب . وبعث الخليفة أعيان العلماء الى السلطان بَرْكِيارُق واخوته محمد وسنجر ، بالمسير الى الجهـاد فلم يتمكنوا من ذلك ، للخلاف الذي كان بينهم . ورجع الوفـد مؤيسين[1] من نصرهم . وجمع الأفضل أمير الجيوش بمصر العساكر ، وسار الى الفرنج فساروا اليهم وكبسوهم على غير أهبة فهزموهم . وافترق عسكر مصر ، وقد لاذوا بِجُمّ الشَعْراء هناك فاضرموها عليهم ناراً فاحترقوا وقتل من ظهر ، ورجع الفرنج الى عسقلان فحاصروها حتى أنزلوا لهم عشرين ألف دينار فارتحلوا .

وفاة المستعلي وولاية ابنه الآمر

ثم توفي المستعلي أبو القاسم أحمد بن المستنصر منتصف صفر

(١) كذا بالأصل والأصح : آيسين .

سنة خمس وتسعين لسبع سنين من خلافته ، فبويع ابنه أبو علي ابن خمس سنين ، ولقب الآمر بأحكام الله ، ولم يلِ الخلافة فيهم أصغر منه ، ومن المستنصر فكان هذا لا يقدر على ركوب الفرس وحده .

هزيمة الفرنج لعساكر مصر

ثم بعث الأفضل أمير الجيوش بمصر العساكر لقتال الفرنج مع سعد الدولة الفراسي أميراً ، مملوك أبيه ، فلقي الفَرَنج بين الرَّملة ويافا ، ومقدّمهم بغدوين[1] فقاتلهم ، وانهزم وقتل واستولى الفرنج على معسكره فبعث الافضل ابنه شرف المعالي في العساكر فبارزوهم قرب الرملة وهزمهم ، واختفى بغدوين في الشجر ، ونجا الى الرملة مع جماعة من زعماء الفرنج ، فحاصرهم شرف المعالي خمسة عشر يوماً حتى أخذهم فقتل منهم أربعمائة صبراً . وبعث ثلثمائة الى مصر ونجى بغدوين إلى يافا ، ووصل في البحر جموع من الفرنج للزيارة فندبهم بغدوين للغزو ، وسار بهم الى عَسْقَلان فهرب شرف المعالي وعاد الى أبيه . وملك الفرنج عسقلان ، وبعث العساكر في البرِّ مع تاج العجم مولى أبيه إلى عسقلان ، وبعث الأسطول في البحر الى يافا مع القاضي ابن

---

(١) هو بغدوين الأول: Baudouin 1er (١١٧١ ـ ١٢٠٦) قائد الحملة الصليبية الرابعة. امبراطور اللاتين على القسطنطينية. (١٢٠٤ ـ ١٢٠٥).

قادوس فبلغ الى يافا ، واستدعى تاج العجم وحبسه . وبعث جمال الملك من مواليه الى عسقلان مقدّم العساكر الشاميّة .

ثم بعث الأفضل سنة ثمان وتسعين ابنه سنا الملك حُسَيْن ، وأمر جمال الملك بالسير معه لقتال الفرنج فساروا في خمسة آلاف ، واستمدّوا طغتكين أتابك دمشق فأمدّهم بألف وثلثمائة ، ولقوا الفرنج بين عسقلان ويافا فتفانوا بالقتل ، وتحاجزوا ، وافترق المسلمون الى عسقلان ودِمَشق . وكان مع الفرنج بكتاش بن تتش ، عدل عنه طغتكين بالملك الى بني أخيه دقاق بن تتش فلحق بالافرنج مغاضباً .

استيلاء الفرنج على طرابلس وبيروت

كانت طرابلس رجعت الى صاحب مصر ، وكان يحاصرها من الفرنج ابن المرداني صاحب صيحيل ، والمدد يأتيهم من مصر . فلما كانت سنة ثلاث وخمسين وصل اسطول من الفرنج مع «ويمتدين» الى صيحيل ، من قامِصَتِهم فنزل على طرابلس ، وتشاجر مع المرداني فبادر بغدوين صاحب القدس ، وأصلح بينهم ونزلوا جميعاً على طرابلس ، وألصقوا أبراجهم بسورها ، وتأخرت الميرة عنهم من مصر في البحر لركود البحر فاقتحمها الفرنج عَنْوَةً ثاني الأضحى من سنة ثلاث وخمسين ، وقتلوا ونهبوا وأسروا وغنموا . وكان واليها قد استأمن قبل فتحها في جماعة من الجند

فلحقوا بدمشق ، ووصل الاسطول بالمدد وكفاية سنة من الاقوات بعد فتحها ففرقوه في صور وصيدا وبيروت ، واستولى الفرنج على معظم سواحل الشام . وانما خصصنا هذه بالذكر في الدولة العلوية لانها كانت من أعمالهم وسنذكر البقية في أخبار الفرنج ان شاء الله تعالى .

استرجاع أهل مصر عسقلان

كان الأمير قد استولى على عسقلان، وبهاقائدمن قواد شمس الخلافة فداخل بغدوين صاحب بيت المقدس من الفرنج وهاداه ليمتنع به على أهل مصر ، وجهز أمير الجيوش عسكراً من مصر للقبض عليه اذا حضر وشعر بذلك ، وانتقض ، وأخرج من عنده من أهل مصر ، وخاف الأفضل أن يسلم عسقلان الى الفرنج فاقرّه على عمله ، وارتاب شمس الخلافة بأهل عَسْقَلان واتخذ بطانة من الارمن فاستوحش أهل البلد فثاروا به وقتلوه ، وبعثوا الى الآمر والافضل بذلك فارسل اليهم الوالي من مصر ، وأحسن اليهم واستقامت أحوالهم . وحاصر بغدوين بعد ذلك مدينة صور وفيها عساكر الأرمن واشتدّ في حصارها بكل نوع وكان بها عز الملك الأعز من أولياء الأمر فاستمد طغتكين أتابك دمشق فأمده بنفسه وطال الحصار ، وحضر أوان الغلال فَخَشِيَ الفَرَنْج أن يفسد طغتكين غلال بلدهم فأفرجوا عنها الى عكا وكفى الله

شرهم . ثم زحف بغدوين ملك الفرنج من القدس الى مصر وبلغ سنتين ، وسبح في النيل فانتقض عليه جرح كان به ، وعاد الى القدس ومات ، وعهد بملك القدس للقَمَّص صاحب الرُّها ، ولولا ما نزال بملوك السُلْجُوقِيّة من الفتنة لكانوا قد استرجعوا من الفرنج جميع ما ملكوه من الشام . ولكنّ الله خبأ ذلك لصلاح الدين ابن أيّوب حتى فاز بذكره .

مقتل الأفضل

قد قدّمنا أنّ الآمر ولّاه الافضل صغيراً ابن خمس ، فلما استجمع واشتدّ تنكّر للافضل وثقلت وطأته عليه ، فانتقل الافضل الى مِصْرَ وبنى بها داراً ونزلها ، وخطب منه الافضل ابنته فزوّجها على كره منه ، وشاور الآمر أصحابه في قتله فقال له ابن عمه عبد المجيد ، وكان وليّ عهده لا تفعل ، وحذره سوء الأُحدوثة لما اشتهر بين الناس من نصحه ونصح أبيه وحسن ولايتها للدولة، ولا بدّ من إقامة غيره والاعتماد عليه فيتعرّض للحذر من مثلها الى الامتناع منه . ثم أشار عليه من مداخلة ثقته أبي عبدالله بن البطائحي في مثل ذلك فانه يحسن تدبيره ويضع عليه من يغتاله، ويقتل به فيسلم عرضك . وكان ابن البطائحي فَرّاشاً بالقصر ، واستخلصه الافضل ورقّاه واستَحْجَبَهُ فاستدعاه الآمر وداخله في ذلك ، ووعده بمكانه فوضع عليه رجلان فقتلاه بمصر ، وهو

سائر في موكبه من القاهرة متقلباً من خزانة السلاح في سنة خمس عشرة وخمسمائة ، كان يفرق السلاح على العادة في الاعياد ، وثار الغبار في طريقه فانفرد عن الموكب فبدره الرجلان وطعناه فسقط ، وقتلا ، وحمل الى داره وبه رمق فجاءه الآمر متوجعاً ، وسأله عن ماله فقال : أما الظاهر فأبو الحسن ابن أبي اسامة يعرفه ، وكان أبوه قاضياً بالقاهرة ، وأصله من حلب . وأمّا الباطن فانّ البطائحي يعرفه . ثم قضى الأفضل نحبه لثمان وعشرين سنة من وزارته ، واحتاط الآمر على داره فوجد له ستة آلاف كيس من الذهب العين ، وخمسين أردبـاً من الورق ، ومن الديبـاج الملوّن والمتاع البغدادي والاسكندري ، وطُرف الهند ، وأنواع الطيوب والعَنْبَر والمِسْك ما لا يحصى . حتى لقد كان من ذخائره دكة عاج وأبنوس محلّاه بالفِضَّة عليها عرم[1] متمن من العنبر زنته ألف رطل ، وعلى العرم مثل طائر من الذّهب برجلين مرجانـاً ومِنْقار زمرذا[2] ، وعينان ياقوتتان كان ينصبها في بيته ويضوع عرفها فيعم القصر وصارت الى صلاح الدين .

ولاية ابن البطائحي

قال ابن الاثير : كان أبوه من جواسيس الأفضل بالعراق ،

(١) كذا، وهي كلمة عامية، معناها: الدكة أو المكان المرتفع.
(٢) كذا، وهي إحدى اللهجات العامية، معناها: الزمرد.

ومات ولم يخلف شيئاً . ثم ماتت أمه وتركته معلقاً فتعلم البناء أوّلاً . ثم صار يحمل الأمتعة بالاسواق، ويدخل بها على الافضل فخف عليه واستخدمه مع الفراشين، وتقدّم عنده واستحجبه ولما قتل الأفضل ولاه الآمر مكانه وكان يعرف بابن فاتت، وابن القائد فدعاه الآمر جلال الاسلام، ثم خلع عليه بعد سنتين من ولايته للوزارة، ولقّبه المأمون فجرى على سنن الافضل في الاستبداد، ونكر ذلك الآمر، وتنكر له، واستوحش المأمون، وكان له أخ يلقب المؤتمن فاستأذن الآمر في بعثه الى الاسكندرية لحمايتها ليكون له ردءاً هنالك فأذن له، وسار معه القواد، وفيهم عليّ بن السلار، وتاج الملوك قائمين، وسنا الملك الجمل[٣] ودريّ الحروب وأمثالهم، وأقام المأمون على استيحاش من الآمر، وكثرت السعاية فيه وأنه يدّعي انه ولد نزار من جارية خرجت من القصر حاملاً به، وأنه بعث ابن نجيب الدولة الى اليَمَنِ يدعو له فبعث الآمر الى اليمن في استكشاف ذلك .

مقتل البطائحي

ولما كثرت السعاية فيه عند الآمر، وتوغّر صدره عليه، كتب الى القواد الذين كانوا مع أخيه بثغر الاسكندرية بالوصول

(٣) كذا في الأصل ولعله لقب من الألقاب.

الى دار الخلافة [(١)] فهمّ لذلك علي بن سلار فحضروا ، واستأذن المؤتمن بعدهم في الوصول فأذن له . وحضر رمضان من سنة تسع عشرة فجاؤا الى القصر للافطار على العادة ، ودخل المأمون والمؤتمن فقبض عليهما وحبسهما داخل القصر ، وجلس الآمر من الغد في إيوانه ، وقرأ عليه وعلى الناس كتاباً بتعديد ذنوبهم . وترك الآمر رتبة الوزارة خلواً ، وأقام رجلين من أصحاب الدواوين يستخرجان الأموال من الخراج والزكاة والمكس ، ثم عزلهما لظلمهما . ثم حضر الرسول الذي بعثه الى اليمن ليكشف خبر المأمون ، وحضر ابن نجيب وداعِيَتُه فقتل ، وقتل المأمون وأخوه المؤتمن .

مقتل الآمر وخلافة الحافظ

كان الآمر مؤثراً للذاته ، طموحاً الى المعالي وقاعداً عنها ، وكان يحدّث نفسه بالنهوض الى العراق في كل وقت ، ثم يقصر عنه ، وكان يقرض الشعر قليلًا ومن قوله :

أَصبَحْتُ لا أَرجو ولا أَلقى ... إلّا إلهي وله الفَضلُ

جدّي نبي وإمامي أبي ... ومذهبي التوحيدُ والعدلُ

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثيرج ٨ ص ٣١٩ ذكر قتل المأمون البطائحي : وأما سبب قتله فإنه كان قد أرسل الأمير جعفراً أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة ، وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة وكان خصيصاً بالآمر، قريباً منه ، وقد ناله من الوزير أذى واطراح فحضر عند الآمر وأعلمه الحال فقبض عليه وصلبه .

وكانت الفداوِيّة تحاول قتله فيتحرّز منهم ، واتفق أن عشرة منهم اجتمعوا في بيت ، وركب بعض الأيام الى الروضة ، ومرّ على الجسر بين الجزيرة ومِصر فسبقوه فوقفوا في طريقه . فلما توسط الجسر انفرد عن الموكب لضيقه فوثبوا عليه ، وطعنوه وقُتِلوا لحينهم ، ومات هو قبل الوصول الى منزله سنة أربع وعشرين وخمسمائة لتسع وعشرين سنة ونصف من خلافته . وكان قد استخلص مملوكين ، وهما بُرْغُش العادِل ، وبرعوارد هزبر الملوك ، وكان يؤثر العادل منهما ، فلما مات الآمر تحيلوا في قيام المأمون عبد الحميد[1] بالأمر ، وكان أقرب القرابة سناً وأبوه أبو القاسم بن المستضيء معه ؛ وقالوا ان الآمر أوصى بأن فلانة حامل فدلته الرؤيا بأنها تلد ذكراً فهو الخليفة بعدي ، وكفالته لعبد الحميد فأقاموه كافلاً ولقّبوه الحافظ لدين الله ؛ وذكروا من الوصية أن يكون هزبر الملوك وزيراً والسعيدباس من موالي الافضل صاحب الباب ، وقرأوا السجل بذلك في دار الخلافة .

---

(١) كذا، والعبارة مشوشة، وفي الكامل ج ٨ ص ٣٣١ : في هذه السنة (أربع وعشرين وخمسمائة) ثاني ذي القعدة قتل الآمر بأحكام الله أبو علي بن المستعلي العلوي صاحب مصر، خرج إلى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لأنه كان سيىء السيرة في رعيته، وكانت ولايته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر، وعمره أربعاً وثلاثين سنة، وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله الذي ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية . وهو أيضاً العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدي أيضاً. ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولي بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله، وإنما بويع له لينظر في الأمر نيابة حتى يكشف عن حمل إن كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائباً عنه. ومولد الحافظ بعسقلان لأن أباه خرج من مصر إليها في الشدة فأقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك.

ولاية أبي علي بن الأفضل الوزارة ومقتله

ولما تقرر الأمر على وزارة هزبر الملوك ، وخلع عليه أنكر ذلك الجند ، وتولى كِبَر ذلك رِضْوان بن ولخش كبيرهم . وكان أبو علي بن الأفضَل حاضراً بالقصر فحثّه بُرْغُش العادل على الخروج حسداً لصاحبه ، وأوجد له السبيل الى ذلك فخرج ، وتعلق به الجند ، وقالوا : هذا الوزير ابن الوزير ، وتنصل فلم يقبلوا ، وضربوا له خيمةً بين القصرين ، وأحدقوا به ، وأغلقت أبواب القصر فتسوّروه ، وولجوا من طيقانه . واضطر الحافظ الى عزل هزبر الملوك ، ثم قتله وولي أبو علي أحمد بن الأفضل الوزارة ، وجلس بدست أبيه ، وردّ الناس أموال الوزارة المقضية . واستبدّ على الحافظ ومنعه من التصرف ، ونقل الاموال من الذخائر والقصر الى داره ، وكان امامياً متشدداً فاشار عليه الامامِيَّة باقامة الدعوة للقائم المنتظر . وضرب الدراهم باسمه دون الدنانير . ونقش عليها الله الصمد الامام محمد ، وهو الامام المنتظر .

وأسقط ذكر اسمعيل من الدعاء على المنابر ، وذكر الحافظ ، وأسقط من الاذان حيَّ على خَيْرَ العَمَل . ونعت نفسه بنعوتٍ أمر الخطباء بذكرها على المنابر . وأراد قتل الحافظ بن قتله الآمر من اخوته ، فان الآمر أجحفهم عند نكبة الأفضل ، وقتلهم فلم يقدر أبو علي على قتله ، فخلعه واعتقله . وركب بنفسه في المواسم ،

وخطب للقائم مموهاً فتنكر له أولياء الشيعة ومماليك الخلفاء. وداخل يونس الجند من كتامة وغيرهم في شأنه، واتفقوا على قتله. وترصد له قوم من الجند فاعترضوه خارج البلد، وهو في موكبه، وهم يتلاعبون على الخيل. ثم اعتمدوه فطعنوه وقتلوه، وأخرجوا الحافظ من معتقله، وجددوا له البيعة بالخلافة، ونهب دار أبي علي. وركب الحافظ وحمل ما بقي فيها الى القصر. واستوزر أبا الفتح يانساً الحافظي، ولقّبه أمير الجيوش، وكان عظيم الهيبة بعيد الغور، واستبد عليه، فاستوحش كل منهما بصاحبه. ويقال ان الحاكم وضع له سمّاً في المستراح هلك به، وذلك آخر ذي الحجة سنة ست وعشرين.

ولما هلك يانس، أراد الحافظ أن يخلي دست الوزارة ليستريح من التعب الذي عرض منهم للدولة، وأجمع أن يفوّض الأمور الى ولده، وفوّض الى ابنه سليمان. ومات لشهرين فأقام ابنه الآخر حسناً فحدّثته نفسه بالخلافة، وعزم على اعتقال أبيه، وداخل الاجناد في ذلك فاطاعوه، واطلع أبوه على أمره ففتك بهم. يقال انه قتل منهم في ليلة أربعين، وبعث أبوه خادماً من القصر لقتله فهزمه حسن، وبقي الحافظ محجوراً، وفسد أمره، وبعث حسن بهرام الارمني لحشد الأرمن ليستظهر بهم على الجند، وثاروا بحَسَن وطلبوه من أبيه، ووقفوا بين القصرين، وجمعوا

الحطب لاحراق القصر . واستبشع الحافظ قتله بالحديد ، فامر طبيبه ابن فرقة عنه[1] في ذلك سنة تسع وعشرين .

وزارة بهرام ورضوان بعده

ولما مات حسن بن الحافظ ، ورحل بهرام لحشد الارمن ، اجتمع الجند وكان بهرام كبيرهم وراودوا الحافظ على وزارته فوافقهم ، وخلع عليه ، وفوّض اليه الامور السلطانية ، واستثنى عليه الشرعية ، وتبعه تاج الدولة افتكين في الدولة ، واستعمل الارمن ، وأهانوا المسلمين ، وكان رضوان بن ولخيس صاحب الباب ، وهو الشجاع الكاتب من أولياء الدولة ، وكان ينكر على بهرام ويهزأ به فولاه بهرام الغربية ، ثم جمع رضوان وأتى الى القاهرة ففرّ بهرام وقصد قوص في ألفين من الأرمن ، ووجد أخاه قتيلًا فلم يعرض لاهل قوص ، وباء بحق الخلافة ، وصعد الى اسوان فامتنعت عليه بكنز الدولة . ثم بعث رضوان العساكر في طلبه مع أخيه الأكبر ، وهو ابراهيم الأوحد فاستنزله على الامان لهوللارمن الذين معه . وجاء به فأنزله الحافظ في القصر الى

(١) كذا بالأصل وهي عبارة مشوشة لا يفهم منها شيء وفي الكامل ج ٨ ص ٣٤٧ : فأحضر طبيبين كانا له ، أحدهما مسلم والآخر يهودي فقال لليهودي : نريد سماً نسقيه لهذا الولد ليموت ونخلص من هذه الحادثة ! فقال : أنا لا أعرف غير النقوع وماء الشعير وما شاكل هذا من الأدوية فقال : أنا أريد ما أخلص به من هذه المصيبة . فقال له : لا أعرف شيئاً . فأحضر المسلم وأمره بذلك فصنع له شيئاً فسقاه الولد فمات لوقته .

أن مات على دينه ، واستقرّ رضوان في الوزارة ، ولقب بالافضل وكان سنيا ، وكان أخوه ابراهيم إماميًا فأراد الاستبداد ، وأخذ في تقديم معارفه سيفاً وقلماً . وأسقط المكوس ، وعاقب من تصدّى لها فتغير له الخليفة فاراد خلعه ، وشاور في ذلك داعي الدعاة وفقهاء الامامية فلم يعينوه في ذلك بشيء .

وفطن له الحافظ فدسّ خمسين فارساً ينادون في الطرقات بالثورة عليه ، وينهضون باسم الحافظ فركب لوقته هارباً منتصف شوّال سنة ثلاث وثلاثين ، ونهبت داره ، وركب الحافظ ، وسكن الناس ، ونقل ما فيها الى قصره . وسار رضوان يريد الشام ليستنجد الترك ، وكان في جملته شاور ، وهو من مصطفيه وأرسل الحافظ الامير بن مصال ليردّه على الامان فرجع وحبس في القصر ، وقيل وصل الى سرخد فأكرمه صاحبها أمين الدولة كمستكين ، وأقام عنده ثم رجع الى مصر سنة أربع وثلاثين فقاتلهم عند باب القصر وهزمهم . ثم افترق عنه أصحابه وأرادوا العود الى الشام فبعث عنه الحافظ بن مصال ، وحبسه بالقصر الى سنة ثلاث وأربعين فنقب الحبس وهرب الى الجيزة ، وجمع المغاربة وغيرهم ، ورجع الى القاهرة فقاتلهم عند جامع ابن طولون وهزمهم . ثم دخل القاهرة ، ونزل عند جامع الأقمر ، وأرسل الى الحافظ في المال ليفرّقه فبعث عشرين ألفاً على عادتهم مع الوزير ، ثم استزاد عشرين وعشرين . وفي خلال ذلك وضع

الحافظ عليه جمعاً كثيراً من السودان فحملوا عليه وقتلوه ، وجاؤا برأسه الي الحافظ . واستمرّ الحافظ في دولته مباشراً لاموره وأخلى رتبة الوزارة فلم يولّ أحداً بعده .

وفاة الحافظ وولاية ابنه الظافر

ثم توفي الحافظ لدين الله عبد الحميد بن الامير أبي القاسم ، أحمد بن المستنصر ، سنة أربع وأربعين لتسع عشرة سنة ونصف من خلافته ، وعن أبي العالية يقال بلغ عمره سبعاً وسبعين سنة ، ولم يزل في خلافته محجور الوزارة ، ولما مات ولي بعده ابنه أبو منصور اسمعيل بعهده اليه بذلك ، ولقب الظافر بأمر الله .

وزارة ابن مصال ثم ابن السلار

كان الحافظ لما عهد لابنه الظافر أوصاه بوزارة ابن مصال فاستوزره أربعين يوماً ، وكان علي بن السلار والياً على الاسكندرية ، ومعه بلارة بنت عمه القاسم ، وابنه منها عباس وتزوّجت بعده بابن السلار[1] ، وشب عباس ، وتقدّم عند الحافظ

---

(١) كذا بالأصل ويظهر أن هنا عبارة سقطت أثناء النسخ أو أثناء الطبع ، لأن العبارة لا ارتباط بها . وفي الكامل ج ٩ ص ٢٤ : واستوزر ابن مصال فبقي أربعين يوماً يدبر الأمور فقصده العادل بن السلار من ثغر الاسكندرية ونازعه في الوزارة وكان ابن مصال قد خرج من القاهرة في طلب بعض المفسدين من السودان فخالفه العادل بالقاهرة وصار وزيراً وسير عباس بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي في عسكره وهو ربيب العادل إلى ابن مصال =

حتى ولي الغربية فلم يرضَ ابن السلار وزارة ابن مصال ، واتفق مع عباس على عزله ، وبلغ الخبر الى ابن مصال فشكا الى الظافر فلم يشكِهِ فقال ذوو الحروب : ليس هنا من يقاتل ابن السلار فغضب الظافر ، ودس عليه من بني علي مصلحيه فخرج الى الصعيد وقدم ابن السلار الى القاهرة فاستوزره الظافر ، وهو منكر له ، ولقبه العادل . وبعث العساكر مع العباس ربيبه في اتباع ابن مصال فخرج في طلبه .

وكان جماعة من لواتة السودان فتحصنوا من عباس في جامع دولام فأحرقه عليهم ، وقتل ابن مصال وجاء برأسه . وقام ابن سلار بالدولة وحفظ النواميس وشدّ من مذاهبه أهله . وكان الخليفة مستوحشاً منه منكراً له ، وهو مبالغ في النصيحة والخدمة . واستخدم الرجالة لحراسته فارتاب له صبيان الخاص من حاشية الخليفة فاعتزموا على قتله ونمي ذلك اليه فقبض على رؤسهم فحبسهم ، وقتل جماعة منهم وافترقوا ، ولم يقدر الظافر

=فظفر به وقتله وعاد إلى القاهرة واستقر العادل وتمكن ولم يكن للخليفة معه حكم. وأما سبب وصول عباس إلى مصر فإن جده يحيى أخرج أبا الفتوح من المهدية فلما توفي يحيى وولي بعده بلاد أفريقية ابنه علي بن يحيى بن تميم بن يحيى صاحب افريقية أخرج أخاه أبا الفتوح والد عباس من أفريقية سنة تسع وخمسمائة فسار إلى الديار المصرية ومعه زوجته بلاره ابنة القاسم بن تميم بن المعز باديس وولده عباس هذا هو صغير يرضع. ونزل أبو الفتوح الاسكندرية فأكرم وأقام بها مدة يسيرة وتوفي وتزوجت بعده امرأته بلارة بالعادل بن السلار، وشب العباس، وتقدم عند الظافر حتى ولي الوزارة بعد العادل. فإن العادل قتل في المحرم سنة ثمان وأربعين، قبل وضع ربيبه عباس من قتله فلما قتل ولي الوزارة بعده وتمكن منها وان جلداً حازماً.

على انكار ذلك . واحتفل ابن السلار بأمر عسقلان ، ومنعها من الفرنج ، وبعث اليها بالمدد كل حين من الأقوات والاسلحة فلم يغن ذلك عنها ، وملكها الفرنج ، وكان لذلك من الوهن على الدولة ما تحدّث به الناس .

ولما قتل العادل بن السلار صبيان الخاص تأكدّ نكر الخليفة له ، واشتدّ قلقه . وكان عبّاس بن أبي الفتوح صديقاً ملاطفاً له فكان يسكنه ويهديه . وكان لعباس ولد اسمه نصير ، استخصه الظافر واستدناه ، ويقال كان يهواه ففاوض العادل عباسا في شأن ابنه، عن مخالطة ابنه للظافر فلم ينته ابنه ، فنهى العادل جدّته عن السماح للولد أن يدخل الى بيته فشق ذلك على نصير وعلى أبيه ، وتنكر للعادل . وزحف الفرنج الى عسقلان فجهز العادل الجيوش والعساكر اليها مدداً مع ما كان يمدّها به ، وبعثهم مع عباس ابن أبي الفتوح فارتاب لذلك ، وفاوض الظافر في قتل العادل وحضر معهم مؤيّداً لدولة الامير أسامة بن منقذ أحد أمراء شيزر وكان مُقرّباً عند الظافر ، وصديقاً لعباس فاستصوب ذلك وحث عليه ، وخرج عباس بالعساكر الى بلبيس ، وأوصى ابنه نصير بقتله فجاء في جماعة الى بيت جدّته ، والعادل نائم فدخل اليه وضربه فلم يجهز عليه ، وخرج الى أصحابه . ثم دخلوا جميعاً فقتلوه وجاؤا برأسه الى الظافر ، ورجع عباس من بلبيس بالعساكر فاستوزره الظافر ، وقام بالدولة ، وأحسن الى الناس

وأيس أهل عسقلان من المدد فاسلموا أنفسهم وبلدهم بعد حصار طويل ، وكان ذلك كله سنة ثمان وأربعين .

مقتل الظافر وأخويه وولاية ابنه الفائز

ولما وزر عباس للظافر ، وقام بالدولة ، كان ولده نصير من ندمان الظافر ، وكان يهواه كما تقدم . وكان أسامة بن منقذ من خاصاء عباس وأصدقائه فقبح عليه سوء المقالة في ابنه ، وأشار عليه بقتل الظافر فاستدعى ابنه نصيرا وقبح عليه في شناعة الأحدوثة فيه بين الناس ، وأغراه باغتيال الظافر ليمحو عنه ما يتحدث به الناس فسأل نصير من الظافر أن يأتي الى بيته في دعوة فركب من القصر اليه فقتله نصير ، ومن جاء معه ، ودفنهم في داره وذلك في محرم سنة تسع وأربعين وباكر إلى القصر ، ولم ير الظافر ، وسأل خدّام القصر فأحسن المذر ، ورجع الى اخوي الظافر يوسف وجبريل فخبرهما بركوب الظافر الى دار نصير فقالا له : خبّر الوزير . فلما جاء عباس من الغد اخبره بأنه ركب الى بيت نصير ابنه ، ولم يعد فاستشاط غيظاً عليه ، ورماه بأنه داخل أخَوَيْهِ في قتله . ثم استدعاهما فقتلهما ، وقتل معهما ابنا هنالك لحسن بن الحافظ . ثم أخرج ابنه أبا القاسم عيسى ابن خمس سنين ، وحمله على كتفه ، وأجلسه على سرير الملك ، وبايع له بالخلافة ، ولقبه الفائز بالله ونقل عباس بسبب ذلك ما في القصر

من الأموال والذخائر ما لا حدّ له . وعند خروجه بأخويه رأى القتلى فاضطرب وفزع ، وبقي سائر أيامه يعتاده الصرع .

وزارة الصالح بن رزيك

ولما قتل الظافر وأخواه كما ذكرناه ، كتب النساء من القصر الى طلائع بن رُزِّيك[1] وكان والياً على الأشمونين ، والبَهْنَسَة . وجاء الخبر بأنّ الناس اختلفوا على عباس بسبب ذلك فجمع وقصد القاهرة ولبس السواد حزناً ، ورفع على الرماح الشعور التي بعث بها النساء حزناً . ولما عبر البحر خرج عباس وولده ، ودفعوا ما قدروا عليه من مال وسلاح من حاصل الدولة ، ومعها صديقهما أسامة بن منقذ فاعترضهم الفرنج ، وقاتلوا فقتل عباس ، وأسر ولده ، ونجا أسامة الى الشام . ودخل طلائع القاهرة في ربيع سنة تسع وخمسين ، وجاء الى القصر راجلاً . ثم مضى الى دار عباس ومعه الخادم الذي حضر لقتله فاستخرجه من التراب ، ودفنه عند آبائه ، وخلع الفائز عليه الوزارة ولقبه الصالح . وكان إمامياً كاتباً أديباً فقام بأمر الدولة ، وشرع في جمع الأموال والنظر في الولايات . وكان الأوحد بن تميم من قرابة عباس والياً على تنيس ، وكان لما سمع بفعله قريبه عباس جمع وقصد القاهرة

(١) رزيك بضم الراء وتشديد الزاي المكسورة وسكون المثناة التحتية بعدها كاف. قاله ابن خلكان. ا هـ.

فسبقه طلائع ؛ فلما استقل بالوزارة أعاده الى عمله بدمياط وتنيس . ثم بعث في فداء نصير بن عباس من الفرنج فجيء به وقتله ، وصلبه بباب زويله . ثم نظر في المزاحمين من أهل الدولة ، ولم يكن أرفع رتبة من تاج الملوك قايماز ، وابن غالب فوضع عليهما الجند فطلبوهما فهربا ، ونهب دورهما وتتبع كبراء الامراء بمثل ذلك حتى خلا الجو ، ووضع الرقباء والحجاب على القصر ، وثقلت وطأته على الحرم ، ودبرت عمة الفائز في قتل الصالح ، وفرقت الاموال في ذلك . ونمي الخبر اليه فجاء الى القصر ، وأمر الاستاذين والصقالبة بقتلها فقتلوها سراً ، وصار الفائز في كفالة عمته الصغرى ، وعظم اشتداد الفائز واستفحل أمره ، وأعطى الولايات للامراء ، واتخذ مجلساً لاهل الادب يسامرون فيه ، وكان يقرض الشعر ولا يجيده . وولى شاور السعدي على قرضه ، وأشار عليه حجابه بصرفه ، واستقدمه فامتنع وقال : إن عزلني دخلت بلاد النُوبَة . وعلى عهده كان استيلاء نور الدين محمود الملك العادل على دِمَشق من يد ابن طغتكين أتابك تُتش ، سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

وفاة الفائز وولاية العاضد

ثم توفي الفائز بنصرالله ، ابو القاسم عيسى بن الظافر اسمعيل ، سنة خمس وخمسين ، لست سنين من خلافته فجاء الصالح بن

رُزّيك الى القصر ، وطلب الخدّام باحضار أبناء الخلفاء ليختار منهم ، وعدل عن كبرائهم الى صُغَرائهم لمكان استبداده فوقع اختياره على أبي محمد عبدالله بن يوسف قتيل عباس فبايع له بالخلافة ، وهو غلام ، ولقبه العاضد لدين الله ، وزوّجه ابنته وجهزها بما لم يسمع بمثله .

مقتل الصالح بن رزيك وولاية ابنه رزيك

ولما استفحل أمر الصالح ، وعظم استبداده بجباية الاموال والتصرف ، وحجر العاضد تنكر له الحرم ودس الى الامراء بقتله . وتولّت كبر ذلك عمة العاضد الصغرى التي كانت كافلة الفائز بعد أختها . واجتمع قوم من القوّاد والسودان ، منهم الريفي الخادم ، وابن الداعي والأمير بن قوام الدولة ، وكان صاحب الباب ؛ وتواطؤا على قتله ، ووقفوا في دهليز القصر ، وأخرج ابن قوام الدولة الناس امامه وهو خارج من القصر ، واستوقفه عنبر الريفي يحادثه ، وتقدّم ابنه رزيك فوثب عليه جماعة منهم وجرحوه ، وضرب ابن الداعي الصالح فأثبته ، وحمل الى داره فبقي يجود بنفسه يومه ذلك . واذا أفاق يقول رحمك الله يا عبّاس ومات من الغد . وبعث الى العاضد يعاتبه على ذلك فحلف على البراءة من ذلك ، ونسبه الى العمة ، وأحضر ابنه رزيك وولاه الوزارة مكان أبيه ، ولقبه العادل فأذن له في الاخذ

بثأره فقتل العمّة ، وابن قوام الدولة ، والاستاذ عنبر الريفي ، وقام بحمل الدولة ؛ وأشير عليه بصرف شاور من قوص ، وقد كان أبوه أوصاه ببقائه وقال له قد ندمت على ولايته ، ولم يمكني عزله فصرفه ، وولى مكانه الامير بن الرفعة فاضطرب شاور وخرج الى طريق الواحات ، وجمع وقصد القاهرة ، وجاء الخبر الى رزيك فعجز عن لقائه ، وخرج في جماعة من غلمانه بعدة أحمال من المال والثياب والجوهر ، وانتهى الى طفيحة ، واعترضه ابن النضر ، وقبض عليه ، وجاء به الى شاور فاعتقله ، واعتقل معه أخاه فأراد الهرب من محبسه فوشى به أخوه فقتل لسنة من ولايته ، ولتسع سنين من ولاية أبيه .

وزارة شاور ثم الضرغام من بعده

ودخل شاور القاهرة سنة ثمان وخمسين ، ونزل بدار سعيد السعداء ومعه ولده طَيّ ، وشجاع والطازي ، وولاه العاضد الوزارة ولقبه أمير الجيوش ، وأمكنه من أموال بني رزيك فاستصفى معظمها ، وزاد أهل الرواتب والجرايات عشرة أمثالها ، واحتجب عن الناس ، وكان الصالح بن رزيك قد أنشأ في لواتة أمراء يسمّون البرقية ، وكان مقدّمهم الضرغام ، وكان صاحب الباب فنازع شاور في الوزارة لتسعة أشهر من ولايته ، وثار عليه وأخرجه من القاهرة فلحق بالشام ، وقتل ولده علياً وكثيراً

من أمراء المصريين ، حتى ضعفت الدولة ، وخلت من الاعيان ، وأدى ذلك الى خرابها .

مسير شيركوه وعساكر نور الدين الى مصر مع شاور

ولما لحق شاور الى الشام نزل على الملك العادل نور الدين بدمشق صريخاً ، وشرط له ثلث الجباية على أن يقيم له العساكر. وجهز نور الدين شيركوه وكان مقدّماً في دولته ويذكر سبب اتصاله به في موضعه فساروا في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين، وقد تقدّم نور الدين الى أسد الدين شيركوه بأن يعيد شاور الى وزارته ، وينتقم له ممن نازعه ، وسار نور الدين بعساكره الى طرف بلاد الفرَنج ليمنعهم من اعتراض أسد الدين إن همّوا به ، ولما وصل أسد الدين وشاور الى بلبيس ، لقيهم ناصر الدين همام ، وفخر الدين همام أخو الضرغام في عساكر مصر فهزموه ، ورجع الى القاهرة ، وقتل رفقاؤه الامراء البرقية الذين أغروه بشاور . ودخل أسد الدين القاهرة ، ومعه أخو الضرغام أسيراً ، وفرّ الضرغام فقتل بالجسر عند مشهد السيدة نفيسة ، وقتل أخواه ، وعاد شاور الى وزارته ، وتمكن منها . ثم نكث عهده مع أسد الدين وسلطانه وصرفه الى الشام .

فتنة أسد الدين مع شاور وحصاره

ولما رجع أسد الدين من مصر الى الشام ، أقام بها في خدمة نور الدين . ثم استأذن نور الدين العادل سنة اثنتين وستين في العود الى مصر فأذن له ، وجهزه في العساكر وسار الى مصر ، ونازل بلاد الفرنج في طريقه . ثم وصل الى اطفيح من ديار مصر ، وعبر النيل الى الجانب الغربي ، ونزل الجيزة ، وتصرّف في البلا الغربية نيفاً وخمسين واستمدّ شاور الفرنج ، وجاء بهم الى مصر ، وخرج معهم للقاء أسد الدين شيركوه فأدركوه بالصعيد فرجع للقائهم على رهب لكثرة عددهم ، وصدقهم القتال فهزمهم على قِلّة من معه فانهم لم يبلغوا ألفي فارس . ثم سار الى الاسكندرية ، وهو يجبي الأموال في طريقه إلى أن وصلها فاستأمن أهلها ، وملكها ، وولى عليها صلاح الدين يوسف بن أخيه نجم الدين أيّوب ، ورجع الى جباية الصعيد . واجتمعت عساكر مصر والفرنج على القاهرة ، وأزاحوا عللهم وساروا الى الاسكَنْدَرِيَّة وحاصروا بها صلاح الدين فسار أسد الدين اليهم من الصعيد ، ثم خذله بعض من معه من التركمان بمداخلة شاور ، وبعثوا له اثر ذلك في الصلح فصالحهم وردّ اليهم الاسكندرية ، ورجع الى دمشق فدخلها آخر ذي القعدة من سنة اثنتين وستين . واستطال الفرنج على أهل مصر ، وشرطوا عليهم أن ينزلوا بالقاهرة وشحْنَة ،

وأن تكون أبوابها بأيديهم لئلا تدخل عساكر نور الدين ، وقرّر ضريبة يحملها كل سنة فأجابه الى ذلك[١]

رجوع أسد الدين الى مصر ومقتل شاور ووزارته

ثم طمع الافرنج في مصر ، واستطالوا على أهلها ، وملكوا بلبيس ، واعتزموا على قصد القاهرة . وأمر شاور بتخريب مصر خشية عليها منهم فحرقت ونهب أهلها ، ونزل الفرنج على القاهرة وأرسل العاضِدُ الى نور الدين يستنجده ، وخشي شاور من اتفاق العاضد ونور الدين فداخل الفرنج في الصلح على ألفي ألف دينار مصرية معجلة ، وعشرة آلاف إرْدَب من الزرع ، وحذَّرهم أمر القهر الى ذلك ، وكان فيه السفير الجليس بن عبد القوي ، وكان الشيخ الموفق كاتب السر ، وكان العاضد قد أمرهم بالرجوع الى رأيه [٢] وقال : هو ربّ الحرمة علينا وعلى آبائنا ،

---

(١) ينبغي أن يعود الضمير إلى الفرنج وهو غير مفهوم بشكله الحالي.

وفي الكامل ج ٩ ص ٩٦ : وأما الفرنج فإنهم استقر بينهم وبين المصريين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة، وتكون أبوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من إنفاذ عسكر إليهم، ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار، هذا كله استقر مع شاور فإن العاضد لم يكن له معه حكم، لأنه قد حجر عليه وحجبه عن الأمور كلها وعاد الفرنج إلى بلادهم بالساحل الشامي وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم. وكان الكامل شجاع بن شاور قد أرسل إلى نور الدين مع بعض الأمراء ينهي محبته وولاءه ويسأله الدخول في طاعته،وضمن له على نفسه أنه يفعل هذا، وبذل ما لا يحمله كلّ سنة فأجابه إلى ذلك ، وحمل إليه مالاً جزيلاً، فبقي الأمر على ذلك إلى أن قصد الفرنج مصر سنة أربع وستين وخمسمائة.

(٢) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ١٠١ : وأما أهل القاهرة فالأغلب على أهلها الجند وغلمانهم فلهذا تعذرت عليهم الأموال، وهم في خلال ذلك يراسلون نور الدين بما =

وأهل النصيحة لنا . فأمر الكامل شجاع بن شاور القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني أن يأتيه ، ويشاوره فقال له قل لمولانا يعني العاضد انّ تقرير الجزية للفرنج خير من دخول الغُزّ للبلاد ، واطلاعهم على الاحوال .

ثم بعث نور الدين العساكر مع أسد الدين شيركوه مدداً للعاضد كما سأل ، وبعث معه صلاح الدين ابن أخيه ، وجماعة الامراء فلما سمع الفرنج بوصولهم أفرجوا عن القاهرة ورجعوا الى بلادهم .

وقال ابن الطويل ، مؤرخ دولة العبيديين : انه هزمهم على القاهرة ، ونهب معسكرهم ، ودخل أسد الدين الى القاهرة في جمادى سنة أربع وستين ، وخلع عليه العاضد ورجع الى معسكره ، وفرضت له الجرايات . وبقي شاور على ريبة وخوف ، وهو يماطله فيما يعين له من الاموال . ودس العاضد الى أسد الدين بقتل شاور وقال : هذا غلامنا ، ولا خير لك في بقائه ، ولا لنا فبعث عليه صلاح الدين بن أخيه ، وعز الدين خرديك . وجاء شاور الى أسد الدين على عادته فوجده عند قبر الامام الشافعي

= الناس فيه، وبذلوا له ثلث بلاد مصر، وأن يكون أسد الدين مقيماً عندهم في عسكر، واقطاعهم من البلاد المصرية أيضاً خارجاً عن الثلث الذي لهم. وكان نور الدين لما وصله كتب العاضد بحلب أرسل إلى أسد الدين يستدعيه إليه، وأمر بالتجهيز إلى مصر.

فسار اليه هنالك فاعترضه صلاح الدين وخرديك فقتلاه ، وبعثا برأسه الى العاضد ، ونهبت العامة دوره ، واعتقل ابناه شجاع والطازي ، وجماعة من أصحابه بالقصر ، وخلع عليه للوزارة ، ولقب المنصور أمير الجيوش ، وجلس في دست الوزارة واستقرّ في الأمر ، وغلب على الدولة ، وأقطع البلاد لعساكره . واستعدّ أصحابه في ولايتها ، وردّ أهل مصر الى بلدهم ، وأنكر ما فعلوه في تخريبها . ثم اجتمع بالعاضد مرّة أخرى وقال له جوهر الاستاذ : يقول لك مولانا لقد تيقنا انّ الله ادخرك نصرة لنا على أعدائنا فحلف له اسد الدين على النصيحة فقال له : الأمل فيك أعظم ، وخلع عليه ، وحسن عنده موقع الجليس بن عبد القوي ، وكان داعي الدعاة وقاضي القضاة فأبقاه على مراتبه .

وفاة أسد الدين وولاية صلاح الدين الوزارة

ثم توفي أسد الدين رحمه الله تعالى لشهرين في أيام قلائل من وزارته ، وقيل لاحد عشر شهراً ، وأوصى أصحابه أن لا يفارقوا القاهرة . ولما توفي كان معه جماعة من الأمراء النورية ، منهم عين الدولة الفاروقي ، وقطب الدين نسال ، وعين الدين المشطوب الهكاويّ ، وشهاب الدين محمود الحازمي فتنازعوا في طلب الرياسة ، وفي الوزارة ، وجمع كل أصحابه للمغالبة . ومال العاضد الى صلاح الدين لصغره وضعفه عنهم ، ووافقه أهل دولته على ذلك ، بعد

أن ذهب كثير منهم الى دفع الغزّ وعساكرهم الى الشرقية ، ويولى عليهم قراقوش . ومال آخرون الى وزارة صلاح الدين ، ومال العاضد الى ذلك لمكافأته عن خدمته السالفة فاستدعاه ، وولاه الوزارة ، واضطرب أصحابه . وكان الفقيه عيسى المكاري من خلصاء صلاح الدين فاستمالهم اليه الا عين الدولة الفاروقي فانه سار الى الشام ، وقام صلاح الدين بوزارة مصر نائباً عن نور الدين يكاتبه بالامير الاصفهسان ، ويشركه في الكتاب مع كافة الامراء بالديار المصرية . ثم استبد صلاح الدين بالأمور ، وضعف أمر العاضد ، وهدم دار المعرفة بمصر ، وكانت حبساً . وبناها مدرسة للشافعيّة ، وبنى دار الغزل كذلك للمالكيّة ، وعزل قضاة الشيعة ، وأقام قاضياً شافعياً في مصر ، واستناب في جميع البلاد .

حصار الفرنج دمياط

ولما جاء أسد الدين وأصحابه الى مِصْر ، وملكوها ودفعوهم عنها ، ندموا على ما فرّطوا فيها ، وانقطع عنهم ما كان يصل اليهم ، وخشوا غائلة الغُزّ على بيت المقدس ، وكاتبوا الفرنج بصِقلِّية والاندلس ، واستنجدوهم ، وجاءهم المدد من كل ناحية فنازلوا دمياط سنة خمس وستين ، وبها شمس الخواص منكورين فأمدّها صلاح الدين بالعساكر والاموال ، مع بهاء الدين قراقوش وأمراء الغز ، واستمدّ نور الدين ، واعتذر عن المسير اليها بشأن

مصر والشيعة فبعث نور الدين العساكر اليها شيئاً فشيئاً ، وسار بنفسه إلى بلاد الفرنج بسواحل الشام فضيّق عليها ، فاقلع الفرنج عن دمياط لخمسين يوماً من نزولها فوجدوا بلادهم خراباً . وأثنى العاضد على صلاح الدين في ذلك . ثم بعث صلاح الدين غرابيه[1] نجم الدين وأصحابه الى مصر وركب العاضد للقائة تكرمة له .

واقعة الخصيان وعمارة

ولما استقام الامر لصلاح الدين بمصر غصّ بـه الشيعة وأولياؤهم ، واجتمع منهم العوريش ، وقاضي القضاة ابن كامل ، والامير المعروف ، والكاتب عبد الصمد ، وكان فصيحاً ، وعمارة اليمني الشاعر الزبيدي ، وكان متولي كبرها[2] فاتفقوا على استدعاء الفرنج لاخراج الغُزّ من مصر ، وجعلوا لهم نصيباً وافراً من ارتفاعها ، وعمدوا الى شيعي من خِصْيان القصر اسمه نجاح ولقبه مؤتمن الدولة وكان قد ربى العاضد وصهره فاغروه بذلك ، ورغبوا على أن يجمع رسول الفرنج بالعاضد فجمعه معه في بيته

(١) كذا بالأصل، عبارة غير مستقيمة : وفي الكامل ج ٩ ص ١٠٦ : وأما نجم الدين أيوب فإنه وصل إلى مصر سالماً هو ومن معه، وخرج العاضد الخليفة، التقاه إكراماً له.

(٢) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٩ ص ١١٠ من حوادث سنة ٥٦٦ كان بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيها من يريد حبسه فهدمها صلاح الدين، وبناها مدرسة للشافعية أيضاً، وعزل قضاة المصريين ـ وكانوا شيعة ـ وأقام قاضياً شافعياً في مصر فاستناب القضاة الشافعية في جميع البلاد.

ملبساً بذلك ، ولم يكن العاضد الذي حضر ، وأوهموه أنه عقد معه . ثم اتصل الخبر بنجم الدين بن مضال من أولياء الشيعة ، وكان نجم الدين قد اختصه صلاح الدين وولاه الاسكندرية ، واستغضبه بهاء الدين قراقوش ببعض النزغات فظنوا انه غضب فاطلعوه على شأنهم ، وأن يكون وزيراً وعمارة كاتب الدست ، وصاحب ديوان الانشاء ، والمكاتبات مكان الفاضل بن كامل قاضي القضاة داعي الدعاة ، وعبد الصمد جابي الاموال ، والعوريش ناظراً عليه فوافقهم ابن مضال ووشى بهم الى صلاح الدين فقبض عليهم ، وعلى رسول الفرنج ، وقرّرهم في عدّة مجالس . وأحضر زمام القصر ، وهو مختص بالغزّ ، ونكر عليه خروج العاضد الى بيت نجاح فحلف على نفسه وعلى العاضد انّ هذا لم يقع ، وأخبر العاضد بطلب حضور نجاح مع مختص فحضر ، واعترف بالحق أنّ العاضد لم يحضر فتحقق صلاح الدين براءته . وكان عمارة يجالس شمس الدولة تورنشاه فنقل لاخيه صلاح الدين انه امتدحه بقصيدة يغريه فيها بالمضيّ الى اليمن ، ويحمله على الاستبداد وانه تعرّض فيها للجانب النبوي ، يوجب استباحة دمه وهو قوله :

فاخلق لنفسك مُلكاً لا تضاف به

الى سِواك وأوْرِ النار في العَلَم

هذا ابن تومرت قد كانت ولايته
كما يقـول الورى لحماً عـلى وَضَم ِ

وكان أوّلُ هذا الدين من رجل
سعى الى أن دعوه سيّد الأُمَم

فجمعهم صلاح الدين وشنقهم في يوم واحـد بين القصرين ، وأخر ابن كامل عنهم عشرين يوماً . ثم شنقه ومرّ عمارة بباب القاضي الفاضل فطلب لقاءه فمنع فقال وهو سائر الى المشنقة :

عبد الرحيم قد احتجَبْ إنّ الخلاص هو العَجَب

وفي كتاب ابن الاثير : انّ صلاح الدين انما اطلع على أمرهم من كتابهم الذي كتبوه الى الفرنجة ، عثر على حامله ، وقرىء الكتاب ، وجيء به الى صلاح الدين فقتل مؤتمن الخلافة لقرينة ، وعزل جميع الخدّام ، واستعمل على القصر بهاء الدين قراقوش وكان خَصِيًّا أبيض ، وغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة ، واجتمعوا في خمسين ألفاً وقاتلوا أجناد صلاح الدين بين القصرين ، وخالفهم الى بيوتهم فأضرمها ناراً ، واحترق أموالهم وأولادهم فانهزموا ، وركبهم السيف . ثم استأمنوا ونزلوا الجيزة وعبر اليهم شمس الدولة تورنشاه فاستلحمهم .

قطع الخطبة للعاضد وانقراض الدولة العلوية بمصر

كان نور الدين العادل يوم استقل صلاح الدين بملك مصر ، وضعف أمر العاضد بها ، وتحكم في قصره يخاطبه في قطع دعوتهم من مصر ، والخطبة بها للمستضيء العباسي ، وهو يماطل بذلك حذراً من استيلاء نور الدين عليه ، ويعتذر بتوقع المخالفة من أهل مصر في ذلك فلا يقبل . ثم ألزمه ذلك فاستأذن فيه أصحابه فأشاروا به ، وأنه لا يمكن مخالفة نور الدين . ووفد عليه من علماء العجم الفقيه الخبشاني ، وكان يدعى بالأمير العالم فلما رأى احجامهم عن هذه الخطبة قال : أنا أخطبها فلما كان أوّل جمعة من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة ، صعد المنبر قبل الخطيب ، ودعا للمستنصر فلم ينكر أحد عليه فأمر صلاح الدين في الجمعة الثانية الخطباء بمصر والقاهرة أن يقطعوا خطبة العاضد ويخطبوا للمستضيء ففعلوا ، وكتب بذلك الى سائر أعمال مصر . وكان العاضد في شدّة من المرض فلم يعلمه أحد بذلك ، وتوفي في عاشوراء من السنة ، وجلس صلاح الدين للعزاء فيه ، واحتوى على قصر الخلافة بما فيه فحمله بهاء الدين قراقوش إليه ، وكان في خزائنهم من الذخيرة ما لم يسمع بمثله من أصناف الجواهر واليواقيت والزمرّد وحُلِيّ الذهب وآنية الفِضّة والذهب ، ووجد ماعون

القصر [1] من الموائـد والطسوت والأبـاريق والقدور والصحاف والخوان والبواقيل والمناير والطيافر والقباقب والأسورة كل ذلك من الذهب . ووجد من أنواع الطيوب واللبـاس والمذهبات والقرقبيات والمعلقات والوشي ما لا تقله الاوقار ، ومن الـكتب ما يناهز مائة وعشرين ألف سفر أعطاها للفاضل عبد الرحيم البيساني كاتبه وقاضيه ، ومن الظهر والكِراع والسِلاح ، ومن الخدم والوصائف خمسين ألفاً . ومن المال ما يملأ مائة بيت . ثم حبس رجالهم ونساءهم حتى ماتوا ، وكانت الدولة عند عهد العزيز والحاكم قد خلا جوّها من رجـالات كتامة ، وتفرّقوا في المشرق في سبيل ذلك الملك ، وانقرضوا بانقراض أمر الشيعة

---

(١) كذا بياض في الأصل وفي الكامل ج ٩ ص ١١٢ : وكان العـاضد قـد اشتد مـرضه فلم يعلمه أحد من أهله وأصحابه بقطع الخطبة، وقالـوا: إن عوفي فهـو يعلم، وإن توفي فـلا ينبغي أن نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته فتوفي يوم عاشوراء، ولم يعلم بقطع الخطبة.

ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء، واستولى على قصر الخلافة وعلى جميـع ما فيـه، فحفظه بهاء الدين قراقوش الذي كان قد رتبه قبل موت العاضد فحمـل الجميع إلى صـلاح الدين، وكـان من كثرته يخرج عن الإحصاء، وفيه من الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة ما تخلو الـدنيا عن مثله، ومن الجواهر التي لم تـوجد عنـد غيرهم، فمنـه الحبل اليـاقوت وزنـه سبعة عشر درهمـاً أو سبعة عشر مثقالاً، أنا لا أشك، فإنني رأيته ووزنته. واللؤلؤ الذي لم يوجـد مثله، ومنه النصـاب الزمـرد الذي طوله أربع أصابع في عرض عقد كبير. ووجد فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد وقد احتاطوا بالحفظ فلما رأوه ظنوه عمل لأجل اللعب فيه فسخروا من العاضد فـأخذه إنسـان فضرب به فضرط فتضاحكوا منه ثم آخر كذلك، وكان كل من ضرب بـه ضرط، فألقـاه أحدهم فكسره فـإذا الطبـل لأجل قولنج فندموا على كسره لما قيل لهم ذلك. وكان فيه من الكتب النفيسة المعدومة المثل ما لا يعد فباع جميع ما فيه. ونقل أهل العاضد إلى موضع من القصر، ووكل بهم من يحفـظهم، وأخرج جميـع من فيه من أمة وعبد فباع البعض واعتق البعض ووهب البعض، وخلا القصر من سكانه.

وموت العاضد آخر خلفائهم ، وأكلتهم الاقطار والوقائع شأن الدول كما ذكرناه من قبل . ولما هلك العاضد وحول صلاح الدين الدعوة الى العبّاسِيَّة اجتمع قوم من الشيعة بمصر ، وبايعوا الداود ابن العاضد ، ونمي خبرهم الى صلاح الدين فقبض عليهم وقتلهم ، وأخرج داود من القصر ، وذلك سنة تسع وستين وخمسمائة .

ثم خرج بعد حين ابنه سليمان بن داود رضي الله تعالى عنه بالصعيد ، وحبس الى أن هلك . وظهر بعد حين بجهة فاس بالمغرب محمد بن عبدالله بن العاضد ، ودعا هنالك ، وتسمى بالمهدي فقتل وصلب . ولم يبق للعُبَيْدِيّين ذكر إلّا في بلاد الحشيشية من العراق ، وهم دعاة الفداوية . وفي بلاد الاسماعيلية التي كانت فيها دعوتهم بالعراق . وقام بها ابن الصباح في قلعة الموت وغيرها كما يذكر في أخبارهم ، إلى أن انقرضت تلك الدعوة أجمع بانقطاع دعوة العباسيّين ببغداد على يد هولاكو ، من ولد جنكزخان ملوك التتر سنة خمس وخمسين وستماية ، والامر لله وحده . هذه أخبار الفاطميين ملخَّصة من كتاب ابن الاثير ، ومن تاريخ دولتهم لابن الطوير ، وقليل من ابن المسيحي جمعت ما أمكنني منها ملخِّصاً والله ولي العون .

بنو حمدون

الخبر عن بني حمدون ملوك المسيلة والزاب بدعوة العبيديين ومآل أمرهم

كان علي بن حمدون أبوهم من أهل الأَنْدَلُس ، وهو علي بن حمدون بن سِماك بن مَسْعود بن منصور الجذامي ، يعرف بابن الأندلسي ، واتّصل بعُبَيْدِ الله وأبي القاسم بالمشرق قبل شأن الدعوة ، وبعثوه من طرابلس الى عبدالله الشيعي فأحسن اللقاء والانصراف ، ولزمهم أيام اعتقالهم بسِجلماسة فلما استفحل ملكهم جذبوا أبا ضُبَيْعَة ورقّوه الى الرتب . ولما رجع أبو القاسم من حركته الى المغرب سنة خمس عشرة وثلثمائة ، واختط مدينة المسيلة استعمل عليّ بن حمدون على بنائها وسمّاها المُحَمَّدِيَّة . ولما تم بناؤها عقد له على الزاب ، وأنزله بها ، وشحنها بالأقوات التي كانت ميرَةً للعساكر عند محاصرة المنصور لأبي يزيد صاحب الحمار بجبل كتامة . ولم يزل والياً على الزاب ، وربّى ابنيه جعفراً ويحيي بدار أبي القاسم . وكان جعفر سار إلى المعز .

ولما كانت فتنة أبي يزيد وأضرمت افريقية ناراً وفتنة ، وأهاب القائم بالاولياء من كل ناحية ، كتب الى ابن حمدون أن

يجند قبائل البربر ، ويوافيه فنهض الى المهدية في عسكر ضخم بقُسَنْطِينَةَ وهو يحتشد كل من مرّ به في طريقه حتى وصل الى شق بنارية . ثم قارب باجة ، وكان بها أيوب بن أبي يزيد في عسكر كبير من النكارية والبربر فزحف اليهم وتناور الفريقان . ثم بيته أيوب فاستباح معسكره وتردى علي بن حمدون من بعض الشواهق فهلك سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . ولما انقضت فتنة أبي يزيد عقد المنصور على المسيلة والزاب لجعفر بن علي بن حمدون ، وأنزله بها وأخاه يحيى ، واستجدّوا بها سلطاناً ودولة ، وبنوا القصور والمنتزهات ، واستفحل بها ملكهم وقصدهم بها العلماء والشعراء ، وكان فيمن قصدهم ابن هانىء شاعر الأندلس وأمداحه فيهم معروفة مذكورة . وكان بين جعفر هذا وبين زيري بن مناد عداوة جرّتها المنافسة والمساماة في الدولة فساء أثر زيري فيه عند صدمته للمغرب ، وفتكه بزناتة ، وسعوا به الى الخليفة وألقح له في جوانحه العداوة فكانت داعيته الى زناتة .

وتولى محمد بن خزر أمير مغراوة . ثم ان المعز لما اعتزم على الرحيل الى القاهرة سنة اثنتين وثلثمائة استقدم جعفراً فاستراب جعفر ، ومال بمسكره الى زناتة قبل قدومه ، وانقطعت الرسائل بينه وبين صَنهاجة والخليفة المُعزّ ، وشملت عليه زناتة قبل قدومه واجتمعوا عليه ، ودعا الى نقض طاعة المعز والدعاء للحاكم المستنصر فوجدهم أقدم اجابة لها ، وناهضهم زيري الحرب قبل

استكمال التعبية فكانت عليه من امراء زناتة فكبا بزيري فرسه فطاح فقصوا رأسه ، وبعثوا به مع جماعة من زناتة الى الحاكم المُسْتَنْصِر فكرم الحاكم وفادتهم ، ونصب رأس زيري بسوق قُرْطُبَة وأسنى جوائز الوفد ، ورفع منزلة يحي بن علي وأذن لجعفر في اللحاق بسدّته .

ولما علمت زناتة أنّ يوسف بن زيري يطالبهم بدم أبيه أظهروا الغدر به ، ورأى أنْ يتجنَّب مجابهتهم لضيق ذات يده ، وعَجزَ رؤساؤهم عن الذبِّ والدفاع عنها[1] وقبضت الأيدي عن تناوله لدنو الفتنة ومراس العَصَبِيَّة فأوجس الخيفة في نفسه ، وألطف الحيلة في الفرار رغبة بحيلته ، وشحن السفن بما معه من المال والمتاع والرقيق والحشم وذخيرة السلطان ، وأجاز البحر ، ولحق بسدّة الخلافة من قرطبة ، وأجاز معه عظماء الزناتيين معطين الصفقة على القيام بدعوته ، والاحتطاب في جبل طاعته فكرم مثواه وأجمل وفادتهم ، وأحسن منصرفهم ، وانقلبوا لمحبته والتشيّع له ، ومناغاة الادارسة للقيام في خدمته بالمغرب الاقصى وبث دعوته . وتخلف عنهم أولاد علي بن حمدون بالحضرة ، وأقاموا بسدّة الخلافة ، ونظموا في طبقات الوزراء وأجريت

(١) أي عن قبيلة زنانة ، ويستعمل ابن خلدون كثيراً أمثال هذه العبارات ، أي يعيد الضمير إلى ما قبل بضع فقرات .

عليهم سنيات الارزاق ، والتحقوا على حديث عهدهم بالقوم من أولياء الدولة .

ثم كان بعد ذلك شأن اعتقالهم على طريق التأديب ، لارتكابهم في منازعتهم أمراً ، خرقوا به حدود الآداب مع الخلافة فاستدعوا الى القصر واعتقلوا . ثم اطلقوا لأيام قلائل ، لما انغمس الحَكَمُ في علّه الفالج ، وركدت ريح المروانية بالمغرب، واحتاجت الدولة الى رجالهم لسد الثغور ودفع العدو . واستدعي يحيى بن محمد بن هاشم من العدوة ، وكان والياً على فاس والمغرب، وأداله الحاجب المصفحي لجعفر بن علي بن حمدون ، وجمعوا بين الانتفاع في مقارعة زناتة بالعدوة والراحة مما يتوقع منه على الدولة عند من ولي الخلافة ، لما كانوا صاروا اليه من النكبة ، وطروق المحنة فعقدوا له ولاخيه يحيى على المغرب ، وخلعوا عليهما ، وأمكنوهما من مال وكُسىً فاخرة للخلع على ملوك العدوة فنهض جعفر الى المغرب سنة خمس وستين وضبطه ، واجتمع اليه ملوك زناتة من بني يفرن ومغراوة وسجلماسة . ولما هلك الحكم ، وولي هشام ، وقام بأمره المنصور بن أبي عامر اقتصر لأوّل قيامه على سبتة من بلاد العدوة فضبطها جند السلطان ، ورجال الدولة، وقلّدها أرباب السيوف والاقلام من الأولياء والحاشيَة ، وعدل في ضبطه على ما وراء ذلك على ملوك زناتة وتقدهم بالجوائز

والخلع وصار الى اكرام وفودهم واثبات من رغب الاثبات في ديوان السلطـان منهم فجدوا في ولاية الدولـة ، وبث الدعوة ، وفسد ما بين هذين الاميرين جعفر وأخيه ، واقتطع يحيى مدينة البصرة لنفسه ، وذهب بأكثر الرجال . ثم كانت على جعفر النكبة التي نكبته بنو غواطة في غزاته اياهم . ثم استدعاه محمد ابن أبي عامر لاول امره لما رأى من الاستكانة اليه ، وشدَّ أزره به ونقم عليه كراهته لما لقيه بالاندلس من الحكم ، ثم أصحبه وتخلى لاخيه عن عمل المغرب وأجاز البحر الى ابن أبي عامر فحل منه بالمكان الأثير ولما زحف بُلكّين الى المغرب سنة تسع وستين زحفته المشهورة ، خرج محمد بن أبي عامر من قرطبة الى الجزيرة لمدافعته بنفسه ، وأجاز جعفر بن علي الى سبتة وعقد له على حرب بلكين وأمدّه بمائة حمل من المال ، وانضمت اليه ملوك زناتة ، رجع عنهم بلكين كما نذكره . ولما رجع الى ابن أبي عامر اغتاله في بعض ليالي معـاقرتهم وأعدّ له رجالا في طريقه من سمره الى داره فقتلوه سنة [1] ولحق يحيى بن عليّ بمصر ونزل بدار العزيز ، وتلقاه بالمبرّة والتكريم وطال به ثواؤه ، واستكفى به

(١) كذا بياض بالأصل وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣١٢ : فقتل في الأندلس في سنة أربع وستين وثلاثمئة ، رحمه الله تعالى.

العظائم . ولما استصرخ فلفول بن خزرون بالحاكم في استرجاع طرابلس من يد صنهاجة المتغلبين عليه ، دفع اليه العساكر ، وعقد عليها ليحيى بن عليّ ، واعترضه بنوقرة من الهلاليّين ببرقة ففلّوه وفضوا جموعه ، ورجع الى مصر . ولم يزل بمصر الى أن هلك هنالك . والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

القرامطة

الخبر عن القرامطة واستبداد أمرهم وما استقر لهم من الدولة بالبحرين وأخبارها الى حين انقراضها

هذه الدعوة لم يظهرها أحد من أهل نسب العَلَوِيّة ولا الطالبيّين ، وانما قام بها دعاة المهدي من أهل البيت على اختلاف منهم في تعيين هذا المهدي كما نذكره وكان مدار دعوتهم على رجلين أحدهما يسمى الفرج بن عثمان القاشاني ، من دعاة المهدي ، ويسمى أيضاً كَرَوَيْه بن مَهْدَوَيْه وهو الذي انتهى اليه دعاتهم بسواد الكوفة ، ثم بالعراق والشام ، ولم يتم لهؤلاء دولة ، والآخر يسمى أبا سعيد الحسن بن بَهْرَام الجَنابي ، كانت دعوته بالبحرين ، واستقرّت له هنالك دولة ولبنيه . وانتسب بعض مزاعمهم الى دعاة الاسماعيليّة الذين كانوا بالقيروان كما نذكره .

ودعوى هؤلاء القرامطة في غاية الاضطراب مختلة العقائد والقواعد ، منافية للشرائع والاسلام في الكثير من مزاعمهم وأول من قام بها بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين رجل أظهر الزهد والتقشف ، وزعم أنه يدعو الى المهدي ، وأنّ الصلوات المفروضة خمسون كل يوم واستجاب له جمع كثير

ولُقِب قرمط ، وأصلها بالكاف . وكان يأخذ من كل من يجيب دعوته ديناراً للامام . وجعل عليهم نقباء وسماهم الحواريين ، وشغل الناس بذلك عن شؤنهم ، وحبسه عامل الناحية ففرّ من محبسه ، ولم يوقف له على خبر فازداد أتباعه فتنة فيه ثم زعم أنه الذي بشر به أحمد بن محمد ابن الحنفية . وأن أحمد نبيّ ، وفشا هذا المذهب في السواد ، وقرىء بينهم كتاب زعموا أنه جاءهم من داعيه المهدي نصه بعد البسملة :

يقول الفرج بن عثمان الحمدلله بكلمته وتعالى باسمه المنجد لاوليائه باوليائه قل ان الأهِلّة مواقيتُ للناس ، ظاهرها لتعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام ، وباطنها أوليائي الذين عرّفوا عبادي سبيلي اتقوني يا أولي الالباب ، وأنا الذي لا أُسأَل عما أَفعَل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأستخبر خلقي فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري ، وكذّب رُسُلي أخلدته مُهاناً في عذابي ، وأتممت أَجلي ، وأظهرت على ألسنة رسلي . فأنا الذي لا يتكبر عليّ جبار إلا وضعته ، ولا عزيز إلا ذللته ، فليس الذي أصرّ على أمره ودام على جهالته ، وقال لن نبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين ، أولئك هم الكافرون . ثم يركع ويقول في ركوعه مرّتين سبحان ربي ورب العزة تعالى عما يصف الظالمون وفي سجوده الله أعلى مرّتين الله أعظم مرّة ، والصوم مشروع يوم

المهرجان والنيروز ، والنبيذ حرام والخمر حلال ، والغسل من الجنابة كالوضوء ، ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو مخلب . ومن خالف وحارب وجب قتله ، ومن لم يحارب أخذت منه الجزية انتهى.

الى غير ذلك من دعاوي شنيعة متعارضة، يهدم بعضها بعضاً وتشهد عليهم بالكذب . والذي حملهم على ذلك انما هو ما اشتهر بين الشيعة من أمر المهدي ، مستندين فيه الى الاحاديث التي خرّجها بعضهم ، وقد أريناك عللها في مقدّمة الكتاب في باب الفاطمي فلهجوا به ، وبالدعوة اليه فمن الصادق فيمن يعنيه ، وان كان كاذباً في استحقاقه . ومنهم من بني أمره على الكذب والانتحال ، عساه يستولي بذلك على حظ من الدنيا ينال بها صفقة . وقد يقال انّ ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب الزنج ، وانه سار على الامان وقال له ان ورائي مائة ألف سيف فناظرني لعلنا نتفق ونتعاون . ثم اختلفا وانصرف قرمط عنه ، وكان يسمي نفسه القائم بالحق .

وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأي الازارقة من الخوارج ، ثم زحف اليه أحمد بن محمد الطائي صاحب الكوفة في العساكر فأوقع بهم ، وفتك بهم ، وتتابعت العساكر في السواد في طلبهم ، وأبادوهم وفرّ هو الى احياء العرب فلم يجبه أحد منهم فاختفى في القفر في جب بناه ، واتخذه لذلك ، وجعل عليه باب حديد ، واتخذ بجانبه تنوراً سحراً ان أرهقه الطلب فلا يفطن له . ولما

اختفي في الجب بعث أولاده في كلب بن دبرة بأنهم من ولد اسمعيل الامام مستجيرون بهم . ثم دعوا الى دعوتهم أثناء ذلك وكانوا ثلاثة يحيى وحسين وعلي فلم يجبهم أحد ، الى ذلك ، إلّا بنو القليص بن ضمضم بن عليّ بن جناب فبايعوا ليحيى على أنه يحيى بن عبدالله بن محمد بن اسمعيل الامام ، وكنوه أبا القاسم ولقبوه الشيخ . ثم حوّل اسمه وادّعى أنه محمد بن عبدالله ، وأنه كان يكتم هذا الاسم وأنّ ناقته التي يركبها مأمورة ومن تبعها منصور فزحف اليه سبك مولى المعتضد في العساكر فهزمها ، وقتل فسار اليه محمد بن أحمد الطائي في العساكر فانهزمت القرامطة ، وجيء ببعضهم أسيراً فاحتضره المعتضد وقال :

هل تزعمون أن روح الله وأنبيائه تحل فيكم فتعصمكم من الزلل ، وتوفقكم لصالح العمل . فقال له : يا هذا أرأيت لو حلت روح ابليس فما ينفعك فاترك ما لا يعنيك الى ما يعنيك . فقال له قل فيما يعني ! فقال له قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوكم العبّاس حيّ فلم يطلب هذا الامر ولا بايعه أحد ، ثم قبض أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى العباس ولم يعهد اليه عمر ولا جعله من أهل الشورى ، وكانوا ستة وفيهم الاقرب والأبعد ، وهذا اجماع منهم على دفع جدّك عنها فبماذا تستحقون أنتم الخلافة ؟ فأمر المعتضد به فعذب ، وخلعت عظامه ، ثم قطع مرّتين ثم قتل .

ثم زحف القرامطة الى دمشق وعليها طغج مولى ابن طولون

سنة تسعين ، واستصرخ بابن سيده بمصر فجاءت العساكر لامداده فقاتلهم مراراً ، وقتل يحيى بن ذكرويه المسمى بالشيخ في خلق من أصحابه ، واجتمع فلهم على أخيه الحسين وتسمى أحمد أبا العباس ، وكانت في وجهه شامة يزعم أنها [1] فلقب صاحب الشامة المهدي أمير المؤمنين ، وأتاه ابن عمه عيسى بن مهدي وهو عبدالله بن أحمد بن محمد بن اسمعيل الامام ، ولقبه المدثر ، وعهد اليه ، وزعم أنه المذكور في القرآن . ولقب غلاماً من أهله المطوّق . ثم دعا الناس فأجابه كثير من أهل البوادي ، وسار الى دمشق فحاصرها حتى صالحوه على مال ودفعوه له . ثم سار الى حِمص وحماة والمَعرَّة وبَعْلَبَك فخطب له بها ، واستباحها جميعاً ثم الى سلمية وبها جماعة من بني هاشم فاستلحمهم حتى الصبيان بالمكاتب والبهائم . ثم خرج المكتفي اليه وقدّم عساكره فكبسهم ونجا فلُّهم الى حلب . وانتهى المكتفي الى الرَّقة ، وقد سار بدر مولى ابن طولون في اتباع القرامطة فهزمهم وأثخن فيهم وبعث المكتفي العساكر مع يحيى بن سليمان الكاتب ، وفيهم الحسين بن حمدان من بني تغلب ومعهم بنو شيبان فواقعوا القرامطة سنة احدى وتسعين فهزموهم ، وقتل منهم خلق من أصحاب القرمطي ، ونجا ابنه أبو القاسم ببعض ذخيرته . وسار هو مستخفيا

---

(١) كذا بياض بالأصل ولم نجد في المراجع التي بين أيدينا ما يملأ هذا البياض ، فقد ذكروا أنه تلقب صاحب الشامة ، ولم يذكروا زعمه ومقتضى السياق : يزعم أنها مقدسة .

الى ناحية الكوفة . ومعه المدّثر والمطوّق وغلام له ، وانتهوا الى الرَّحبَة فوشى بهم الى العامل فقبض عليهم ، وبعث بهم الى المكتفي بالرّقة ، ورجع الى بغداد فقطعهم بعد ان ضرب صاحب الشامة مائتي سوط ، وأمّا عليّ بن ذكرويه ففرّ بعد مقتل أخيه يحيى على دمشق الى ناحية الفرات . واجتمع إليه فَلٌّ من القرامطة فاستباح طَبَرِيّة .

ثم لما اتبعهم الحسين بن حمدان فرّ الى اليمن ، واجتمع اليه دعاتهم هنالك ، وتغلب على كثير من مدنه ، وقصد صنعاء فهرب عنها ابن يعفر فاستباحها وتجافى عن صعدة لذمّة العَلَويّة بينه وبين بني الرسى ، ونازل بني زياد بن بيد ، ومات في نواحي اليمن . وفي خلال ذلك بعث أبوه ذكرويه الى بني القليص بعد أن كانوا استكانوا ، وأقاموا بالسماوة فبعث اليهم من أصحابه عبدالله بن سعيد ، ويسمى أبا غانم فجاءهم بكتابه سنة ثلاث وتسعين بأنه أوحي اليه بأن صاحب الشامة وأخاه الشيخ مقبلان ، وان امامه يظهر من بعدهما ويملأ الارض عدلاً ، ويظهر وطاب أبو غانم على احياء كلب فاجتمع اليه جماعة منهم ، وقصد الشام فاستباح بصرى وأذرعات ، ونازل دمشق وعاملها يومئذ أحمد بن كيغلغ ، وهو غائب بمصر في محاربة الخليجي الثائر من شيعة بني طولون على عساكر المكتفي ، وقابله خلفاؤه فهزمهم ، وقتل بعضهم وسار الى الأردن فقتل عاملها ، ونهب طبرية وبعث المكتفى

الحسين بن حمدان في العساكر ففرّ أبو غانم الى السماوة وغوّر مياهها ، واتبعته العساكر الى أن جهدهم العطش . ثم رجع الحسين بهم الى الرحبة وقيل انهم تقبضوا على أبي غانم وقتلوه ، وافترق جمعهم ، وذلك سنة ثلاث وتسعين .

ظهور ذكرويه ومقتله

ثم اجتمع القرامطة الى ذكرويه وأخرجوه من الجب الذي كان مختفياً فيه منذ عشرين سنة ، وحضر عنده دعاتهم فاستخلف عليهم أحمد بن القاسم بن أحمد ، وعرفهم بما له عليهم من المنة وان رشادهم في امتثال أمره ، ورمز لهم في ذلك بآيات من القرآن حرّف تأويلها ، وسار وهو محتجب يدعونه السيّد ولا يرونه ؛ والقاسم يباشر الامور ويتولاها . وبعث المكتفي عساكره فهزمهم القرامطة بالسواد ، وغنموا معسكرهم ، وساروا لاعتراض الحاج ومرّوا بالصوان ، وحاصروا الواقصة فامتنعت عليهم ، وطموا الآبار والمياه في تلك النواحي . وبعث المكتفي محمد بن اسحق بن كِنْداج الصهال ورجعوا . ونهب القرامطة الحاج ، وقتلوهم بعد أن قاتلوهم ثلاثاً على غير ماء فاستسلموا ، وغنم أموالهم وأموال التجار وأموال بني طولون كانوا نقلوها من مِصْرَ الى مكّة . ثم من مكة الى بغداد عندما أجمعوا النقل اليها . ثم حاصر القرامطة بقيّة الحاج في حمص قيل فامتنعوا وجهز المكتفي

العساكر مع وصيف بن صوارتكين وجماعة من القواد فساروا على طريق خفان ، وأدركوا القرامطة فقاتلوهم يومين ، ثم هزموهم ، وضرب ذكرويه على رأسه فانهشم وجيء به أسيراً ، وبخليفة القاسم وابنه وكاتبه وزوجته ، ومات لخمس ليال فسيق شلوه الى بغداد ، وصلب وبعث برأسه الى خُراسان من أجل الحاج الذين نهبهم من أهلها . ونجا الفل من أصحابه الى الشام فأوقع بهم الحسين بن حمدان واستلحمهم ، وتتبعوا بالقتل في نواحي الشام والعراق ، وذلك سنة أربع وتسعين وثلثمائة .

خبر قرامطة البحرين ودولة بني الجنابي منها

وفي سنة احدى وثمانين جاء الى القطيعي[1] من البحرين رجل تسمى بيحيى بن المهدي ، وزعم أنه رسول من المهدي ، وانه قد قرب خروجه وقصد من أهل القطيف عليّ بن المعلّي بن أحمد الدبادي ، وكان متغالياً في التشيع فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدي ، وشنّع الخبر في سائر قرى البحرين فأجابوا كلهم ، وفيهم أبو سعيد الجنابي ، واسمه الحسن بن بهرام ، وكان من عظمائهم . ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدّة ورجع بكتاب المهدي يشكرهم على اجابتهم ، ويأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلاثين[2]

---

(١) لعلها: القطيف أو قرية تابعة لها.

(٢) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٦ ص ٩٢: ستة دنانير وثلثين.

عن كل رجل فدفعوها . ثم غاب وجـاء بكتاب آخر يأمرهم أن يدفعوا اليه خمس أموالهم فدفعوا ، وقام يتردّد في قبـائل قيس . ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ثلاث وثمـانين ، واجتمع اليه القرامطة والأعراب ، وسار الى القطيف طالباً البصرة وكان عليها أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي فأدار السور على البصرة ، وبعث المعتمد على ابن عمر الغَنَوي ، وكان على فارس فاقطعه اليمامة والبحرين ، وضمّ اليه ألفين من المقاتلة ، وسيّره الى البصرة فاحتشد وخرج للقاء الجنابي ومن معه ، ورجع عنه عند اللقـاء بنو ضَبَّة فانهزم وأسره الجنـابي واحتوى على معسكره ، وحرق الاسرى بالنار . ثم منّ عليه وأطلقه فسار الى الأُبُلّةِ ومنها الى بغداد ، وسار أبو سعيد الى هَجَر فملكها وأمنها واضطربت البصرة للهزيمة ، وهمّ أهلها بالارتحال فمنعهم الواثقي . ومن كتاب ابن سعيد في خبر قرامطة البحرين ملخصاً من كلام الطبري فلعله كما ذكره قال : كان ابتداء أمر القرامطة سنة ثمان وثلثمائة فنقل الكلام ، وكان أبو سعيد عهد لابنه الاكبر سعيد فلم [1] به وثار به أخوه الأصغر والظاهر سليمان فقتله ، وقام بأمرهم ، وبايعه العقدانية ، وجاءه كتاب عبيد الله المهدي بالولاية . وفي سنة ست وثمانين وصل أبو القاسم القائم الى مصر ،

---

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٦ ص ١٤٧ : وكان أبو سعيد قد عهد إلى ابنه سعيـد وهو الأكبر فعجز عن الأمر ، فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان ، وكان شهماً شجاعاً .

واستدعى أبا طاهر القرمطي وانتظره فأعجله مؤنس الخادم عن انتظاره ، وسار من قبل المقتدر فهزمه ورجع الى المهدِيَّة . ثم سار أبو الطاهر سنة سبع الى البصرة فاستباحها ، ورجع واضطربت بغداد ، وأمر المقتدر باصلاح ما تثلّم من سورها . ثم زحف اليها أبو الطاهر سنة احدى عشرة فاستباحها ، وخرّب الجامع وتركها خربة . ثم خرج سنة اثنتي عشرة لاعتراض الحاج فأوقع بهم ، وهزم قوّاد السلطان الذين كانوا معهم ، وأسر أميرهم أبا النجاء ابن حمدون ، واستصفى النساء والصبيان وترك الباقي بالبرّية فهلكوا .

ثم خرج سنة أربع عشرة الى العراق فعاث في السواد ، ودخل الكوفة ، وفعل فيها أشدّ من البصرة . وفي سنة أربع عشرة وقع بين العقدانية وأهل البحرين خلاف فخرج أبو الطاهر وبنى مدينة الأحساء ، وسماها المؤمنية فلم تعرف إلّا به ، وبنى قصره وأصحابه حوله . وفي سنة خمس عشرة استولى على عُمان وهرب واليها في البحر الى فارس ، وزحف سنة ست عشرة الى الفرات وعاث في بلاده . وبعث المقتدر عن يوسف بن أبي الساج من أذْرَبَيْجان وولاه واسط ، وبعثه لحربه فالتقوا بظاهر الكوفة وهزمه أبو طاهر وأسره . وأرجف أهل بغداد ، وسار أبو طاهر الى الانبار ، وخرجت العساكر من بغداد لدفاعه مع مؤنس المظفر وهرون بن غريب الخال فلم يطيقوا دفاعه ، وتوافقوا ثم

تحاجزوا ، وعاد مؤنس الى بغداد ، وسار هو الى الرَّحَبَةِ واستباحها ودوّخ بلاد الجزيرة بسراياه . وسار الى هشت والكوفة ، وقاتل الرقّة فامتنعت عليه ، وفرض الاتاوة على أعراب الجزيرة يحملونها الى هَجَر ، ودخل في دعوته جماعة من بني سليم بن منصور وبني عامر بن صَعْصَعَة . وخرج اليه هرون بن غريب الخال فانصرف أبو طاهر الى البرّية ، وظفر هرون بفريق منهم فقتلهم وعاد الى بغداد .

وفي سنة سبع عشرة هجم على مكة وقتل كثيراً من الحاج ومن أهلها ، ونهب أموالهم جميعاً ، وقلع باب البيت والميزاب ، وقسم كسوة البيت في أصحابه ، واقتلع الحجر الاسود وانصرف به ، وأراد أن يجعل الحج عنده ، وكتب اليه عُبَيْد الله المهدي من القيروان يوبّخه على ذلك ، ويتهدّده فكتب اليه بالعجز عن ردّه من الناس ، ووعد بردّ الحجر فردّه سنة تسع وثلاثين بعد ن خاطبه منصور اسمعيل من القيروان في ردّه فردّوه ، وقد كان الحكم المتغلب على الدولة ببغداد أيام المستكفي بذل لهم خمسين ألفاً من الذهب على أن يردّوه فأبوا ، وزعموا أنهم انما حملوه بأمر امامهم عبيد الله وانما يردّونه بأمره وأمر خليفته . وأقام أبو طاهر بالبحرين وهو يتعاهد العراق والشام بالغزو حتى ضربت له الاتاوة ببغداد وبدمشق على بني طفج . ثم هلك أبو طاهر سنة اثنتين وثلاثين لاحدى وثلاثين سنة من ملكه ، ومات عن

عشرة من الولد كبيرهم سابور ، وولّى أخوه الأكبر أحمد بن الحسن ، واختلف بعض العقدانية عليه ، ومالوا الى ولاية سابور ابن أبي طاهر ، وكاتبوا القائم في ذلك فجاء جوابه بولاية الاخ أحمد ، وأن يكون الولد سابور وليّ عهده فاستقرّ أحمد في الولاية عليهم ، وكنوه أبا منصور ، وهو الذي ردّ الحجر الاسود الى مكانه كما قلناه .

ثم قبض سابور على عمه أبي منصور فاعتقله بموافقة اخوته له على ذلك ، وذلك سنة ثمان وخمسين . ثم ثار بهم أخوه فأخرجه من الاعتقال ، وقتل سابور ونفى اخوته وأشياعهم الى جزيرة أوال . ثم هلك أبو منصور سنة تسع وخمسين ، يقال مسموماً على يد شيعة سابور ، وولى ابنه أبو عليّ الحسن بن أحمد ويلقب الاعصم ، وقيل الاغنم فطالت مدّته وعظمت وقائعه ، ونفى جمعاً كثيراً من ولد أبي طاهر ، يقال اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلثمائة ، وحجّ هذا الاعصم بنفسه ولم يتعرّض للحاج ، ولا أنكر الخطبة للمطيع .

فتنة القرامطة مع المعز العلوي

ولما استولى جوهر قائد المعز لدين الله على مصر وجعفر بن فلاح الكتامي على دمشق طالب الحسن بالضريبة التي كانت له على دمشق فمنعوه ونابذوه ، وكتب له المُعِزّ وأغلظ عليه ، ودس

لشيعة أبي طاهر وبنيه انّ الامر لولده ، وأطلع الحسن على ذلك فخلع المعز سنة اثنتين ، وخطب للمطيع العباسي في منابره ، ولبس السواد . ثم زحف الى دمشق وخرج جعفر بن فلاح لحربه فهزمه الأعصم وقتله ، وملك دمشق وسار الى مصر فحاصر جوهراً بها وضيق عليه . ثم غدر به العرب وأجفلوا فأجفل معهم وعاد الى الشام ونزل الرملة ، وكتب اليه المعز سنة احدى وستين بالنفي والتوبيخ ، وعزله عن القرامطة وولى بني أبي طاهر فخرجوا من أوال ونهبوا الاحساء في غيبته ، وكتب اليهم الطائع العباسي بالتزام الطاعة ، وأن يصالحوا ابن عمهم ويقيموا بجزيرة أوال . وبعث من أحكم بينهم الصلح . ثم سار الأعصم الى الشام وتخطاها دون صور فقاتلوه وراء الخنادق ، وبذل جوهر المال للعرب فافترقوا عنه ، وانهزم ونهب معسكره .

وجاء المعز من افريقية ودخل القاهرة سنة ثلاث وستين ، وسرّح العساكر الى الشام فاستولوا عليه فنهض الاعصم اليهم فأوقع بهم ، وأثخن فيهم ، وانتزع ما ملكوه من الشام ، وسار الى مصر ، وبعث المعز لدين الله ابنه عبدالله فلقيهم على بلبيس وانهزم الاعصم وفشا القتل والاسر في أصحابه فكانوا نحواً من ثلاثة آلاف ، ورجع الاعصم الى الاحساء واستخلص المعز بني الجرّاح أمراء الشام من طيىء حتى استرجع بهم ما غلب عليه القرامطة من الشام بعد حروب وحصار . ثم مات المعز سنة خمس

وستين ، وطمع الاعصم في بلاد الشام ، وكان افتكين التركي مولى معز الدولة بن بويه لما انتقض على أبيه بختيار ، وهزمه ببغداد سار افتكين منهزماً الى دمشق ، وكانوا مضطربين فخرجوا اليه وولوه عليهم وصالح المعز الى أن توفيّ فنابذ العزيز ، وبعث اليه جوهر في العساكر فحاصره فكتب افتكين الى الاعصم ، واستدعاه فجاء الى الشام سنة ست وستين . وخرج معه افتكين، ونازلوا الرملة فملكوها من يد جوهر ، وزحف اليهم العزيز وهزمهم ، وتقبض على افتكين ، ولحق الأَعْصَم بطَبَرِيَّة منهزماً . ثم ارتحل منها الى الأحساء ، وأنكروا ما فعله الاعصم من البيعة لبني العباس ، واتفقوا على إخراج الامر عن ولد أبي سعيد الجنابي وقدّموا رجلين منهم : وهما جعفر واسحق ، وسار بنو أبي سعيد الى جزيرة أوال . وكان بنوا أبي طاهر قبلهم فقتلوا كل من دخل اليهم من ولد أحمد بن أبي سعيد وأشياعه . ثم قام بأمر القرامطة جعفر واسحق هذان ، ورجعوا الى دعوة العَلَوِيَّة ومحاربة بني بويه ورجعوا سنة أربع وستين الى الكوفة فملكوها . وبعث صمصام الدولة بن بويه العساكر إليهم فهزمهم على الفرات ، وقتل منهم خلق واتبعوهم الى القادسية . ثم اختلف جعفر واسحق ، وطمع كل منهما في الرياسة على صاحبه ، وافترق امرهم وتلاشت دعوتهم الى أن استولى الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي سنة ثمان

وتسعين عليهم ، وملك الاحساء من أيديهم ، وأذهب دولتهم ، وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه .

ذكر المتغلبين بالبحرين من العرب بعد القرامطة

كان بأعمـال البحرين خلق من العرب ، وكان القرامطة يستنجدونهم على أعدائهم ، ويستعينون بهم في حروبهم ، وربما يحاربونهم ويقـاطعونهم في بعض الاوقات ، وكان أعظم قبـائلهم هنالك بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم ، وأظهرهم في الكثرة والعزة بنو ثعلب . ولمـا فشلت دولـة القرامطة بالبحرين ، واستحكمت العداوة بينهم وبين بني بويه بعد انقراض ملك بني الجنابي ، وعظم اختلافهم عند القائم بدعوة العبّاسيّة وكان خالصة[1] للقرامطة ، ودعاه الى اذهاب دولتهم فأجابه ، وداخل بني مكرم رؤساء عُمَان في مثل ذلك فأجابوه ، واستولى الأصفر على البحرين وأورثها بنيه ، واستولى بنو مكرم على عمان ثم غَصَّ بنو تعلب بسليم ، واستعانوا عليهم ببني عقيـل ، وطردوهم من البحرين فساروا إلى مِصْر ومنها كان دخولهم الى افريقية كما يأتى .

ثم اختلف بنو ثعلب وبنو عقيل بعد مدّه ، وطردهم بنو ثعلب الى العراق فملكوا الكوفة والبلاد العراقية ، وامتدّ ملك

(١) هـو خالصتي وخلصـاني . وفلان خلصني كـما تقول خدني ، وخلصـاني أي خـالصي إذا خلصت مودتها . ـ لسان العرب .

الأصغر ، وطالت أيامه ، وتغلب على الجزيرة والموصل ، وحارب بني عقيل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة برأس عين من بلاد الجزيرة، وغص بشأنه نصير الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر فقام له ، وجمع له الملوك من كل ناحية فهزمه واعتقله ، ثم أطلقه ومات . وبقي الملك متوارثاً في بنيه بالبحرين إلى أن ضعفوا وتلاشوا وانقرضت دولة بني عقيل بالجزيرة ، وغلبهم عليها وعلى تلك البلاد أولياء الدولة السُلجُوقيّة فتحوّلوا عنها الى البحرين مواطنهم الأولى ، ووجدوا بني ثعلب قد أدركهم الهرم فغلبوا عليهم .

قال ابن سعيد : سألت أهل البَحْرَيْن حين لقيتهم بالمدينة النبَوِيّة سنة احدى وخمسين وستمائة عن البحرين فقالوا المُلكُ فيها لبني عامر بن عوف بن عقيل ، وبنو ثعلب من جملة رعاياهم ، وبنو عصفور منهم أصحاب الاحساء . (ولنذكر) هنا نبذة في التعريف بكاتب القرامطة وأمصار البَحْرَيْن وعُمان لِما أن ذلك من توابع أخبارهم .

الكاتب - كان كاتبهم أبو الفتح الحسين بن محمود ، ويعرف بكشاجم ، كان من أعلام الشعراء وذكره الثعالِبيّ في اليتيمة والحصري في زهر الآداب ، وهو بَغْدادي المولد ، واشتهر بخدمة القَرَامِطة فيما ذكره البَيْهَقِي وكتب لهم بعده ابنه أبو الفتح نصر، ولقبه كشاجم مثل أبيه وكان كاتباً للأعصَم .

البحرين – اقليم يسمى باسم مدينته ، ويقال هَجَر باسم مدينة أُخرى منه وكانت حَضَريّة فخرّبها القرامِطَةُ وبنوا الأحساء وصارت حاضرة ، وهذا الاقليم مسافة شهر على بحر فارِسَ بين البَصْرَة وعُمان شرقيها بحر فارس ، وغربيها متصل باليمامة ، وشماليها البصرة وجنوبها بعمان ، كثيرة المياه ببطونها على القامة والقامتين كثيرة البقل والفواكه ، مفرطة الحر منهالة الكثبان ، يغلب الرمل عليهم في منازلهم وهي من الاقليم الثاني ، وبعضها في الثالث . كانت في الجاهلية لعبد القيس ، وبكر بن وائل من ربيعة ، وملكها للفرس ، وعاملها من قِبَلِهِم المُنذر بن ساوى التميمي . ثم صارت رياستها صدر الاسلام لبني الجارودي ، ولم يكن ولاة بني العباس ينزلون هجر ، إلى أن ملكها أبو سعيد القرمطي بعد حصار ثلاث سنين ، واستباحها قتلاً واحراقاً وتخريباً . ثم بنى أبو طاهر مدينة الاحساء ، وتوالت دولة القرامطة ، وغلب على البحرين بنو أبي الحسن بن ثعلب ، وبعدهم بنو عامر ابن عقيل قال ابن سعيد : والملك الآن فيهم في بني عصفور .

الاحساء – بناها أبو طاهر القرمطي في المائة الثالثة ، وسميت بذلك لما فيها من احساء المياه في الرمال ومراعي الابل وكانت للقرامطة بها دولة وجالوا في أقطار الشام والعراق ومصر والحجاز وملكوا الشام وعُمان .

دارين – هي من بلاد البحرين ينسب اليها الطيب ، كما

تنسب الرماح الى الَخطّ بجانبها ، فيقال مسك دارين ، والرماح الَخطِّيَّة .

عمان وهي من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن والحجاز والشِحْر وحضرموت وعمان وهي خامسها ، اقليم سلطاني منفرد على بحر فارس من غربيه مسافة شهر ، شرقيها بحر فارس وجنوبيها بحر الهند ، وغربيها بلاد حضرموت ، وشماليها البحرين كثيرة النخل والفواكه ، وبها مغاص اللؤلؤ سُمِّيت بعُمان بن قحطان ، أوّل من نزلها بولاية أخيه يعرب ، وصارت بعد سيل العرم للأزد . وجاء الاسلام وملوكها بنو الجَلَندي ، والخوارج بها كثيرة . وكانت لهم حروب عُمَّال بني بُوَيْه وقاعدتهم تِرْوى وملك عُمان من البحر ملوك فارس غير مرّة ، وهي في الاقليم الثاني ، وبها مياه وبساتين وأسواق ، وشجرها النخل . وكانت بها في الاسلام دولة لبني شامَة بن لَؤيّ بن غالِب . وكثير من نَسَّابة قريش يدفعونهم عن هذا النسب أوّلهم بها محمد بن القاسم الشامي ، بعثه المعتضد وأعانه ففتحها وطرد الخوارج الى تروى قاعدة الجبال ، وأقام الخطبة لبني العباس ، وتوارث ذلك بنوه ، وأظهروا شعار السُنّة .

ثم اختلفوا سنة خمس وثلثمائة ، وتحاربوا ولحق بعضهم بالقرامطة ، وأقاموا في فتنة إلى أن تغلّب عليهم أبو طاهر القرمطي سنة سبع عشرة عند اقتلاعه الحجر ، وخطب بها لعُبَيْدِ الله المهدي وترددت ولاة القرامطة عليها من سنة سبع عشرة الى سنة خمس

وسبعين فترهب واليها منهم ، وزهد وملكها أهل تروى الخوارج وقتلوا من كان بها من القرامطة والروافض ، وبقيت في أيديهم ورياستها للأزد منهم . ثم سار بنو مَكْرَم من وجوه عُمان الى بغداد واستخدموا لبني بُوَيْه ، وأعانوهم بالمراكب من فارس فملكوا مدينة عُمان وطردوا الخوارج الى جبالهم ، وخطبوا لبني العبّاس.

ثم ضعفت دولة بني بويه ببغداد فاستبدّ بنو مكرم بعمان ، وتوارثوا ملكها ، وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم عليّ بن ناصر الدولة الحسين بن مكرم ، وكان ملكاً جواداً ممدوحاً . قاله البيهقي ، ومدحه مهيار الديلمي وغيره ، ومات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة بعد مدة طويلة في الملك ، وفي سنة اثنتين وأربعين ، ضعف ملك بني مكرم ، وتغلّب عليهم النساء والعبيد فزحف اليها الخوارج وملكوها ، وقتلوا بقيتهم وانقطع منها رسم الملك ، وصار في حجار من مدر هذا الاقليم قلهاة هي عرصة عُمان على بحر فارس من الاقليم الثاني ومما يلي الشِحر وحجار في شماليها إلى البحرين بينهما سبع مراحل ، وهي في جبال منيعة فلم تحتج الى سور ، وكان ملكها سنة ثمان وأربعين زكريّا بن عبد الملك الأزدي من ذريّة رياسة . وكان الخوارج بتروى مدينة الشراة يدينون لهم ، ويرون أنّهم من ولد الجَلَندى .

الإسماعيلية

الخبر عن الإسماعيلية أهل الحصون بالعراق وفارس والشام وسائر أمورهم ومصايرها

هذا المذهب هو مذهب القرامطة ، وهم غلاة الرافضة ، وهو على ما رأيته من الاضطراب والاختلاف . ولم يزل متناقلاً في أهله بانحاء العراق وخراسان وفارس والشام . واختلف بعضهم باختلاف الأعصار والأمصار ، وكانوا يدعون أوّلا قرامطة . ثم قيل لهم بالعراق باطِنيَّة ، ثم الاسماعِيلِيَّة ، ثم النزارية لما حدث من عهد المستضيء العلوِيّ لابنه نزار ، وقتله شيعتهم بمصر ولم يبايعوا له ، وكان عنده ابن الصبّاح من هؤلاء الاسماعيلية ، ونفى الامامة بعده عن ائمتهم بمصر فسموا أصحابه لذلك نِزارِيَّة ، وكان هذا المذهب بعد موت ذكرويه ، وانحلال عقدتهم بقي منبثاً في الاقطار ويتناوله أهله ، ويدعون اليه ويكتمونه ، ولذلك سموا الباطِنيَّة وفشت اذيتهم بالأمصار ، بما كانوا يعتقدونه من استباحة الدماء فكانوا يقاتلون الناس ، ويجتمع لذلك جموع منهم يكمنون في البيوت ويتوصلون الى مقاصدهم من ذلك .

ثم عظمت أمورهم أيام السلطان ملك شاه عندما استمر الملك لِلعَجَم من الدَّيلَم والسُلجُوقِيَّة وعقل الخلفاء وعجزوا عن

النظر في تحصين امامتهم ، وكف الغوائل عنها فانتشروا في هذه العصور ، وربما اجتمع منهم جماعة بساوة بانحاء هَمَذان فصلّوا صلاة العيد بانحائهم فحبسهم الشِحْنَة ، ثم أطلقهم . ثم استولوا بعد ذلك على الحصون والقلاع فأول قلعة غلبوا عليها قلعة عند فارس ، كان صاحبها على مذهبهم فأووا اليه واجتمعوا عنده ، وصاروا يخطفون الناس من السابِلَة ، وعظم ضررهم بتلك النواحي .

ثم استولوا على قلعة اصفهان واسمها شاه در ، كان السلطان ملك شاه بناها وأنزل بها عامله فاتصل به أحمد بن غطاش ، كان أبوه من مقدِّمي الباطنية ، وعنه أخذ ابن الصباح وغيره منهم ، وكان أحمد هذا عظيماً فيهم لمكان أبيه ورسوخه في العلم بينهم فعظموه لذلك وتوجوه ، وجمعوا له مالًا وقدموه عليهم ، واتصل بصاحب القلعة فآثر مكانه ، وقلده الامور حتى اذا توفي استولى أحمد بن غطاش على قلعة شاه در ، وأطلق أيدي أصحابه في نواحيها يخيفون السابلة من كل ناحية .

ثم استولوا على قلعة الموت من نواحي قَزوين وهي من بنيان الدَيْلَم ، ومعنى هذا الاسم عندهم تميل العقاب . ويقال لتلك الناحية طالقان ، وكانت في ضمان الجعفري فاستناب بها عَلَوِيًّا ، وكان بالري أبو مسلم صهر نظام الملك ، واتصل به الحسن ابن الصبّاح ، وكان بينهم عالمًا بالتعاليم والنجوم والسحر ، وكان من جملة تلامذة ابن غطاش صاحب قلعة اصفهان ، ثم اتهمه أبو

مسلم بجماعة من دعاة المصريين عنده فهرب منه ، وجال في البلاد وانتهى الى مصر فأكرمه المستَنْصِر وأمره بدعاء الناس الى إمامته وقال له الحسن من الامام بعدك فأشار الى ابنه نزار ، وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم ، ورجع الى خراسان بقلعة الموت فنزل على العلويّ فأكرمه ، واعتقد البركة فيه ، وأقام بها وهو يحاول احكام امره في تملكها ، فلما تم له من ذلك ما أراد أخرج العلويّ منها وملكها .

واتصل الخبر بنظام الملك فبعث العسكر لحصارها فجهده الحصار ، وبعث جماعة من الباطنيّة فقتلوا نظام الملك ، ورجعت العساكر واستولوا أيضاً على قلعة طبس وما جاورها من قلاع قوهِسْتان ، وهي زرون وقائد . وكان رئيس قوهستان المنوّر من اعقاب بني سيجور ، أمراء خراسان للسامانية فطلبه عامل قوهستان وأراد اغتصاب أخته فاستدعى الاسماعيلية وملّكهم هذه القلاع ، واستولوا على قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من اصفهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك ، وانتقلت الى جاولي سقاور من أمراء الغزّ ، وولى عليها بعض الترك فاتصل به بعض الباطنيّة وخدمه ، وأهدى له حتى صارت مفاتيح القلعة في يده ، فدس لابن غطاش في قلعة شاه در فجاء في جمع من أصحابه ليلاً ، وهرب التركي فملكها ، وقتل من كان بها وقوي بها على أهل أصفهان ، وفرض عليهم القطائع .

ومن قلاعهم أسويا وندبين الرمل وآمد ، ملكوها بعد ملك شاه غدراً ؛ ومنها أزْدَهْر ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحَسَن ابن الصبَّاح . ومنها كرد كوه ، ومنها قلعة الناظر بخوزِسْتان ، وقلعة الطُّنْبور قرب أرَّجان ، ملكها أبو حمزة الاسكاف من أهل أرَّجان ، وقد كان سافر الى مِصْرَ فأخذ بمذهبهم ورجع داعية لهم . ومنها قلعة ملاوخان بين فارس وخوزستان امتنع بها المفسدون نحواً من مائتي سنة لقطع الطريق ، حتى فتحها عضد الدولة بن بُويْه ، وقتل من بها فلما مَلَكَ مَلِك شاه أقطعها للامير أُنَز فولّى عليها من قِبَلِه ، وداخله الباطنية الذين من أرَّجان في بيعها منهم فأبى ، فقالوا نرسل اليك من يناظرك حتى نرى الحق في مذهبنا ، وبعثوا إليهم رجالا منهم فاعتقلوا مملوكه حتى سلم لهم مفاتيح القلعة ، وقبضوا على صاحبها وقويت شوكتهم .

وامتدّت أيدي الناس الى قتلهم ، واعتقدوا جهادهم ، وثاروا بهم في كل وجهة فقتلوهم وقتلتهم العامّة باصفهان ، وكانوا قد ظهروا بها عند محاصرة السلطان بَرْكيارُق أصفهان ، وبها أخوه محمد وأمّه خاتون الجَلاليّة ، وفشت فيها دعوتهم وكثر فيها الاغتيال من أتباعهم فثاروا بهم ، وقتلوهم وحفروا الأخاديد وأوقدوها بالنيران ، وجعلوا يأتون بالباطنية فيلقونهم فيها ، وتجرد جاولي سقاور ، وكان والياً بفارس للجهاد فيهم ، وتحيّل عليهم بجماعة من أصحابه ، أظهروا الهروب إليهم فوثقوا بهم وسار هو من بعد ذلك الى همذان فأغزاهم .

ثم صار الباطنية من بعد ذلك الى همذان لقتل أمراء السلجوقية غدراً فكان يقصد أحدهم أميراً من هؤلاء وقد استبطن خنجراً واستمات . حملهم على ذلك السلطان بركيارق ، واستعان بهم على أمر أخيه فكان أحدهم يعرض نفسه بين يدي الأمير حتى يتمكن من طعنه فيطعنه ، ويهلك غالباً ويقتل الباطني لوقته فقتلوا منهم كذلك جماعة ؛ ولما ظهر بركيارق على أخيه محمد انتشروا في عسكره واستعانوا بطائفة منهم ، وتهددوا بالقتل على ذلك حتى ارتاب أمراء العسكر بأنفسهم ، وخافوا عادِيَتهم ولازموا حمل السلاح ، وشكوا الى بركيارق بذلك وبما يلقونه منهم ومن عسكر أخيه فيما يرمونهم بـه من الاتحاد بهؤلاء الباطنية فأذن في قتلهم ، وركب والعسكر معه فتتبعوهم بالقتل ، حتى ان الامير محمدا من أعقاب علاء الدولة بن كاكَوَيه وكان صاحب يَزْد اتُّهم برأيهم فهرب وقتل . وكُتِبَ الى بغداد في أبي ابراهيم الاستراباذي وكان بركيارق بعثه رسولًا فأُخذ هنالك وقتل واستُلحموا في كل جهة ، واستُلحِم المتهمون وانطلقت عليهم الأيدي في كل ناحية ، وذلك سنة ست وثمانين .

ولما استفحل أمر السلطان محمد بعد أخيه بركيارق زحف الى قلعة شاه در ، التي بها أحمد بن غطاش ، لقربها من اصفهان سرير ملكه فجمع العساكر والأُمم ، وخرج في رجب من أول المائة السادسة وأحاط بجبل القلعة ، ودَوْرُهُ أربعةُ فراسخ ، ورتب

الأمراء لقتالها نُوَباً . ولما اشتدّ الأمر بهم سألوا فتوى الفقهاء في أمرهم وكتبوا ما نصّه : ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين في قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وكتبه ورسله ، وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق ، وإنما يخالفون في الامام ، هل يجوز للسلطان مساعدتهم ومراعاتهم وأن يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل أذى أم لا ؟ فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك ، وتوقف بعضهم ، وجمعوا للمناظرة . فقال السمنجاني من كبار الشافِعيّة : يجب قتالهم ، ولا يجوز قرارهم بمكانهم ، ولا ينفعهم التلفّظ بالشهادتين ، فانهم لا يرون مخالفة امامهم اذا خالف أحكام الشرع ، وبذلك تباح دماؤهم إجماعاً ، وطالت المناظرة في ذلك.

ثم سألوا أن يأتيهم من العلماء من يناظرهم وعيّنوا أعياناً من أصفهان ، وقصدوا بذلك المطاولة والتعلل فبعثهم السلطان اليهم فعادوا من غير شيء فاشتد السلطان اليهم في حصارهم ، واستأمنوا على أن يعوّضوا عن قلعتهم بقلعة خالَنْجان على سبعة فراسخ من اصفهان وأن يؤجلوا في الرحيل شهراً فأجابهم ، وأقاموا في تلك المدة يجمعون ما يقدرون عليه من الاطعمة ، ووثبوا على بعض الامراء وسلم منهم فجدد السلطان حصارهم ، وطلبوا أن ينتقلوا الى قلعة الناظر وطَبَس ، ويبعث السلطان معهم من يوصلهم ويقيم البـاقون بضرس من القلعة إلى أن يصل الأولون ، ثم يبعث مع الآخرين من يوصلهم الى ابن الصبّاح بقلعة الموت فأجابهم الى ذلك

وخرج الاولون الى الناظر وطبس ، وخرّب السلطان القلعة وتمسك ابن غطاش بالضرس الذي هو فيه ، وعزم على الاعتصام به ، وزحف اليه الناس عامة ، وهرب بعضهم الى السلطان فدله على عورة المكان فصعدوا اليه وقتلوا من وجدوا فيه ، وكانوا ثمانين وأخذ ابن غطاش أسيراً فسُلِخَ وحُشِي جلده تبناً ، وقتل ابنه وبعث برأسيهما الى بغداد ، وألقت زوجه نفسها من الشاهق فهلكت .

خبر الاسماعيلية بالشام

لما قتل أبو ابراهيم الاسترابإذي ببغداد كما تقدم ، هرب بهرام ابن أخيه الى الشام وأقام هنالك داعيةً متخفياً ، واستجاب له من الشام خلق . وكان الناس يتبعونهم لكثرة ما اتصفوا به من القتل عدراً . وكان أبو الغازي بن ارتق بحلب يتوصل بهم الى غرضه في أعدائه ، وأشار أبو الغازي على ابن طغتكين الاتابك بدمشق بمثل ذلك فقبل رأيه ، ونقل اليه فأظهر حينئذ شخصه ، وأعلن بدعوته ، وأعانه الوزير أبو علي ظاهر بن سعد المزدغاني ، لمصلحتهم فيه فاستفحل أمره ، وكثر تابعوه ، وخاف من عامّة دمشق فطلب من ابن طغتكين ووزيره أبي علي حصناً يأوي اليه فاعطوه قلعة بانياس سنة عشرين وخمسمائة ، وترك بدمشق خليفة له يدعو الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا ، وملك هو عدّة حصون في الجبال منها القدموس وغيره .

وكان بوادي التيم من أعمال بَعْلَبَكّ طوائف من المجوس والنَصْرانيّة والدرزيّة وأميرهم يسمى الضحّاك فسار بهرام لقتالهم، سنة اثنتين وعشرين، واستخلف على بانياس اسمعيل من أصحابه، ولقيهم الضحاك في ألف رجل، وكبس عسكره فهزمهم وقتله[1] وعاد فلهم الى بانياس فأقام بأمرهم اسمعيل، وجمع شملهم وبث دعاته في البلاد، وعاضده المزدغاني وزير دمشق وانتصر لهذه الطائفة، وأقام بدمشق خليفة لبهرام اسمه أبو الوفا فقوي أمره، وكثر أتباعه. واستبد على صاحبها تاج الملوك بن طغتكين. ثم ان المزدغاني راسل الفرنج ان يملكهم دمشق على ان يعطوه صور، وتواعدوا ليوم عينوه، ودس للاسماعيلية أن يكونوا ذلك اليوم على أهبة، ونمى الخبر الى اسمعيل فخاف أن يثور به الناس فأعطى بانياس للفرنج، وانتقل اليهم ومات سنة أربع وعشرين وكان للاسماعيلية قِلاعٌ في تلك الجهات تتصل بعضها ببعض أعظمها قلعة مصياف فسار صلاح الدين لما ملك الشام سنة اثنتين وسبعين إليها وحاصر مصياف وضيق حصارها، وبعث سنان مقدّم الاسماعيلية الى خال صلاح الدين بحماة، وهو شهاب الدين الحادي، أن يسأل صلاح الدين في الصلح معهم، ويتهددونه على ذلك سراً فسار الى صلاح الدين وأصلح أمرهم عنده ورحل عنهم.

---

(١) أي قتل بهرام.

بقية الخبر عن قلاع الاسماعيلية في العراق

ولم تزل قلاع هؤلاء الاسماعيلية بالعراق عشاً لهذه الغواية ، وسفطا لهؤلاء الخبّاث ، منذ سار بها أحمد بن غطاش ، والحسن بن الصبّاح . وكان لهذا الحسن مقالات في مذاهب الرافِضَةِ عَريقةٌ في الغلوّ داخلة من باب الكفر وتسميها الرافِضة المقالات الجديدة ولا يدين بقبولها إلّا الغلاة منهم . وقد ذكرها الشَهْرَسْتَاني في كتاب الملل والنحل فعليك به إن أردت معرفتها . وبقي الملوك يقصدونهم بالجهاد لما اشتهر عنهم من الضرر بالاغتيال ، ولما افترق أمر السُلجوقِيّة واستبدّ ايتغمش بالريّ وهمذان ، سار اليهم سنة ثلاث وستمائة إلى قِلاعهم المجاورة لقزوين فحاصرها ، وفتح منها خمس قلاع ، واعتزم على حصار قلعة الموت فعرض له ما شغله عن ذلك ، ثم زحف اليهم جلال الدين منكبري بن علاء الدين وخوارزم شاه عندما رجع من الهند ، وملك بلاد اذربيجان وأرمينية فقتلوا بعض أمرائه بمثل قتلهم فسار الى بلادهم ودوّخ نواحي الموت ، وقد مرّ ذكره . وقلاعهم التي بخراسان خرّبها واستباحها قتلًا ونهباً . وكانوا منذ ظهر التَتَر قد شرهوا على الجهات فأوقع بهم جلال الدين هذه الواقعة سنة أربع وعشرين وستمائة ، وكفهم عما سموا اليه من ذلك . ولما استفحل أمر التتر سار هولاكو عام الخمسين والستمائة من بغداد وخرب قلاعهم ،

وزحف الظاهر بعد ذلك إلى قلاعهم التي بالشام فخرب كثيراً منها وطوع ما بقي منها ، وصارت مصياف وغيرها في طاعته ، وانقرض أمرهم ، إلّا مغتالين يستعملهم الملوك في قتل أعدائهم على البعد غدراً ، ويسمون الفداويّة أي الذين يأخذون فدية أنفسهم على الاستماتة في مقاصد من يستعملهم . والله وارث الارض ومن عليها .

الخبر عن دولة بني الأخيضر باليمامة من بني حسن

كان موسى الجون بن عبدالله بن حسن المثنى بن الحسن السبط لما اختفى أخواه محمد وابراهيم ، طالبه أبو جعفر المنصور باحضارهما فضمن له ذلك . ثم اختفى وعثر عليه المنصور فضربه ألف سوط ، فلما قتل أخوه محمد المهدي بالمدينة اختفى موسى الجون إلى أن هلك وكان من عقبه اسمعيل وأخوه محمد الاخيضر ابنا يوسف بن ابراهيم بن موسى فخرج اسمعيل في أعراب الحجاز وتسمّى السفاك سنة احدى وخمسين ومائتين . ثم قصد مكة فهرب عاملها جعفر بسباسات ، وانتهب منزله ومنازل أصحاب السلطان ، وقتل جماعة من الجند وأهل مكة ، وأخذ ما كان حمل للاصلاح من المال ، وما في الكعبة وخزائنها من الذهب والفضّة ، وأخذ كسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحوا من مائتي ألف دينار .

ثم نهبها وأخرق بعضها بعضاً وأقام في ذلك خمسين يوماً . ثم سار الى المدينة فتوارى عاملها وحاصرها حتى مات أهلها جوعاً ولم يصلّ أحد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصل عساكر المعتزّ الى المدينة فافرج عنها ، ورجع الى مكة وحاصرها حتى جهدها الحصار ، ورحل بعد مقامه شهرين الى جدة فأخذ أموال التُجَّار ونهب ما في مراكبهم ، ورجع الى مكة ، وقد وصل اليها محمد بن عيسى بن المنصور وعيسى بن محمد المخزومي بعثهما المعتز لقتاله فتواقعوا بعرفة ، واقتتلوا وقتل من الحاج نحو ألف ، وسلبوا الناس وهربوا الى مكة ، وبطل الموقف اسمعيل وأصحابه ، وخطب لنفسه ، ثم رجع الى جدّة ، واستباحوها[1] ثانية . ثم هلك لسنة من خروجه بالجُدَري آخر سنة اثنتين وخمسين أيام حرب المستعين والمعتز . وكان يتردّد بالحجاز منذ اثنتين وعشرين سنة ، ومات ولم يعقب ، وولي مكانه أخوه محمد الاخيضر ، وكان أسنّ منه بعشرين سنة ، ونهض الى اليمامة فملكها واتخذ قلعة الخَضْرَمِيَّة ، وكان له من الولد محمد وابراهيم وعبدالله ويوسف . وهلك فولي بعده ابنه يوسف ، وأشرك ابنه اسمعيل معه في الامر مدّة حياته . ثم هلك وانفرد اسمعيل بملك اليمامة وكان له من الاخوة الحسن وصالح ومحمد

(١) كذا والأصلح واستباحها عسكره.

بنو يوسف . فلما هلك اسمعيل ولي من بعده أخوه الحسن ، وبعده ابنه أحمد بن الحسن . ولم يزل ملكها فيهم الى ان غلب عليهم القرامطه ، وانقرض أمرهم ، والبقاء لله . وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلي البحر المحيط ملك بني صالح ، ذكرهم صاحب كتاب زجار في الجغرافيا . ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعوّل عليه ، وقال بعض المؤرخين انه صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله الملقّب أبا الكرام ابن موسى الجون ، وأنه خرج أيام المأمون بخراسان ، وحُمِل اليه وحبسه وابنه محمد من بعده ، ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في بلد غانة . ولم يذكر ابن حزم في أعقاب موسى الجون صالحاً هذا بهذا النسب ولعله صالح الذي ذكرناه آنفاً في ولد يوسف بن محمد الاخيضر والله أعلم .

دولة السليمانيين

الخبر عن دولة السليمانيين من بني الحسن بمكة ثم بعدها باليمن ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم

مكة هذه أشهر من أن نعرف بها أو نصفها ، إلا أنه لما انقرض سكانها من قريش بعد المائة الثانية بالفتن الواقعة بالحجاز من العَلَويّة مرةً بعد أخرى فأقفرت من قريش ، ولم يبق بها الا

أتباع بني حسن اخلاط من النـاس ، ومعظمهم موالٍ سود من الحبشة والديلم . ولم يزل العمال عليها من قبل بني العباس وشيعتهم ، والخطبة لهم الى أن اشتغلوا بالفتن أيام المستعين والمعتزّ وما بعدهما فحدثت الرياسة فيها لبني سليمان بن داود بن حسن المثنى بن الحسن السبط . وكان كبيرهم آخر المائة الثانية محمد بن سليمان ، وليس هو سليمان ابن داود لان ذلك ذكره ابن حزم أنه قام بالمدينة أيام المأمون ، وبين العصرين نحو من مائة سنة ، سنة احدى وثلثمائة أيام المقتدر ، وخلع طاعة العباسيَّة ، وخطب في الموسم فقـال : الحمد لله الذي أعاد الحق الى نظامه ، وأبرز زهر الايمان من أكمامه وكمّل دعوة خير الرسل باسباطه لابني أعمامه ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وكف عنا ببركته أسباب المعتدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين ثم أنشد :

لأطلبنّ بسيفي ما كان للحقّ دينا
وأسطونّ بقومٍ بغوا وجاروا علينا
يعدون كلّ بلاد من العراق علينا

وكان يلقّب بالزيديّ نسبة الى نحلته من مذاهب الامامية ، وبقي ركب العراق يتعاهد مكة الى أن اعترضه أبو طاهر القرمطي سنة اثنتي عشرة ، وأسر أبا الهيجاء بن حمدان والد سيف الدولة وجماعة معه ، وقتل الحجاج وترك النساء والصبيان

بالقفر فهلكوا وانقطع الحاج من العراق بسبب القرامطة . ثم أنفذ المقتدر سنة سبع عشرة منصورا الديلمي من مواليه ، فوافاه يوم التروية بمكة أبو طاهر القرمطي فنهب الحاج ، وقتلهم حتى في الكعبة والحرم ، وامتلأ زمزم بالقتلى ، والحجاج يصيحون كيف يقتل جيران الله فيقول ليس بجار من خالف أوامر الله ونواهيه . ويتلو : انما جزاءُ الذين يحاربونَ الله ورسوله الآية . وكان يخطب لعُبَيْدِ الله المهدي صاحب افريقية . ثم قلع الحجر الاسود وحمله الى الاحساء ، وقلع باب البيت وحمله ، وطلع رجل يقلع الميزاب فسقط ومات فقال اتركوه فانه محروس ، حتى يأتي صاحبه يعني المهدي فكتب اليه ما نصه : والعجب من كتبك الينا ممتنًا علينا بما ارتكبته واجترمته باسمنا ، من حرم الله وجيرانه ، بالاماكن التي لم تزل الجاهلية تحرم إراقة الدماء فيها واهانة أهلها . ثم تعدّيت ذلك ، وقلعت الحجر الذي هو يمين الله في الارض يصافح بها عباده ، وحملته الى أرضك ورجوت أن نشكرك فلعنك الله ثم لعنك ، والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وفعل في يومه ما عمل فيه حساب غده انتهى .

فانحرفت القرامطة عن طاعة العُبَيْدِيّين لذلك . ثم قتل المقتدر على يد مؤنس سنة عشرين وثلثمائة ، وولي أخوه القاهر ، وحج بالناس أميره تلك السنة . وانقطع الحج من العراق بعدها الى أن

كاتب أبو علي يحيى الفاطمي سنة سبع وعشرين من العراق ، أبا طاهر القرمطي ، أن يطلق السبيل للحجّاج على مكس يأخذه منهم . وكان أبو طاهر يعظّمه لدينه ويؤمله فأجابه الى ذلك ، وأخذ المكس من الحجاج ولم يعهد مثله في الاسلام . وخطب في هذه السنة بمكة للراضي بن المقتدر .

وفي سنة تسع وعشرين لاخيه المقتفي من بعده ، ولم يصل ركب العراق في هذه السنين من القرامطة . ثم ولي المستكفي ابن المكتفي سنة ثلاث وثلاثين على يد توروز أمير الامراء ببغداد فخرج الحاج في هذه السنة لمهادنة القرامطة بعد أبي طاهر . ثم خطب للمطيع ابن المقتدر بمكة مع معز الدولة سنة أربع وثلاثين عندما استولى معز الدولة ببغداد ، وقلع عين المستكفي واعتقله . ثم تعطل الحاج بسبب القرامطة وردوا الحجر الاسود سنة تسع وثلاثين بأمر المنصور العَلَوي صاحب افريقية ، وخطابه في ذلك لاميرهم أحمد بن أبي سعيد .

ثم جاء الحاج الى مكة سنة اثنتين وأربعين مع أمير من العراق ، وأمير من مصر فوقعت الحرب بينهما على الخطبة لابن بويه ملك العراق ، وابن الأخشيد صاحب مصر فانهزم المصريون وخطب لابن بويه ، واتصل ورود الحاج من يومئذ . فلما كانت سنة ثمان وأربعين وجاء الحاج من بغداد ، ومصر ، كان أمير الحاج من

العراق ، ومحمد بن عبيدالله [(١)] فأجابه الى ذلك . ثم جاء الى المنبر مستعداً ، وأمر بالخطبة لابن بويه فوجم الآخر ، وتمت عليه الحيلة وعاقبه أميره كافور ويقال قتله . ووقع ابن بويه لمحمد ابن عبيد الله باتصال امارته على الحاج . ولما كانت سنة ست وخمسين ، وصل بركب العراق أبو أحمد الموسوي ، نقيب الطالبيين ، وهو والد الشريف الرضي ، ليحِجّ بالناس ، ونهب بنو سليم حاجّ مصر ، وقتل أميرهم . وفي سنة ست وخمسين حجّ بالناس أبو أحمد المذكور ، وخطب بمكة لبختيار بعد موت أبيه مُعِزّ الدولة ، والخليفة يومئذ المطيع . واتصل حَجّ أبي أحمد[(٢)] بركب العراق . وفي سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطي بمكة ، فلما قتل أحمد وقعت الفتنة بين أبي الحَسَن القَرْمَطِيّ[(٣)] وخلع طاعة العُبَيْدِيّين ، وخطب للمطيع وبعث اليه بالرايات السود ، ونهض الى دِمَشْق فقتل جعفر بن فلاح قائد العَلَوِيّين ، وخطب للمطيع .

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٦ ص ٣٤٧: وفيها وقعت الحرب بمكة بين أصحاب معزّ الدولة وأصحاب ابن طغج من المصريين، فكانت الغلبة لأصحاب معز الدولة فخطب بمكة والحجاز لركن الدولة ومعز الدولة وولده عز الدولة بختيار وبعدهم لابن طغج .

وفي تجارب الأمم : وكان أبو علي بن محمد بن عبيد الله صاحب الحاج من قبل السلطان بمكة وقاتل وقتل ابن له بين يديه .

(٢) كذا بالأصل ومقتضى السياق : ركب أبي أحمد .

(٣) كذا بالأصل، من غير انسجام في العبارة، والوقائع والسنين . وفي الكامل ج ٧ ص ٤٠، في حوادث سنة ٣٦٠ : وفيها كانت الخطبة بمكة للمطيع لله وللقرامطة الهجريين . وخطب بالمدينة للمعز لدين الله العلوي، وخطب أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي خارج المدينة للمطيع لله .

ثم وقعت الفتنة بين أبي الحسن وبين جَعْفَر ، وحصلت بينهم دماء . وبعث المُعِزّ العَلَويّ من أصلح بينهم ، وجعل دية القتلى الفاضلة في مال المعز . وهلك بمصر أبو الحسن فولِيَ أخوه عيسى . ثم وَلِيَ بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر سنة أربع وثمانين . ثم جاءت عساكر عَضُد الدولة ففرّ الحسن بن جعفر الى المدينة . ولما مات العزيز بالرَمْلَة ، وعاد بنو أبي طاهر ، وبنو أحمد بن أبي سعيد الى الفتنة فجاء من قبل الطائع أمير عَلَويّ الى مكة ، وأقام له بها خطبة .

وفي سنة سبع وستين بعث العزيز من مِصْرَ باديس بن زيري الصَنْهاجِيّ ، وهو أخو بَلْكين صاحب افريقية ، أميراً على الحاج فاستولى على الحَرَمَيْن وأقام له الخطبة ، وشغل عضد الدولة في العراق بفتنة بَخْتِيار ابن عمه فبطل ركب العراق .

ثم عاد في السنة بعدها وخطب لعضد الدولة أبو أحمد الموسوي ، وانقطعت بعدها خطبة العبَّاسِيّين عن مكة وعادت لخلفاء مصر العُبَيْدِيّين الى حين من الدهر . وعظم شأن أبي الفتوح واتصلت امارته في مكة ، وكتب اليه القادر سنة ست وتسعين في الاذن لحاج العراق فأجابه على أن الخطبة للحاكم صاحب مصر . وبعث الحاكم الى ابن جراح أمير طيء باعتراضهم ، وكان على الحاج الشريف الرضي ، وأخوه المرتضى فلاطفهم ابن الجراح وخلى سبيلهم على أن لا يعودوا . ثم اعترض حاج العراق سنة أربع

وتسعين الأُصَيْفِرِ الثَعْلَبيّ عندما ملك الجزيرة فوعظه قارئان كانا في الركب . ثم اعترضهم في السنة بعدها أعراب خفاجة ونهبوهم . وسار في طلبهم علي بن يزيد أمير بني أسد فأوقع بهم سنة اثنتين وأربعمائة . ثم عادوا الى مثل ذلك من السنة بعدها فعاد علي بن يزيد وأوقع بهم ، وسما له بذلك ذكر ، وكان سبباً لملكه وملك قومه .

ثم كتب الحاكم سنة اثنتين وأربعين الى عُمّاله بالبراءة من أبي بكر وعمر ، ونكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة ، وانتقض له ، وحمل الوزير أبو القاسم المغربي على طلب الأمر لنفسه . وكان الحاكم قتل أباه وأعمامه فخطب أبو الفتوح لنفسه ، وتلقب الراشد بالله ، وسار الى مدينة الرملة لاستدعاء ابن الجرّاح أمير طيء لمغاضبة بينه وبين الحاكم . ثم سرب الحاكم أمواله في بني الجراح فانتقضوا على أبي الفتوح وأسلموه ، وفرّ الوزير المغربي الى ديار بكر من أرض الموصل ، ومعه ابن سبابة . وفرّ التهاميّ الى الريّ ، وكان معه . وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين ، ثم راجع أبو الفتوح الطاعة فعفى عنه الحاكم وأعاده الى امارته بمكة . ولم يحج من العراق في هذه السنين أحد .

وفي سنة اثنتي عشرة حج بأهل العراق أبو الحسن محمد بن الحسن الأفساسي فقيه الطالبيين ، واعترضهم بنو نبهان من طيء ، وأميرهم حسان بن عَدِيّ ، وقاتلوهم فهزموهم ، وقتل أميرهم

حسان. وخطب في هذه السنة للظاهر بن الحاكم بمكة. ولما كان الموسم سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ضرب رجل من قوم مصر الحجر الاسود بدبوس فصدعه وثلمه، وهو يقول: كم تعبدكم تقبل[1] فتبادر اليه الناس فقتلوه، وثار أهل العراق بأهل مصر فنهبوهم وفتكوا فيهم. ثم حج بركب العراق سنة أربع عشرة النقيب بن الافساسي، وخشي من العرب فعاد الى دمشق الشام وحج في السنة التي بعدها، وبطل حج العراق.

ولما بويع القائم العباسي سنة اثنتين وعشرين رام أن يُجَهِّز الحاج فلم يقدر لاستيلاء العرب وانحلال أمر بني بويه. ثم خطب بمكة للمستنصر بن الظاهر. ثم توفي الامير أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن سليمان رئيس مكة، وبني سليمان، سنة ثلاثين وأربعمائة، لاربعين سنة من امارته، وولي بعده امارة مكة ابنه شُكْر، وجرت له مع أهل المدينة خطوب ملك في أثنائها المدينة وجمع بين الحرمين وعليه انقرضت دولة بني سليمان سنة ثلاثين بمكة، وجاءت دولة الهواشم كما يذكر.

وشكر هذا هو الذي يزعم بنو هلال بن عامر انه تزوج الجازِيَة بنت سرحان من امراء الأثبج منهم، وهو خبر مشهور بينهم في أقاصيصهم، وحكايات يتناقلونها ويُطَرِّزونها بأشعار من

---

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٧ ص ٢١٤ : وقال: إلى متى يعبد الحجر الأسود؟

جنس لغتهم ، ويسمونه الشريف ابن هاشم . وقال ابن حزم : غلب جعفر بن أبي هاشم على مكة أيام الاخشيديين ، وولي بنوه من بعده عيسى بن جعفر وأبو الفتوح وابنه شكر بن أبي الفتوح وقد انقرض لان شكراً لم يولد له ، وصار أمر مكة الى عبد كان له . انتهى كلام ابن حزم . وليس أبو هاشم الذي نُسِبَ جعفر اليه أبا الهواشم الذي يأتي ذكرهم ، لان هذا كان أيام الاخشيدِيّين ، وذلك أيام المستضيء العُبَيْدِي وبينهما نحو من مائة سنة .

دولة الهواشم

الخبر عن دولة الهواشم بمكة من بني الحسن وتصاريف أحوالهم وانقراضها

هؤلاء الهواشم من ولد أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون ، ونسبه معروف وقد مرّ . وكانت بين هؤلاء الهواشم وبين السليمانيين فتن متصلة ولما مات شكر ذهبت الرياسة من بني سليمان لانه لم يعقب . وتقدم فيهم طراد بن أحمد ، ولم يكن من بيت الامارة ، وانما كانوا يؤملونه لاقدامه وشجاعته . وكان رئيس الهواشم يومئذ

محمد بن جعفر بن محمد ، وهو أبو هاشم المذكور ، وقد ساد في الهواشم ، وعظم ذكره فاقتتلوا سنة أربع وخمسين ، بعد موت شكر فهزم الهواشم بني سليمان ، وطردوهم عن الحجاز فساروا الى اليمن ، وكان لهم بها مُلكٌ كما يذكر . واستقل بامارة مكة الامير محمد بن جعفر وخطب للمستنصر العُبَيْدِيّ ثم ابتدأ الحاج من العراق سنة ست وخمسين بنظر السلطان البارسلان بن داود ملك السلجوقية حين استولى على بغداد والخلافة ، طلب منه القائم ذلك فبذل المال وأخذ رهائن العرب . وحج بالناس أبو الغنائم نور الدين المهدي الزيني نقيب الطالبيين .

ثم جاور في السنة بعدها واستمال الامير محمد بن جعفر عن طاعة العُبَيْديّين فخطب لبني العبّاس سنة ثمان وخمسين ، وانقطعت ميرة مصر عن مكة فعذله أهله على ما فعل فرد الخطبة للعبيديين ثم خاطبه القائم وعاتبه ، وبذل له أموالا فخطب له سنة اثنتين وستين بالموسم فقط ، وكتب الى المستنصر بمصر معتذراً ثم بعث القائم أبا الغنائم الزيني سنة ثلاث وستين أميراً على الركب العراقي ، ومعه عسكر ضخم ، ولامير مكة من عند البأرسلان ثلاثون ديناراً وتوقيعاً بعشرة آلاف دينار .

واجتمعوا بالموسم وخطب الامير محمد بن جعفر وقال :

الحمدلله الذي هدانا الى أهل بيته بالرأي المصيب ، وعوض بيته بلبسة الشباب بعد لبسة المشيب ، وأمال قلوبنا الى الطاعة ، ومتابعة امام الجماعة . فانحرف المستنصر عن الهواشم ، ومال الى السليمانيين . وكتب الى عليّ بن محمد الصَّبيحيِّ صاحب دعوتهم باليمن أن يعينهم على استرجاع ملكهم ، وينهض معهم الى مكة فنهض ، وانتهى الى المهجم . وكان سعيد بن نجاح الاحول موتور بني الصبيحي قد جاء من الهند ، ودخل صنعاء فثار بها واتبع الصبيحي في سبعين رجلًا ، وهو في خمسة آلاف فبيته بالمهجم وقتله . ثم جمع محمد بن جعفر أجناداً من الترك ، وزحف بها الى المدينة فأخرج منها بني حسن ، وملكها وجمع بين الحرمين .

ثم مات القائم العباسي ، وانقطع ما كان يصل الى مكة فقطع محمد بن جعفر الخطبة للعباسيين . ثم جاء الزَّيْنيّ من قابل بالاموال فاعادها . ثم بعث المقتدي سنة سبعين منبراً الى مكة صنيعاً استجيدَ خشبه ، ونقش عليه بالذهب اسمه . وبعث على الحاج ختلع التركي . وهو أوّل تركيٍّ تأمّر على الحاج ، وكان والياً بالكوفة . وقهر العرب مع جماعته فبعثه المقتدي أميراً على الحاج فوقعت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة ، وكسر المنبر وأحرق وتم الحج . ثم عاودوا الفتنة سنة ثلاث وسبعين ، وقطعت الخطبة للمستنصر ، وأعيدت للمقتدي واتصلت أمارة ختلع على الحاج وبعده خمارتكين الى ان مات ملك شاه ، ووزيره نظام الملك

فانقطعت الخطبة للعباسيّين ، وبطل الحاج من العراق باختلاف السُلجوقيّة ، وتغلب العرب .

ومات المقتدي خليفةَ بغداد ، وبويع ابنه المستظهر ومات المستنصر خليفة مصر وبويع ابنه المستعلي (١) من امارته وهو الذي أظهر الخطبة العباسية بمكة ، وبها ابتدىء أمره وكان يسقطها بعض الاحيان . وولي بعده ابنه قاسم فكثر اضطرابه ، ومهد بنو مَزْيَد أصحاب الحِلّة طريق الحاج من العراق فاتصل حجهم . وحجّ سنة اثنتي عشرة وخمسمائة نظر الخادم من قبل المسترشد بركب العراق ، وأوصل الخلع والأموال الى مكة . ثم توفي قاسم بن محمد سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من امارته ، وكانت في اضطراب . وتغلب وولي بعده ابنه أبو قليبة بمكة فافتتح بالخطبة العباسيّة ، وأحسن الثناء عليه بالعدل ، ووصل نظر الخادم أميراً على الركب ومعه الاموال والخلع .

ثم مات أبو قليبة سنة سبع وعشرين لعشر سنين من امارته ، والخطبة للعباسيين ، وامارة الحاج لنظر الخادم . ثم كانت واقعة المُسْتَرْشِدْ مع السلطان مسعود ومقتله ، وتعطل ركب الحاج . ثم حج نظر الخادم في السنة بعدها . ثم بعثت أسماء الصَبيحيّة صاحبة

(١) كذا بياض بالأصل وف يالكامل ج ٨ ص ١٧٣ : ولما مات (المستنصر) ولي بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بالله ومولده في المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه فخلعه الأفضل وبايع المستعلي بالله .

اليمن لأمير مكة قاسم بن أبي قُلَيْبَة فتوعدته على قطع خطبة الحافظ ، وماتت فكفاه الله شرَّها ، وانقطع الركب العراقي في هذه السنين للفتن والغلاء . ثم حج سنة أربع وأربعين نظر الخادم ومات في طريقه فوليَ قَيْماز واعترضه رهط من الأعراب فنهب الركب ، واتصل حج قيماز والخطبة لبني العباس الى سنة خمس وخمسين قبله .

وبويع المستنجد فخطب له كما كان لابيه المقتفي . ثم قتل قاسم بن أبي قليبة سنة ست وستين ، وبعث المستضيء بالركب طاتنكين التركي . وانقرضت دولة العبيديين بمصر ، ووليها صلاح الدين بن أيوب ، واستولى على مكة واليمن ، وخطب له بالحرمين ثم مات المستضيء سنة خمس وسبعين ، وبويع ابنه الناصر ، وخطب له بالحرمين ، وحجت أمه بنفسها سنة خمس وثلاثين ، وكانت له آثار عظيمة ورجعت فانهت الى الناصر ابن عيسى بن قاسم ما اطلعت عليه من أحواله فعزله عن امارة مكة ، وولى أخاه مكثر بن قاسم ، وكان جليل القدر ، ومات سنة تسع وثمانين السنة التي مات فيها صلاح الدين . وضعف أمر الهواشم . وكان أبو عزيز بن قتادة يناسبهم من جهة النساء فورث أمرهم ، وملك مكة من أيديهم ، وانقرضت دولتهم ، والبقاء لله .

بنو قتادة

الخبر عن بني قتادة أمراء مكة بعد الهواشم ثم عن بني أبي نمي منهم أمراؤها لهذا العهد

كان من ولد موسى الجون الذي مرّ ذكره في بني حسن ، عبدالله أبي الكرام ، وكان له على ما نقل نسابتهم ثلاثة من الولد : سليمان وزيد وأحمد . ومنه تشعبت ولده . فأمّا زيد فولده اليوم بالصحراء بنهر الحسنية ، وأما أحمد فولده بالدهناء ، وأما سليمان فكان من ولده مُطاعن بن عبد الكريم بن يوسف ابن عيسى بن سليمان . وكان لمطاعن ادريس وثعلب ، بالثعالبة بالحجاز . فكان لادريس ولدان قَتادَة النابغة وصرخة . فأمّا صرخة فولده شيع يعرفون بالشكَرة ، وأمّا قتادة النابغة فكان يكنّى أبا عزيز ، وكان من ولده عليّ الاكبر وشقيقه حسن. فمن ولد حسن ادريس وأحمد ومحمد وجماز ، وامارة يَنْبُع في أعقابهم ومنهم لهذا العهد أميران يتداولان امارتها من ولد ادريس بن حسن بن ادريس وأمّا أبو عزيز قتادة النابغة فمن ولده موالي عز أمراء مكة لهذا العهد . وكان بنو حسن بن الحسن كلهم موطنين بنهر العلقميّة من وادي ينبع لعهد امارة الهواشم بمكة وكانوا ظواعن بادية . ولما نشأ فيهم قتادة هذا جمع قومه ذوي مطاعن ، وأركبهم واستبد

بامارتهم، وكان بوادي ينبع بنو خراب من ولد عبدالله بن حسن ابن الحسن، وبنو عيسى ابن سليان بن موسى الجون فحاربهم بنو مطاعن هؤلاء، وأميرهم أبو عزيز قتادة وأخرجهم، وملك ينبع والصفراء، واستكثر من الجند والماليك. وكان على عهد المستنصر العباسي في أواسط المائة السادسة.

وكان الامراء يومئذ بمكة الهواشم من ولد جعفر بن هاشم ابن الحسن بن محمد بن موسى بن أبي الكرام عبدالله، وقد مرّ ذكرهم. وكان أخرجهم مكثر بن عيسى بن قاسم الذي بنى القلعة على جبل أبي قُبَيس، ومات سنة تسع وثمانين وخمسمائة فسار قتادة الى مكة، وانتزعها من أيديهم وملكها، وخطب للناصر العبّاسي، وأقام في امارتها نحواً من أربعين سنة. واستفحل ملكه، واتسع الى نواحي اليمن، وكان لقبه أبا عزيز. وفي سنة ثلاث وستمائة حج بالركب وجه السبع التركي من مماليك الناصر، وفرّ من طريقه الى مصر فنهب الركب. وفي سنة ثمان وستمائة وثب شخص من حاج العراق على شريف من قرابة قتادة فقتله فاتهم الشرفاء به أمراء الركب فثاروا بهم، وقتلوا منهم خلقاً. ثم بعث اليهم بالاموال من بغداد، وبعث قتادة بعض أولاده يستعتب فأعتب.

وفي سنة خمس عشرة خطب بمكة للعادل بن أيوب بعد الناصر الخليفة، وللكامل بن العادل بعدهما.

وفي سنة ست عشرة كان خروج التتر ، وكان قتادة عادلا وأمن الناس في أيامه ، ولم يعد قط على أحد من الخلفاء ولا من الملوك ، وكان يقول أنا أحق بالخلافة ، وكانت الأموال والخلع تحمل اليه ، واستدعاه الناصر في بعض السنين فكتب اليه :

ولي كفُّ ضِرْغَام أُذِلُّ بِبَسْطِها وأشري بها عزَّ الورى وأبيع
تظلّ ملوك الارض تَلْثِمُ ظهرها وفي بطنها للمُجْدبين ربيع
أأجعلها تحت الرجا ثم ابتغي خلاصاً لها إني اذاً لوضيع
وما أنا إلّا المسْك في كل بقعة يضوعُ وأمّا عندكم فيضيع

واتسعت دولته فملك ملك مكة والينبع وأطراف اليمن ، وبعض اعمال المدينة ، وبلاد نجد ، وكان يستكثر من المماليك . وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة ، ويقال سمه ابنه حسن ويقال داخل ابنه حسن جاريته فأدخلته ليلًا فخنق أباه ، ثم قتلها وملك مكة ، وامتعض لذلك ابنه راجح بن أبي عزيز قتادة ، وشكاه الى أمير حاج أقباش التركي عند وصوله فأشكاه ، ووعده بالانصاف منه فأغلق حسن أبواب مكة ، وخرج بعض اصحابه الى الامير اقباش فلقوه عند باب المعلى فقتلوه ، وعلقوه بالمسعى .

ثم جاء المسعود بن الكامل سنة عشرين من اليمن الى مكة فحجّ وقاتله حسن ببطن المسعى فغلبه المسعود ، وملك مكة ، ونصب رايته ، وأزال راية أمير الركب ، وكتب الخليفة من

بغداد يعاتب أباه على ذلك ، وعلى ما فعله في مكة والتخلف فكتب اليه أبوه : برئت يا أقسى من ظهر العادل ان لم أقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك ، ولا حول ولا قوّة الا بالله العليّ العظيم . فغرم ديات الشرفاء ، وأصابه شلل في يده، ومضى حسن بن قتادة الى بغداد صريخاً بعد أن بقي طريداً بالشام والجزيرة والعراق . ثم جاء الى بغداد دخيلا وهمّ الترك بقتله باقباش أمير الركب فمنعوا منه . ومات ببغداد سنة اثنتين وعشرين ودفن بمشهد الكاظم . ثم مات المسعود بن الكامل بمكة سنة ست وعشرين ، ودفن بالمعلى وبقي على مكة قائده فخر الدين بن الشيخ ، وعلى اليمن أمير الجيوش عمر بن علي بن رسول .

وقصد راجح بن قتادة مكة سنة تسع وعشرين مع عساكر عمر بن رسول فملكها سنة ثلاثين من يد فخر الدين بن الشيخ ، ولحق فخر الدين بمصر ، ثم جاءت عساكر مصر سنة اثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل ، وملكوا مكة ، وهرب راجح الى اليمن . ثم جاء عمر بن رسول معه بنفسه فهربت عساكر مصر ، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد المستنصر . ولما ملك التتر العراق سنة اربع وثلاثين ، وعظم أمرهم وانتهوا الى اربل أبطل المستنصر الحج من أمر الجهاد ، وأفتاه العلماء بذلك .

ثم جهز المعتصم الحاج مع أمّه سنة ثلاث وأربعين وشيعها الى الكوفة . ولما حجت ضرب تركي في الموسم شريفاً وكتب راجح

فيه الى الخليفة فقطعت يده ، وبطل الحج بعد ذلك . ثم قوي أمر الموطيء امام الزيدية باليمن ، واعتزم على قطع الخطبة لبني العباس فضاق به المظفر بن عمر بن رسول ، وكاتب المعتصم يحرّضه على تجهيز الحاج بسبب ذلك . ثم قوي أمر الموطىء امام الزيدية باليمن ، وسار جماز بن حسن بن قتادة سنة احدى وخمسين الى الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيّوب بدمشق مستجيشاً على أبي سعيد ، على ان يقطع ذكر صاحب اليمن من مكة فجهز له عسكراً ، وسار الى مكة فقتل أبا سعيد في الحرم ، ونقض عهد الناصر ، وخطب لصاحب اليمن .

قال ابن سعيد : وفي سنة ثلاث وخمسين بلغني وأنا بالمغرب أنّ راجح بن قتادة جاء الى مكة وهو شيخ كبير السن ، وكان يسكن السدير على نحو اليمن فوصل الى مكة ، وأخرج منها جماز بن أبي عزيز فلحق بالينبع . قال : وفي سنة اثنتين وستين وصل الخبر الى المغرب بأنّ أمر مكة دائر بين أبي نمي بن ابي سعيد الذي قتِلَ جمازُ بهِ على امارة مكة ، وبين غالب بن راجح الذي أخرجه أبوه جماز الى الينبع . ثم استبدّ أبو نمى على أمر مكة، ونفى قَتَلَةَ أبيه أبي سعيد الى الينبع ، وهم ادريس وجماز ومحمد ، وقد كان ادريس منهم وَلِيَ أمر مكة قليلًا فانطلقوا الى الينبع وملكوه ، وأعقابهم أمراؤه لهذا العهد . وأقام أبو نمى أميراً

بمكة نحواً من خمسين سنة ، وهلك على رأس المائة السابعة أو بعدها بسنتين ، وخلف ثلاثين ولداً .

امارة بني أبي نمي بمكة

ولما هلك أبو نمى قام من بعده بأمر مكة ابناه رُمَيْثَة وحُمَيْضة ونازعهما عطيفة وأبو الغيث فاعتقلاهما ، ووافق ذلك وصول بيبرس الجاشنكير كافل الملك الناصر بمصر ، لاوّل ولايته فأطلقهما وولاهما وبعث برميثة وحميضة الى مصر ، ثم ردّهما السلطان الى امارتهما بمكة مع عسكره ، وبعث اليه بعطيفة وأبي الغيث . ثم طال تنازعهم وتعاقبهم في امارة مكة مرة بعد أخرى . وهلك أبو الغيث في بعض حروبهم ببطن مرّ . ثم تنازع حميضة ورُمَيْثَة ، وسار رميثة الى الملك الناصر سنة خمس عشرة ، واستمدّ بأمرائه وعساكره . وهرب حميضة بعد أن استصفى أموال أهل مكة . ثم رجع بعد رجوع العساكر الى مكة . ثم اصطلحوا وتوافقوا . ثم خالف عطيفة سنة ثمان عشرة ، ووصل الى السلطان ، وجاء بالعسكر فملك مكة ، وتقبّض على رميثة فسجن أياماً ثم أطلق سنة عشرين عند مقدم السلطان من حجه ، وأقام بمصر .

وبقي حميضة مشرداً الى ان استأمن السلطان فأمنه ، وكان معه جماعة من المماليك فرّوا اليه من مصر أيام انتقاضه فشعروا

بطاعته فخافوا على أنفسهم أن يحضروا معه فقتلوه ، وجاؤا الى السلطان يعتقدون ذلك وسيلة عنده فأقاد رميثة منهم بأخيه فقتل المباشر للقتل ، وعفا عن الباقين . وأطلق رميثة الى مكة مشاركاً لاخيه عطيفة في امارتها . ثم هلك عطيفة ، وأقام أخوه رميثة بعده مستقلًا بامارة مكة الى أن كبر وهرم . ثم هلك وكان ابناه ثقبة وعجلان قد اقتسما معه امارة مكة برضاه . ثم أراد الرجوع عن ذلك فلم يجيباه الى شيء مما أراد ، واستمرا على ولايتهما معه . ثم تنازعا وخرج ثقبة ، وبقي عجلان بمكة . ثم غلبه عليها ثقبة ، ثم اجتمعا بمصر سنة ست وخمسين فولى صاحب الامر بمصر عجلان منها ، وفرّ ثقبة الى بلاد الحجاز فأقام هنالك ، وعاقبه الى مكة مراراً . وجاء عجلان سنة اثنتين وستين بالمدد من عسكر القاهرة فكبسه ثقبة وقتل أخاه وبعضاً من العسكر ولم يزل عجلان على امارته سالكاً سبيل العدل والانصاف في الرعية ، متجافياً عن الظلم عمّا كان عليه قومه من التعرّض للتجار والمجاورين . وسعى في أيام امارته في قطع ما كان لعبيدهم على الحاج من المكس . وثبت لهم في ديوان السلطان عليها عطاء يتعاهدهم أيام الموسم ، وكانت من حسنات سلطان مصر . وسعى هذا الامير عجلان جزاه الله خيراً ، وأقام على ذلك الى أن هلك سنة سبع وسبعين ، وولي ابنه أحمد بعده . وقد كان فوّض اليه في حياته وقاسمه في أمره فقام أحمد بأمر مكة ، وجرى على سنن

أبيه في اثبات مراسم العدل واحياء معالمه ، حتى شاع عنه ذلك في الآفاق على ألسنة الحاج والمجاورين .

وولاه صاحب مصر لعهده الملك الظاهر أبو سعيد برقوق على ما كان أبوه . وسير اليه بالخلع والتفويض على عادتهم في ذلك . وكان في محبس أحمد جماعة من قرابته منهم أخوه محمد ، ومحمد ابن أخيه ثقبة ، وعنان ابن عمه مَغامِس ، في آخرين . فلما مات أحمد هربوا من محبسهم ولحقوا بهم فردوهم ، وأجلوا محمد بن عجلان منهم ، إلّا عناناً فانه لحق بمصر مستجيشاً على محمد وكبيش فأنجده السلطان وبعثه مع أمير الركب ليطالع أحوالهم ، واستصحب معه جماعة من الباطِنيَّة فتكوا بمحمد عند لقائه المحمل الذي عليه كسوة الكعبة بشارة الخليفة ، وتقبيله الخفّ الذي يحمله على العادة في ذلك ، وتركوه صريعاً في مكانه ، ودخلوا الى مكة فولى أمير الحاج عنان بن مغامس ، ولحق كبيش وشيعته بجدّة فلما انقضى الموسم ورجع الحاج ، جاء كبيش وأصحابه وحاصروا مكة .

وكان بينهم وبين عنان حروب قتل كبيش في بعضها . ثم لحق عليّ بن عجلان وأخوه حسن بالملك الظاهر صاحب مصر فرأى أن يحسم المادّة بولايته فولّاه سنة تسع وثمانين مشاركاً لعنان بن مغامس في الامارة ، وسار مع أمير الركب فلما وصلوا لكومرد بكروا الى مكة على العادة ، وخرج عنان للقائهم . ثم

نكص من بعض الطريق هارباً ، ودخل على مكة واستقل بامارتها . ولما انفضّ الموسم ورجع الحاج جاء عنان ومعه بنو عمه مبارك ، وجماعة الشرفاء فحاصروا مكة على عليّ ونازعوه الامارة ثم أفرجوا ، ثم رجعوا ، وحالهم على ذلك متصل لهذا العهد . ووفدوا على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين فأفرد علياً بالامارة وأفاض عليه العطاء ، وأكثف له الجند والمستخدمين ، وأبقى عنان بن مغامس عنده ، وأجرى عليه الرزق ونظمه في أهل دولته . ثم نمى الى السلطان أنه يروم الفرار الي الحجاز لينازع أمير مكة عليّ بن عجلان فقبض عليه وحبسه ، وقبض عليّ بن عجلان على الاشراف الذين كانوا هنالك شيعة له . ثم منّ عليهم وأطلقهم فعادوا الى منازعته والفتنة معه لهذا العهد ، والله متولي الامور لا رب غيره .

الخبر عن بني مهنى أمراء المدينة النبوية من بني الحسن وذكر أوليتهم ومفتتح امارتهم

كانت المدينة بلد الانصار من الأوس والخزرج كما هو معروف . ثم افترقوا على أقطار الارض في الفتوحات وانقرضوا ، ولم يبق بها أحد إلّا بقايا من الطالبيّين . قال ابن الحصين في ذيله على الطبري : دخلت المائة الرابعة والخطبة بالمدينة للمقتدر . قال: وتردّدت ولاية بني العبّاس عليها والرياسة فيها بين بني حسين وبني

جعفر الى أن أخرجهم بنو حسين فسكنوا بين مكة والمدينة .

ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد الى القرى والحصون ، وأجازوهم الى الصعيد فهم هنالك الى اليوم . وبقي بنو حسين بالمدينة الى أن جاءهم ظاهر بن مسلم من مصر فملّكوه عليهم . وفي الخبر عن وصول ظاهر هذا أن مسلماً أباه اسمه محمد بن عبيد الله بن ظاهر بن يحيي المحدّث بن الحسن بن جعفر ، ويسمى عند الشيعة حجة الله بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن زين العابدين ، وكان مسلم هذا صديقاً لكافور المتغلب على الاخشيدية بمصر ، وكان يدبّر أمره ، ولم يكن بمصر لعصره أوجه منه . ولما ملك العُبَيْدِيّون مصر ، وجاء المعزّ لدين الله ، ونزل بالقاهرة التي اختطّها وذلك سنة خمس وستين وثلثمائة خطب يومئذٍ من مسلم هذا كريمته لبعض بنيه فردّه مسلم فسخطه المعزّ ونكبه ، واستصفى أمواله ، وأقام في اعتقاله الى أن هلك . ويقال فرّ من محبسه فهلك في مفرّه ، ولحق ابنه ظاهر بن محمد بعد ذلك بالمدينة فقدّمه بنو حسين على أنفسهم ، واستقل بامارتها سنين .

ثم مات سنة احدى وثمانين وثلثمائة وولي مكانه ابنه الحسن . وفي كتاب العتبي مؤرخ دولة ابن سبكتكين : ان الذي ولي بعده هو صهره وابن عمه داود بن القاسم ابن عبيد الله بن ظاهر ، وكنيته أبو عليّ ، واستقل بها دون ابنه الحسن إلى أن هلك ، وولي بعده ابنه هاني ، ثم ابنه مهنّى . ولحق الحسن بمحمود بن

سبكتكين فأقام عنده بخراسان ، وهذا غلط لان المُسَبِّحيّ مؤرخ العُبَيْديّين ذكر وفاة ظاهر بن مسلم في سنتها كما قلناه وولاية الحسن ابنه . وقال : في سنة ثلاث وثمانين وعامل المدينة الحسن ابن طاهر ويلقب مهنى والمسبحي أقعد بأخبار المدينة ومصر من العتبي ، إلّا أن أمراء المدينة لهذا العهد ، ينتسبون الى داود ويقولون : جاء من العراق فلعلهم لقنوا ذلك عمن لا يعرفه . ومؤرّخ حماة متى ينسب أحداً من أوّليهم فانما ينسبه الى أبي داود والله اعلم .

وقال أبو سعيد : وفي سنة تسعين وثلثمائة ملكها أبو الفتوح حسن بن جعفر أمير مكة من بني سليمان بأمر الحاكم العبيدي ، وأزال عنها امارة بني مهنّى من بني الحسين ، وحاول نقل الجسد النبويّ إلى مصر ليلًا فأصابتهم ريح عاصفة أظلم لها الجوّ ، وكادت تقتلع البناء من أصله فردّهم أبو الفتوح عن ذلك ، ورجع الى مكة . وعاد بنو مهنى الى المدينة . وذكر مؤرّخ حماة من أمرائهم منصور بن عمارة ، ولم ينسبه ، وقال : مات سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، وولي بعده ابنه . قال : وهم من ولد مهنى . وذكر منهم أيضاً القاسم بن مهنى ابن حسين بن مهنى بن داود ، وكنيته أبو قليتة ، وأنه حضر مع صلاح الدين بن أيّوب غزاة انطاكية وفتحها سنة أربع وثمانين وخمسمائة . وقال الزنجازي مؤرخ الحجاز فيما ذكر عنه ابن سعيد ، حين ذكر ملوك المدينة من ولد

الحسين فقال : وأحقهم بالذكر لجلالة قدره قاسم بن جماز بن قاسم ابن مهنى . ولّاه المستضيء فأقام خمساً وعشرين سنة . ومات سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وولي ابنه سالم بن قاسم ، وكان شاعراً وهو الذي كانت بينه وبين أبي عزيز قتادة صاحب مكة وقعة المصارع ببدر سنة احدى وستمائة . زحف أبو عزيز من مكة وحاصره بالمدينة ، واشتدّ في حصاره . ثم ارتحل ، وجاء المدد الى سالم من بني لام احدى بطون همذان فأدرك أبا عزيز ببدر واقتتلوا وهلك من الفريقين خلق ، وانهزم أبو عزيز الى مكة .

وفي سنة احدى وستمائة جاء المعظّم عيسى بن العادل فجدد المصانع والبرك ، وكان معه سالم بن قاسم أمير المدينة ، جاء يشكو من قتادة فرجع معه ، ومات في الطريق قبل وصوله الى المدينة . وولي بعده ابنه شيخة ، وكان سالم قد استخدم عسكراً من التركمان فمضى بهم جماز بن شيخة الى قتادة وغلبه ، وفرّ الى الينبع ، وتحصن بها . وفي سنة سبع وأربعين قتل صاحب المدينة شيخة ، وولي ابنه عيسى . ثم قبض عليه أخوه جماز سنة تسع وأربعين وملك مكانه .

قال ابن سعيد : وفي سنة تسع وخمسين كان بالمدينة أبو الحسن ابن شيخة بن سالم ، وقال غيره : كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين أبو مالك منيف بن شيخة ومات سنة سبع وخمسين ، وولي أخوه جماز ، وطال عمره ومات سنة أربع وسبعمائة ، وولي

ابنه منصور . ولحق أخوه مقبل بالشام ، ووفد على بيبرس بمصر فأقطعه نصف أقطاع منصور . ثم أقبل الى المدينة على حين غفلة من أخيه منصور ، وبها ابنه أبو كبيشة فملكها عليه ، ولحق أبو كبيشة باحياء العرب ، ثم استجاشهم ، ورجع الى المدينة سنة تسع فقتل عمه مقبلاً . وجاء منصور الى محل امارته . وكان لمقبل ابن اسمه ماجد فأقطع بعض اقطاع أبيه فأقام مع العرب يجلب على المدينة ، ويخالف منصوراً عمه اليها متى خرج عنها . ووقع بين منصور وبين قتادة صاحب الينبع حرب سنة احدى عشرة من أجله . ثم جاء ماجد بن مقبل بالمدينة سنة سبع عشرة لقتال عمه منصور ، واستنجد منصور بالسلطان فبعث اليه العساكر وحاصر ماجد بن مقبل بالمدينة . ثم قاتلهم وانهزم وبقي منصور على امارته وتوفي سنة خمس وعشرين وولي ابنه كبيش ابن منصور على امارته ، وطالت أيامه ، ونازعه ودي بن جماز وحاصره ، وولي بعده طفيل وقبض عليه طاز سنة احدى وخمسين وولي عطية . ثم توفي عطية سنة ثلاث وثمانين وولي بعده طفيل ، وقبض عليه فامتنع وولي جماز بن هبة بن جماز بن منصور وملوك الترك بمصر يختارون لولايتها من هذين البيتين ، لا يعدلون عنها الى سواهما . وولايتها اليوم لجماز بن هبة بن جماز ، وابن عمه عطية ابن محمد بن عطية ينازعه ، لما بينهما من المنازعة والمنافسة قديماً وحديثاً شأن العجليين في التثوّر ، وهما جميعاً على

مذهب الإماميَّة من الرافِضَة ، ويقولون بالائمة الاثني عشر وبما يناسب ذلك من اعتقادات الامامية . والله يخلق ما يشاء ويختار . هذا آخر الخبر عن امراء المدينة ، ولم أقف على اكثر منه ، والله المقدّر لجميع الامور سبحانه لا إله إلا هو .

الخبر عن دولة بني الرسى أئمة الزيدية بصعدة وذكر أوليتهم ومصاير أحوالهم

قد ذكرنا فيما تقدّم خبر محمد بن ابراهيم ، الملقب أبوه طباطبا ابن اسمعيل بن ابراهيم بن حسن الدعي ، وظهوره أيام المأمون ، وقيام أبي السرايا ببيعته وشأنه كله . ولما هلك وهلك أبو السرايا وانقرض أمرهم ، طلب المأمون أخاه القاسم الرسي بن ابراهيم طباطبا ففرّ الى السند ، ولم يزل به الى أن هلك سنة خمس وأربعين ومائتين ، ورجع ابنه الحسن الى اليمن ، وكان من عقبه الائمة بصعدة من بلاد اليمن أقاموا للزيدية بها دولة اتصلت آخر الايام وصعدة جبل في الشرق عن صنعاء ، وفيه حصون كثيرة أشهرها صعدة وحصن تلا وجبل مطابة ، وتعرف كلها ببني الرسي .

وأوّل من خرج بها منهم يحي بن الحسين بن القاسم الرسي ، دعا لنفسه بصعدة ، وتسمى بالهادي ، وبويع بها سنة ثمان وثمانين في حياة أبيه الحسين ، وجمع الجموع من شيعتهم وغيرها ، وحارب ابراهيم بن يعفر . وكان أسعد بن يعفر السادس من أعقاب التبايعة

لصنعاء وكلا فغلبه على صنعاء ونجران فملكها وضرب السكة ، ثم انتزعها بنو يعفر منه ، ورجع الى صعدة وتوفي سنة ثمان وتسعين لعشر سنين من ولايته ، هكذا قال ابن الحارث قال : وله مصنفات في الحلال والحرام . وقال غيره : كان مجتهداً في الاحكام الشرعية ، وله في الفقه آراء غريبة وتواليف بين الشيعة معروفة .

قال الصولي : وولي بعده ابنه محمد المرتضى ، واضطرب الناس عليه ، وهلك سنة عشرين وثلثمائة لست وعشرين سنة من ولايته . وولي بعده أخوه الناصر أحمد واستقام ملكه ، واطرد في بنيه بعده فولي بعده ابنه حسين المنتجب ، ومات سنة أربع وعشرين . وولي بعده أخوه القاسم المختار إلى أن قتله أبو القاسم الضَّحَّاك الهمداني سنة أربع وأربعين . وقال الصولي : من بني الناصر الرشيد والمنتجب ومات سنة أربع وعشرين . وقال ابن حزم لما ذكر ولد أبي القاسم الرسي فقال : ومنهم القائمون بصعدة من أرض اليمن ، أوّلهم يحيى الهادي ، له رأي في الفقه ، وقد رأيته، ولم يبعد فيه عن الجماعة كل البعد . كان لابيه أحمد الناصر بنون ولي منهم صعدة بعده جعفر الرشيد ، وبعده أخوه القاسم المختار، ثم الحسن المنتجب ومحمد المهدي .

قال : وكان اليماني القائم بماردة سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة

يذكر أنه عبدالله بن أحمد الناصر أخو الرشيد والمختار والمنتجب والمهدي وقال ابن الحاجب : ولم تزل امامتهم بصعدة مطّردة الى أن وقع الخلاف بينهم ، وجاء السليمانيون من مكة عندما أخرجهم الهواشم فغلبوا عليهم بصعدة . وانقرضت دولتهم بها في المائة السادسة . قال ابن سعيد : وكان من بني سليمان حين خرجوا من مكة الى اليمن أحمد بن حمزة بن سليمان ، فاستدعاهم أهل زبيد لينصروهم على عليّ بن مهدي الخارجي حين حاصرهم، وبها فاتك بن محمد من بني نجاح فأجابهم على أن يقتلوا فاتكاً فقتلوه سنة ثلاث وخمسمائة ، وملكوا عليهم أحمد بن حمزة فلم يطق مقاومة علي بن مهديّ ففرّ عن زبيد وملكها ابن مهديّ قال : وكان عيسى بن حمزة أخو أحمد في عشرة باليمن ، ومنهم غانم بن يحيى ثم ذهب ملك بني سليمان من جميع التهائم والجبال واليمن على يد بني مهدي . ثم ملكهم بنو أيوب وقهروهم ، واستقرّ ملكهم آخراً في المنصور عبدالله بن أحمد بن حمزة .

قال ابن النديم : أخذ الملك بصعدة عن أبيه واشتدّت يده مع الناصر العباسي ، وكان يناظره ويبعث دعاته الى الديلم وجيلان ، حتى خُطِب له هنالك وصار له فيها ولاة ، وأنفق الناصر عليه أموالاً في العرب باليمن ولم يظفر به . قال ابن الاثير : جمع المنصور عبدالله بن حمزة أيام الزيدية بصعدة سنة اثنتين وخمسمائة ، وزحف الى اليمن فخاف منه المعزّ بن سيف

الاسلام طغتكين بن أيوب . ثم زحف اليه المعز فهزمه ، ثم جمع ثانية سنة اثنتي عشرة وستمائة جموعاً من همذان وخولان ، وارتجت له اليمن ، وخاف المسعود بن الكامل وهو يومئذ صاحب اليمن ، ومعه الكرد والترك ، وأشار أمير الجيوش عمر بن رسول بمعاجلته قبل أن يملك الحصون .

ثم اختلف أصحاب المنصور ، ولقيه المسعود فهزمه ، وتوفي المنصور سنة ثلاثين وستمائة عن عمر مديد ، وترك ابناً اسمه أحمد ولاه الزيدية ، ولم يخطبوا له بالامامة ينتظرون علو سنه واستكمال شروطه ولما كانت سنة خمس وأربعين بايع قوم من الزيديّة لاحمد الموطىء من بقية الرسي ، وهو أحمد بن الحسين من بني الهادي لانهم لما أخرجهم بنو سليمان من كرسي امامتهم بصعدة آووا الى جبل قطابة بشرقي صعدة فلم يزالوا هنالك ، وفي كل عصر منهم امام شائع بأن الامر اليهم إلى ان بايع الزيديّة الموطىء ، وكان فقيهاً أديباً عالماً بمذهبهم قوّاماً صوّاماً ، بويع سنة خمس واربعين وستمائة .

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الاكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الرابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثاني

٧

دار الكتاب اللبناني بيروت



القسم الثاني

المجلد الرابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

وأهم نور الدين عمر بن رسول شأنه فحاصره بحصن تلا سنة وامتنع عليه فأفرج عنه ، وحمل العساكر من الحصون المجاورة لحصاره . ثم قتل عمر بن رسول ، وشغل ابنه المظفر بحصن الدملوة فتمكن الموطىء ، وملك عشرين حصناً ، وزحف الى صعدة فغلب السليمانيين عليها ، وقد كانوا بايعوا لأحمد بن امامهم عبدالله المنصور ، ولقبوه المتوكل عندما بويعا للموطىء بالامامة في تلا لانهم كانوا ينتظرون استكمال سنة فلما بويع الموطىء بايعوه ، ولما غلبهم على صعدة نزل أحمد المتوكل امامهم ، وبايع له وأمنه ، وذلك سنة تسع وأربعين ، ثم حج سنة خمسين وبقي أمر الزيدية بصعدة في عقب الموطىء هذا وسمعت بصعدة أنّ الامام بصعدة كان قبل الثمانين والسبعمائة علي بن محمد في أعقابهم ، وتوفي قبل الثمانين والسبعمائة علي بن محمد من أعقابهم . وولي ابنه صلاح ، وبايعه الزيدية . وكان بعضهم يقول ليس هو بامام لعدم شروط الامامة فيقول هو أنا لكم ما شئتم إمام او سلطان . ثم مات صلاح

آخر سنة ثلاث وتسعين ، وقام بعده ابنه نجاح ، وامتنع الزيدية من بيعته فقال أنا محتسب لله ، هذا ما بلغنا عنهم بمصر أيام المقام فيها ، والله وارث الارض ومن عليها .

نسب الطالبيين

الخبر عن نسب الطالبيين وذكر المشاهير من أعقابهم

وأمّا نسب هؤلاء الطالبيين فأكثرها راجع الى الحسن والحسين ابني عليّ بن أبي طالب ، من فاطمة رضي الله عنها ، وهما سبطا الرسول صلى الله عليه وسلم والى أخيهما محمد بن الحنفية ، وإن كان لعليّ رضي الله عنه غيرهم من الولد ، إلا أنّ الذين طلبوا الحق في الخلافة ، وتعصبت لهم الشيعة ، ودعوا لهم في الجهات انما هم الثلاثة لا غيرهم ، فأمّا الحسن فمن ولده الحسن المُثَنَّى وزيد ، ومنهما العقب المشهود له في الدعوة والامامة . ومن ولد حسن المثنى عبدالله الكامل ، وحسن المثلث وابراهيم العمر وعباس وداود . فأمّا عبدالله الكامل وبنوه فقد مرّ ذكرهم وأنسابهم عند ذكر ابنه ، محمد المهدي ، وأخبارهم مع أبي جعفر المنصور .

وكان منهم الملوك الادارسة بالمغرب الاقصى ، بنو ادريس بن ادريس بن عبدالله الكامل . ومن عقبهم بنو حمود ملوك الاندلس

الدائلون بها من بني أمية آخر دولتهم . ومنهم بنو حمود بن أحمد ابن عليّ بن عبيدالله بن عمر بن ادريس ، وسيأتي ذكر أخبارهم . ومنهم بنو سليمان بن عبدالله الكامل ، كان من عقبه ملوك اليمامة بنو محمد الاخيضر بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون ، ومنهم بنو صالح بن موسى بن عبدالله الساقي ويلقب بأبي الكرام بن موسى الجون ، وهم الذين كانوا ملوكاً بغانة من بلاد السودان بالمغرب الاقصى ، وعقبهم هنالك معروفون .

ومن عقبه أيضاً الهواشم بنو أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد الاكبر بن موسى الثاني بن عبدالله أبي الكرام . كانوا أمراء مكة لعهد العُبَيدِيّين ، وقد مرّ ذكرهم . ومن أعقابهم بنو قَتادَة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان ابن موسى الجون، وملكوا مكة بعد الهواشم على يد قتادة أبيهم هذا . فمنهم بنو نمى بن سعد بن عليّ بن قتادة أمراء مكة لعهدنا . ومن عقب داود بن حسن المثنى السليمانيون الذين كانوا بمكة ، وهم بنو سليمان بن داود ، وغلبهم عليها الهواشم آخراً وصاروا الى اليمن فقامت الزيدية بدعوتهم كما مرّ في أخبارهم .

ومن عقب حسن المثلث بن حسن المثنى حسين بن عليّ بن حسن المثلث الخارج على الهادي ، وقد مرّ ذكره . ومن عقب ابراهيم العمر بن حسن المثنى بن طباطبا ، واسمه ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم كان منهم محمد بن طباطبا أبو الائمة بصعدة

الذين غلبهم عليها بنو سليمان بن داود بن حسن المثنى ، حين جاؤا من مكة . ثم غلبهم بنو الرسي عليها ، ورجعوا الى امامهم بصعدة ، وهم بها لهذا العهد . ومنهم بنو سليمان بن داود بن حسن المثنى ، وابنه محمد بن سليمان القائم بالمدينة أيام المأمون . قال ابن حزم: وعقبه بالمدينة لابي جعفر المنصور ، ولا عقب لزيد إلّا منه . وكان من عقبه محمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم بن الحسن بن زيد . قام بالمدينة أيام المعتمد ، وجاهر بالمنكرات والقتل الى أن تعطلت الجماعات . ومن عقبه أيضاً القائم بطبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد ، وأخوه محمد القائم من بعده ، وقد مرّ خبرهما .

ومنهم الداعي الصغير بالريّ وطَبَرَسْتان ، وهو الحسن بن القاسم ابن عليّ بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد الطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد ، وكانت بين هذا الداعي الصغير وبين الأُطروش حروب . وقتل هذا الداعي سنة تسع عشرة وثلثمائة . ومن عقبه أيضاً القاسم بن عليّ بن اسمعيل أحد قوّاد الحسن بن زيد . وهم غيّروا نِعَم أهل تلك الآفاق ، وأذهبوا بهجتهم وكانوا سبباً لتورّد الديلم ببلاد الاسلام ، لما يستجيشونهم . وخرج معهم ومع الاطروش الحسني ماكان بن كالي ملك الديلم . وكان مرداويج وبنو بويه من بعض رجاله ، وكان لهم من عشيرهم قوّاد ورجال تسموا باسم الديلم من أجل مرباهم بينهم والله يخلق ما يشاء.

وأمّا الحسين وهو القتيل بالطعن[1] أيام يزيد بن معاوية ، فمن ولده عليّ بن زين العابدين بن زيد الشهيد ، ومحمد الباقر، وعبدالله الأرقط ، وعمر والحسن الاعرج . فمن ولد الأرقط الحسين الكويكي بن أحمد بن محمد بن اسمعيل بن أحمد بن عبدالله الارقط كان من قوّاد الحسن الاطروش بن الحسن بن علي القائم بن علي ابن عمر . قام بأرض الطالقان أيام المعتصم . ثم هرب من سفك الدماء ، واستتر الى أن مات ، وكان معتزلياً . ومنهم الاطروش أسلم على يديه الديلم ، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي ابن عمر، وكان فاضلاً حسن المذهب عدلاً ، ولي طبرستان وقتل سنة أربع وثلثمائة . وقام بعده أخوه محمد ومات . وقام الحسين ابن أخيه محمد بن علي وقتل بها سنة ست عشرة وثلثمائة ، قتله جيوش نصر بن أحمد بن اسمعيل بن أحمد بن نوح بن أسد الساماني صاحب خُراسان .

ومن ولد الحسين الهمرّج بن زين العابدين بن عبدالله العقيقي ابن الحسين ، كان من ولده الحسين بن محمد بن جعفر بن عبدالله العقيقي قتله الحسن بن زيد صاحب طبرستان . ومنهم جعفر بن عبيدالله بن الحسين الاعرج . كان شيعته يسمونه حجة الله، وكان من عقبه الملقب بمسلم الذي دبر أمر مصر أيام كافور ، وهو محمد

---

(١) كذا . ولعلها : بالطف . والمقصود به «كربلاء» .

ابن عبيد الله بن طاهر بن يحيي المحدّث بن الحسين بن جعفر حجة الله ، وابنه طاهر بن مسلم . ومن عقب طاهر هذا أمراء المدينة لهذا العهد بنو جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيخة ابن هاشم بن القاسم بن مهنى ، ومهنى بن مهنى بن داود بن القاسم أخي مسلم وعمر وطاهر .

وزعم ابن سعيد : ان بني جماز بن شيخة أمراء المدينة هؤلاء من ولد عيسى بن زيد الشهيد ، وفيه نظر . ومن ولد الحسين الحسن الاعرج ، وزيد هو القائم بالكوفة على عهد هشام بن عبد الملك سنة احدى وعشرين ومائة ، وقتل ، وخرج ابنه يحيى سنة خمس وعشرين بخراسان وقتل ، وقد انتمى صاحب الزنج في بعض أوقاته اليه .

وأخوه عيسى بن زيد الذي حارب المنصور أوّل خلافته من ولد الحسين الذي كان من عقبه يحيى بن عمر بن يحيى ، القائم بالكوفة أيام المستعين ، وكان حسن المذهب في الصحابة واليه ينسب العُمَريون الذين استولوا على الكوفة أيام الديلم من قبل السلطان ببغداد . وعلي بن زيد بن الحسين بن زيد قام بالكوفة، ثم هرب الى صاحب الزنج بالبصرة فقتله وأخذ جارية له كان سباها من البصرة . ومن ولد محمد الباقر بن زين العابدين عبدالله الافطح ، وجعفر الصادق ، فكانت لعبدالله الافطح شيعة يدّعون إمَامَته : منهم زُرَارَة بن أعْيَن الكوفي . ثم قام بالمدينة وسأله عن

مسائل من الفقه فألفاه جاهلًا فرجع عن القول بامامته فانقطعت الافطحية . وزعم ابن حزم أن بني عُبَيْد ملوك مصر ينسبون اليه وليس ذلك بصحيح .

ومن ولد جعفر الصادق اسمعيل الامام ، وموسى الكاظم ، ومحمد الديباجة . فأمّا محمد الديباجة فخرج بمكة أيام المأمون وبايع له أهل الحجاز بالخلافة ، وحمله المعتصم لما حج ، وجاء به الى المأمون فعفا عنه ، ومات سنة ثلاث ومائتين . وأما اسمعيل الامام وموسى الكاظم فعليها وعلى بنيهما مدار اختلاف الشيعة ، وكان الكاظم على زيّ الاعراب مائلًا الى السواد ، وكان الرشيد يؤثره ويتجافى عن السعاية فيه كما مرّ ثم حبسه .

ومن عقبه بقية الائمة الاثني عشر عند الامامية من لدن علي ابن أبي طالب الوصيّ ووفاته سنة خمس وثلاثين ، ثم ابنه الحسن ووفاته سنة خمس وأربعين ، ثم أخوه الحسين ومقتله سنة احدى وستين ، ثم ابنه زين العابدين ووفاته [١] ثم ابنه محمد الباقر ووفاته سنة احدى وثمانين ومائة ، ثم ابنه جعفر الصادق ووفاته سنة ثلاث وأربعين ومائة ، ثم ابنه موسى الكاظم ووفاته سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وهو سابع الائمة عندهم . ثم ابنه علي

(١) كذا بياض بالأصل وفي وفيات الأعيان لابن خلكان : توفي في آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين، وقيل بل توفي خامس ذي الحجة، وقيل ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين، بمدينة طوس. وصلى عليه المأمون ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد.

الرضا ووفاته سنة ثلاث ومائتين ، ثم ابنه محمد المقتفى[1] ووفاته سنة عشرين ومائتين ، ثم ابنه علي الهادي ووفاته سنة أربع وخمسين ومائتين ، ثم ابنه حسن العسكري ووفاته سنة ستين ومائتين ، ثم ابنه محمد المهدي وهو الثاني عشر ، وهو عندهم حيّ منتظر وأخبارهم معروفة .

ومن عقب موسى الكاظم من غير الائمة ابنه ابراهيم المرتضى ، ولاه محمد بن طباطبا وأبو السرايا على اليمن فذهب اليها ، ولم يزل بها أيام المأمون يسفك الدماء حتى لقبه الناس بالجزّار ، وأظهر الامامة عندما عهد المأمون لاخيه الرضا . ثم اتهم المأمون بقتله فجاهر وطلب لنفسه . ثم عقد المأمون على حرب الفاطميين باليمن لمحمد بن زياد بن أبي سفيان لما بينهم من البغضاء فأوقع بهم مراراً ، وقتل شيعتهم ، وفرّق جماعتهم ، ومن عقبه موسى بن ابراهيم جدّ الشريف الرضي والمرتضى ، واسم كل منهما علي بن الحسين بن محمد ابن موسى بن ابراهيم ، ومن عقب موسى الكاظم ابنه زيد ولاه أبو السرايا على الأهواز فسار الى البصرة وملكها ، وأحرق دور العباسيين بها فسميّ زيد النار ، ومن عقبه زيد الجنة بن محمد بن زيد بن الحسن بن زيد النار من أفاضل هذا البيت وصلحائهم ، حمل الى بغداد في محنة الفاطميين أيام المتوكل ، ودفع الى ابن

---

(١) هو محمد الجواد (ع).

أبي دؤاد يمتحنه فشهد له وأطلقه. ومن عقب موسى الكاظم ابنه اسمعيل ولاه أبو السرايا على فارس .

ومن عقب جعفر الصادق من غير الائمة محمد وعلي ابنا الحسين ابن جعفر ، قاما بالمدينة سنة احدى وسبعين ومائتين ، وسفكا الدماء وانتهبا الاموال ، واستلحما آل جعفر بن أبي طالب وأقامت المدينة شهراً لا تقام فيها جمعة ولا جماعة ، ومن عقب اسمعيل الامام العبيديون خلائف القيروان ومصر بنو عبيدالله المهدي بن محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسمعيل ، وقد مرّ ذكرهم وما للناس من الخلاف في نسبهم ، وهو مطروح كله وهذا أصح ما فيه . وقال ابن حزم انهم من بني حسن البغيض وهو عم المهدي وعنده أنها دعوى منهم .

وأمّا محمد بن الحنفيّة فكان من ولده عبدالله بن عباس وأخوه علي بن محمد وابنه الحسن بن علي بن محمد ، وكلّ ادّعت الشيعة امامته وخرج باليمن على المأمون ولد عليّ من غير هؤلاء عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب ، ومن ولد جعفر بن أبي طالب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب القائم بفارس ، وبويع بالكوفة ، وأراد بعض شيعة العباسيّة تحويل الدعوة اليه فمنع أبو مسلم من ذلك وكانت له شيعة ينتظرونه ، وساقوا الخلافة اليه من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية بالوصيّة . وكان فاسقاً وكان معاوية ابنه نظير أبيه في

الشرّ. انتهى الكلام في أنساب الطالبيين وأخبارهم فلنرجع الآن الى أخبار بني أمية بالاندلس، المنازعين للدعوة العباسية. ثم نرجع الى دول القائمين بالدعوة العباسية المستبدّين عليهم من العرب والترك واليمن والجزيرة والشام والعراق والمغرب، والله المستعان.

دولة بني أميّة بالأندلس

الخبر عن دولة بني أمية بالأندلس من هذه الطبقة المنازعين للدعوة العباسية وبداية أمورهم وأخبار ملوك الطوائف من بعدهم

كان هذا القطر الاندلسي من العُدْوَة الشمالِيّة عن عدوة البحر الرومي، وبالجانب الغربي منها يسمى عند العرب أندلوش. وتسكنه أمم من افرَنْجَة المغرب أشدّهم وأكثرهم الجلالِقَة. وكان القوط قد تملكوه وغلبوا على أمره لمئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة. ثم عقدوا معهم السلم على أن تنصرف القوط الى الاندلس فساروا اليها وملكوها. ولما أخذ الروم واللطينيون لبلة[1] النصرانية حَمَلوا من وراءهم بالمغرب من أهل افرَنْجَة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طُلَيْطِلَة، وكانت دار ملكهم.

---

(١) اسم بلد بالأندلس.

وربما انتقلوا ما بينها وبين قُرْطُبَة ومـارِدة واشبيلية ، وأقـاموا كذلك نحو أربعمائة سنة الى أن جاء الله بالاسلام والفتح. وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لزريق[1] وهو سمة للوكهم كجرجير سمة ملوك صقلية ، ونَسَبُ القوط وخَبَرُ دولتهم قد تقدّم. وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدوة الجنوبية خطوها من فرضة المجاز بطنجة ، ومن زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم .

وكان ملك البرابرة بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى بليان[2] ، وكان يدين بطاعتهم وبملتهم ، وموسى بن نصير أمير العرب اذ ذاك عامل على افريقية من قبـل الوليد بن عبد الملك ، ومنزله بالقيروان . وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوّخ أقطاره ، وأوغل في جبال طنجة هذه حتى وصل خليج الزقـاق ، واستنزل بليـان لطاعة الاسلام ، وخلّف مولاه طارق بن زياد الليثي والياً بطنجة ، وكان بليان ينقم على لزريق ملك القوط لعهده بالاندلس لفعله بابنته في داره كما زعموا ، عـلى عادتهم في بنات بطارقتهم فغضب لذلك وأجاز الى لزريق فأخذ ابنته منه .

ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلّهم على غرة

---

(١) كذا بالأصل وفي كتب التاريخ القديمة ،واسمه رودريك كما في كتب التاريخ الحديثة وكان يسميه العرب : الذريق .

(٢) المشهور. ليليان أو يوليان وهو الكونت اليان كما في كتب التاريخ الحديثة .

فيهم أمكنت طارقاً الفرصة فانتهزها لوقته ، وأجاز البحر سنة اثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلثمائة من العرب ، وانتهب معهم من البربر زهاء عشرة آلاف فصيرهم عسكراً [1] ونزل بهم جبل الفتح فسمي جبل طارق به ، والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسمي به وأداروا الاسوار على أنفسهم للتحصين . وبلغ الخبر لرذريق فنهض اليهم يجرّ أمم الأعاجم ، وأهل ملة النصرانية في زهاء أربعين ألفاً فالتقوا بفحص شريش فهزمه اليه ونفلهم أموال اهل الكفر ورقابهم . وكتب طارق الى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم فحركته الغيرة ، وكتب الى طارق يتوعده بأنه يتوغل بغير اذنه ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، واستخلف على القيروان ولده عبدالله ، وخرج معه حسين بن أبي عبدالله المهدي الفهْري .

ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر ، ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى الاندلس ، وتلقاه طارق وانقاد واتبع ، وتمم موسى الفتح وتوغل في الاندلس الى

---

(١) كذا بياض بالأصل، وكلمة انتهب لا معنى لها هنا، وعبارات مشوشة المعنى. وفي الكامل لابن الأثيرج ٤ ص ١٢٢ :

ولما بلغ رذريق غزو طارق بلاده، عظم ذلك عليه وكان غائباً فرجع منها وطارق قد دخل =

البرشلونة في جهة الشرق ، وأربونة في الجوف وصنم قادس في الغرب ودوّخ أقطارها وجمع غنائمها . وجمع أن يأتي المشرق على القسطنطينية ويتجاوز الى الشام ودروب الاندلس[1] ، ويخوض ما بينها من بلاد الاعاجم أمم النصرانية مجاهداً فيهم مستلحماً لهم الى ان يلحق بدار الخلافة .

ونمى الخبر الى الوليد فاشتدّ قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ، ورأى أن ما همّ به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف . وأسرّ الى سفيره أن يرجع بالمسلمين ان لم يرجع هو ، وكتب له بذلك عهده ففت ذلك في عزم موسى ، وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل الرابطة والحامية بثغورها ، واستعمل ابنه عبد العزيز لغزوها وجهاد أعدائها ، وأنزله بقرطبة فاتخذها دار امارة ، واحتلّ موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين ، وارتحل الى الشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم

= بلاده، فجمع له جمعاً يقال بلغ مائة ألف فلما بلغ طارق الخبر كتب إلى موسى يستمده ويخبره بما فتح وأنه زحف إليه ملك الأندلس بما لا طاقة له به فبعث إليه بخمسة آلاف فتكامل المسلمون اثني عشر ألفاً ومعهم يوليان يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الأخبار فاتاهم رذريق في جنده فالتقوا على نهر لكة من أعمال شذونة لليلتين بقيتا من رمضان سنة اثنتين وتسعين، واتصلت الحرب ثمانية أيام وكان على ميمنته وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيرهما من أبناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بغضاً لرذريق.

(١) كذا بالأصل، وفي نفح الطيب ج ١ ص ١٢٠ : وعزم على أن يستولي على القسطنطينية ثم يخترق آسية الصغرى حتى يصل إلى دمشق.

والذخائر والاموال على العجل والظهر . يقال كان من جملتها ثلاثون الف فارس من السبي وولى على افريقية ابنه عبدالله . وقدم على سليمان فسخطه ونكبه . وسارت عساكر الأندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان فقتلوه لسنتين من ولايته ، وكان خيراً فاضلًا ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة .

وولي من بعده أيوب بن حبيب اللخمي وهو ابن أخت موسى ابن نصير فتولى عليها ستة أشهر . ثم تتابعت ولاة العرب على الاندلس فتارة من قبل الخليفة ، وتارة من قبل عامله على القيروان ، وأثخنوا في أمم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة الشرق ، وحصون قشتالة وبسائطها ، من جهة الجوف ، وانقرضت أمم القوط وأرزا[1] الجلالقة ومن بقي من أمم العجم الى جبال قشتالة واربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها ، وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا بسائط وراءها ، وتوغلوا في بلاد الفرنجة وعصف ريح الاسلام بأمم الكفر من كل جهة ، وربما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف وتنازع ، أوجب للعدوّ بعض الكرة فرجّع الفرنج ما كانوا غلبوهم عليه .

وكان محمد بن يزيد عامل افريقية لسليمان بن عبد الملك ، لما

(١) بمعنى لاذ.

بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير، بعث الى الاندلس الحرث بن عبد الرحمن بن عثمان [١] فقدم الاندلس وعزل أيوب ابن حبيب، وولي سنتين وثمانية أشهر. ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس السمح بن مالك الخولاني على رأس المائة من الهجرة، وأمره ان يخمّس أرض الاندلس فخمسها، وبنى قنطرة قرطبة واستشهد غازيا بأرض الفرنجة سنة اثنتين ومائة فقدّم أهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي، الى ان قدم عنبسة بن شحيم الكلبي من قبل يزيد بن مسلم عامل افريقية. وكان أوّلهم يحيى بن سلمة الكلبي، أنفذه حنظلة بن صفوان الكلبي والي افريقية، لما استدعى منه أهل الاندلس والياً بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة سبع، وأقام في ولايتها سنتين ونصفاً ولم يغز ثم قدم اليها عثمان بن أبي [٢] والياً من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية، وعزله لخمسة اشهر بحذيفة بن الاحوص العتبي فوافاها سنة عشر، وعزل قريباً يقال لسنة من ولايته، واختلف هل تقدّمه عثمان أم هو تقدّم عثمان [٣]. ثم ولي

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٤ ص ١٤٤: ثم إن سليمان ولى الأندلس الحرث بن عبد الرحمن الثقفي، فأقام والياً عليها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز فعزله.

(٢) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٤ ص ٢٢: عثمان بن أبي لسعة الخثعمي.

(٣) كذا وفي الكامل ج ٤ ص ٢٠٧: وفيها ـ أي في سنة إحدى عشرة ومائة ـ عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية عثمان بن لسعة عن الأندلس، واستعمل بعده الهيثم بن عبيد الكناني، وقدمها في المحرم سنة إحدى عشرة ومائة وتوفي في ذي الحجة من السنة فكانت ولايته عشرة أشهر.

بعده الهيثم بن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن ايضاً قدم في المحرم سنة احدى عشرة وغزا أرض مقرشة فافتتحها وأقام عشرة اشهر .

وتوفي سنة ثلاث عشرة لسنتين من ولايته ، وقدم بعده محمد ابن عبيدالله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا افرنجة . وكانت له فيهم وقائع وأجبّ عسكره في رمضان سنة أربع عشرة فولي سنتين . وقال الواقدي اربع سنين ، وكان ظلوماً جائراً في حكومته وغزا أرض البشكنس سنة خمس عشرة ومائة ، وأوقع بهم وغنم ، ثم عزل في رمضان سنة ست عشرة وولي عتبة بن الحاج السلولي، من قبل عبيدالله بن الحبحاب فقدم سنة سبع عشرة . وأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهداً مظفراً حتى بلغ سكنى المسلمين أرمونة ، وصار مساكنهم على نهر ردُّونة . ثم قام عليه عبد الملك بن قطن الفهري سنة احدى وعشرين فخلفه وقتله . ويقال أخرجه من الاندلس وولي مكانه الى ان دخل بلخ بن بشر بأهل الشام سنة أربع وعشرين كما مرّ فغلب عليه ، وولي الاندلس سنة او نحوها .

وقال الرازي : ثار أهل الاندلس بعقبة بن الحجاج أميرهم في صفر من سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك ، وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة ستة اعوام وأربعة اشهر . وتوفي بسرقوسة في صفر سنة

ثلاث وعشرين ، واستقام الامر لعبد الملك . ثم دخل بلخ بن بشر من أهل الشام ، ناجياً من وقعة كلثوم بن عياض ، مع البربر فثار على عبد الملك وقتله ، وانحاز الفهريون الى جانب فامتنعوا عليه وكاشفوه ، واجتمع عليهم من نكر فعلته بابن قطن ، وقام بأمرهم قطن وأمية ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدبرة على الفِهْرِيّين ، وهلك بلخ من الجراح التي أصابته في حربهم ، وذلك سنة اربع وعشرين لسنة أو نحوها من امارته ثم ولي ثعلبة بن سلامة الجذامي ، غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلخ وانحاز عنه الفهريون فلم يطيعوه ، وولي سنين اظهر فيها العدل ، ودانت له الاندلس عشرة اشهر الى ان ثار به العصبة اليمانية فمسر أمره ، وهاجت الفتنة . وقدم ابو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية ، وركب اليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين فدانت له أهل الاندلس وأقبل اليه ثعلبة وابن أبي سعد ، وابنا عبد الملك فلقيهم وأحسن اليهم واستقام أمره . وكان شجاعاً كريماً ذا رأي وحزم ، وكثر أهل الشام عنده ، ولم تحملهم قرطبة ففرّقهم في البلاد ، وأنزل أهل دمشق إلبيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وأنزل أهل حمص اشبيلية وسماها حِمْص لشبهها بها ، وأهل قنسرين حسان وسماها قنسرين ، وأهل الاردن ريّه وهي مالقة وسماها الاردن ، وأهل

فلسطين شدونة وهي شريش وسماها فلسطين ، وأهل مصر تدمير وسماها مصر .

وقفل ثعلبة الى الشرق ، ولحق بمروان بن محمد وحضر حروبه وكان ابو الخطاب[1] أعرابياً عصبياً أفرط عند ولايته في التعصُّب لقومه من اليمانيّة ، وتحامل على المضرية ، وأسخط قيساً ، وأمر في بعض الايام بالصُّمَيل بن حاكم كبير القَيْسِيَّة ، وكان من طوالع بلخ،وهو الضميل بن حاكم بن شمر بن ذي الجوش، ورأس على الحصرية[2] فأمر به يوماً فأقيم من مجلسه ، وتقنع فقال له بعض الحجاب وهو خارج من القصر أقم عمامتك يا أبا الجوشن ، فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها فسار الضميل بن حاتم زعيمهم يومئذ وألَّب عليه قومه ، واستعان بالمنحرفين عنه من اليمنية فخلع أبا الخطاب سنة ثمان وعشرين ، لاربع سنين وتسعة أشهر من ولايته ، وقدّم مكانه ثوابة بن سلامة الجذامي وهاجت الحرب المشهورة . وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهده على الاندلس ، منسلخ رجب سنة تسع وعشرين فضبط الاندلس ، وقام بأمره الضميل ، واجتمع عليه الفريقان . وهلك لسنتين من ولايته . ووقع الخلاف بافريقية ، وتلاشت أمور بني أمية بالمشرق ، وشغلوا عن قاصية المغرب

(١) في الكامل اسمه : أبو الخطار.

(٢) كذا والأصح : ورأس الحصرية .

بكثرة الخوارج وعظم أمر المسوّدة فبقي اهل الاندلس فوضى ، ونصبوا للاحكام خاصة عبد الرحمن بن كُثَيِّر . ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضرية واليمنية ، وادالتها بين بين الجندين سنة لكل دولة . وقدّم المضرية على أنفسهم يوسف ابن عبد الرحمن الفهري سنة تسع وعشرين ، واستقرّ سنة ولايته بقرطبة دار الامارة . ثم وافقتهم اليمنية لميعاد ادالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتفاقهم فبيّتهم يوسف بمكان نزلهم من شقندة من قرى قرطبة [1] من الضَّميل بن حاتم والقيسية والمضرية فاستلحموهم ، واستبدّ يوسف بما وراء البحرين عدوة الاندلس ، وغلب اليمنية على أمرهم فاستكانوا للغلبة ، وتربصوا بالدوائر الى ان جاء عبد الرحمن الداخل ، فكان يوسف بن عبد الرحمن قد ولّى الضَّميل بن حاتم سرقسطة ، فلما ظهر أمر المسوّدة بالمشرق ثار الحباب بن رواحة الزُهريّ بالاندلس داعياً لهم ، وحاصر الضميل بسرقسطة ، واستمدّ يوسف فلم يمدّه رجاء هلاكه بما كان يغص به . وأمدّته القيسية فأخرج عنه الحبحاب ، وفارق الضميل سرقسطة فملكها الحباب وولّى يوسف الضميل على طليطلة الى ان كان من أمر عبد الرحمن الداخل ما نذكره .

---

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٣٠٨ : فلما انتهى إلى أبي الخطار موت ثوابة وولاية يوسف قال : إنما أراد الصميل أن يصير الأمر إلى مضر ، وسعى في الناس حتى ثارت الفتنة بين اليمن ومضر ، فلما رأى يوسف ذلك فارق قصر الإمارة بقرطبة وعاد إلى منزله ، وسار أبو الخطار إلى شقندة فاجتمعت إليه اليمانية ، واجتمعت المضرية إلى الصميل . اسمه في الكامل «الصميل» وفي تاريخ ابن خلدون الضميل .

مسير عبد الرحمن الداخل الى الأندلس وتجديده الدولة بها

لما نزل ما نزل ببني أمية بالمشرق ، وغلبهم بنو العباس على الخلافة ، وأزالوهم عن كرسيها ، وقتل عبدالله بن محمد بن مروان ابن الحكم آخر خلفائهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وتتبع بنو مروان بالقتل فطلبوا من بعدها بطن الارض . وكان ممن افلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وكان قومه يتحينون له مُلكاً بالمغرب ، ويرون فيه علامات لذلك يؤثرونها عن مسلمة بن عبد الملك ، وكان هو قد سمعها منه مشافهةً فكان يحدّث نفسه بذلك فخلص الي المغرب ، ونزل على أخواله نُفَرَة من برابرة طرابُلس . وشعر به عبد الرحمن بن حبيب ، وكان قتل ابني الوليد بن عبد الملك لما دخلا افريقيَّة من قبله فلحق عبد الرحمن بِمَغيلَة ويقال بِمِكْنَاسة ، ويقال نزل علي قوم من زِناتة فأحسنوا قبوله واطمأنّ فيهم . ثم لحق بمليلَة ، وبعث بدراً مولاه الي من بالأَنْدَلُس من موالي المَرْوانِيّين وأَشياعِهِم فاجتمع بهم ، وبثّوا له بالأندلس دعوةً ، ونشروا له ذكراً .

ووافق ذلك ما قدّمنـاه من الفتنة بين اليَمَنِيَّة والمُضَرِيَّة فاجتمعتِ اليمنية على أمره ، ورجع إليه بدر مولاه بالخبر فأجاز البحر ، سنة ثمان وثلاثين في خلافة أبي جعفر المنصور ، ونزل بساحل السند ، وأتاه قوم من أهل اشبيلية فبايعوه . ثم انتقل الى

كورة رَيَّة فبايعه عاملها عيسى بن مُسَوَّر ، ثم رجع الى شذونة فبايعه عتاب بن عَلْقَمة اللخميّ ، ثم أتى مَوْرور فبايعه ابن الصباح، ونهز(١) الى قرطبة واجتمعت عليه اليمنية .

ونُمِيَ خبره الى والي الأندَلُس يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِي وكان غازياً بجليقّة فانفضّ عسكره ، وسار الى قُرْطُبَة ، وأشار عليه وزيره الصَّميل بن حاتم بالتلطّف له ، والمكر به فلم يتم له مراده . وارتحل عبد الرحمن من المنكب فاحتل بمالقّة فبايعه جندها ، ثم بِرَنْدَة فبايعه جندها ، ثم بشريش كذلك ، ثم باشبيلية فتوافت عليه الامداد والامصار ، وتسايلت المضريّة اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير الفِهْريّة والقَيْسيَّة لمكان الصميل منه ، زحف اليه حينئذ عبد الرحمن بن مُعاوية وناجزهم الحرب ، بظاهر قرطبة فانكشف ، ورجع الى غرناطة فتحصّن بها وأتبعه الامير عبد الرحمن فنازله . ثم رغب اليه يوسف في الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة ، وأقفله معه ، ثم نقض يوسف عهده .

وخرج سنة احدى وأربعين ولحق بطُلَيْطِلَة ، واجتمع اليه زهاء عشرين ألفاً من البربر ، وقدم الامير عبد الرحمن للقائه عبد

(١) كذا، ومقتضى السياق: سافر أو انتقل إلى قرطبة، ولم نجد لكلمة نهز معنى السفر أو الانتقال في كتب اللغة. ولعلها كلمة عامية مغربية، من تلك الكلمات التي يستعملها ابن خلدون أحياناً في كتابه.

الملك بن عمر المرواني ، كان وفد عليه من المشرق ، وكان أبوه عمر بن مروان بن الحكم ، في كفالة أخيه عبد العزيز بمصر فلما هلك سنة خمس عشرة بقي عبد الملك بمصر فلما دخلت المسوّدة أرض مصر ، خرج عبد الملك يوم الاندلس في عشرة رجال من بيته مشهورين بالبأس والنجدة ، حتى نزل على عبد الرحمن سنة احدى وأربعين فعقد له على اشبيلية ، ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور . وسار يوسف اليهما وخرجا اليه فلقياه ، وتناجز الفريقان فكانت الدَبَرَةُ على يوسف ، وأبعد الفرّ[1] واغتاله بعض أصحابه بناحية طليطلة ، واحتز رأسه ، وتقدّم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام أمره ، واستقرّ بقرطبة ، وبنى القصر والمسجد الجامع . أنفق ثمانين ألف دينار ، ومات قبل تمامه .

وبنى مساجد ، ووفد عليه جماعة من أهل بيته من المشرق ، وكان يدعو للمنصور ، ثم قطعها لما تمّ له المُلكُ بالاندلس ، ومهّد أمرها وخلد لبني مروان السلطان بها ، وجدّد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها . واستلحم الثوار في نواحيها وقطع دعوة العباسيّين من منابرها وسدّ المذاهب منهم دونها . وهلك سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل ، لانّ أوّل داخل من ملوك بني مروان هو وكان أبو جعفر المنصور

---

(١) كذا ولعلها الغر.

يسميه صقر بني أُمَيَّة لما رأى ما فعل بالاندلس ، وما ركب اليها من الاخطار . وانه صمد اليها من أنأى ديار المشرق من غير عَصابَة ولا قوة ولا أنصار فغلب على أهلها ، وعلى أميرهم ، وتناول المُلْكَ من أيديهم بقوّة شكيمة ومضاء عزم . ثم تحلّى واطيع ، وأورثه عقبه .

وكان عبد الرحمن هذا يلقب بالامير ، وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع أحد منهم بأمير المؤمنين ، إذ بايع الخلافة بمقرّ الاسلام ومبتدا العرب ، حتى كان عبد الرحمن الناصر وهو الثامن منهم على ما نذكره فتسمى بأمير المؤمنين ، وتوارث ذلك بنوه واحداً بعد واحد . وكان لبني عبد الرحمن الداخل بهذه العُدْوَة الأندلسية ملكٌ ضخم ، ودولة ممتعة[1] اتصلت الى ما بعد المائة الرابعة كما نذكر . وعند ما شغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوي أمر الخلافة ، واستفحل سلطانه ، وتجهّز فرويلة بن الادفونش ملكهم ، سار الى ثغور البلاد فأخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم ورد مديْلك وبريعال وسمورة وسلمنقة وقشتالة وسقونية ، وصارت للجلاقة حتى افتتحها المنصور بن أبي عامر رئيس الدولة كما نذكر في أخباره .

ثم استعادوها بعده من بلاد الاندلس واستولوا على جميعها .

---

(١) كذا، ولعلها منيعة.

وكان عبد الرحمن عندما تمهد له الامر بالاندلس ، ودعا للسفّاح، ثم خلعه ، واستبدّ بأمره كما ذكرناه ، وجد هشام بن عبد ربه الفِهْريّ مخالفاً بطليطلة على يوسف من قبله ، بقي على خلافه ثم أغزاه عبد الرحمن سنة تسع وأربعين بدراً مولاه وتمام بن علقمة فحاصراه - ومعه حيوة بن الوليد الحصبي ، وحمزة بن عبدالله بن عمر - حتى غلباه، وجاءا بهم الى قرطبة فصلبوا.

وسار من افريقية سنة تسع وأربعين العلاء بن مغيث اليَحْصُبي، ونزل باَجة من بلاد الاندلس داعياً لابي جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار عبد الرحمن اليه ، ولقيه بنواحي اشبيلية فقاتله أياماً . ثم انهزم العلاء وقتل في سبعة آلاف من أصحابه ، وبعث عبد الرحمن برؤس كثيرة منهم الى القيروان ومكة فألقيت في اسواقها سراً ، ومعها اللواء الاسود . وكاتب المنصور العلاء ، ثم ثار سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بمدينة لبلة طالباً بثأر من قتل من اليمنيّة مع العلاء ، وملك اشبيلية . وسار اليه عبد الرحمن فامتنع ببعض الحصون فحاصره ، وكان عتاب بن علقمة اللخميّ بمدينة شدونة فأمدّ المطري ، وبعث عبد الرحمن بدراً مولاه فحال دون المدد ، ودون المطري . ثم طال عليه الحصار ، وقتل في بعض أيامه ووليَ مكانه بالقلعة خليفة بن مروان . ثم استأمن من بالقلعة الى عبد الرحمن ، وأسلموا اليه الحصن فخربه وقتل عبد الرحمن خليفة ومن معه . ثم سار الى غياث فحاصره بشدونة حتى استأمنوا

فأمنهم ، وعـاد الى قرطبة فخرج عليه عبد الرحمن بن خِراشَة الأُسدِيّ بكورة جيان .

وبعث اليه العساكر فافترق جمعه واستأمن فأمنه ثم حرج عليه سنة خمس غياث بن المستبد الأَسَدِيّ فجمع عـامل بـاجة العساكر ، وسار اليـه فهزمه وقتله ، وبعث برأسه الى عبد الرحمن بقرطبة .

وفي هذه السنة شرع عبد الرحمن في بناء السور على قرطبة ثم ثار رجـل بشرق الاندلس من بربر مكناسة يعرف بشقنا بن عبد الواحد ، كان يعلم الصبيان ، وادّعى انه من ولد الحسين الشهيد ، وتسمى بعبدالله بن محمد ، وسكن شنة[1] برية ، واجتمع اليه خلق من البربر فسار اليه عبد الرحمن فهرب في الجبـال ، واعتصم بها فرجع وولى عـلى طُلَيْطِلَة حبيب بن عبد الملك فولّى حبيب شنة برية سليمان بن عثمان بن مروان بن عثمان بن أبان بن عثمان بن عفان . فسار اليه سليمان وقتله ، وغلب على ناحية فورية فسار اليه عبد الرحمن سنة اثنتين وخمسين .

وأعياه امره وصار ينتقل في البلاد ويهزم العساكر وكان سكن بحصن شَيطَران من جبال بَلَنسِيَة فسار اليه عبد الرحمن

---

(١) في لسان العرب: شن قبيلة كانت تكثر الغارات، ولا معنى لها في هـذه العبارة. ولعلها كلمة عامية بمعنى القرية. وبمقتضى السياق، ويظهر من الأسطر التالية بأن «شنة بريـة» اسم مركب وهو اسم بلد.

سنة ست وخمسين ، واستخلف على قُرْطُبَة ابنه سليمان فأتاه الخبر بعصيان أهل اشبيلية ، وثورة عبد الغفار ، وحيوة بن قلاقس مع اليمانية فرجع عن شقنا ، وهاله أمر اشبيلية . وقدم عبد الملك ابن عمر لقتالهم فساروا اليه ولقيهم مستميتاً فهزمهم وأثخن فيهم . ولحق بعبد الرحمن فشكرها له وجزاه خيراً ، ووصله بالصهر وولاه الوزارة ونجا عبد الغَفَّار وحيوة بن قلاقس إلى اشبيلية فسار عبد الرحمن سنة سبع وخمسين اليها فقتلهم وقتل خلقاً ممن كان معهم واستراب من يومئذ بالعرب فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالي .

ولما كانت سنة احدى وستين غدر بشقنا رجلان من أصحابه وجاءا برأسه الى عبد الرحمن . ثم سار عبد الرحمن بن حبيب الفِهْري المعروف بالقلعي من افريقيَّـة الى الاندلس مظهراً للدعوة العبَّاسيَّة ، ونزل بتدمير ، واجتمع اليه البربر . وكان سُلَيمان بن يَقْظان عاملاً على بَرْشَلونة فكتب اليه يدعوه الى أمره فلم يجبه فسار اليـه في البربر ، ولقيه سليمان فهزمه وعاد الى تدمير . وزحف اليه عبد الرحمن من قُرْطُبَةَ فاعتصم بجبـل بَلَنسِيـة فبذل عبد الرحمن فيه الأموال فاغتاله رجل من أصحابه البربر وحمل رأسه الى عبد الرحمن ، وذلك سنة اثنتين وستين . ورجع عبد الرحمن الى قرطبة .

ثم خرج دِحْيَـة الغسَّاني في بعض حصون البيرة فبعث اليه

شهيد بن عيسى فقتله، وخالف البربر وعليهم بحرة بن البرانس، فبعث بدراً مولاه فقتله، وفرّق جموعهم. وفرّ القائد السَلَميّ من قرْطُبَة الى طُلَيطِلَة وعصى بها فبعث حبيب بن عبد الملك، وحاصره فهلك في الحصار. وزحف عبد الرحمن سنة أربع وستين الى سَرَقُسْطَة، وبها سليمان بن يقظان، والحسين بن عاصي، وقد حاصرهما ثَعلَبَة بن عُبَيد من قواده فامتنعت عليه، وقبض سليمان على ثعلبة، وبعث الى ملك الفرنج فجاء وقد تنفس عنه الحصار، فدفع اليه ثعلبة. ثم غلب الحسين على سليمان وقتله، وانفرد فحاصره عبد الرحمن حتى صالحه. وسار الى بلاد الفرنج والبشكنس ومن وراءهم من الملوك، ورجع الى وطنه. وغدر الحسين بسرقسطة فسار اليه عامله ابن عَلقَمَة فأسر أصحابه ثم سار اليه عبد الرحمن سنة ست وستين وملكها عَنوَةً، وقتل الحسين وقتل أهل سرقسطة. ثم خرج سنة ثمان وستين أبو الاسود محمد ابن يوسف بن عبد الرحمن فلقيه بقَسْطَلونَة وهزمه، وأثخن في أصحابه. ثم لقيه ثانيةً سنة تسع وستين فهزمه. ثم هلك سنة سبعين في اعمال طليطلة، وقام مكانه أخوه قاسم وغزاه عبد الرحمن فحاصره فجاء بغير امان فقتله. ثم توفي عبد الرحمن سنة اثنتين وسبعين ومائة لثلاثة وثلاثين سنة من امارته.

وفاة عبد الرحمن الداخل وولاية ابنه هشام

ولما هلك عبد الرحمن كان ابنه الاكبر سليان والياً على طُلَيْطِلة وكان ابنه هشام على مارِدَة ، وكان قد عهد له بالأمر . وكان ابنه عبدالله المِسكين حاضراً بقُرْطُبَه فأخذ البيعة لأخيه هِشام ، وبعث اليه بالخبر فسار الى قرطبة ، وقام بالدولة ، وغصّ بذلك أخوه سُلَيان فأظهر الخلاف بطُلَيطِلة ، ولحق بـه أخوه عبدالله . وبعث هشامُ في أثره فلم يلحق . وسار هشامُ في العساكر فحاصرهم بطُلَيْطِلَة ، وخالفـه سُليان الى قُرْطُبَة فلم يظفر بشيء منهـا وبعث هشام بن عبد الملك في أثره فقصد مارِدَة فحاربه عامله ، وهزمه الله بغير أمان ودخل في طاعته فأكرمه .

ثم بعث سنة أربع وسبعين ابنه معـاوية لحصار أخيه سليان بتدمير فدوّخ نواحيها ، وهرب سليان الى جبال بَلنسِيَة فاعتصم بها ، ورجع معاوية الى أبيه بقرطبة . ثم طلب سليان العبور الى عُدوَةِ البربر بأهله وولده فأجازه هشام ، وأعطاه ستين ألف دينار صلحاً على تركه أبيه . وأقـام بعدوة المغرب ، وسار معـه أخوه عبدالله . ثم خرج على هشام سعيد بن الحسين بن يحي الأنصاري بطَرْسُوسة من شرق الأَنْدَلُس ، وكان قد التجأ اليهـا حين قتل أبوه . ودعى الى اليانية فلكها ، وأخرج عاملها يوسف العبسِي فعارضه موسى بن فرقوق في المُضَريّة بدعوة هشام ، وخرج أيضاً

مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة ، وملك مدينة سرقُسْطة وواشقة ، وكان هشام في شغل بأمر أخَوَيْه فلما فرغ منهما بعث أبا عثمان عبيدالله بن عثمان بالعساكر الى مطروح فحاصره بسرقسطة أياماً ، ثم افرج عنه ونزل بطرسوسة قريباً ، وأقام بتُحيفَة ، ثم غدر بمطروح بعض أصحابه ، وجاء برأسه الى أبي عثمان فبعث به الى هشام وسار الى سرقسطة فملكها . ثم دخل الى دار الحرب غازياً ، وقصد ألبة والقلاع فلقي العدوّ وظفر بهم ، وفتح الله عليه وذلك سنة خمس وسبعين ، وبعث هشام العساكر مع يوسف ابن بِخيَتَ الى جليقة فلقي ملكها ابن مند ، وهزمه ، وأثخن في العدو .

وفي هذه السنة دخل أهل طليطلة في طاعة الامير هشام بعد منصرف أخويه عنهم فقبلهم ، وأمّنهم وبعث عليها ابنه الحكم والياً فضبطها وأقام بها . وفي سنة ست وسبعين بعث هشام وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العدوّ فبلغ ألبة والقلاع وأثخن في نواحيها . ثم بعثه في العساكر الى أرْبونَة وجَرَنْدة فاثخن فيها ، ووطىء أرض سلطانية ، وتوغّل في بلادهم ، ورجع بالغنائم التي لا تحصى . واستمدّ الطاغية بالبشكنس[1] وجيرانه من الملوك فهزمهم عبد الملك ، ثم بعث بالعساكر مع عبد الكريم بن

(١) كذا بالأصل، والبشكنس: اسم قبيلة وليس اسم ملك كما يفهم من العبارة هنا.

عبد الواحد الى بلاد جليقة فأثخنوا في بلاد العدوّ، وغنموا ورجعوا. وفي هذه السنة هاجت فتنة بتاكدنا، وهي بلاد رندة من الاندلس، وخلع البربر هنالك الطاعة فبعث اليهم هشام بن عبد القادر بن أبان بن عبدالله مولى معاوية بن أبي سفيان فأبادهم، وخرّب بلادهم، وفرّ من بقي منهم فدخلوا في القبائل وبقيت تاكدنا قفراء خاليةً سبع سنين. وفي سنة تسع وسبعين بعث هشام الحاجب عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث في العساكر الى جليقة فانتهى الى ميورقة فجمع ملك الجلالقة واستمدّ بالملوك ثم خام عن اللقاء ورجع أدراجه، وأتبعه عبد الملك وتوغل في بلادهم. وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية أخرى فالتقوا بعبد الملك، وأثخنوا في البلاد واعترضهم عسكر الافرنج فنالوا منهم بعض الشيء، ثم خرجوا ظافرين سالمين.

وفاة هشام وولاية ابنه الحكم

ثم توفي هشام بن عبد الرحمن سنة ثمانين ومائة، لسبع سنين من امارته وقيل ثمان سنين، وكان من أهل الخير والصلاح، وكان كثير الغزو والجهاد، وهو الذي أكمل بناء الجامع بقُرْطُبَة الذي كان أبوه شرع فيه، وأخرج المصرف لآخذي الصدقة على الكتاب والسُنَّة. ولما مات وليَ ابنه الحكم بعده فاستكثر من المماليك وارتباط الخيل، واستفحل ملكه وباشر الأمور

بنفسه . ولاوّل ولايته أجاز ابنه عبدالله البلنسي من عدوة المغرب فملك بلنسية ، ثم أخوه سليمان من طَنْجَة فحاربهما الحكم سنة ، ثم ظفر بعمه سليمان فقتله سنة أربع وثمانين . وأقام عبدالله ببلنسية وكف عن الفتنة ، وأرسل الحكم في الصلح على يد يحيي بن يحيى الفقيه وغيره فصالحه سنة ست وثمانين . وفي خلال الفتنة مع عَمَّيْه سليمان وعبدالله اغتنم الفَرَنْج الفرصة واجتمعوا وقصدوا برشلونة فملكوها سنة خمس وثمانين ، وتأخرت عساكر المسلمين الى ما دونها . وبعث الحَكَمُ العساكر الى برشلونة مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالقة فأثخن فيها ، وخالفهم العَدُوُّ الى المضايق فرجع الى التعبيَة وظفر بهم ، ورجع الى بلاد الاسلام ظافراً .

وفي سنة احدى وثمانين ثار البُهلول بن مرزوق بناحية الثغر ، وملك سَرَقُسْطَة . وفيها جاء عبدالله البَلَنْسي عمّ الحكم كما ذكرناه وفي هذه السنة خالف عبيدة بن عُمَير بطليطلة ، وكان القائد عمروس بن يوسف من قوّاد الحكم بطلبيرة فكتب الى هشام بحصارهم فحاصرهم . ثم استمال بني مخشي من أهل طليطلة فقتلوا عبيدة وبعثوا برأسه الى عمروس فبعث به الى الحكم ، وأنزل بني مخشي عنده فقتلهم البربر بطلبيرة بثار كاتب لهم ، وقتل عمروس الباقين واستقامت تلك الناحية . واستعمل عمروس ابنه يوسف على مدينة طليطلة ، ولحق بالفرنج سنة تسع وثمانين بعض أهل الحرابة ، وأطمعوا الفرنج في ملك طليطلة فزحفوا اليها ، وملكوها

وأسروا أميرها يوسف وحبسوه بصخرة قيسر[١] وسار عمروس من فوره الى سرقسطة ليحميها من العدوّ وبعث العساكر مع ابن عمه فلقي العدوّ وهزمهم ، وسار الى صخرة قيسر[٢] وقد وهن الفرنج من الهزيمة فافتتحها ، وبعث عمروس نائبه وخلص يوسف وعظم صيته .

وقعة الربض

كان الحَكَمُ في صدر ولايته قد انهمك في لذّاته ، واجتمع أهل العلم والورع بقُرْطَبَة مثل يحيى بن يحيى الليثي ، وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به ، وامتنع فخلعوه وبايعوا محمد بن القاسم من عمومة هشام . وكان بالرَّبض الغربي من قرطبة محلة متصلة بقصره ، وحصروه سنة تسعين ومائة ، وقاتلهم فغلبهم وافترقوا ، وهدم دورهم ومساجدهم ، ولحقوا بفاس من أرض العُدْوَة ، ولحقوا بالاسكندرية ، ونزل بها منهم جمع ، وثاروا بها فزحف اليهم عبدالله بن طاهر صاحب مصر وافتتحها ، وأجازهم الى جزيرة اقريطش كما مرّ . وكان مقدّمهم أبا حفص عمر البلوطي فلم يزل

(١) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١١٩ : وكان قد انهزم من الحكم أهل بيت من الأندلس، أولو قوة وبأس، لأنهم خرجوا عن طاعته، فالتحقوا بالمشركين فقوي أمرهم، واشتدت شوكتهم، وتقدموا إلى مدينة تطيلة فحصروها وملكوها من المسلمين فأسروا أميرها يوسف بن عمروس وسجنوه بصخرة قيس.

(٢) هي صخرة قيس كما في الكامل.

رئيساً عليهم ، وولده من بعده الى أن ملكها الفرنج من أيديهم .

وقعة الحفرة بطليطلة

كان أهل طليطلة يكثرون الخلاف ، ونفوسهم قوية لحصانة بلدهم فكانت طاعتهم ملتانة[1] فأعيا الحكم أمرهم ، واستقدم عمروس بن يوسف من الثغر ، وكان أصله من أهل مدينة وشقة من المولّدين ، وكان عاملًا عليها فداخله في التدبير على أهل طليطلة ، وكتب له بولايتها فأنسوا به ، واطمأنوا إليه . ثم داخلهم في الخلع وأشار عليهم ببناء مدينة يعتزل فيها مع أصحاب السلطان فوافقوه ، وأمضي رأيه في ذلك . ثم بعث صاحب الاعلى[2] الى الحكم يستنجده على العدوّ فبعث العساكر مع ابنه عبد الرحمن والوزراء ، ومرّوا بطليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها ثم رجع العدوّ ، وكفى الله شره فاعتزم عبد الرحمن على العود الى قرطبة ، فأشار عمروس عند ذلك على أهل طليطلة بالخروج الى عبد الرحمن فخرج اليه الوجوه ، وأكرمهم ، ودسّ خادم الحكم كتابه الى عمروس بالحيلة على أهل طليطلة فأشار عليهم عمروس بأن يدخلوا عبد الرحمن البلد ، وأنزله بداره واتخذ صنيعاً للناس ،

---

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٥ ص ٢٢٤ : فلم يكونوا يطيعوا أمراءهم طاعة مرضية . ولعلها: ملتانة بمعنى غير صافية .

(٢) كذا وفي الكامل: الثغر الأعلى .

واستعد له[1] على موعد لذلك فكان يدخلهم من باب ، ويخرجهم من آخر خشية الزحام فيدخلون الى حفرة في القصر وتضرب رقابهم عليها الى أن قتل معظمهم، وفطن الباقون فنفروا وحسنت طاعتهم من بعد ذلك الى أيام الفتنة كما نذكر . ثم عصى اصبغ ابن عبدالله بماردة ، وأخرج عامل الحكم فسار اليه الحكم وحاصره وجاءه الخبر بعصيان أهل قرطبة فرجع وقتلهم. ثم استنزل أصبغ من بعد ذلك وأنزله قرطبة .

وفي سنة اثنتين وتسعين جمع لزريق بن قارله ملك الافرنج وسار لحصار طرطوشة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر فهزمه ، وفتح الله على المسلمين . ثم عاود أهل ماردة الخلاف عن الحكم سنة أربع وتسعين فسار اليهم وقاتلهم ثلاث سنين. وكثر عيث الفرنج في الثغور فسار اليهم سنة ست وتسعين فافتتح الحصون ، وخرب النواحي وأثخن في القتل والسبي والنهب ، وعاد الى قرطبة ظافراً . وفي سنة مائتين بعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فسار فيها وخرّبها ونهبها ، وهدم عدّة من حصونها ، وأقبل اليه ملك الجلالقة في جموع عظيمة ، وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياماً ، ونال

---

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٢٥ : وأشاع عمروس أن عبد الرحمن يريد أن يتخذ لهم وليمة عظيمة وشرع في الاستعداد لذلك وواعدهم يوماً ذكره.

المسلمون منهم أعظم النيل ، وأقاموا على ذلك ثلاث عشرة ليلة ، ثم كثرت الامطار ومدّ النهر ، وقفل المسلمون ظافرين .

وفاة الحكم وولاية ابنه عبد الرحمن الأوسط

ثم توفي الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته ، وهو أوّل من جند بالأندلس الأجناد والمرتزِقة وجمع الاسلحة والعُدد ، واستكثر من الحَشَم والحواشي ؛ وارتبط الخيول على بابه ، واتخذ المماليك ، وكان يسميهم الخرس لعجمتهم وبلغت عِدّتهم خمسة آلاف ، وكان يباشر الأمور بنفسه ، وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس . وكان يُقرّب الفقهاء والعلماء والصالحين ، وهو الذي وطأ الملك لعقبه بالاندلس . ولما مات قام بأمره من بعده ابنه عبد الرحمن فخرج عليه لأوّل امارته عبدالله البَلَنْسي عمّ أبيه ، وسار إلى تدمير يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن فخام عن اللقاء ، ورجع الى بلنسية ومات أثر ذلك فنقل عبد الرحمن ولده وأهله الى قرطبة .

ثم غزا لِأول ولايته الى جليقة فابعد وأطال الغيبة ، وأثخن في أمم النَصْرَانِيَّة هنالك ورجع . وقدم عليه سنة ست ومائتين من العراق زرآب المغني مولى المهدي ، ومعلم ابراهيم الموصلي ، واسمه علي بن نافع فركب لتلقيه وبالغ في اكرامه ، وأقام عنده بخير حال . وأورث صناعة الغناء بالاندلس ، وخلف ولده مخلفه

كبيرهم عبد الرحمن في صناعته وحظوته . وفي سنة سبع كانت وقعة بالثغر ، كان الحكم قد قبض على عاملها ربيع ، وصلبه حياً لما بلغه من ظلمه . وهلك الحكم أثر ذلك فتوافى المتظلمون من ربيع الى قُرْطُبَة يطلبون ظلاماتهم ، ومعظمهم جند إلبيرة ووقفوا بباب القصر ، وشغبوا ، وبعث عبد الرحمن من يسكتهم فلم يقبلوا فركبت العساكر اليهم وأوقعوا بهم . ونجا الفلّ منهم الى البيرة وبالشر ، وتتبعهم عبد الرحمن .

وفي هذه السنة نشأت الفتنة بين المضرية واليمانية واقتتلوا ، فهلك منهم نحو من ثلاثة آلاف . وبعث عبد الرحمن اليهم يحيى ابن عبدالله بن خالد في جيش كثيف ، ليكفهم عن الفتنة فكفوا عن القتال لما أحسوا بوصوله . ثم عاودوا الحرب عند مغيبه ، وأقاموا على ذلك سبع سنين .

وفي سنة ثمان أغزا حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الى ألبة والقلاع فخرب كثيراً من البلاد وانتسفها ، وفتح كثيراً من حصونهم ، وصالح بعضاً على الجزية واطلاق أسرى المسلمين ، وانصرف ظافراً . وفي سنة ثلاث عشرة انتقض عليه أهل ماردَة وقتلوا عامله فبعث اليهم العساكر فافتتحوها ، وعاودوا الطاعة ، وأخذوا رهائنهم وخرّبوا سورها ، ورجعوا عنهم . ثم أمر عبد الرحمن بنقل حجارة السور الى النهر فعاودوا الخلاف ، وأسروا العامل ، وأصلحوا سورهم فسار اليهم عبد

الرحمن سنة أربع عشرة ، وحاصرهم فامتنعوا عليه . ثم بعث العساكر سنة سبع عشرة فحاصرها فامتنعوا ، ثم حاصرها سنة عشرين وافتتحها ، ونجا فلّهم مع محمود بن عبد الجبار منهم الى ملت شلوط فاعتصم بها سنة عشرين ومائتين، فبعث عبد الرحمن العساكر لحصاره فلحق بدار الحرب ، واستولى على حصن من حصونهم ، أقام به خمسة أعوام حتى حاصره ادفونش ملك الجلالقة وافتتح الحصن وقتل محمودا وجميع أصحابه سنة خمس وعشرين .

وفي سنة خمس عشرة خرج بمدينة طُلَيطِلة هاشم الضراب من أهل واقعة الربض ، واشتدّت شوكته واجتمعت له الخلق ، وأوقع بأهل شنت برية[1] ، فبعث عبد الرحمن العساكر لقتاله فلم يصيبوا منه . ثم بعث عساكر أخرى فقاتلوه بنواحي دورقة فهزموه ، وقتل هو وكثير من أصحابه . واستمرّ أهل طليطلة على الخلاف . وبعث عبد الرحمن ابنه أُمَيَّة لحصارها فحاصرها مدّة ، ثم افرج عنها ونزل قلعة رياح ، وبعث عسكراً للاغارة عليها . وكان أهل طليطلة قد خرجوا في اتباعه الى قلعة رياح فكمن لهم فأوقعوا به فاغتم لذلك ، وهلك لأيام قليلة . وبعث عبد الرحمن العساكر لحصارها ثانياً فلم يظفروا وكمن المغيرون عليها بقلعة رياح يعاودونها بالحصار كل حين .

(١) تقدمت باسم شنة برية : وفي الحلل السندسية ج ١ ص ٤٥٢ شنت برية .

ثم بعث عبد الرحمن أخاه الوليد في العساكر سنة اثنتين وعشرين لحصارها ، وقد أشرفوا على الهلكة ، وضعفوا عن المدافعة فاقتحمها عَنْوَةً وسكن أهلها ، وأقام الى آخر ثلاث وعشرين ، ورجع . وفي سنة أربع وعشرين بعث عبد الرحمن قريبه عبيدالله بن البَلَنْسي في العساكر لغزو بلاد ألبة والقلاع ، ولقي العدوّ فهزمهم ، وكثر السبي والقتل . ثم خرج لزريق ملك الجلالقة ، وأغار على مدينة سالم بالثغر ، فسار اليه فرنون بن موسى وقاتله فهزمه ، وأكثر القتل في العدوّ والأسر . ثم سار الى الحصن الذي بناه أهل البة بالثغر نكاية للمسلمين فافتتحه وهدمه . ثم سار عبد الرحمن في الجيوش الى بلاد جايقة فدوّخها وافتتح عدّة حصون منها ، وجال في أرضهم ، ورجع بعد طول المقام بالسبي والغَنائم .

وفي سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر الى أرض الفرنجة ، وانتهوا الى أرض سرطانية ، وكان على مقدّمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة ، ولقيهم العدوّ فصبروا حتى هزم الله عدوّهم ، وكان لموسى في هذه الغُزاة مقام محمود ، ووقعت بينه وبين بعض قوّاد عبد الرحمن ملاحاة ، وأغلظ له القائد فكان ذلك سبباً لانتقاضه فعصى على عبد الرحمن ، وبعث اليه الجيوش مع الحرث بن بزيغ فقاتله موسى ، وانهزم وقتل ابن عمه. ورجع الحرث الى سرقسطة . ثم زحف الى تطيلة ، وحاصر بها

موسى حتى نزل عنها على الصلح الى أربط وأقام الحرث بتطيلة أياماً . ثم سار لحصار موسى في اربط فاستنصر موسى بغرْسية من ملوك الكفر فجاءه ، وزحف الحرث وأكمنوا له فلقيهم على نهر بلبة ، فخرجت عليه الكمائن بعد أن أجاز النهر ، وأوقعوا به وأسروه ، وقد فقئت عينه . واشتشاط عبد الرحمن لهذه الواقعة، وبعث ابنه محمدا في العساكر سنة تسع وعشرين .

وحاصر موسى بتطيلة حتى صالحه ، وتقدّم الى يَنْبَلونَة فأوقع بالمشركين عندها ، وقتل غرسية صاحبها الذي أنجد موسى على الحرث . ثم عاود موسى الخلاف فزحفت اليه العساكر فرجع الى المسالمة ، ورهن ابنه عند عبد الرحمن على الطاعة ، وقبله عبد الرحمن وولاه تطيلة فسار اليها ، واستقرّت في عِمَالِته . ثم كان في هذه السنة خروج المجوس في أطراف بلاد الاندلس ، ظهروا سنة ست وعشرين بساحل أشبونة فكانت بينهم وبين أهلها الحرب ثلاثة عشر يوماً . ثم تقدموا الى قادس ، ثم الى اشدونة ، فكانت بينهم وبين المسلمين بها وقعة . ثم قصدوا اشبيلية ونزلوا قريباً منها ، وقاتلوا أهلها منتصف المحرم من سنة ثمان وعشرين فهزمهم المسلمون وغنموا . ثم مضوا الى باَجة ، ثم الى مدينة أشبونة . ثم أقلعوا من هنالك ، وانقطع خبرهم وسكنت البلاد ، وذلك سنة ثلاثين . وتقدّم عبد الرحمن الاوسط باصلاح ما خرّبوه من

البلاد ، وأكثف الحامية بها . وذكر بعض المؤرخين حادثة المجوس هذه سنة ست وأربعين ، ولعلها غيرها والله أعلم .

وفي سنة احدى وثلاثين بعث عبد الرحمن العساكر الى جليقة فدوّخوها وحاصروا مدينة ليون ، ورموا سورها فلم يقدروا عليه، لانّ عرضه سبعة عشر ذراعاً فثلموا فيه ثلمة ورجعوا . ثم أغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم بن مُغيث في العساكر الى بلاد بَرْشَلونة فجاز في نواحيها ، وأجاز الدروب التي تسمى السرب الى بلاد الفرنجة فدوّخها قتلاً وأسراً وسبياً ، وحاصر مدينتهم العظمى وعاث في نواحيها وقفل . وقد كان ملك القُسْطَنْطِينِيَّة توفلس بن نوفلس بن نوفيل بعث الى الامير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهدية ، ويطلب مواصلته فكافأه عبد الرحمن عن هديته ، وبعث اليه يحيى الغزال من كبار الدولة . وكان مشهوراً في الشعر والحكمة فأحكم بينهما المواصلة ، وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند منازعيه من بني العباس .

وفي سنة ست وثلاثين هلك نصر الخفي القائم بدولة الامير عبد الرحمن ، وكان يضغن على مولاه ، ويمالىء ابنه عبد الرحمن على ابنه الآخر وليّ عهده ، بما كانت أم عبدالله قد اصطنعته وكانت حظية عند السلطان ، ومنحرفة عن ابنه محمد وليِّ العهد فداخلت نصراً هذا في أمرها ، وداخل هو طبيب الدار في أن يسمّ محمداً وليّ العهد . ودس الطبيب بذلك الى الامير مع قهرمانة

داره ، وان نصراً أكرهه على اذابة السمّ فيه ، وباكر نصر القصر ودخل على السلطان يستفهمه عن شرب الدواء فوجده بين يديه ، وقال له ان نفسي قد بشعته فاشربه انت فوجم ، فأقسم عليه فلم يسعه خلافه فشربه ، وركب مسرعاً الى داره فهلك لحينه ، وحسم السلطان علة ابنه عبدالله ، وكان من بعدها مهلكه.

وفاة عبد الرحمن الأوسط وولاية ابنه محمد

ثم توفي عبد الرحمن الأوسط بن الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين لاحدى وثلاثين سنة من امارته ، وكان عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة ، وكانت أيامه أيام هدوّ وسكون . وكثرت الاموال عنده واتخذ القصور والمنتزهات ، وجلب اليها الماء ، وجعل له مصنعاً اتخذه الناس شريعة . وزاد في جامع قرطبة رواقين ، ومات قبل أن يستتمه فأتمه ابنه محمد بعده . وبنى بالاندلس جوامع كثيرة ، ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامّة ، ولما مات ولي مكانه ابنه محمد فبعث لاوّل ولايته العساكر مع أخيه الحكم الى قلعة رباح لاصلاح أسوارها . وكان أهل طليطلة خرّبوها فرمّها وأصلح حالها ، وتقدّم الى طليطلة فعاث في نواحيها .

ثم بعث الجيوش مع موسى بن موسى صاحب تطيلة فعاث في نواحي ألبَة والقلاع ، وفتح بعض حصونها ورجع ، وبعث عساكر

أخرى الى نواحي برشلونة وما وراءها فعاثوا فيها ، وفتحوا حصون برشاونة ورجعوا . ثم سار محمد سنة أربعين في جيوشه الى طليطلة فاستمدّوا ملك جليقة ، وملك البشكنس فساروا لانجادهم مع أهل طليطلة فلقيهم الامير محمد على وادي سليط ، وقد أكمن لهم فأوقع بهم . وبلغ عدّة القتلى من أهل طليطلة والمشركين عشرين ألفاً . ثم سار اليهم سنة ثلاث وأربعين فأوقع بهم ثانية ، وأثخن فيهم وخرّب ضياعهم فصالحوه ثم نكثوا . وفي سنة خمس وأربعين ظهرت مراكب المجوس ، ونزلوا باشبيلية والجزيرة ، وأحرقوا مسجدها . ثم عادوا الى تدمير ، ودخلوا قصر أَرْيولَة وساروا الى سواحل الفرنجة وعاثوا فيها ، وانصرفوا فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم ، وغنموا منهم مركبين ، واسْتُشْهِد جماعة من المسلمين ، ومضت مراكب المشركين الى ينبلونة ، وأسروا صاحبها غرسية وفدى نفسه منهم بسبعين ألف دينار . وفي سنة سبع وأربعين حاصر طليطلة ثلاثين يوماً .

ثم بعث الامير محمد سنة احدى وخمسين أَخاه المنذر في العساكر الى نواحي البة والقلاع فعاثوا فيها ، وجمع لزريق للقائهم فلقيهم وانهزم ، وأثخن المسلمون في المشركين بالقتل والاسر وكان فتحاً لا كفاء له . ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة فأثخن وخرّب ، وانتقض عليه عبد الرحمن بن مروان الجليقي فيمن معه من المولدين ، وساروا الى التخم ، ووصل يده

باذفونش ملك جليقة فسار الي الوزير هاشم بن عبد الرحمن في عساكر الاندلس ، سنة ثلاث وستين فهزمه عبد الرحمن وحصل هاشم في أسره .

ثم وقعت المراودة في الصلح على ان ينزل عبد الرحمن بطليوس ويطلق الوزير هاشماً فتم ذلك سنة خمس وستين ، ونزل عبد الرحمن بطليوس ، وكانت خربة فشيدها وأطلق هاشماً بعد سنتين ونصف من أمره . ثم تغير اذفونش لعبد الرحمن بن مروان وفارقه ، وخرج من دار الحرب بعد أن قاتله ونزل مدينة انطانية بجهات ماردة وهي خراب فحصنها ، وملك ما اليها من بلاد اليون وغيرها من بلاد الجلالقة ، واستضافها الى بطليوس . وكان مظفر ابن موسى بن ذي النون االهواري عاملاً بشنت برية فانتقض ، وأغار على أهل طليطلة فخرجوا اليه في عشرين ألفاً ، ولقيهم فهزمهم ، وانهزم معهم مطرف بن عبد الرحمن ، وقتل من أهل طليطلة خلق . وكان مطرف بن موسى فرداً في الشجاعة ومحلًا من النسب ، ولقي شنجة صاحب بنبلونة أمير البشكنس فهزمه شنجة وأسره ، وفرّ من الأسر ، ورجع الى شنت برية فلم يزل بها قويم الطاعة الى أن مات آخر دولة الامير محمد . وفي سنة احدى وستين انتقض أسد بن الحرث بن بديع بتاكرنا وهي رندة فبعث اليهم الامير محمد العساكر ، وحاصروهم حتى استقاموا على الطاعة .

وفي سنة ثلاث وستين أغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب ، وجعل طريقه على ماردة ، وكان بها ابن مروان الجليقي ، ومرت طائفة من عسكر المنذر بماردة فخرج عليهم ابن مروان ، ومعه جمع من المشركين استظهر بهم فقتل تلك الطائفة عن آخرهم وفي سنة أربع وستين بعث ابنه المنذر ثانية الى بلد ينبلونة ، ومرّ بسَرَقُسْطة فقاتل أهلها ، ثم تقدّم الى تطيلة وعاث في نواحيها وخرّب بلاد بني موسى ، ثم مضى لوجهه الى ينبلونة فدوخها ورجع .

وفي سنة ست وستين أمر الامير محمد بانشاء المراكب بنهر قُرْطُبه ليدخل بها الى البحر المحيط ، ويأتي جليقة من ورائها فلما تمّ انشاؤها ، وجرت في البحر أصابها الريح وتقطعت فلم يسلم منها الا القليل . وفي سنة سبع وستين انتقض عمر بن حفصون بحصن يشتر من جبال مالقة ، وزحف اليه عساكر تلك الناحية فهزمهم ، وقوي أمره ، وجاءت عساكر الامير محمد فصالحهم ابن حفصون واستقام أمر الناحية .

وفي سنة ثمان وستين بعث الامير محمد ابنه المنذر لقتال أهل الخلاف فقصد سرقسطة ، وحاصرها ، وعاث في نواحيها ، وفتح حصن ريطة . ثم تقدّم الى دير بروجة ، وفيه محمد بن لبّ بن موسى ثم قصد مدينة لاردة وقرطاجنة ، ثم دخل دار الحرب وعاث في نواحي البة والقلاع ، وفتح منها حصوناً ورجع . وفي سنة سبعين

سار هاشم بن عبد العزيز بالعساكر لحصار عمر بن حفصون بحصن يشتر ، واستنزله الى قرطبة فأقام بها ، وفيها شرع اسمعيل بن موسى ببناء مدينة لاردة فجمع صاحب برشلونة لمنعه من ذلك ، وسار اليه فهزمه اسمعيل وقتل أكثر رجاله ، وفي سنة احدى وسبعين سار هاشم بن عبد العزيز في العساكر الى سرقسطة فحاصرها هاشم وافتتحها ، ونزلوا جميعاً على حكمه . وكان في عسكره عمر بن حفصون واستدعاه من الثغر فحضر معه هذه الغزاة فهرب ، ولحق بيشتر فامتنع به ، وسار هاشم الى عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، وحاصره بحصن مُنت مُولَن . ثم رجع عنه فأغار ابن مروان على اشبيلية ولقنت . ثم نزل منت شلوط فامتنع فيه ، وصالح عليه الامير محمداً ، واستقام على طاعته الى أن هلك الامير محمد . وكان ملك رومة والفرنجة لعهده اسمه فرلبيب بن لوزنيق .

وفاة الأمير محمد وولاية ابنه المنذر

ثم توفي الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل في شهر صفر من سنة ثلاث وسبعين ، لخمس وثلاثين سنة من امارته ، وولي بعده ابنه المنذر فقتل لاول ولايته هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه ، وسار في العساكر لحصار ابن حفصون فحاصره بحصن يشتر سنة أربع وسبعين ، وافتتح

جميع قلاعه وحصونه . وكان منها رية وهي مالقة ، وقبض على واليها من قبله عيشون فقتله . ولما اشتدّ الحصار على ابن حفصون سأل الصلح فأجابه ، وأفرج عنه فنكث فرجع لحصاره ، وصالح ثم نكث مرتين فأقام المنذر على حصاره وهلك قريباً فانفرج عن ابن حفصون .

وفاة المنذر وولاية أخيه عبيد الله بن الأمير محمد

ثم توفي المنذر محاصراً لابن حفصون بجبل بشتر سنة خمس وسبعين اسنتين من امارته ، فولي مكانه أخوه عبدالله ابن الامير محمد ، وقفل بالعساكر الى قرطبة ، وقد اضطربت نواحي الاندلس بالثوار . ولما كثر الثوار قلّ الخراج لامتناع أهل النواحي من الاداء . وكان خراج الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار ، مائة ألف منها للجيوش ، ومائة ألف للنفقة في النوائب وما يعرض ، ومائة ألف ذخيرة ووفراً فأنفقوا الوفر في تلك السنين ، وقلّ الخراج .

أخبار الثوار وأولهم ابن مروان ببطليوس وأشبونة

قد تقدّم لنا ان عبد الرحمن بن مروان انتقض على الامير محمد بن عبد الرحمن سنة خمس وخمسين في غزاته الى بلاد الجلالقة ، واجتمع اليه المولدون وصار الى التخم ، ووصل يده باذفونش ملك الجلالقة فعرف لذلك بالجليقي . وذكرنا كيف سار اليه

هاشم بن عبد العزيز سنة ثلاث وستين في عساكر الاندلس فهزمه ابن مروان ، وأسره . ثم وقع الصلح على اطلاق هاشم ، وأن ينزل ابن مروان بطليوس فتمّ ذلك سنة خمس ، ونزل عبد الرحمن بطليوس فشيدها وترس بالدولتين . ثم تغير له اذفونش وقاتله ففارق دار الحرب ، ونزل مدينة انطانية بجهات ماردة فحصنها ، وهي خراب ، وملك ما اليها من بلد اليون وغيرها من بلاد الجلالقة ، واستضافها الى بطليوس ، واستعجل له الامير عبدالله على بطليوس وكان معه بدار الحرب سعدون السرساقي وكان من الابطال الشجعان ، وكان دليلًا للغزو ، وهو من الخارجين معه . فلما نزل عبد الرحمن بطليوس انتزى سعدون ببعض الحصون ما بين قلنيرة وباجة . ثم ملك قلنيرة وترس بأهل الدولتين[1] الى ان قتله اذفونش في بعض حروبه معه .

ابن تاكيت بماردة

كان محمد بن تاكيت من مصمودة ، وثار بناحية الثغر أيام الامير محمد ، وزحف الى ماردة وبها يومئذ جند من العرب وكتامة فاعمل الحيلة في اخراجهم منها ، ونزلها هو وقومه مصمودة.

---

(١) كذا، ولعلها اسم مكان أو بلد.

بقية خبر ابن مروان

ولما ملك ابن تاكيت ماردة زحفت اليه العساكر من قرطبة وجاء عبد الرحمن بن مروان من بطليوس مدداً له فحاصروهم أشهراً ، ثم أقلعوا . وكان بماردة جموع من العرب ومصمودة وكتامة فتحيل محمد بن تاكيت على العرب ، وكتامة وأقاربهم فأخرجهم واستقل بماردة هو وقومه ، وعظمت الفتنة بينه وبين عبد الرحمن بن مروان صاحب بطليوس بسبب مظاهرته عليه ، وحاربه فهزمه ابن مروان مراراً كانت احداها على لقنت ، استلحم فيها مصمودة فقصت من جناح ابن تاكيت واستجاش بسعدون السرساقي صاحب قلنيرة فلم يغنه ، وعلا كعب ابن مروان عليهم وتوثق أمره ، وطلبه ابن حفصون في الولاية فامتنع ثم هلك أثر ذلك سنة [1] أيام الامير عبدالله وولي ابنه عبد الرحمن بن مروان ، وأثخن في البرابرة المجاورين له ، وهلك لشهرين من ولايته فعقد الامير عبدالله على بطليوس لاميرين من العرب ولحق من بقي من ولد عبد الرحمن بحصن شونة ، وكانا اثنين من أعقابه ، وهما مروان وعبدالله ابنا ابنه محمد ، وعمهما مروان .

(١) كذا بياض بالأصل، ولم نهتد إلى سنة مهلكه في المصادر التي بين أيدينا، ويذكر هنا اسم الأب عبد الرحمن بن مروان واسم الابن كذلك.

ثم خرجا من حصن شونة ولحقا بآخر من أصحاب جدّهما عبد الرحمن . ثم اضطرب الاميران ببطليوس وتنازعا ، وقتل أحدهما الاخر ، واستقل ببطليوس ، ثم تسوّر عبدالله منهما سنة ست وثمانين فقتله وملك بطليوس ، واستفحل أمره ، والمعجل له الامير عبدالله عليها . ونازل حصون البرابرة حتى طاعوا له ، وحارب ابن تاكيت صاحب ماردة . ثم اصطلحوا وأقاموا جميعاً طاعة الامير عبدالله ، ثم تحاربوا فاتصلت حروبهم الى آخر دولته .

ثورة لب بن محمد بسرقسطة وتطيلة

ثم ثار لبّ بن محمد بن لبّ بن موسى بسرقسطة سنة ثمان وخمسين ومائتين ، أيام الامير محمد فتردّدت اليه الغزوات حتى استقام ، وأسجل له[1] الامير محمد على سرقسطة وتطيلة وطرسونة فأحسن حمايتها ، واستفحلت امارته فيها . ونازله ملك الجلالقة اذفونش في بعض الايام بطرسونة فنزل اليه وردّه على عقبه منهزماً وقتل نحواً من ثلاثة آلاف من قومه ، وانتقض على الامير عبدالله وحاصر تطيلة .

ثورة مطرف بن موسى بن ذي الهواري بشنت بريه

كان لمطرف صيت من الشجاعة ومحل من النسب والعصبية

(١) كذا، ولعلها بمعنى: وعقد له.

فثار في شنت برية ، وكانت بينه وبين صاحب ينبلونة سلطان البشكنس من الجلالقة حروب أسره العدوّ في بعضها ففرّ من الاسر ، ورجع الى شنت برية ، واستقامت طاعته الى آخر دولة الامير محمد .

ثورة الأمير ابن حفصون في يشتر ومالقة ورندة والبس

وهو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش ابن اذفونش القس ، هكذا نسبه ابن حيان ، أوّل ثائر كان بالاندلس ، وهو الذي افتتح الخلاف بها وفارق الجماعة أيام محمد ابن عبد الرحمن في سني السبعين والمائتين . خرج بجبل يشتر من ناحية ريّة ومالقة ، وانضم اليه الكثير من جند الاندلس ممن في قلبه مرض في الطاعة ، وابتنى قلعته المعروفة به هنالك ، واستولى على غرب الاندلس الى رندة وعلى السواحل من الشجة الى البيرة ، وزحف اليه هاشم بن عبد العزيز الوزير فحاصره واستنزله الى قرطبة سنة سبعين . ثم هرب ورجع الى حصن يشتر ولما توفي الامير محمد تغلب على حصن الحامة ورية ورندة والشجة ، وغزاه المنذر سنة أربع وسبعين فافتتح جميع قلاعه ، وقتل عامله برية ، ثم سأل الصلح فعقد له المنذر . ثم نكث ابن حفصون وعاد الى الخلاف فحاصره المنذر الى أن هلك محاصراً له فرجع عنه

الامير عبدالله ، واستفحل أمر ابن حفصون والثوّار ، وتوالت عليه الغزوات والحصار .

وكاتب ابن الاغلب صاحب افريقية ، وهاداه وأظهر دعوة العباسية بالاندلس فيما اليه ، وتثاقل ابن الاغلب على اجابته لاضطراب افريقية فأمسك وأكثر الاجلاب على قرطبة ، وبنى حصن بلاية قريباً منها ، وغزاه عبدالله وافتتح بَلَايَة والشجة . ثم قصده في حصنه فحاصره أياماً ، وانصرف عنه فاتبعه ابن حَفْصُون فكرّ عليه الامير عبدالله وهزمه ، وأثخن فيه ، وافتتح البيره من أعماله . ووالى عليه الحصار في كل سنة ، فلما كانت وثمانين [(١)] عمر بن حفصون وخالص ملك الجلالقة فنبذ اليه أمراؤه بالحصون عهده ، وسار الوزير أحمد بن أبي عبيدة لحصاره في العساكر فاستنجد بابراهيم بن حجاج الثائر باشبيلية ، ولقياه فهزمها وراجع ابن حجاج الطاعة ، وعقد له الامير عبدالله على اشبيلية وبعث ابن حفصون بطاعته للشيعة عندما تغلبوا على القيروان من يد الاغالبة ، وأظهر بالاندلس دعوة عُبَيْدالله .

ثم راجع طاعة بني أُمَيّة عندما هيأ الله للناصر ما هيأه من استفحال الملك ، واستنزل الثوار ، واستقام الى أن هلك سنة

---

(١) كذا بياضان بالأصل وفي كتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة ص ١١٧ : وموقعة بالاي شهيرة في تاريخ الأندلس، وهي الموقعة التي هزم فيها الأمير عبد الله صاحب الأندلس قوات الثائر ابن حفصون سنة ٢٨٧ هـ (٨٩١ م).

ست وثلثمائة لسبع وثلاثين سنة من ثورته. وقام مكانه ابنه جعفر فأقرّه الناصر على أعماله . ثم دس اليه أخوه سليمان بن عمر بعض رجالاتهم فقتله لسنتين أو ثلاث من ولايته . وكان مع الناصر فسار الى أهل يشتر ، وملكوه مكان أخيه ، وذلك سنة ثمان وثلثمائة ، وخاطب الناصر فعقد له كما كان أخوه ، ثم نكث وتكرر انكاثه ورجوعه . ثم بعث اليه الناصر وزيره عبد الحميد ابن سبيل بالعساكر ، ولقيه فهزمه وقتله ، وجيء برأسه الى قرطبة . وقدّم المولدون أخاه حفص بن عمر فانتكث ومضى على العصيان ، وغزاه الناصر ، وجهز العساكر لحصاره حتى استأمن له ، ونزل الى قرطبة بعد سنة من ولايته . وخرج الناصر الى يشتر فدخله وجال في اقطاره ، ورفع اشلاء عمر وابنه جعفر ، وسليمان فصلبهم بقرطبة ، وخرب جميع الكنائس التي كانت في الحصون التي بنواحي ريّة وأعمال مالقة ، ثلاثين حصناً فأكثر ، وانقرض أمر بني حَفصون ، وذلك سنة خمس عشرة وثلثمائة والبقاء لله .

ثوار أشبيلية المتعاقبون

ابن أبي عبيدة وابن خلدون وابن حجاج وابن مَسْلَمَة ، وأوّل الثوّار كان باشبيلية أُمَيّة بن عبدالله المغافر بن أبي عبيدة ، وكان جدّه أبو عبيده عاملاً عليها من قبل عبد الرحمن الداخل . قال ابن سعيد ، ونقله عن مؤرّخي الاندلس : الحجازي ومحمد بن

الاشعث. وابن حيان قال: لما اضطربت الاندلس بالفتن أيام الامير عبدالله وسما رؤساء البلاد الى التغلب، وكان رؤساء اشبيلية المرشحون لهذا الشأن أمية بن عبد الغافر، وكليب بن خلدون الحَضْرَمي وأخوه خالد، وعبدالله بن حجاج. وكان الامير عبدالله قد بعث على اشبيلية ابنه محمداً، وهو أبو الناصر والنفر المذكورون يحومون على الاستبداد فثاروا بمحمد بن الامير عبدالله، وحصروه في القصر مع أمّه وانصرف ناجياً الى أبيه.

ثم استبد أمية بولايتها على مداراتهم، ودسّ على عبدالله بن حجاج من قتله فقام أخوه ابراهيم مكانه فثاروا به، وحاصروه في القصر، ولما أحيط به خرج اليهم مستميتاً بعد أن قتل أهله، وأتلف موجوده فقتل، وعاثت العامّة برأسه، وذلك أعوام الثمانين والثلثمائة. وكتب ابن خلدون وأصحابه بذلك الى الامير عبدالله، وأنّ أمية خلع وقتل فتقبل منهم للضرورة، وبعث عليهم عمه هشام بن عبد الرحمن، واستبدوا عليه، وتولّى كبر[1] ذلك كريب ابن خلدون، واستبدّ عليهم بالرياسة. قال ابن حيان ونسبهم في حضرموت، وهم باشبيلية نهاية في النباهة. مقتسمين الرياسة السلطانية والعلمية، وقال ابن حزم انهم من ولد وائل بن

(١) ضد الصغر. والكبر: الشرف والعظمة والإثم والتجبر: والكبر. معظم الشيء. وجميع هذه المعاني لا تتناسب مع السياق إلا إذا أريد أنه تولى: شرف ذلك.

حجر، ونسبهم في كتاب الجمهرة، وكذلك قال ابن حيان في بني حجاج. قال الحجازي: ولما قتل عبدالله بن حجاج قام أخوه ابراهيم مقامه، وظاهر بني خلدون على قتل أمية وأنزل نفسه منهم منزلة الخديم.

واستبدّ كريب، وعسف أهل اشبيلية فنفر عنه الناس وتمكن لابراهيم الغرض، وصار يظهر الرِّفق كلما أظهر كريب الغلظة، وينزل نفسه منزلة الشفيع والملاطف. ثم دسّ للامير عبدالله بطلب الولاية ليشتدّ بكتابه على كريب بن خلدون، وكتب له بذلك عهده فأظهر للعامّة، وثاروا جميعاً بكريب فقتلوه. واستقام ابراهيم بن حجاج على الطاعة للامير عبدالله، وحصّن مدينة قرمونة، وجعل فيها مرتبط خيوله، وكان يتردّد ما بينها وبين اشبيلية. وهلك ابن حجاج، واستبد ابن مسلمة بمكانه. ثم استقرّت اشبيلية آخراً بيد الحجاج بن مسلمة، وقرمونة بيد محمد ابن ابراهيم بن حجاج، وعقد له الناصر. ثم انتقض، وبعث له الناصر بالعساكر، وجاء ابن حفصون لمظاهرة ابن مسلمة فهزمته العساكر، وبعث ابنه شفيعاً فلم يشفعه فبعث ابن مسلمة بعض اصحابه سرّاً فداخل الناصر في المكر به وعقد له. وجاء بالعساكر وخرج ابن مسلمة للحديث معه فغدروا به، وملكوا عليه أمره، وحملوه الى قرطبة. ونزل عامل السلطان اشبيلية، وكان من الثوّار على الامير عبدالله قريبه، وغدر به أصحابه فقتل.

مقتل الأمير محمد ابن الأمير عبد الله ثم مقتل أخيه المطرف

كان المطرّف قد اكثر السعاية في أخيه محمد عند أبيهما، حتى اذا تمكنت سعايته، وظهر سخطه على ابنه محمد لحق حينئذ ببلد ابن حفصون. ثم استأمن ورجع، وبالغ المطرف في السعاية الى أن حبسه أبوه ببعض حُجر القصر وخرج لبعض غزواته، واستخلف ابنه المطرف على قصره فقتل أخاه في محبسه مفتاتا[1] بذلك على أبيه، وحزن الامير عبدالله على ابنه محمد، وضم ابنه عبد الرحمن الى قصره وهو ابن يوم فربي مع ولده. ثم بعث الامير عبدالله ابنه المطرف بالصائفة سنة ثلاث وثمانين ومائتين، ومعه الوزير عبد الملك بن أمية ففتك المطرف بالوزير لعداوة بينهما وسطا[2] به أبوه الامير عبدالله، وقتله شرّ قتله ثأر فيهما منه بأخيه محمد وبالوزير. وعقد مكان الوزير لابنه أمية فسنح[3] على الفقراء بأنفه، وترفع على الوزراء فمقتوه وسعوا فيه عند الامير عبدالله بأنه بايع جماعة من سماسرة الشرّ لاخيه هشام بن محمد، ولفقت بذلك شهادات اعتمد القاضي حينئذ قبولها[4] وأشار للساعين ان

(١) كذا، والأصح : مفتئتاً، افتأت برأيه : استبد.

(٢) بمعنى وثب.

(٣) كذا، والأصح : شمخ بأنفه وسنح على الناس: أصابهم بشر. وإذا استعملت سنح لا يبقى مكان لكلمة بأنفه.

(٤) هذه العبارة مضطربة والضمير في الأخ عائد على عبد الله فيكون هشام أخاً لعبد الله فكيف قتل هشام أمية بعد ذلك وهو الذي بايع له؟ ولم نهتد إلى ما يجلو غموضها في المراجع التي لدينا.

يجعلوا في الجماعة للمشهود عليهم بالبيعة بعض أعدائه فتمت الحيلة وقتل هشام أمية الوزير وذلك سنة أربع وثمانين .

وفاة الأمير عبد الله بن محمد وولاية حافده عبد الرحمن الناصر بن محمد

ثم توفي الامير عبدالله في شهر ربيع الاوّل من آخر المائة الثالثة لست وعشرين سنة من امارته ، وولي حافده عبد الرحمن ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف ، وكانت ولايته من الغريب لانه كان شاباً وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدّى اليها ، وحازها دونهم، ووجد الاندلس مضطربة فسكنها وقاتل المخالفين حتى اذعنوا ، واستنزل الثوّار ومحا أثر ابن حفصون كبيرهم ، وحمل أهل طليطلة على الطاعة ، وكانوا معروفين بالخلاف والانتقاض . واستقامت الاندلس وسائر جهاتها في نيف وعشرين سنة من أيامه ودامت أيامه نحواً من خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك النواحي ، وهو أوّل من تسمى بأمير المؤمنين عندما تلاشى أمر الخلافة بالمشرق ، واستبدّ موالي الترك على بني العباس ، وبلغه ان المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع وعشرين وثلثمائة فتلقب بألقاب الخلفاء ، وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب ، الى أن انهزم عام الخندي سنة ثلاث وعشرين ومحص الله المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه ، وصار يردّد الصوائف في كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج ما لم يطأه قبل في أيام

سلفه ، ومدّت اليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان، وأوفدوا اليه رسلهم وهداياهم من رومة القُسْطَنطينيّة في سبيل المُهَادَنَة والسلم ، والاحتيال فيما يعنّ من مرضاته . ووصل الى سدنة ملوك الجلالقة من أهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين ، كجهات قشتالة وينبلونة وما اليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده ، والتمسوا رضاه ، واحتقبوا جوائزه وامتطوا مركبه . ثم سما الى ملك العُدوة فتناول سَبْتة من أيدي أهلها سنة سبع عشرة ، وأطاعه بنو ادريس أمراء العدوة وملوك زناتة البربر ، وأجاز اليه الكثير منهم كما نذكر في أخباره وبدأ أمره لاوّل ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا ، واستحجب موسى بن محمد ابن يحيى .

واستوزر عبد الملك بن جهور بن عبد الملك بن جوهر ، وأحمد بن عبد الملك بن سعد ، وأهدي له هديته المشهورة المتعددة الاصناف . ذكرها ابن حيان وغيره وهي مما نقل من ضخامة الدولة الاموية واتساع أحوالها ، وهي خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين ، وأربعمائة رطل من التِبْرِ ، ومصارفه خمسة وأربعين ألف دينار . ومن سبائك الفِضّة مائتا بَدْرَة واثنا عشر رطلًا من العود الهندي يختم عليه كالشمع ، ومائة وثمانون رطلًا من العود الصمغي المتخير ، ومائة رطل من العود الشبه المنقّى ، ومائة أوقية من المسك الذكي المفضّل في جنسه ، وخمسمائة أوقية

من العنبر الأشهب المفضل في جنسه على خليقته من غير صناعة ومنها قطعة مملمة عجيبة الشكل ، وزن مائة اوقية، وثلثمائة اوقية من الكافور المترفع الذكاء .

ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختمّ المرقوم بالذهب للباس الخلفاء ، مختلفة الالوان والصنائع ، وعشرة أفرية من عالي جلود الفنك الخُراسانيّة ، وستة من السرادقات العراقية ، وثمان وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ، وثلاثون شقة الغريون من الملاحف لسروج الهبات ، وعشرة قناطير من السمور فيها مائة جلد ، وأربعة آلاف رطل من الحرير المغزول ، وألف رطل من الحرير المنتقى للاستغزال ، وثلاثون بساطاً من الصوف وعشر مائة منقاة مختلفة ، ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة ، وخمسة عشر من نخاخ الخز المقطوع شطرها .

ومن السلاح والعدة ثمانمائة من تخافيف الزينه أيام البروز والمواكب ، وألف ترس سلطانية ، ومائة الف سهم من النبال البارعة الصنعة ، ومن الظهر خمسة عشر فرساً من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت ، وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية ، ولجم بغال مجالس سروجها خز جعفري عراقي ، ومائة فرس من عتاق الخيل التي تصلح للركوب في التصرف والغزوات ، ومن الرقيق أربعون

وصيفاً وعشرون جارية متخيرات بكسوتهن وزينتهن ومن سائر الاصناف ومن الصخرسيات ما أنفق عليه في عام واحد ثمانون ألف دينار ، وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه وأقدمه ، قيمته خمسون ألف دينار . وعرضت الهدية على الناصر سنة سبع وعشرين فشكرها وحسن لديه موقعها .

سطوة الناصر بأخيه القاضي ابن محمد

كان محمد بن عبد الجبار ابن الامير محمد ، وعبد الجبار هو عم أبي الناصر ، قد سعى عنده في أخيه القاضي ابن محمد ، وأنه يريد الخلاف والبيعة لنفسه . وسعى القاضي في محمد بن عبد الجبار ، وأنه يروم الانتقاض ، واستطلع على الجليّ من أمرهما ، وتحقق نقضهما فقتلهما سنة ثمان وثلثمائة .

سطوة الناصر ببني إسحق المروانيين

وهو اسحق بن محمد بن اسحق بن ابراهيم بن الوليد بن ابراهيم ابن عبدالملك بن مروان ، دخل جدّهم أوّل الدولة ولن يزالوا في اكرام وعز ، واسقرّت الرياسة في اسحق ، وسكن اشبيلية أيام الفتنة عند ابن حجاج . ثم هلك ابن حجاج وولي ابن مسلمة فاتهمه ، وقبض عليه وعلى ولده وصهره يحي بن حكم بن هشام ابن خالد بن أبان بن خالد بن عبدالله بن عبد الملك بن الحرث بن

مروان فقتل الولد والصهر ، وكان عنده سفير لابن حفصون فشفع في الشيخ اسحق وولده أحمد . ثم ملك الناصر اشبيلية من يد ابن مسلمة فرحل اسحق الى قُرْطُبة ، واستوزره الناصر ، واستوزر بنيه أحمد وابنه ومحمد وعبدالله ففتحوا الفتوحات ، وكفوا المهمات ، وعلت مقاديرهم في الدولة .

وتوفي أبوهم اسحق فورثوا مكانه في كل رفيعة . ثم هلك كبيرهم عبدالله ، وكان مقدّمهم عند الناصر ، واستوزره ثم اتهمه الناصر بالخلاف ، وكثرت فيهم السعايات ، وصاروا في مجال الظنون فسطا بهم الناصر وغربهم في النواحي فانزوى أمية منهم في تسترين سنة خمس وعشرين ، وخلع الطاعة وقصده الناصر في العساكر فدخل دار الحرب ، وأجاره رذمير ملك الجلالقة . ثم تغير له فجاء الى الناصر من غير عهد وعفا عنه ، وبقي في غمار الناس الى ان هلك . وأمّا أحمد فعزل عن سرقسطة لما نكب أبوه ، وبقي خاملًا مغضبا . ثم تكاثرت السعاية فيه فقتل . وأمّا أحمد فبقي في جملة الناصر ، حتى اذا تحرّك الى سرقسطة نمى عنه[1] ففرّ ولقي في مفرّه جماعة من أهل سرقسطة فقتلوه .

---

(١) إذا كان من فعل: نمّ - وهو إظهار الحديث بالوشاية فبناؤه للمجهول نُمّ. ولعل هنا كلمة أو عبارة سقطت أثناء النسخ أو الطبع، ومقتضى السياق: نمي عنه فعل مشين أو ما أشبه.

أخبار الناصر مع الثوار

كان أوّل فتحه أبيح له أسجه[1] بعث اليها بدراً مولاه ، وحاجبه فافتتحها من يد ابن حفصون سنة ثلثمائة ، وغزا في أثرها بنفسه فافتتح أكثر من ثلاثين حِصناً من يد ابن حفصون منها البيرة ، ودوّخ سائر أقطاره ، وضيق مخنقه بالحصار ، واستنزل سعيد بن مزيل من حصن المنتلون ، وحصن سمنان . وفي سنة احدى وثلثمائة ملك اشبيلية من يد أحمد بن مسلمة كما ذكرناه ، ثم سار سنة اثنتين في العساكر فنازل حصون ابن حفصون وانتهى الى الجزيرة الخضراء ، وضبط البحر ، ونظر في اساطيله واستكثر منها . ومنع ابن حفصون من البحر ، وسأله في الصلح على لسان يحيي بن اسحق المرواني فعقد له . ثم أغزى اسحق بن محمد القرشيّ الى الثوار بمرسِيَة وبَلَنْسِيَة فأثخن في نواحيها ، وفتح أريولة وأغزى بدراً مولاه الى مدينة لبلة فاستنزل منها عثمان بن نصر الثائر بها ، وساقه مُقَيَّداً الى قرطبة ، ثم أغزى اسحق بن محمد سنة خمس مدينة قرمونة فملكها من يد حبيب ابن سوارة ، كان ثائراً بها . وفتح حصن سَنْتَمَرِيّة سنة ست ، وحصن طَرَش سنة تسع .

---

(١) كذا بالأصل وأسجة اسم بلدة من بلدان الأندلس ، ولكن العبارة غير مستقيمة ولم نهتد إلى تصويبها في المراجع التي بين أيدينا.

وأطاعه أحمد بن أضحى الهمداني الثائر بحصن الجامة ، ورهن ابنه على الطاعة . وغزا ابن حفصون سنة أربع عشرة فردته العساكر المجمرة لحصاره ، ورجع وبعث اليه حفص يستأمنه فأمّنه وجاء الى قرطبة ، وملك الناصر يشتر كما مرّ . ثم انتقض سنة خمس وعشرين أمية بن اسحق في تسترين ، وقد مرّ ذكر أوّليته ومحمد بن هشام التجيبي في سرقسطة ، ومطرف بن منـدف التجيبي في قلعة أيوب فغزاهم الناصر بنفسه ، وبدأ بقلعة أيوب فحاصرها ، وقتل مطرف في أوّل جولة عليها ، وقتل معه يونس ابن عبد العزيز . ولجأ أخوه الى القصبة حتى استأمن وعفا عنه ، وقتل من كان معهم من النصرانية أهـل البة . وافتتح ثلاثين من حصونهم ، وبلغه انتقاض طوطة ملكة البشكنس فغزاها في ينبلونة ، ودوّخ أرضها واستباحها ورجع . ثم غزا سنة سبع وعشرين غزوة الخندق الى جليقة فانهزم ، وأصيبت فيها المسلمون وأسر محمد بن هاشم التجيبي ، وحاول الناصر اطلاقه فاطلق بعد سنتين وثلاثة أشهر . وقعد الناصر بعدهـا عن الغزو بنفسه ، وصار يردّد البعوث والصوائف . وثار سنة ثلاث وأربعين بجهات ماردة ثائر ، وتوجهت اليه العساكر فجاؤا به وباصحابه ومثل بهم وقتلوا .

أخبار طليطلة ورجوعها الى الطاعة

قال ابن حيان اخطتهـا ديرنيقيوش الجبار ، وكان قوّاد

رومة ينزلونها دار ملك . ثم ثار بهـا برباط من نجدانية فلكها ، واختلف قوّاد رومة على حصاره . ثم وثب به بعض أصحابه فقتله وملكها . ثم قتل ورجعت الى قوّاد رومة . ثم انتقض أهلها وولوا أميراً منهم اسمه انيش . ثم قتـل ورجعت الى قوّاد رومة ، وقام أوّلهم شنتيلة ، وأطاعه أهل الاندلس ، وامتنع على ملوك رومة . ثم غزاهم وحاصر رومة ، وفتح كثيراً من بلادها ، ورجع الى طليطلة ، وثار عليه البشكنس فظهر عليهم ، وأوقع بهم ، ولحقوا بالجبال . وهلك شنتيلة بعد تسع ، وملك مكانه على الغوط بسيلة ست سنين ، ولم يغن فيها . ثم ولي منهم حندس ، وغزا افريقية ، وولي بعده قتبان وبنى الكنائس ، وبلغه خبر المبعث فقال له بليان ، وكان من أكابر الغوط ، واعاظمهم : وجدت في كتاب مطريوس العالم عن دانيال النبيّ أنهم يملكون الاندلس . ثم هلك فتبادر وملك ابنه [(١)] ست عشرة سنة وكان سيء السيرة ولي بعده لزريق . ثم لم تزل طليطلة دار فتنة وعصبية ومنعة ، أتعبت عبد الرحمن الداخل سبع سنين ، وانتقضت على هشام والحكم ، وعلى عبد الرحمن الأوسط ، الى ان جاء الناصر فأدخلهم في الطاعة كرهاً ، لما أكمل فتح ماردة وبطليوس وتسترين ، سار اليهم في العساكر وحاصرهم ، وجاء الطاغية يظاهرهم فدافعه الناصر ، وجثم عليها فخرج أميرهم ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث الى الناصر فاستقال واستأمن

(١) كذا بياض بالأصل ولم نهتد إلى اسم هذا الملك في المراجع التي بين أيدينا.

فأمنه وعفا عنه ، ودخلها الناصر وجال في اقطارها ، ورجع عنها فلم يزالوا مستقيمين على الطاعة بعد .

أخبار الناصر مع أهل العدوة

ثم سما للناصر أمل في ملك عدوة البربر من بلاد المغرب فافتتح أمره بملك سبتة من بني عصام ولاتها ، واستدعى أمراء البربر بالعدوة ، وبلغ الخبر ابراهيم بن محمد أمير بني ادريس فبادر الى سبتة ، وحاصرها أنفة من عبور الناصر اليهم . ثم استقال وكاتب الناصر بالولاية . وأما أدريس بن ابراهيم صاحب ارشكول من الادارسة فبادر بولاية الناصر ، وكاتبه وأهدى اليه ، وتقبل أثره في ذلك محمد بن خزر أمير مغراوة ، وموسى بن أبي العافية أمير مكناسة ، وهو يومئذ صاحب المغرب بعد أن ملك قواعد المغرب الاوسط ، وهي تنس ووهران وشرشال والبطحاء . وأهدوا الى الناصر فقبل وكافأهم وأحكم ولايتهم ، وبادر جماعة من الأدارسة الى مثل ذلك منهم القاسم بن ابراهيم ، والحسن بن عيسى وأهدى صاحب فاس هديّة عظيمة ، وعقد له الناصر على أهل بيته . ولما فشت دعوة الناصر في المغرب الاقصى بعث عبيدالله المهدي قائده ابن يصل أمير مكناسة ، وعامل تاهرت فزحف في العساكر الى المغرب سنة احدى وعشرين ، وكتب موسى بن أبي العافية الى الناصر يستنجده فأخرج اليه قاسم بن طملس في العساكر ، ومعه

الاسطول فوصل الى سبتة ، وبلغه الخبر بأن موسى بن أبي العافية هزم عساكر حميد فاقصر ورجع حسبما هو مذكور في أخبارهم .

أخبار الناصر مع الفرنجة والجلالقة

وكان في أول المائة الرابعة ملك على الجلالقة أردون بن رذمير ابن برمند بن قريولة ابن أذفونش بن بيطر . وخرج سنة اثنتين وثلثمائة الى الثغر الجوفي لاول ولاية الناصر ، وعاث في جهات ماردة ، وأخذ حصن الحنش . وبعث الناصر وزيره أحمد بن عبدة في العساكر الي بلاده فدوخها . ثم أغزاه ثانية سنة خمس فنكث وقتل . ثم أغزى بدراً مولاه فدوخ ورجع . ثم غزا بنفسه بلاد جليقة سنة ثمان. واستنصر اردون بشانجة ابن غرسية ملك البشكنس وصاحب بنبولة فهزمهم الناصر ، ووطىء بلادهم وخرّبها وفتح حصونهم وهدمها وردد الغزو بعد ذلك في بلد غرسية الى أن هلك أدفونش وولي بعده ابنه فرويلة . قال ابن حيان : لما ملك فرويلة ابن أردون بن رذمير ملك الجلالقة سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ملك أخوه اذفونش ، ونازعه أخوه شانجة واستقل غرسية بليون من قواعد ملكهم ، وظاهر ادفونش على أمره ابن أخيه ، وهو اذفونش ابن فرويلة ، وصهره شانجة فانهزموا وافترقت كلمتهم . ثم اجتمعوا ثانية وخلعوا شانجة وأخرجوه عن مدينة ليون ففرّ الى قاصية جليقة ، وولى أخاه رذمير بن أردون على ملكه بغربي جليقة الى

قلنسرية . وهلك شانجة اثر ذلك ولم يعقب . واستقل ادفونش، وخرج على أخيه رذمير، وملك مدينة سنت ماذكش. ثم أكثروا عليه العذل في نزوعه عن الرهبانية فرجع الى رهبانيته . ثم خرج ثانياً وملك مدينة ليون، وكان رذمير أخوه غازياً الى سمورة فرجع اليه وحاصره بها حتى اقتحمها عليه عَنْوَةً سنة عشرين وثلثمائة فحبسه، ثم سمله في جماعة من ولد أبيه أردون، خافهم على أمره . وكان غرسية بن شانجة ملك البشكنس لما هلك قامت بأمرهم بعده أخته طوطة، وكفات وُلْدَه . ثم انتقضت سنة خمس وعشرين فغزا الناصر بلادها وخرب نواحي بليونة، وردّد عليها الغزوات .

وفي أثناء هذه الغزوات نازل محمد بن هشام التجيبي سرقسطة، حتى أطاع كما مرّ، وكذا أمية بن اسحق في تسترين . وكان الناصر سنة اثنتين وعشرين قد غزا الى وخشمة، واستدعى محمد ابن هشام من سرقسطة فامتنع ورجع اليه، وافتتح حصونه، وأخذ أخاه يحيى من حصن روطة . ثم رحل الى يَنْبَلونَة فجاءته طوطة بنت انشير بطاعتها، وعقد لابنها غرسية بن شانجة على ينبلونة . ثم عدل الى لَبْلَة وبسائطها فدّوخها وخرب حصونها . ثم اقتحم جَليقَة، وملكها يومئذ رَذْمير بن أردون فخام عن اللقاء، ودخل هو وحشمه فنازله الناصر فيها، وهدم برغث وكثيراً من معاقلهم، وهزمهم مراراً ورجع .

ثم كانت بعدها غزوة الخندق ولم يغز الناصر بعدها بنفسه . وكان يردد الصوائف، وهابته أمم النصرانية . ووفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب القسطنطينية وهديته، وهو يومئذ قسطين ابن ليون بن شل واحتفل الناصر للقائهم في يوم مشهود، وكتب[1] فيه العساكر بالسلاح في أكمل هيئة وزي وزين القصر الخلافيّ بانواع الزينة وأصناف الستور، وجمل السرير الخلافيّ بمقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة، ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم، ودخل الرسل فهالهم مارأوا وقربوا حتى أدّوا رسالتهم . وأمر يومئذ الأعلام ان يخطبوا في ذلك المحفل، ويعظموا أمر الاسلام والخلافة، ويشكروا نعمةالله على ظهور دينه واعزازه، وذلة عدّوه فاستعدّوا لذلك . ثم بهرهم هول المجلس فرجعوا وشرعوا في الغزل[2] فارتج عليهم، وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق، كان في جملة الحكم ولي العهد، وندبه لذلك استئثارا لفخره، فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي من غير استعداد ولا رَوِيّة، ولا تقدم له أحد في ذلك بشيء، فخطب واستغفر وجلّى في ذلك القصد، وأنشد آخره شعراً طويلًا ارتجله في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس، وعجب الناس من شأنه اكثر من كل ما وقع . وأعجب

---

(١) أي جعلها: كتائب.

(٢) الغزل بمعنى: الفتل والمد. والغزل حديث الفتيان والفتيات أو اللهو. ولم نجد لها معنى آخر يتناسب مع السياق.

الناصر به وولاه القضاء بعدها ، وأصبح من رجالات العالم ، وأخباره مشهورة ، وخطبته في ذلك اليوم منقولة في كتب ابن حيّان وغيره . ثم انصرف هؤلاء الرسل ، وبعث الناصر معهم هشام بن كُلَيب الى الجاثليق ليجدد الهدنة ، ويؤكد المودة ، ويحسن الاجابة . ورجع بعد سنتين وقد أحكم من ذلك ماشاء ، وجاءت معه رسل قسطَنطين . ثم جاء رسل ملك الصَقالبَة ، وهو يومئذ هوتو ، وأخر من ملك اللمان ، وأخر من ملك الفرنجة وراء المغرب ، وهو يومئذ أفوه . وأخر من ملك الفرنجة بقاصِيَة المشرق ، وهو يومئذ كِلْدَة . واحتفل السلطان لقدومهم ، وبعث مع رسل الصقالبة ريفا الاسقف الى ملكهم هوتو ، ورجعوا بعد سنتين .

وفي سنة أربع وأَربعين جاء رسول اردون بن رذمير ، وأبوه رذمير ، هو الذي سمل أخاه ادفونش ، وقد مرّ ذكره ، بعث يخطب السلم فعقد له . ثم بعث في سنة خمس وأربعين يطلب ادخال قومس قشتيلية فردلند ، وقد مرّ ذكره ، ومال الى أردون ابن رذمير كما ذكرناه . وكان غرسية بن شانجة حافد الطوطه بنت اسنين ، ملكة البشكنس فامتعضت لحل حافدها غرسية ، ووفدت على الناصر سنة سبع وأربعين ملقية بنفسها في عقد السلم لها ولولدها شانجة بن رذمير الملك واعانه حافدها غرسية بن شانجة على ملكه ونصره من عدوّه وجاء ملك جليقة فردّ عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعة اردون ، وبعث الى الناصر يشكوه على فعلته

وكتب الى الامم في النواحي بذلك ، وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلة وعظم قوامسه في نكثه، ووثوبه، ونفر بذلك عند الامم ، ولم يزل الناصر على موالاته واعانته الى ان هلك . ولما وصل رسول كِلْدَة ملك الافرنجة بالمشرق كما تقدم ، وصل معه رسول مغيرة بن شبير ملك برشلونة وطركونة ، راغباً في الصلح فاجابه الناصر ، ووصل بعده رسول صاحب رومة يطلب المودّة فاجيب .

سطوة الناصر بابنه عبد الله

كان الناصر قد وشحه[1] ابنه الحكم وجعله ولي عهده وآثره على جميع ولده ، ودفع اليه كثيراً من التصرّف في دولته ، وكان أخوه عبدالله يساميه في الرتبة فغص لذلك وأغراه الحسد بالنكثة فنكث ، وداخل في قلبه مرض من أهل الدولة فأجابوه ، وكان منهم ياسر الفتى وغيره . ونمى الخبر بذلك الى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على الجليّ فيه ، وقبض على ابنه عبدالله وعلى ياسر الفتى ، وعلى جميع من داخلهم وقتلهم أجمعين سنة ثلاث وتسعين.

مباني الناصر

ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد المباني والقصور ، وكان جده الامير محمد وأبوه عبد الرحمن الاوسط

(١) كذا. والأصح وشح بمعنى: قلد.

وجده الحكم قد اختلفوا في ذلك ، وبنوا قصورهم على اكمل الاتفاق والضخامة ، وكان منها المجلس الزاهر ، والبهو الكامل ، والقصر المنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم ، وسماه دار الروضة ، وجلب الماء الى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بَغْداد والقُسْطَنْطِينِيّة. ثم أخذ في بناء المنتزهات فاتخذ مينا الناعورة خارج القصور ، وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة . ثم اختط مدينة الزهراء ، واتخذها منزله وكرسياً لملكه فأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما علا على مبانيهم الأولى واتخذ فيها مجالات للوحش فسيحة الفناء ، متباعدة السياح ومسارح الطيور ، ومظللة بالشباك واتخذ فيها داراً لصناعة آلات السلاح للحرب ، والحلي للزينة ، وغير ذلك من المهن . وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس .

وفاة الناصر وولاية ابنه الحكم المستنصر

ثم توفي الناصر سنة خمسين وثلثمائة أعظم ما كان سلطانه ، واعز ما كان الاسلام بملكه . وكان له قضاة أربعة : مسلم بن عبد العزيز ، وأحمد بن بقى بن مخلد ، ومحمد بن عبدالله بن أبي عيسى ، ومنذر بن سعيد البلوطي . ولما توفي الناصر ولي ابنه الحَكَم وتلقَّب المستنصر بالله ، وولّى على حجابته جعفر المصحفي ،

وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الاصناف ما ذكره ابن حَيّان في المقتبس وهي مائة مملوك من الفرنج ناشئة على خيول صافنة ، كاملو الشيكة والاسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والقلانس الهندوية ، وثلثمائة ونيف وعشرون درعاً مختلفة الاجناس ، وثلثمائة خوذة كذلك ، ومائة بيضة هندية ، وخمسون خوذة حبشيّة من حبشيات الافرنجة غير الحبش التي يسمونها الطاشانية ، وثلثمائة حربة افرنجية ، ومائة ترس سلطانية الجنس ، وعشرة جواشن نقية مذهبة ، وخمسة وعشرون قرناً مذهبة من قرون الجاموس . ولاوّل وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزا الحكم بنفسه ، واستباحها ، وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه . ثم أغزى غالباً مولاه بلاد جليقة ، وسار الى مدينة سالم قبل الدخول لدار الحرب فجمع له الجلالقة ، ولقيهم على اشتة فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلاد فردلند القومس ، ودوّخها وكان شانجة بن رذمير ملك البشكنس قد انتقض فاغزاه الحكم يحيى بن محمد التُجَيْبِيّ صاحب سرقسطة في العساكر . وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم ، وامتنعوا في حصونها . وعاث في نواحيها ، وأغزى الهُذَيل بن هاشم ، ومولاه غالباً فعاثا فيها وقفلا . وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية ، وكان من أعظمها فتح قلهرة من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها . ثم فتح قَطْرِيبة علي يد قائد وَشْقَة ، وغنم ما فيها من الأموال

والسلاح والآلات والاقوات . وغنم ما في بسيطة من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسُبيّ ما لا يحصى .

وفي سنة أربع وخمسين سار غالب الى بلاد ألبَة ومعه يحيى ابن محمد التُجَيْبِي وقاسم بن مُطَرِّف بن ذي النون فأخذ حصن غرماج ، ودوخ بلادهم وانصرف . وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس في البحر الكبير ، وأفسدوا بسايط احشبونة وناشبهم الناس القتال فرجعوا الى مراكبهم ، وأخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل ، وأمر قائد البحر عبد الرحمن بن رماجس بتعجيل حركة الاسطول . ثم وردت الأخبار بأن العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل . ثم كانت وفادة أردون بن ادفونش ملك الجلالقة . وذلك أنّ الناصر لما أعان عليه شانجة بن رذمير ، وهو ابن عمه ، وهو الملك من قبل أردون وحمل[1] النصرانية .

واستظهر أردون بصهره فردلند قومس قشتيلية . ثم توقع مظاهرة الحكم لشانجة كما ظاهره أبوه الناصر ، فبادر بالوفادة على الحكم مستجيراً به فاحتفل لقدومه ، وكان يوماً مشهوداً وصفه ابن حيان كما وصف أيام الوفادات قبله . ووصل الى الحكم وأجلسه ووعده بالنصر على عدوه ، وخلع عليه لما جاء ملقياً بنفسه ، وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس ، واعطى

(١) من معاني الحمل . الثمر . ولعله هو المقصود أما بقية المعاني للكلمة على اختلاف الشكل فلا تناسب السياق .

على ذلك صفقة يمينه ، ورهن ولده غرسية ، ودفعت الصلات والحملات له ولأصحابه . وانصرف معه وجوه نصارى الذمّة بقرطبة ولِبَد بن مُغيث القاضي ، وأَصْبَغ بن عبدالله بن نبيل الجاثليق ، وعبدالله بن قاسم مطران طليطلة ليوطؤا له الطاعة عند رسميته ، ويقبضوا رهنه ، وذلك سنة احدى وخمسين . وعند ذلك بعث ابن عمه شانجة بن رذمير ببيعته وطاعته مع قَوْلب من أهل جليقة وسمورة وأساقفهم يرغب في قبوله ، ويبقي بما فعل أبوه الناصر معه فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين .

ثم بعث قومس الفرنجة برسل ومسيرة اثناء سير ملك برشلونة وطركونة وغيرها يسألان تجديد العهد ، واقرارهما على ما كانا عليه ، وبعثا بهدية وهي عشرون صَبِيّاً من الخِصْيان الصَقَالِبَة ، وعشرون قِنْطاراً من الصوف السمُّور ، وخمسة قناطير من الفرصدس ، وعشرة أذراع صِقْلِبِيَّة ومائتا سيف افرنجية فقبل هديتهم ، وعقد لهم على أن يهدموا الحصون التي بقرب الثغور ، وعلى ان لا يظاهروا عليه أهل ملّتهم وان ينذروه بما يكون من النصارى في الاجلاب على المسلمين .

ثم وصلت رسل غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من الاساقفة والقواميس يسألون الصلح ، بعد ان كان توقف فعقد لهم الحكم ، ورجعوا . وفي سنة خمس وستين وثلثمائة وردت

أم لزريق بن بلاكش القومس بالقرب من جليقة ، وهو القومس الاكبر فأخرج الحكم لتلقيها ، واحتفل لقدومها في يوم مشهود فوصلها وأسعفها ، وعقد السلم لابنها كما رغبت وأحبت ، ودفع لها مالا تقسمه بين وفدها ، وحمِلت على بغلة فارِهَةٍ بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج. ثم عاودت مجلس الحَكَم للوداع فعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت. ثم أوْطأ عساكره من ارض العدوة من المغرب الأقصى والاوسط ، وتلقىَ دعوته ملوك زَنَاتة من مَغْراوة ومِكْنَاسَة فبثوها في اعمالهم وخطبوا بها على منابرهم ، وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم . ووفد عليه ملوكهم من آل خزر ، وبني أبي العافية فأجزل صلتهم وأكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوة في ناحية الريف وأجازهم البحر الى قرطبة ، ثم أجلاهم الى الاسكندرية حسبما نشير الى ذلك كله بعد . وكان محباً للعلوم مكرماً لاهلها جَمَّاعَةَ للكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله .

قال ابن حزم : أخبرني بُكَيَّة الخصي ـ وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان ـ أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب اربعة وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلّا ذكر أسماء الدواوين لا غير. فاقام للعلم والعلماء سلطاناً نفقت فيها بضائعه من كل قطر . ووفد عليه أبو علي القالي صاحب كتاب الامالي من بغداد فأكرم مثواه ، وحسنت منزلته عنده وأورث أهل

الاندلس علمه . واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه، وكان يبعث في الكتب الى الاقطار رجالاً من التجار ، ويسرب اليهم الاموال لشرائها، حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوه . وبعث في كتاب الاغاني الى مصنفه أبي الفرج الاصفهاني ، وكان نسبه في بني أمية، وأرسل اليه فيه ألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه، قبل أن يخرجه بالعراق .

وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهَري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكَم، وأمثال ذلك . وجمع بداره الحذاق في صناعة النَسخ، والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد فأوعى من ذلك كله، واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده، إلاّ ما يذكر عن الناصر العباسي ابن المستضيء . ولم تزل هذه الكتب بقصر قُرْطُبَة الى أن بيع أكثرها في حصار البربر، أمر باخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالي المنصور بن أبي عامر. ونُهِب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة، واقتحامهم اياها عنوة كما نشير اليه بعد . واتصلت أيام الحَكَم المستنصر، وأوطأ العساكر أرض العُدْوة من المغرب الاقصى والاوسط، وتلقى دعوته ملوك زَنَاتة ومَغراوة ومكناسَة فبثّها في أعمالهم ، وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما يليهم ووفد عليه ملوكهم من آل خَزَر وبني أبي العافية فأجزل صلتهم وأكرم وفادتهم

وفاة الحكم المستنصر وبيعة ابنه هشام المؤيد

ثم أصابت الحكم العلة فلزم الفراش الى ان هلك سنة ست وستين وثلثمائة لست عشرة سنة من خلافتـه ، وولي من بعده ابنه هشام صغيراً مناهز الُحلُم ، وكان الحكم قد استوزر له محمد ابن أبي عامر نقله من خِطّة القضاء الى وزارته ، وفوّض اليه في أموره فاستقل وحسنت حاله عند الحكم ، فلما توفي الحكم بويع هشام ولقب المؤيد ، بعد ان قتل ليلتئذٍ أخو الحكم المرشح لأمره ؛ تناول الفتك به محمد بن عامر هذا بمالأة جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه ، وغـالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ، ومن خصيان القصر ورؤسائهم فائق وجودر فقتـل محمد بن أبي عامر المغيرة وبايع لهشام

أخبار المنصور بن أبي عامر

ثم سما محمد بن أبي عامر المتغلِّب على هشام لمـكانه في السن ، وثاب له رأي في الاستبداد فـكر بأهل الدولة ، وضرب بين رجالها ، وقتل بعضها ببعض . وكان من رجال اليَمَنِيّة من مغافر واسمه محمد بن عبدالله بن ابي عامر بن محمد بن عبدالله بن عامر بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المغافري ، دخل جدّه عبد الملك مع طارق ، وكان عظيماً في قومه ، وكـان له في الفتح

أثر فاستوزره الحكم لابنه هشام كما ذكرنا . فلما مات الحكم حَجَبه محمد ، وغلب عليه ، ومنع الوزراء من الوصول اليه إلا في النادر من الايام يسلمون وينصرفون . وأرخص للجند في العطاء وأعلى مراتب العلماء ، وقمع أهل البِدَع ، وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين . ثم تجرّد لرؤساء الدولة ممن عانده ، وزاحمه فمال عليهم وحطّهم عن مراتبهم ، وقتل بعضها ببعض . كل ذلك عن أمر هشام وخطه وتوقيعه ، حتى استأصل بهم وفرّق جموعهم .

وأول ما بدأ بالصَقالِبَة الخِصْيان الخدّام بالقصر فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم ، وأخرجهم من القصر ، وكانوا ثمانمائة او يزيدون ثم أصهر الى غالب مولى الحَكَم ، وبالغ في خدمته والتنصح له ، واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا أثره من الدولة ، ثم استعان على غالب بجعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة الفازع الى الحكم أوّل الدولة بمن كان معه من زناتة والبربر . ثم قتل جعفر عماله ابن عبد الودود وابن جوهر وابن ذي النون وأمثالهم من اولياء الدولة من العرب وغيرهم . ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة ، رجع الى الجند فاستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جنداً ، واصطنع أولياء ، وعرف عرفاء من صَنْهاجة ومَغْراوة ، وبني يفرن وبني برزال ومكناسة ، وغيرهم فتغلب على هشام وحجره واستولى

على الدولة ، وملأ الدنيا وهو في جوف بيته ، مع تعظيم الخلافة والخضوع لها ، وردّ الأُمور اليها وترديد الغزو والجهاد ، وقدّم رجال البرابرة زناتة ، وأخّر رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر ، وابتنى لنفسه مدينة فنزلها وسمَّاها الزاهرة . ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة ، وقعد على سرير الملك ، وأمر أن يُحَيّا بتَحِيَّة الملوك ، وتسمى بالحاجب المنصور ، ونفذت الكتب والاوامر والمخاطبات باسمه وأمر بالدعاء له على المنابر ، وكتب اسمه في السكة والطرز ، وعمر ديوانه بما سوى ذلك .

وجنَّد البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرغبة ، وقهر من يطاول اليها من الغَلَبَةِ فظفر من ذلك بما أراد ، وردّد الغزو بنفسه الى دار الحرث فغزا اثنتين وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم ينكسر له فيها راية ، ولا فُلّ له جيش ولا أصيب له بعث ، ولا هلكت سرية وأجاز عساكره الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة بعضهم في بعض فاستوثق ملكه بالمغرب وأذعنت له ملوك زناتة وانقادوا لحكمه وأطاعوا لسلطانه ، وأجاز ابنه عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر لما سخط زيري بن عَطِيّة ملكهم لما بلغه من اعلانه بالنيل منه والغض من ملكهم ، والتأنّف لحجر الخليفة هشام فأوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين ، ونزل بفاس وملكها ، وعقد لملوك زناتة على المغرب

واعماله من سجلماسة وغيرها على ما نشير اليه بعد . وشرد زيري بن عطية الى تاهرت ، وأبعد المفر ، وهلك في مفرّه . ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحاً على المغرب . وهلك المنصور أعظم ما كان ملكا واشد استيلاء سنة أربع وسبعين وثلثمائة بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ، ودفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه .

المظفر بن المنصور

ولما هلك المظفر قام بالامر من بعده أخوه عبد الرحمن ، وتلقب بالناصر لدين الله وجرى على سنن أبيه وأخيه في حجر الخليفة هشام ، والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه . ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده فأجابه ، وأحضر لذلك الملأ من ارباب الشورى ، وأهل الحل والعقد فكان يوماً مشهوداً . وكتب عهده من انشاء أبي حفص بن برد بما نصه : هذا ما عهد هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين الى الناس عامّة ، وعاهد الذي عليه من نفسه خاصة ، وأعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة، وأهمه ما جعل الله اليه من الامامة ، ونصب اليه من أمر المؤمنين واتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف ، وخشي ان هجم محتوم ذلك عليه ، ونزل مقدوره به ، ولم يرفع

لهذه الامة علما تأوي اليه ، وملجأ تنعطف اليه ، أن يلقى ربه تبارك وتعالى مفرّطاً ساهياً عن إداء الحق اليها . واعتبر عند ذلك من أحياء قريش وغيرها من يستحق أن يستند هذا الامر اليه ، ويعول في القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وصيانته ، بعد اطراح الهوى والتحرّي للحقّ والتزلّف الى الله عز وجل بما يرضيه .

وبعد أن قطع الاقاصي وأسخط الاقارب فلم يجد أحداً يوليه عهده ، ويفوّض اليه الخلافة بعده غيره لفضل نسبه ، وكرم خيمه ، وشرف مرتبته ، وعلّو منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه وتفاوته ، المأمون العيب الناصح الحبيب أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر وفقه الله تعالى ، إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره فرآه مسارعاً في الخيرات ، سابقاً الى الجليات ، مستولياً على الغايات ، جامعاً للماثرات . ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البرّ مداه ، ويحوي من خلال الخير ما حواه .

مع أن أمير المؤمنين أيده الله بما طالع من مكنون العلم ، ووعاه من مخزون الغيب ، رأى أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ، فلما استوى له الاختيار ، وتقابلت

عنده الآثار، ولم يجد عنه مذهباً ولا الى غيره معدلاً خرج اليه من تدبير الامور في حياته، وفوّض اليـه الخلافة بعد وفاته، طائعاً راضياً مجتهداً، وأمضى امير المؤمنين هذا وأجازه وأنفذه، ولم يشترط فيه ثنياً ولا خياراً، وأعطى على الوفاء به في سره وجهره، وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمّة نبيه صلى الله عليه وسلم، وذمة الخلفاء الراشدين من آبائه، وذمة نفسه ان لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول. وأشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيداً، وأشهد من أوقع اسمه في هـذا وهو جائز الامر ماضي القول والفعل بمحضر من ولي عهده المأمون أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله تعالى، وقيد له ما قلده والزمه نفسه ما في الذمة. وذلك في شهر ربيع الاوّل سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهادتهم بخطوط أيديهم. وتسمى بعدها بوليّ العهد. ونقم أهل الدولة عليه ذلك فكان فيه حتفه، وانقراض دولته ودولـة قومه، والله وارث الارض ومن عليها.

ثورة المهدي ومقتل عبد الرحمن المنصور وانقراض دولتهم

ولما حصل عبد الرحمن المنصور على ولاية العهد، ونقم ذلك الامويون والقرشيون وغصوا بأمره، واتفقوا على تحويل الأمر جملة من المضرية الى اليمنية فاجتمعوا لشأنهم، وتمشت من بعض

الى بعض رجالاتهم ، وأجمعوا أمرهم في غيبة من الحاجب الناصر ببلاد الجلالقة في غزاه من صوائف ، ووثبوا بصاحب الشرطة ففتكوا به بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، وخلعوا هشاماً المؤيد ، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله من اعياص الملك ، واعقاب الخلفاء ، ولقبوه المهدي ، وطار الخبر الى الحاجب بمكانه من الثغر فانفض جمعه ، وقفل الى الحضرة مدلاً بمكانه زعيماً بنفسه ، حتى اذا قرب من الحضرة تسلل عنه الجند ووجوه البربر ، ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدي القائم بالامر ، وأغروه بالناصر واعترضه منهم من تقبض عليه ، واحتز رأسه وحمله الى المهدي والى الجماعة وذهبت دولة العامريين .

ثورة البربر وبيعة المستعين وفرار المهدي

كان الجند من البرابرة وزناتة قد ظاهروا المنصور على أمره ، وأصبحوا شيعة لبنيه من بعده ورؤساؤهم يومئذ زاوى بن مناد الصنهاجي وبنو ماكير ابن أخيه زيري ، ومحمد بن عبدالله البرزالي ، ونصيل بن حميد المكناسي الفازع أبوه عن العبيديين الى الناصر ، وزيري بن غزانة المتيطي ، وأبو زيد بن دوناس اليفرني ، وعبد الرحمن بن عطاف اليفرني وأبو نور بن أبي قرّة اليفرني ، وأبو الفتوح ابن ناصر وحزرون بن محصن المغراوي ، وبكساس بن سيد الناس ،

ومحمد بن ليلى المغراوي فيمن اليهم من عشائرهم فلحقوا بمحمد بن هشام لما رأوا من انتقاض أمر عبدالرحمن وسوء تدبيره . وكانت الاموية تعتد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب اليهم تغلب المنصور وبنيه على أمرهم فسخطتهم القلوب ، وخزرتهم العيون، وتنفست بذلك صدور الغوغاء من أذيال الدولة ، ولفظت به ألسنة الدهماء من المدينة .

وأمر محمد بن هشام ان لا يركبوا ولا يتسلحوا وردوا في بعض الايام من باب القصر ، وانتهب العامة يومئذ دورهم ، ودخل زاوي وابن أخيه حساسة وأبو الفتوح بن الناصر على المهدي شاكين بما أصابهم فاعتذر اليهم ، وقتل من آذاهم من العامة في أمرهم ، وكان مع ذلك مظهراً لبغضهم مجاهراً بسوء الثناء عليهم . وبلغهم انه سره الفتك بهم فتمشت رجالاتهم ، وأسروا نجواهم . واتفقوا على بيعة هشام بن سليمان بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، وفشا في الخاصة حديثهم فعوجلوا عن أمرهم ذلك ، وأغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وازعجوهم عن المدينة . وتقبض على هشام وأخيه ابي بكر ، وأحضرا بين يدي المهدي فضرب اعناقهما ، ولحق سليمان ابن أخيهما الحكم بجنود البربر وزناتة ، وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتآمروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ، ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش . ثم نهض في جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة ، وبرزاليهم المهدي في كافة أهل البلد وخاصة

الدولة ، وكانت الدبرة عليهم ، واستلحم منهم ما يزيد على عشرين الفاً ، وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتهم ومؤذنيها عالم . ودخل المستعين قرطبة خاتم المائة الرابعة ، ولحق ابن عبد الجبار بطليلة .

رجوع المهدي الى ملكه بقرطبة

ولما استولى المستعين على قرطبة خالفه محمد بن هشام المهدي الى طليطلة ، واستجاش بابن ادفونش ثانية فنهض معه الى قرطبة ، وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهرها في آخر باب سبتة ، ودخل المهدي قرطبة وملكها .

هزيمة المهدي وبيعته للمؤيد هشام ومقتله

ولما دخل المهدي الى قرطبة خرج المستعين الى البرابرة ، وتفرّقوا في البسائط والقرى فينهبون ويقتلون ولا يبقون على أحد . ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهديّ وابن ادفونش ، واتبعهم المستعين والبرابرة اثناء ذلك يحاصرونهم ، حتى خشي الناس من اقتحام البرابرة عليهم فاغروا أهل القصر وحاجبه المدبر بالمهدي ، وان الفتنة انما جاءت من قبله ، وتولى كبر ذلك واضح العامري فقتلوا المهدي محمد بن هشام ، واجتمعت الكافة على تجديد البيعة لهشام المؤيد ليعتصموا به من معرة البرابرة ، وما

يسومونهم به ملوكهم من سوء العذاب، وعاد هشام الى خلافته واقام واضح العامري لحجابته، وهو من موالي المنصور بن ابي عامر.

حصار قرطبة واقتحامها عنوة ومقتل هشام

واستمرّ البرابرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم ولم يفرّ عن أهل قرطبة، تبعه هشام المؤيد، والبرابرة يتردّدون اليها ذاهبين وجائين بانواع النهب والفتك، الى ان هلكت القرى والبسائط، وعدمت المرافق، وصافت أحوال أهل قرطبة وجهدهم الحصار. وبعث المستعين البرابرة الى ابن ادفونش يستقدمونه لمظاهرتهم فبعث اليه هشام المؤيد، وحاجبه واضحاً يكفونه عن ذلك، بأن نزلوا له عن ثغور قشتالة التي كان المنصور اقتحمها فسكن عزمه، وسكن عن مظاهرتهم. ثم اتصل الحصار بخنق البلد، وصدق البرابرة القتال فاقتحموها عنوة سنة ثلاث وأربعمائة، وفتكوا بهشام المؤيد، ودخل المستعين. ولحق بأهل قرطبة من البرابرة في نسائهم ورجالهم وبناتهم وأبنائهم ومنازلهم.

وظن المستعين ان قد استحكم أمره، وتوثبت البرابرة العبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة، وتقلدوا الاعمال الواسعة مثل باديس بن حبوس في غرناطة، ومحمد بن عبد الله البرزالي في قرمونة وأبو ثور بن أبي شبل [1] بالاندلس، وصار الملك طوائف في

(١) كذا بياض في الأصل ولم نعثر على اسم عمالة أبي ثور بن أبي شبل في المراجع التي بين أيدينا، حتى إنا لم نعثر على اسمه مطلقاً.

آخرين من أهل الدولة ، مثل ابن عباد باشبيلية ، وابن الافطس ببطليوس وابن ذي النون بطليطلة ، وابن أبي عامر ببلنسية ومرسية ، وابن هود بسرقسطة ، ومجاهد العامري بدانية والجزائر منذ عهد هذه الفتنة كما نذكر في أخبارهم .

ثورة ابن حمود واستيلاؤه وقومه على ملك قرطبة

ولما افترق شمل جماعة قرطبة ، وتغلب البرابرة على الأمر ، وكان عليّ بن حمود واخوه قاسم من عقب ادريس قد أجازوا معهم من العدوة فدعوا لانفسهم ، وتعصّب معهم الكثير من البربر ، وملكوا قُرْطُبَة سنة سبع واربعمائة ، وقتلوا المُستَعين ومحوا ملك بني أُمَيَّة . واتصل ذلك في خلق منهم سبع سنين . ثم رجع الملك في بني أمية ، وفي ولد الناصر نحواً من سبع سنين . ثم خرج عنهم وافترق الامر في رؤساء الدولة من العرب والموالي والبربر ، واقتسموا الاندلس ممالك ودولاً ، وتلقبوا بألقاب الخلفاء كما نذكر ذلك كله مستوفى في أخبارهم .

عود الملك الى بني أمية وأولاد المستظهر

لما قطع اهل قرطبة دعوة المَحموديّن بعد سبع من ملكهم ، وزحف اليهم قاسم بن حمود في جموع من البربر فهزمهم اهل قرطبة ، ثم اجتمعوا واتفقوا على ردّ الامر الى بني أمية ، واختاروا لذلك

عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبّار أخا المهدي ، وبايعوه في رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ولقبوه المستظهر . وقام بأمره المستكفي . ثم ثار على المستظهر لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر أمير المؤمنين . كان المنصور بن أبي عامر قتل أباه عبد الرحمن لسعيه في الخلاف فثار الآن محمد هذا وتبعه الغوغاء وفتك بالمستظهر واستقل بأمر قرطبة ، وتلقب بالمستكفي .

عود الأمر الى بني حمود

وبعد ستة عشر شهراً من بيعة المستكفي رجع الامر الى يحيى ابن علي بن حمود ، وهو المعتلي كما يذكر في أخبارهم ، وفرّ المستكفي الى ناحية الثغر ومات في مفرّه .

المعتمد من بني أمية

ثم خلع أهل قرطبة المعتلي بن حمود ثانياً سنة سبع عشرة ، وبايع الوزير ابو محمد جهور بن محمد بن جهور عميد الجماعة ، وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخي المرتضى ، وكان بالثغر في لاردة عند ابن هود . ولما بلغه خبر البيعة له انتقل الى البرنث ، واستقرّ عند التغلب عليها محمد بن عبد الله بن قاسم ، وكانت البيعة له انتقل سنة ثمان عشرة واربعمائة ، وتلقب المعتمد بالله ، وأقام متردّداً

في الثغر ثلاثة أعوام ، واشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف ، واتفقوا على ان ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة ، ونزلها آخر سنة عشرين واقام يسيراً . ثم خلعه الجند سنة اثنتين وعشرين ، وفرّ الى لاردة فهلك بها سنة ثمان وعشرين ، وانقطعت دولة الاموية والله غالب على امره .

بنو حمود

الخبر عن دولة بني حمود التي أدالت من دولة بني أمية بالأندلس وأولية ملكهم وتصاريف أمورهم الى آخرها

كان في جملة المستعين مع البربر والمغاربة أخوان من ولد عمر ابن ادريس ، وهما القاسم وعلي ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن عبيد الله بن عمر ، كانوا في لفيف البرابرة في بلاد غمارة ، واستجدوا بها رياسة استمرت في بني محمد ، وبني عمر من ولد ادريس فكانت للبرابر اليهم صاغية بسبب ذلك وخلطة . وبقي الفخر منهم بتاز غدوه من غمارة فاجازوا مع البربر ، وصاروا في جملة المستعين مع امراء العدوة من البربر فعقد لهما المستعين فيمن عقد له من المغاربة عقد لعليّ منهما على طنجة وعملها ، وللقاسم - وكان الاسنّ - على الجزيرة الخضراء . وكان في نفوس المغاربة والبرابرة تشيّع لاولاد ادريس متوارث من دولتهم بالعدوة كما ذكرناه .

واستقام امر عليّ بن حمود ، وتمكن سلطانه ، واتصلت دولته عامين الى ان قتله صقالبته بالحمام سنة ثمان وأربعمائة ، فولي مكانه أخوه القاسم بن حمود ، وتلقب بالمأمون .

ونازعه في الامر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن اخيه عليّ بسبتة ، وكان أمير الغرب ووليّ عهد أبيه فبعث اليه أشياعهم من البربر مالاً مع جند الاندلس سنة عشر ، واحتل بمالَقَّة ، وكان أخوه ادريس بها منذ عهد أبيهما فبعث الي سَبْتَةَ ، ووصل الى يحيى ابن عليّ زاوى بن زيري من غَرْناطة ، وهو عميد البَرابِرَة ثانية يومئذ فزحف الى قرطبة فملكها سنة اثنتي عشرة ، وتلقب المعتلي ، واستوزر أبا بكر بن ذكوان ، وفرّ المأمون الى اشبِيلِيَّةَ ، وبايع له القاضي محمد بن اسمعيل بن عَبَّاد. واستمال بعضاً من البرابرة ثانية، واستجاشهم على ابن أخيه ورجع الي قرطبة سنة ثلاث عشرة .

ولحق المعتلي بمكانه من مالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء عمل المأمون من لدن عهد المستعين، وتغلّب أخوه ادريس على طَنْجَة من وراء البحر، وكان المأمون يعتدّها حِصْناً لنفسه وبنيه، ويستودع بها ذخيرته، وبلغ الخبر الى قُرْطُبَة بتغلّبه على قواعده وحصونه مع ما كان يتشدّد على بني أمية فاضطرب أمر المأمون ، وثار عليه أهل قُرْطُبَةَ ونقضوا طاعته، وبايعوا للمستظهر ، ثم للمستكفي من بني أمية كما ذكرناه. وتحيّز المأمون وبرابرته الى الأرباض فاعتصموا به، وقاتلوا دونه وحاصروا المدينة خمسين يوماً. ثم صمّم أهل قُرْطُبَة

لمدافعتهم فأفرجوا عن الأرباض وانفضت جموعهم سنة أربع عشرة.

ولحق المأمون باشبيلية وبها ابنه محمد، ومحمد بن زيري من رجالات البربر فاطمعه القاضي محمد بن اسمعيل بن عَبَّاد في الملك، وان يمتنعوا من القاسم فمنعوه، وأخرجوا اليه ابنه وضبطوا بلدهم. ثم اشتدّ ابن عبّاد وأخرج محمد بن زيري، ولحق المأمون بشريش، ورجع عنه البربر الى يحيى المعتلي ابن أخيه فبايعوه سنة خمس عشرة. وزحف الى عمه المأمون بشريش فتغلب عليه، ولم يزل عنده أسيراً، وعند أخيه ادريس من بعده بمالقّة الى أن هلك في محبسه سنة سبع وعشرين وأربعمائة، واستقل يحي المعتلي بالأمور، واعتقل محمداً والحسن ابني عمه القاسم المأمون بالجزيرة، ووكل بهما أبا الحجاج من المغاربة، وأقاما كذلك.

ثم خلع أهل قرطبة المستكفي، وصاروا الى طاعة المعتلي، واستعمل عليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرني من رجالات البربر، وفرّ المستكفي الى ناحية الثغر فهلك بمدينة سالم. ثم نقض أهل قرطبة طاعة المعتلي سنة سبع عشرة، وصرفوا عامله عليهم ابن عطاف وبايعوا للمعتمد أخي المرتضى. ثم خلعوه كما ذكرنا في خبره، واستبد بأمر قُرْطُبَة الوزير ابن جهور بن محمد كما نذكره في أخبار ملوك الطوائف. واقام يحيى بن المعتلي يتخيّفهم[1] ويردّد العساكر لحصارهم الى ان اتفقت الكافّة على اسلام المدائن والحصون

(١) خيف القوم: نزلوا منزلاً. وخيف عن القتال: نكص.

له فلا سلطانه ، واشتدّ أمره ، وظاهره محمد بن عبد الله البَرْزاليّ على أمره فنزل عنده بقَرْمونَة يحاصر فيها ابن عبّاد باشبيلية ، إلى أن هلك سنة ست وعشرين بمداخلة ابن عباد للبرزالي في اغتياله فركب المعتلي لخيل أغارت على معسكره بقرمونة من جند ابن عبّاد ، وقد أكمنوا له فكبا به فرسه وقتل . وتولى قتله محمد بن عبد الله البرزالي ، وانقطعت دولة بني حمود بقرطبة .

وكان أحمد بن موسى بن بقيّة والخادم نجى الصِقِلّيّ وزيري دولة الحموديين عند أوّلها فرجعا الى مالقة دار ملكهم ، واستدعوا أخاه ادريس بن علي بن حمود من سَبْتَة وطَنْجَة وبايعوه ، على أن يوليّ سبتة حسن ابن أخيه يحيى فتم أمره بمالقة ، وتلقّب المتأيد بالله ، وبايعه المَرِيّة وأعمالها ورَنْدَة والجزيرة ، وعقد لحسن ابن أخيه يحيى على سبتة ، ونهض معه نجى الخادم . وكان له ظهور على ملوك الطوائف ، وكان أبوه القاسم بن عبّاد قد استفحل ملكه لذلك العهد ، ومدّ يده الى انتزاع البلاد من أيدي الثوّار ، وملك أشبونة وأستَجَة من يد محمد بن عبد الله البرزالي وبعث العساكر مع ابنه اسمعيل لحصار قَرْمونَة فاستصرخ محمد بن عبد الله بالقائد هذا وبزاوي فجاء زاوي بنفسه ، وبعث القائد هذا عساكره مع ابن بقيّة فكانت بينهم وبين ابن عبّاد حروب شديدة ، هزم فيها ابن عَبّاد وقُتِل ، وحُمِل رأسه الى ادريس المتأيّد ، وهلك ليومين بعدها سنة احدى وثلاثين وأربعمائة .

واعتزم ابن بقية على بيعة ابنه يحيى الملقب حبون فأعجله عن ذلك نجى الخادم ، وبادر اليه من سبتة ، ومعه حسن بن يحيى المعتلي فبايعه البربر ، ولُقِّب المستنصر ، وقتل ابن بقية، وفرّ يحيى ابن ادريس الى قارش فهلك بها سنة أربع وثلاثين ، ويقال بل قتله نجى ، ورجع نجى الى سبتة ليحفظ ثغرها ، ومعه ولد حسن ابن يحيى صبياً ، وترك السُطَيْفِيّ على وزارة حسن لثقته به ، وبايعته غرناطة وجملة من بلاد الاندلس . وهلك حسن مسموماً بيد ابنة عمه ادريس ، ثارت بأخيها حسن سنة ثمان وثلاثين فاعتقل السطيفي أخاه ادريس بن يحيى ، وكتب الى نجى وابن حسن المستنصر الذي كان عنده بسبتة ليعقد له . واغتاله نجى وأجاز الى مالَقَّة ، ودعى لنفسه . ووافقه البربر والجند .

ثم نهض الى الجزيرة ليستأصل حسناً ومحمداً ابني قاسم بن حمود ، ورجع خاسئاً فاغتاله في طريقه بعض عبيد القاسم وقتلوه . وبلغ الخبر الى مالقة فثارت العامّة بالسُطَيْفِيّ ، وقتل وأخرج ادريس بن يحيى المعتلي من معتقله ، وبويع له سنة أربع وثلاثين ، وأطاعته غرناطة وقرمونة وما بينهما ولُقِّب العالي ، وولى على سبتة سَكُّوت ورزق الله من عبيد أبيه . ثم قتل محمداً وحسناً ابني عمه ادريس فثار السودان بدعوة أخيهما محمد بمالقة ، وامتنعوا بالقَصَبَة ، وكانت العامة مع ادريس ، ثم اسلموه . وبويع محمد بمالقة سنة ثمان وثلاثين وتلقب المهديّ ، وولى أخاه عهده ولقبه الساني . ثم نكر منه

بعض النزعات ونفاه الى العُدْوَة فأقام بين غمارة ، ولحق العالي بقمارش فامتنع بها وأقام يحاصر مالقة ، وزحف بادريس من غرناطة منكراً على المهدي فعله فامتنع عليه ، فبايع له وانصرف وأقام المهدي في ملكه بمالقة ، وأطاعته غرناطة وحيَّان وأعمالها ، الى ان مات بمالقة سنة أربع وأربعين .

وبويع ادريس المخلوع ابن يحيى المعتلي من مكانه بقَمارِش ، وبويع له بمالَقَّة ، وأطلق أيدي عبيده عليها لحقده عليهم ففرّ كثير منهم الى أن هلك سنة سبع وأربعين ، وبويع محمد الأصغر ابن ادريس المتأيد وتلقبه ، وخطب له بمالَقَّة والمَرّية ورَنْدَة . ثم سار اليه باديس فتغلب على مالقة سنة تسع وأربعين واربعمائة ، وسار محمد المستعلي الى المرية مخلوعاً ، واستدعاه أهل مليلة فأجاز اليهم وبايعوه سنة تسع وخمسين ، وبايعه بنو ورقدى وقلوع جارة ونواحيها . وهلك سنة [1] وأربعمائة .

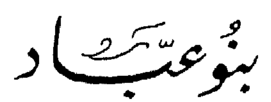
وأما محمد بن القاسم المعتقل بمالقة ففرّ هو من ذلك الاعتقال سنة أربع عشرة ، ولحق بالجزيرة الخضراء فملكها ، وتلقب المعتصم الى ان مات سنة أربعين . ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق الى ان هلك سنة خمسين ، وصارت الجزيرة للمعتضد بن عبّاد وكان سكوت البرغواطي الحاجب مولى القاسم الواثق محمد بن المعتصم ، ويقال مولى يحيى المعتلي والياً على سبتة من قبلهم ؛ فلما غلب ابن

(١) لم نعثر على سنة مهلكه في المراجع التي بين أيدينا .

عباد على الجزيرة طلبه في الطاعة ، وطلب هو ملك الجزيرة فامتنعت عليه ، واتصلت الفتنة بينهما الى ان كان من أمر المرابطين وتغلّبهم على سبتة وعلى الاندلس ما سنذكره والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى .

الخبر عن ملوك الطوائف بالأندلس بعد الدولة الأموية

كان ابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم لما انتثر ملك الخلافة العربية بالاندلس ، وافترق الجماعة بالجهات ، وصار ملكها في طوائف من الموالي والوزراء واعياص الخلافة وكبار العرب والبربر ، واقتسموا خططها ، وقام كل واحد بأمر ناحية منها . وتغلب بعض على بعض استقل أخيراً بأمرها ملوك منهم استفحل شأنهم ، ولاذوا بالجزية للطاغية أو يظاهرون عليهم أو ينتزعونهم ملكهم ، حتى أجاز اليهم يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، وغلبهم جميعاً على أمرهم فلنذكر أخبارهم واحداً بعد واحد .



الخبر عن بني عباد ملوك اشبيلية وغربي الأندلس وعمن تغلبوا عليه من أمراء الطوائف

كان أولهم القاضي ابو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد اسمعيل بن محمد بن اسمعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن

عمر بن عطاف بن نعيم اللخمي، وعطاف هو الداخل الى الاندلس في طوالع لخم وأصلهم من جند حِمص، ونزل عطاف قرية طُشّانة بشرق اشبيلية، ونسل بنيه بها. وكان محمد بن اسمعيل بن قريش صاحب الصلاة بطُشّانة. ثم ولي ابنه اسمعيل الوزارة باشبيلية سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وولي ابنه أبو القاسم القضاء بها والوزارة من سنة أربع عشرة وأربعمائة الى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين.

وكان أصل رياسته أنه كان له اختصاص بالقاسم بن حَمّود وهو الذي أحكم عقد ولايته، وكان محمد بن زيري من اقيال البرابرة والياً على اشبيلية، فلما فر القاسم من قرطبة، وقصده داخل ابن عبّاد محمد بن زيري في غَرناطَة ففعل وطردوا القاسم، وطردوا بعده ابن زيري، وصار الامر شورى بينه وبين أبي بكر الزبيدي معلم هشام، وصاحب مختصر العين في اللغة، ومحمد بن برمخ الألهاني. ثم استبد عليهم وجنّد الجند، ولم يزل على القضاء. ولما منع القاسم من اشبيلية عدل عنها الى قرمونَه ونزل على محمد بن عبدالله البرزالي، وكان ولي قرمونة أيام هشام والمهدي من بعده. ثم استبد بها سنة أربع وأربعمائة ازمان الفتنة فداخله ابن عباد في خلع القاسم والاستبداد بها. ثم تنصَّح للقاسم فتحوّل الى شريش واستبد محمد بن البرزالي بقرمونة. واستبد أبو القاسم الى ان هالك سنة ثلاث وثلاثين كما قلناه، وقام بأمره ابنه عبّاد وتلقب المعتضد، واستولى على سلطانه واشتدّت حروبه وأيامه.

وتناول طائفة من الممالك بعد بالاندلس وانفسح أمده وأوّل ما افتتح أمره بمداخلة محمد بن عبدالله البرزالي صاحب قرمونة في افساد ما بينه وبين القاسم بن حمود حتى تحوّل عنه الى شريش . ثم تحارب مع عبدالله بن الأفطَس صاحب بَطَلْيوس ، وغزاه ابنه اسمعيل في عساكره ومعه محمد بن عبدالله البرزالي فلقيه المظفر ابن الافطس فهزمهما، وأسر المظفر بن البرزالي الى أن أطلقه بعد حين . ثم فسد ما بينه وبين البرزالي واتصلت الفتنة بينهما الى أن قتله ابنه اسمعيل، خرج اليه في سريّة فأغار على قرمونة، وأكمن الكمائن فركب محمد البرزالي في أصحابه ، واستطرد له اسمعيل الى أن بلغ به الكمين فخرجوا عليه فقتلوه ، وذلك سنة أربع وثلاثين .

ثم خالف عليه ابنه اسمعيل ، وأغراه العبيد والبرابرة بالملك فأخذ ما قدر عليه من المال والذخيرة ، وفرّ الى جهة الجزيرة للتوثّب بها ، وكان أبوه ليلتئذ بحصن الفَرَج فأنفذ الخيالة في طلبه فمال الى قلعة الورد فتقبض واليها عليه ، وأنفذه الى ابيه فقتله وقتل كاتبه ، وكل من كان معه . ثم رجع الى مطالبة البربر المنتزين بالثغور ، وأول من نذكر منهم صاحب قرمونة وكان بها المستظهر العزيز بن محمد بن عبدالله البرزالي ، وليها بعد أبيه كما ذكرناه . وكانت له معها استجة والمروز ، وكان نموز ورواركش للوزير نوح الرموي من برابرة العدوة وشيعة المنصور ، واستبد بها

سنة أربع ، ومات سنة ثلاث وثلاثين . وولي ابنه عز الدولة الحاجب أبو مياد محمد بن نوح ومات سنة [1] . وكان يزيد أبو ثور بن أبي قرّة اليفرني استبد بها ايام الفتنة سنة خمسين ، من يد عامر بن فتوح من صنائع العلويين ، ولم يزل المعتضد يضايقه، واستدعاه بعض الايام لولاية فحبسه وكاده في ابنه بكتاب على لسان جاريته بَرَنْدَة أنه ارتكب منها محرّماً ؛ ثم أطلقه فقتل ابنه وشعر بالمكيدة فات أسفاً سنة خمسين ، وولي ابنه أبو نصر الى ان غدر به في الحصن بعض أجناده فسقط من السور ، ومات سنة تسع وخمسين .

وكان بشريش خزرون بن عبدون ثار بها سنة اثنتين وأربعمائة فتقبض عليه ابن عبّاد وطالبهم ، وطاف على حصونهم وصار يهاديهم ، وأسجل لهم بالبلاد التي بأيديهم فاسجل لابن نوح بأركش ، ولابن خزرون بشريش ، ولابن أبي قرّة برندة ؛ وصاروا في حزبه ووثقوا به . ثم استدعاهم لوليمة وغدر بهم في حمام استعمله لهم على سبيل الكرامة ، وأطبقه عليهم فهلكوا جميعاً إلّا ابن نوح فانه سالمه من بينهم لليد التي كانت له عنده في مثلها . ثم بعث من تسلم معاقلهم وصارت في اعماله .

وخرج باديس لطلب ثأرهم منه ، واجتمعت اليه عشائرهم

(١) لم نعثر على سنة موته في المراجع التي بين أيدينا.

فنازلوه مدّة ثم انصرفوا ، وأجازوا الى العدوة فاحتلوا بسبتة وطردهم سكوت فهلكوا في المجاعة التي صادفوا وأحلوا بالمغرب لذلك العهد . واستقل ابن عبّاد ، وكان بأونبة وشلطليش عبد العزيز البكري ، وكانت عساكر المعتضد ابن عبّاد تحاصره فشفع فيه ابن جهور للمعتضد فسالمه مدّة . ثم هلك ابنُ جهور فعاد الى مطالبته الى ان تخلى له عنها سنة ثلاث وأربعين فولى عليها ابنه المعتمد . ثم سار الى شلب وبها المظفر أبو الاصبغ عيسى بن القاضي أبي بكر محمد بن سعيد بن مزين ثار بها سنة تسع عشرة، ومات سنة اثنتين وأربعين فسار اليها المعتضد وملكها من يد ابنه، ونقل اليها المعتمد فنزلها واتخذها دار امارة . ثم سار الى شنت برِّيه ، وبها المعتصم محمد بن سعيد بن هرون فانخلع له عنها سنة تسع وثلاثين، وأضافها للمعتمد . وكان بلَبْلَة تاج الدين ابو العباس أحمد بن يحيى التحصيني ؛ ثار بها سنة أربع عشرة ، وخطب له بأونبة وشلطليش ، ومات سنةُ ثلاث وثلاثين ، وأوصى الى اخيه محمد ، وضايقه المعتضد فهرب الى قُرْطُبَة واستبد بها ابن أخيه فتح بن خلف بن يحيى . وانخلع للمعتضد سنة خمس وأربعين وصارت هذه كلها من ممالك بني عبّاد . وتملك المعتضد أيضاً مَرْسِيَّة ، وثار بها عليه ابن رشيق البناء ، وتسمى خاصة الدولة ، وبقي ثمان سنين . ثم ثاروا عليه سنة خمس وخمسين ورجعوا لابن عبّاد .

وتملك المُعْتَضِد مَرْتُلَة من يد ابن طَيْفُور سنة ست وثلاثين ،

وكان تملّكها من يد عيسى بن نسب الجيش الثائر بها ، وصارت هذه الممالك كلهـا في ملك ابن عبّاد ، وكانت بينه وبين باديس ابن حبّوس صاحب غرناطة حروب الى ان هلك سنة احدى وستين ووليَ من بعده ابنه المُعْتَمَد بن المُعْتَضِد بن اسمعيل ابو القاسم بن عبّاد ، وجرى على سنن أبيـه ، واستولى على دار الخلافة قرطبة من يد ابن جَهْوَر ، وفرق أبناءه على قواعد الملك ، وانزلهم بها ، واستفحل ملكه بغرب الاندلس ، وعلت يده على من كان هنالك من ملوك الطوائف ؛ مثل ابن باديس بن حبّوس[1] بغرناطة ، وابن الأفطس ببَطَلْيَوْس ، وابن صمادِح بالمرّية وغيرهم . وكانوا يطلبون سلمه ويعملون في مَرْضاته وكلهم يدارون الطاغيَة ويتقونه بالجزى الى ان ظهر بالعُدْوة ملـك المرابطين ، واستفحل أمر يوسف بن تاشفين ، وتعلقت آمال المسلمين في الاندلس باعانته ، وضـايقهم الطاغية في طلب الجزية فقتل ابن عباد ثقته اليهودي الذي كـان يتردّد اليه لاخذ الجزية ، بسبب كلمة أسفَ بها .

ثم أجاز البحر صريخاً الى يوسف بن تاشفين ، وكان من اجازته اليه ، ومظاهرته اياه ما يأتي ذكره في أخباره . ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين ؛ رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فـأجازوه بالامتساك ، حتى اذا

(١) بالأصل هنا حبوس، وكذا في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٤٨٥. وفي كتاب الحلل السندسية للأمير شكيب أرسلان، م ١ ص ١٢٩ حيوس بالياء المشددة.

رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم ، وهو خلال ذلك يردّد العساكر للجهاد . ثم أجاز اليهم وخلع جميعهم ، ونقلهم الى العُدْوة ، واستولى على الاندلس كما يأتي ذكره في أخباره . وصار ابن عبّاد في قبضة حكمه بعد حروب نذكرها . ونقله الى أغمات قرية مراكش سنة أربع وثمانين واربعمائة ، واعتقله هنالك الى ان هلك سنة ثمان وثمانين .

وكانت بالاندلس ثغور أخرى دون هذه ، ولم يستول عليها ابن عبّاد؛ فنها بلد السهلة استبدّ بها هُذَيل بن خَلَف بن رزين أول المائة الخامسة بدعوة هشام ، تسمى مؤيد الدولة . وهلك شهيداً سنة خمسين ، وملك بعده أخوه حسام الدولة عبد الملك بن خلف. ولم يزل أميراً عليها الى ان ملكها المرابطون من يده عند تغلبهم على الاندلس . ومنها بلد البونت واللجّ تغلب عليها عبدالله بن قاسم الفِهري ، ازمان الفتنة ، وتسمى نظام الدولة وهو الذي كان المعتمد عنده عندما ولاه الجماعة بقُرْطُبَة ومن عنده جاء اليها ، وهلك سنة احدى وعشرين وولّي ابنه محمد يمين الدولة ؛ وكانت بينه وبين مجاهد حروب . وملك بعده ابنه أحمد عِضْد الدولة ، وهلك سنة أربعين . وملك اخوه عبد الله جناح الدولة ، الى ان خلعه المرابطون سنة خمس وثمانين . ولنرجع الى ذكر بقية الملوك الأكابر من الطوائف ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

اخبار ابن جهور

كان رئيس الجماعة أيام الفتنة بِقُرْطُبَة أبو الحَزم جَهْوَر بن محمد

ابن جهور بن عبد الله بن محمد بن المُعَمّر بن يحيى بن ابي المغافر ابن أبي عُبَيْدَة الـكَلْبيّ ، هكذا نسبه ابن بشكوال . وأبو عبيدة هو الداخل الى الاندلس ، وكانت لهم وزارة الدولة العامِريّة بقرطبة ، واستبد جهور هذا سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، لما خلع الجند المعتز آخر خلفاء بني أمية ، ولم يدخل في أمور الفتنة فاستولى على المملكة ورتب الامور ، ولم يتحوّل عن داره الى قصر الخلافة . وكان على سنن أهل الفضل ؛ يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويؤذن عند مسجدهم بالربض الشرقي ، ويصلي التراويح ولا يحتجب عن الناس فأسندوا أمرهم اليه الى ان يوجد خليفة الى ان خاطبهم محمد بن اسمعيل بن عبّاد يعرّفهم أنّ هشاماً المؤيد عنده باشبيلية ، واكثر في ذلك فخطب له بقرطبة بعد مراوضات[1] .

ثم أتي به الى قرطبة فمنعوه الدخول وأضربوا عن ذكره في الخطبة ، وانفرد ابن جهور بأمرهم الى ان هلك في محرم سنة خمس وثلاثين ودفن بداره وولي ابنه ابو الوليد محمد بن جهور باتفاق من الكافة فجرى على سنن أبيه . وكان قد قرأ على مكي ابن أبي طالب المكّي وغيره فكان مُكْرِماً لاهله . واستوزر ثقته ابراهيم بن يحيى فكفاه ، وهلك كما هو معروف ففوّض

(١) هو ما يجري بين المتبايعين من الزيادة والنقصان، كأن كل واحد منهما يروض صاحبه، من رياضة الدابة. ـ لسان العرب.

التدبير الى ابنه عبد الملك فأساء السيرة ، وتكرّه الى الناس .

وحاصره ابن ذي النون بقرطبة فاستغاث بمحمد بن عبّاد فأمده بالجيش، ووصى عسكره بذلك فداخلوا أهل قرطبة، وخلعوه سنة احدى وستين وأخرجوه عن قرطبة . واعتُقِل بشلطليش الى أن هَلك سنة اثنتين وسبعين وولّى ابن عباد على قرطبة ابنه سراج الدولة، وقدمها من بَلَنْسِيَة ودخلها الى أن قُتِلَ بها مسموماً، وحمل الى طُلَيْطِلَة فدفن بها . وزحف المعتمد بن عبّاد بعد مهلكه الى قرطبة فملكها سنة تسع وستين . وقتل ابن عِكاشَة واستخلف ابنه المأمون الفتح بن محمد ، وصار غرب الاندلس كله في ملكه الى ان دخل المرابطون الاندلس ، وغلبوا عليهم سنة أربع وثمانين فقتل الفتح وحمل أباه المعتمد الى أغمات كما ذكرناه ونذكره . والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

أخبار ابن الأفطس صاحب بطليوس من غرب الأندلس ومصاير أمره

ملك بطليوس من غرب الاندلس عند الفتنة واهتياجها أبو محمد عبدالله بن مسلمة التُجَيْبي المعروف بابن الأَفطَس، واستبدّ بها سنة احدى وستين وأربعمائة فهلك ، وولي من بعده ابنه المظفر أبو بكر ، واستفحل ملكه ، وكان من أعاظم ملوك الطوائف . وكانت بينه وبين ابن ذي النون حروب مذكورة، وكذا مع ابن عبّاد بسبب ابن يحيى صاحب مليلة ، أعانه ابن عباد عليه

فاستولى بسبب ذلك على كثير من ثغوره ومعاقله . واعتصم المظفر ببطليوس بعد هزيمتين هلك فيهما خلق كثير ، وذلك سنة ثلاث وأربعين . ثم أصلح بينهما ابن جهور ، وهلك المظفر سنة ستين وأربعمائة . وتولى بعده ابنه المتوكل أبو حفص عمر بن محمد المعروف بساجة ، ولم يزل سلطاناً بها الى أن قتله يوسف بن تاشفين أمير المرابطين سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وقتل معه أولاده . أغراه به ابن عباد فلما تمكنت الاسترابة منَ المتوكل ، خاطب الطاغية واستراح اليه مما دهمه . وشعر به ابن عباد فكاتب يوسف ابن تاشفين واستحثه لمعاجلته قبل أن يتصل بالطاغية ، ويتصل بالثغر فاغذ اليه السير ووافاه سنة [1] فقبض عليه ، وعلى بنيه وقتلهم يوم الاضحى حسبما نذكر في أخبارهم . ورثاه ابن عبدون بقصيدته المشهورة وهي :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الاشباح والصور

عدد فيها أهل النكبات ومن عثر به الزمان بما يبكي الجماد ، وسنذكر قصتهم في أخبار لمتونة وفتحهم الاندلس ، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

أخبار باديس بن حسون ملك غرناطة والبيرة

كان عميد صنهاجة في الفتنة البربرية زاوي بن زيري بن مناد . أجاز الى الاندلس على عهد المنصور فلما هاجت الفتنة البربرية ،

(١) كذا بياض بالأصل ولم نعثر في المراجع التي لدينا على هذه السنة.

وانحل نظام الخلافة، كان فحل ذلك الشول، وكبش تلك الكتائب وعمد الى البيرة، ونزل غرناطة، واتخذها داراً لملكه. ولما بايع الموالي العامريّون للمُرْتَضى المرواني، وتولى كِبرَ ذلك مجاهد العامري، ومنذر بن يحيى بن هاشم التجيبي، وعمد الى غرناطة فلقيهم زاوي بن زيري في جموع صنهاجة، وهزمهم سنة عشرين وأربعمائة، وقتل المرتضى. وأصاب زاوي من ذخائرهم وأموالهم وعددهم ما لم يقتنه ملك. ثم وقع في نفسه سوء آثار البربر بالاندلس أيام هذه الفتنة، وحذر مغبّة ذلك فارتحل الى سلطان قومه بالقيروان، واستخلف على غرطانة ابنه فدبّر القبض على ابن رصين ومشيخة غرطانة اذا رجعوا عن أبيه، وشعروا بذلك فبعثوا الى ابن اخيه ماكس بن زيري من بعض الحصون فوصل، وملك غرناطة واستبدّ بها الى أن هلك سنة تسع وعشرين وولي ابنه باديس، وكانت بينه وبين ذي النون وابن عبّاد حروب. واستولى على سلطانه كاتبه وكاتب أبيه اسمعيل بن نَغْزَلَة الذمي. ثم نكبه وقتله سنة تسع وخمسين، وقتل معه خلقاً من اليهود. وتوفي سنة سبع وستين وولي حافده المظفر أبو محمد عبدالله بن بُلكّين بن باديس، وولّى أخاه تميا بمالقة بعهد جده. وخلعهما المرابطون سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وحملا الى أغمات ووَريكة، واستقرّا هنالك حسبما يذكر بعد في أخبارهم مع يوسف ابن تاشفين، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

الخبر عن بني ذي النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفي وتصاريف أمورهم ومصاير أحوالهم

جدهم اسمعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون، أصله من قبائل هوارة، ورأس سلفه في الدولة المروانية. وكانت لهم رياسة في شنترية. ثم تغلّب على حصن أفلنتين أزمان الفتنة سنة تسع وأربعمائة. وكانت طُلَيْطِلَة ليعيش بن محمد بن يعيش، واليها منذ أوّل الفتنة فلما هلك سنة سبع وعشرين، استدعاه اسمعيل الظافر من حصن افلنتين مع بعض اجناد طليطلة فمضى اليها، وملكها. وامتدّ ملكه الى جنجالة من عمل تَدْمِيَة ولم يزل أميراً بها الى ان هلك سنة تسع وعشرين. وولي ابنه المأمون أبو الحسن يحيى، واستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه، وكانت بينه وبين الطاغية مواقف مشهودة.

وفي سنة خمس وثلاثين غزى بَلَنْسِيَة وغلب على صاحبها المظفر ذي السابقين من ولد المنصور بن أبي عامر. ثم غلب على قُرْطُبَة وملكها من يد ابن عبّاد، وقتل ابنه أبا عمر بعد ان كان ملكها وهلك الظافر بها مسموماً سنة سبع وستين كما ذكرناه. وولي بعده على طليطلة حافده القادر يحيى بن اسمعيل بن المأمون يحيى ابن ذي النون، وكان الطاغية ابن ادفونش قد استفحل أمره لما خلا الجوّ من مكان الدولة الخلافية، وخفّ ما كان على كاهله

من أمر العرب فالتهم البسائط ، وضايق ابن ذي النون حتى غلب على طليطلة فخرج له القادر عنها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وشرط عليه ان يظاهره على أخذ بلنسية ، وعليها عثمان القاضي ابن أبي بكر بن عبد العزيز ، من وزراء ابن أبي عامر فخلعه اهلها خوفاً من القادر ان يمكن منهم ألفُنش فدخلها القادر ، وأقام بها سنتين ، وقتل سنة احدى وثمانين على ما نذكر بعد ان شاء الله تعالى .

الخبر عن أبي عامر صاحب شرق الأندلس من بني ملوك الطوائف وأخبار الموالي العامريين الذين كانوا قبله وابن صمادح قائده بالمرية وتصاريف أحوالهم ومصايرها

بويع للمنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر بشاطِبَة سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، أقامه الموالي العامريون عند الفتنة البربرية فاستبد بها . ثم ثار عليه أهل شاطِبَةَ فأقلت ، ولحق ببلنسية فملكها وفوّض أمره للموالي . وكان من وزرائه ابن عبد العزيز وكان خيران العامري من مواليهم ، تغلّب من قبل ذلك على أريولة سنة أربع . ثم ملك مرسية سنة سبع ، ثم حيّان ثم المريّة سنة تسع ، وبايعوا جميعاً للمنصور عبد العزيز .

ثم انتقض خيران على المنصور ، وسار من المريّة الى مرسية ، وأقام بها ابن عمه أبا عامر محمد بن المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، خرج اليه من قُرطُبَةَ من حجر القاسم بن حَمّود ، وخلص الى

خيران بأموال جليلة ، فجمع الموالي فأخذوا ماله وطردوه . ثم ولاه خيران وسماه المؤتمن ثم المعتصم . ثم تنكر عليه وأخرجه من مرسية ولحق بالمريّة وأغرى به الموالي فأخذوا ماله وطردوه ، ولحق بغرب الأندلس الى ان مات . ثم هلك خيران بالمرية سنة تسع عشرة ، وقام بالامر بعده الامير عميد الدولة أبو قاسم زُهَير العامريّ ، وزحف إلى غرناطة فبرز اليه باديس بن حبّوس وهزمه ، وقتِل بظاهرها سنة تسع وعشرين فصار ملكه للمنصور عبد العزيز صاحب بلنسية ، وملكها من يده سنة سبع وخمسين .

ولما هلك المأمون بن ذي النون وولى حافده القادر ، ولّى على بلنسية أبا بكر بن عبد العزيز بقية وزراء ابن أبي عامر ، فداخله ابن هود في الانتقاض على القادر ففعل واستبد بها ، وضبطها سنة ثمان وستين حين تغلّب المقتدر على دانية . ثم هلك سنة ثمان وسبعين لعشر سنين من ولايته . وولي ابنه القاضي عُثمان فلما سلم القادر بن ذي النون طليطلة زحف الى بلنسية ومعه الفنش كما قلناه ، وخلع أهل بلنسية عثمان بن أبي بكر ، وامكنوا منها القادر خوفاً من استيلاء النّصرانيّ وذلك سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

ثم ثار على القادر سنة ثلاث وثمانين القاضي جعفر بن عبد الله ابن حجاب ، وقتله واستبد بها . ثم تغلب النصارى عليها سنة تسع وثمانين وقتلوه . ثم تغلب المرابطون على الاندلس ، وزحف

ابن ذي النون قائدهم الى بلنسية فاسترجعها من أيديهم سنة خمس وتسعين وأربعمائة . وأما مَعْن بن صالح قائد الوزير ابن أبي عامر فأقام بالمريّة لما ولاه المنصور سنة ثمان وثمانين ، وتسمى ذا الوزارتين . ثم خلعه وولي ابنه المعتصم أبو يحيى محمد بن معن بن صُمادح ، واستبدّ بها أربعاً وأربعين سنة ، وثار عليه صاحب لورقة ابن شبيب ، وكان ابوه معزولاً عليها فجهز إليه المعتصم جيشاً ، واستمد ابن شبيب المنصور بن أبي عامر صاحب بلنسية ومرسية بالعدوّ ، واستمد المعتصم بباديس ، ونهض معه صمادح بن باديس ابن صمادح فقاتلوا حُصوناً من حصون لورقة ، واستولوا عليها ورجعوا ولم يزل المعتصم أميراً بالمرية الى ان هلك سنة ثمانين وولي ابنه ، وخلعه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين سنة أربع وثمانين ، واجاز الى العدوة ونزل على آل حماد بالقلعة ، وبهامات ولده ، والله وارث الارض ومن عليها .

بنو هود

الخبر عن بني هود ملوك سرقسطة من الطوائف صارت اليهم من بني هاشم وما كان من أوليتهم ومصاير أمورهم

كان مُنذِر بن مطرف بن يحي بن عبد الرحمن بن محمد بن هاشم التجيبي صاحب الثغر الاعلى ، وكان بين المنصور وعبد الرحمن منافسة على الامارة والرياسة ، وكانت دار امارته سرقسطة

ولما بويع المهدي بن عبد الجبّار ، وانقرض أمر العامريين ، وجاءت فتنة البربر كان مع المستعين حتى قتل هشام مولاه فامتعض لذلك ، وفارقه وبايع المرواني للمرتضى مع مجاهد ، ومن اجتمع اليه من الموالي والعامريين ، وزحفوا الى غرطانة فلقيهم زاوي بن زيري وهزمهم . ثم ارتابوا بالمرتضى ووضعوا عليه من قتله مع خيران بالمرية ، واستبد منذر هذا بسرقسطة والثغر وتلقب بالمنصور ، وعقدما بين طاغية جليقة وبرشلونة وبنيه ، وهلك سنة أربع عشرة ، وولي ابنه وتلقب المظفر. وكان أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي من أهل نسبهم مستبداً بمدينة تطيلة ، ولاها منذ أول الفتنة ، وجدهم هود هو الداخل للاندلس ، ونسبه الازد الى سالم مولى أبي حذيفه .

قال هود بن عبدالله بن موسى بن سالم : وقيل هود من ولد روح بن زنباع فتغلب سليمان على المظفر يحيى بن المنذر ، وقتله سنة احدى وثلاثين ، وملك سرقسطة والثغر الاعلى ، وابنه يوسف المظفر لاردة . ثم نشأت الفتنة بينهما ، وانتصر المقتدر بالافرنج والبشكنس فجاؤا لميعاده. فوقعت الفتنة بين المسلمين وبينهم ثائرة ، وانصرفوا الى يوسف صاحب لاردة فحاصرهم بسرقسطة ، وذلك سنة ثلاث وأربعين . وهلك أحمد المقتدر سنة أربع وسبعين لتسع وثلاثين سنة من ملكه فولي بعده ابنه يوسف المؤتمن ، وكان قائماً على العلوم الرياضية ، وله فيها تآليف مثل الاستهلال

والمناظر ومات سنة ثمان وسبعين ، وهي السنة التي استولى فيها النصارى على طليطلة من يد القادر بن ذي النون . وولي بعده المستعين ، وعلى يده كانت وقعة وَشقَة ، زحف سنة تسع وثمانين في آلاف لا تحصى من المسلمين ، وهلك فيها خلق نحو عشرة آلاف ، ولم يزل أميرا بسرقسطة الى ان هلك شهيداً سنة ثلاث وخمسمائة بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية اليها .

وولي بعده ابنه عبد الملك ، وتلقب عماد الدولة ، وأخرجه الطاغية من سرقسطة سنة اثنتي عشرة فنزل روطة من حصونها واقام بها الى ان هلك سنة ثلاث عشرة . وولي ابنه أحمد ، وتلقب سيف والمستنصر ، وبالغ النكاية في الطاغية . ثم سلم له روطة على ان يملكه بلاد الاندلس فانتقل معه الى طليطلة بحشمه وآلته ، وهنالك هلك سنة ست وثلاثين وخمسمائة . وكان من ممالك بني هود هؤلاء مدينة طرطوشة ، وقد كان بقايا من الموالي العامريين فملكها سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . ثم هلك سنة خمس وأربعين وملكها بعده يعلى العامري ، ولم تطل مدّته . وملكها بعده شبيل الى ان نزل عنها لعماد الدولة أحمد بن المستعين سنة ثلاث وخمسين ، فلم تزل في يده وفي يد بنيه من بعده الى ان غلب عليها العدّو فيما غلب عليه من شرق الاندلس . والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

الخبر عن مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية
وأخبار بنيه ومواليهم من بعدهم ومصاير أمورهم

كان فتح ميورقة سنة تسعين ومائتين على يد عصام الخولاني ، وذلك انه خرج حاجاً في سفينة اتخذها لنفسه فعصفت بهم الريح فأرسوا بجزيرة ميورقة ، وطال مقامهم هنالك ، واختبروا من احوالهم ماأطمعهم في فتحها فلما رجع بعد فرضه أخبر الامير بما رأى فيها ، وكان من أهل الغَناء عنده في مثلها فبعث معه القطائع في البحر . ونفر الناس معه الى الجهاد فحاصرها أياماً وفتحوها حصناً حصناً الى ان كمل فتحها . وكتب عصام بالفتح الى الامير عبدالله فكتب له بولايتها فوليها عشر سنين ، وبنى فيها المساجد والفنادق والحمامات . ولما هلك قدّم أهل الجزيرة عليهم ابنه عبدالله ، وكتب له الامير بالولاية . ثم زهد وترهب وركب الى الشرق حاجًّا وانقطع خبره ، وذلك سنة خمسين وثلثمائة .

وبعث الناصر المرواني اليها الموفق من الموالي فأنشأ الأساطيل وغزا بلاد الافرنج ، وهلك سنة تسع وخمسين أيام الحكم المستنصر ، وولي بعده كوثر من مواليه فجرى على سنن الموفق في جهاده . وهلك سنة تسع وثمانين أيام المنصور فولى عليها مقاتل من مواليه ، وكان كثير الغزو والجهاد . وكان المنصور وابنه المؤيد يمدّانه في جهاده . وهلك سنة ثلاث وأربعمائة أزمان الفتنة .

وكان مجاهد بن يوسف بن علي من فحول الموالي العامريين. وكان المنصور قد رباه وعلمه مع مواليه القراآت والحديث والعربية فكان مجيداً في ذلك . وخرج من قرطبة يوم قتل المهدي سنة أربعمائة ، وبايع هو والموالي العامريين وكثير من جند الاندلس للمرتضى كما قدمناه . ولقيهم زاوي بفحص غرناطة فهزمهم وبدد شملهم . ثم قتل المرتضى كما تقدم، وسار مجاهد الى طرطوشة فملكها . ثم تركها وانتقل الى دانية واستقل بها ، وملك ميورقة ومنورقة ويابسة واستبد سنة ثلاث عشرة . ونصب العيطي كما مرّ فأراد الاستبداد ، ومنع طاعة مجاهد ، ومنعه أهل ميورقة من ذلك فبعث عنه مجاهد ، وقدّم على ميورقة عبدالله ابن أخيه فولي خمس عشرةسنة .ثم هلك وكان غزا سردانية في الاساطيل فاقتحمها وأخرج النصارى منها ، وتقبضوا على ابنه أسيراً ففداه بعد حين ، وولى مجاهد على ميورقة بعد ابن أخيه مولاه الا غلب سنة ثمان وعشرين وكان بين مجاهد صاحب دانية وبين خيران صاحب مرسية وابن أبي عامر صاحب بلنسية حروب الى ان هلك مجاهد سنةست وثلاثين . وولي ابنه علي وتسمى اقبال الدولة ، واصهر الى المقتدر بن هود ، واخرجه من دانية سنة ثمان وستين ونقله الى سرقسطة ، ولحق ابنه سراج الدولة بالافرنجة ، وامدوه على شروط شرطها لهم فتغلب على بعض حصونه . ثم مات فيما زعموا مسموماً بحيلة من المقتدر سنة تسع .

ومات علي قريباً من وفاة المقتدر سنة أربع وسبعين . ويقال بل فرّ أمام المقتدر الى بجاية ، ونزل على صاحبها يحيى بن حماد ، ومات هنالك . وأما الاغلب مولى مجاهد صاحب ميورقة فكان صاحب غزو وجهاد في البحر . ولما هلك مجاهد استأذن ابنه علياً في الزيارة فأذن له ، وقدّم على الجزيرة صهره ابن سليمان بن مشكيان نائباً عنه . وبعث على آل الاغلب فاستعفاه وأقام سليمان خمس سنين . ثم مات فولى على مكانه مبشراً وتسمى ناصر الدولة وكان أصله من شرق الاندلس أسر صغيراً وجبّه العدو وأقام بدانية مجبوباً بجاهد في أسرى دانية وسردانية ، واصطفاه فولاه بعد مهلك سليمان فولي خمس سنين ، وانقرض ملك علي ، وتغلب عليه المقتدر بن هود فاستبد مبشر بميورقة ، والفتنة يومئذ تموج بين ملوك الطوائف . وبعث الى دانية في تسليم أهل سيده فبعثوا اليه بهم ، وأولاهم جميلاً . ولم يزل يردد الغزو الى أرض العدّو الى ان جمع طاغية برشلونة الجموع ، ونازله بميورقة عشرة أشهر . ثم افتتحها واستباحها [1] سنة من ولايته . وكان بعث بالصريخ الى علي بن يوسف صاحب المغرب من لمتونة فلم يوافهم الاسطول بالمدد إلاّ بعد استيلاء العدوّ . فلما وصل الاسطول دفعوا العدّو عنها وولى علي بن يوسف من قبله أنور بن أبي بكر اللمتوني

(١) كذا بياض بالأصل ومكان البياض مقدار السنين التي مضت قبل افتتاح المدينة، ولم نعثر في المراجع التي لدينا على مقدار هذه السنين.

فعسف بهم ، وأرادهم على بناء مدينة أخرى بعيدة من البحر فثاروا به وصفدوه . وبعثوا الى علي بن يوسف فردهم الى ولاية محمد بن علي بن اسحق بن غانية المستولي صاحب غرب الاندلس فبعث اليها اخاه محمد بن علي من قرطبه ، كان والياً عليها فوصل الى ميورقة فصفد أنور ، وبعث به الى مراكش ، وأقام في ولايتها عشر سنين الى ان هلك أخوه يحيى وسلطانهم علي بن يوسف . واستقرت ميورقة في ملك بني غانية هؤلاء وسلطانهم . وكانت لهم في زمن علي بن يوسف بها دولة . وخرج منها علي ويحيى الى بجاية وملكوها من الموحدين ، وكانت لهم معهم حروب بافريقية كما نذكر في أخبارهم بعد أخبار لمتونة . وملك الافرنج ميورقة من أيدى الموحدين آخر دولتهم . والبقاء لله والملك يؤتيه من يشاء ، وهو العزيز الحكيم .

الخبر عن ثوار الأندلس اخر الدولة اللمتونية واستبداد بني مردنيس ببلنسية ومزاحمتهم لدولة بني عبد المؤمن من أولها الى اخرها ومصاير أحوالهم وتصاريفهم

لما شغل لمتونة بالعدّو ، وبحرب الموحدين بعد عليهم الاندلس ، وعادت الى الفرقة بعض الشيء فثار ببلنسية سنة سبع وثلاثين وخمسمائة القاضي مروان بن عبدالله بن مروان ابن حضاب ، وخلعوه لثلاثة اشهر من ملكه ، ونزل بالمريّة . ثم حمل الى ابن

غانية بميورقة فسجن بها ، وثار بمرسية أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن ظاهر . ثم خلع ، وقتل لاربعة أشهر من ولايته ، وولي حافد المستعين بن هود شهرين . ثم ولي ابن عياض ، وبايع أهل بلنسية بعد ابن حضاب للامير أبي محمد عبدالله بن سعيد بن مردنيش الجذامي . واقام مجاهداً إلى ان استُشهد في بعض أيامه مع النصارى سنة أربع وخمسمائة ، فبويع لعبدالله ابن عياض كان ثائراً بمرسية كما قدمناه . وهلك سنة اثنتين وأربعين فبويع الى ابن أخيه محمد ابن أحمد بن سعيد بن مردنيش ، وملك شاطبة ومدينة شقر ومرسية .

وكان ابراهيم ابن هَمشك من قواده فعبث في أقطار الاندلس وأغار على قرطبة وتملك بها . ثم استرجعت منه . ثم غدر بغرناطة وملكها من أيدي الموحدين وحصرهم بالقصبة هو وابن مردنيش . ثم استخلصها عبد المؤمن من أيديهم بعد حروب شديدة دارت بينهم بفحص غرناطة ، لقيه فيها ابن همشك وابن مردنيش وجُيوش من أمم النصرانية استعانوا بهم في المدافعة عن غرناطه فهزمهم عبد المؤمن ، وقتلهم ابرح قتل . وحاصر يوسف بلنسية فخطب للخليفة العباسي المستنجد ، وكاتبه فكتب له بالعهد والولاية . ثم بايع للموحدين سنة ست وستين . وكان المظفر عيسى بن المنصور ابن عبد العزيز الناصر بن أبي عامر عندما انصرف الى ملك شاطبةومرسية تغلب على بلنسية مدّة . ثم هلك سنة خمس وخمسين

وخمسمائة، ورجعت الى ابن مردنيش وكان احمد بن عيسى تغلب على حصن مزيلة، ثائراً بالمرابطين من أتباعه فغلب منذر بن ابي وزير عليه، فأجاز سنه أربعين وخمسمائة الى عبد المؤمن، ورغبه في ملك الاندلس فبعث معه البعوث، وتغلبوا على بني غانية أمراء المرابطين بالاندلس.

وكان بميورقة أيضاً منذ اضطراب أمر لمتونة محمد بن علي بن غانية المستوفي، وليها سنة عشرين وخمسمائة، واستشهد بها. ورحل[1] عنها سنة سبع وثلاثين الى زيارة أخيه يحيى ببلنسية. واستخلف على ميورقة عبدالله بن تيا فلما مكث ثار عليه ثوار فرجع محمد بن غانية، وأصلح شأنها الى ان هلك سنة سبع وستين وولي ابنه ابراهيم أبو اسحق، وتوفي سنة ثمانين وخمسمائة، وولي بعده أخوه طلحة وبايع للموحدين سنة احدى وثمانين. وأوفد عليهم أهل ميورقة فبعثوا معهم علي بن الربرتبر فلما وصل الى ميورقة ثار على طلحة بنو اخيه اسحق وهم علي ويحيى ويعفر بن الرَبَرْتَبر وخلعوا طلحة. ثم بلغهم موت يوسف بن عبد المؤمن فخرجوا الى افريقية حسبما نذكر في أخبار دولتهم. فانقرضت دولة المرابطين بالمغرب والاندلس، وادال الله منهم بالموحدين وقتلوهم في كل

---

(١) قد تعطي كلمة «رحل» بعد «استشهد» معنى يدعو إلى الحيرة وقد نشأ ذلك من عدم المراعاة في ترتيب الحوادث. فإذا كانت ولاية محمد في سنة عشرين ووفاته في سنة سبع وستين كانت الرحلة بينهما طبعاً. ولا عبرة بتأخر «رحل» عن «استشهد» والتصويب: واستشهد بها. وكان قد رحل عنها سنة سبع وثلاثين.

وجه . واستفحل أمرهم بالاندلس ، واستعملوا فيها القرابة من بني عبد المؤمن وكانوا يسمونهم السادة ، واقتسموا ولايتها بينهم .

واجاز يعقوب المنصور منهم غازياً بعد ان استقرّ أهل العُدوة كافة ، من زناتة فأوقع العرب بابن ادفونش ملك الجلالقة بالاركة من نواحي بَطَلْيَوْس الوقعة المذكورة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وأجاز ابنه الناصر من بعده سنة تسع فمحص الله المسلمين واستشهد منهم عدة .

ثم تلاشت إمارة الموحدين من بعده ، وانتزى بالسادة بنواحي الاندلس في كل عمله ، وضعف بمراكش فصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بقص ، واستسلام حصون المسلمين إليه في ذلك فسمت رجالات الاندلس ، واعقاب العرب من دولة الاموية ، وأجمعوا اخراجهم فثاروا بهم لحين وأخرجوهم . وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي الثائر بالاندلس . وقام ببلنسية زيّان بن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد ، من أعقاب دولة بني مردنيش وثوار آخرون . ثم خرج علي بن هود في دولته من اعقاب دولة العرب أيضاً وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ، وتلقب محمد هذا بالشيخ فحاربه أهل الجبل ، وكانت لكل منهما دولة أورثها بنيه . فاما زيد بن مردنيش فكان مع عشرة من بنى مردنيش رؤساء بلنسية ، واستظهر الموحدون على امارتها .

ولما وليها السيد أبو زيد بن محمد بن ابي حفص بن عبد المؤمن بعد مهلك المستنصر كما نذكر في أخبارهم وذلك سنة عشرين وستمائة ، كان زياد هذا بطانته وصاحب أمره .

ثم انتقض عليه سنة ست وعشرين عندما بويع ابن هود بمرسية ، وخرج الي ابده فخشيه السيد أبو زيد وبعث اليه يلاطفه في الرجوع فامتنع ، ولحق السيد أبو زيد بطاغية برشلونة ودخل في دين النصْرانيَّة . وملك زيان بلنسية ، واتصلت الفتنة بينه وبين ابن هود ، وخالف عليه بنو عمه عزيز ابن يوسف بن سعد في جزيرة شقر ، وصاروا الى طاعة بن هود وزحف زيان للقائه على شريش فانهزم وتبعه ابن هود، ونازله في بلنسيه أياماً وامتنعت عليه فاقلع ، وتكالب الطاغية على ثغور المسلمين ، ونازل صاحب برشلونة أنيشة وملكها ، وزحف زيان اليها بجميع من معه من المسلمين سنة أربع وثلاثين ، ونفر معه أهل شاطبة وجزيرة شقر فكانت عليهم الواقعة العظيمه التي استشهد فيها أبو الربيع سليمان، وأخذ الناس في الانتقال عن بلنسية فبعث اليهم يحيى بن ابي زكريا صاحب افريقية بالمدد ، من الاموال والاسلحة والطعام مع قريبه يحيى عندما نبذ دعوة بني عبد المؤمن وأوفد عليه أعيان بلنسية وهي محصورة فرجع الى دانية .

ثم اخذ الطاغية بلنسيه سنة ست وثلاثين ، وخرج زيان الى جزيرة شقر وأقام بدعوة الامير أبي زكريا وبعث اليه بيعتها

مع كاتبه الحافظ أبي عبدالله محمد بن الانباري فوصل الى تونس ، وأنشده قصيدته المشهورة على رويّ السين بلغ فيها من الاجادة حيث شاء ، وهي معروفة وسيأتي ذكرها في دولة بني حفص بافريقية من الموحدين . ثم هلك ابن هود، وانتقض اهل مرسية على ابنه ابي بكر الواثق ، وكان واليه بها ابو بكر بن خطاب فبعثوا الى زيان واستدعوه فدخلها ، وانتهب قصرها ، وحملهم على البيعة للامير ابي زكريا على ولاية شرق الاندلس كله ، وذلك سنة سبع وثلاثين . ثم انتقض عليه ابن عصام باريولة ، ولحق به قرابة زيان بمدينة لقنت فلم يزل بها الى ان اخذها منه طاغية برشلونة سنة اربع واربعين فأجاز الي تونس ، وبها مات سنة ثمان وستين . واما ابن هود فسيأتي الخبر عن دولته ، واما ابن الاحمر فلم تزل الدولة في اعقابه لهذا العهد . ونحن ذاكرون اخبارهم لانهم من بقايا دولة العرب ، والله خير الوارثين .

الخبر عن ثورة ابن هود على الموحدين بالأندلس ودولته وأولية أمره وتصاريف أحواله

هو محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن احمد بن سليمان المستعين بن محمد بن هود ، ثار بالصخيرات من عمل مرسية مما يلي رقوط عند فشل دولة الموحدين ، واختلاف السادة الذين كانوا امراء ببلنسية . وذلك عندما هلك المستنصر سنة عشرين .

وبايع الموحدون بمراكش لعمه المخلوع عبد الواحد بن امير المؤمنين يوسف . ثار العادل ابن اخيه المنصور بمرسية ، ودخل في طاعة صاحب حيان ابو محمد عبدالله بن ابي حفص بن عبد المؤمن ، وخالفهما في ذلك السيد ابو زيد اخوه ابن محمد بن ابي حفص . وتفاقمت الفتنة ، واستظهر كل على امره بالطاغية ، ونزلوا له عن كثير من الثغور . وقلقت من ذلك ضمائر اهل الاندلس فتصدر ابن هود هذا للثورة ، وهو من اعقاب بني هود من ملوك الطوائف ، وكان يؤمل لها . وربما امتحنه الموحدون لذلك مرات فخرج في نفر من الاجناد سنة خمس وعشرين ، وجهز اليه والي مرسية يومئذ السيد ابو العباس بن أبي عمران موسى بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن عسكراً فهزمهم .

وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد ، وخطب للمستنصر صاحب بغداد لذلك العهد من بني العباس . وزحف اليه السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن من شاطبة ، وكان واليه بها فهزمه ابن هود ورجع الى شاطبة . واستجاش بالمأمون وهو يومئذ باشبيلية بعد أخيه العادل فخرج في العساكر ، ولقيه ابن هود فانهزم واتبعه الى مرسية فحاصره مدّة ، وامتنعت عليه فاقلع عنه ورجع الى اشبيلية . ثم انتقض على السيد أبي زيد ببلنسيه زيان ابن ابي الحملات مدافع ابن حجاج بن سعد بن مردنيش ، وخرج عنه الى أبدّة وذلك سنة ست وعشرين . وكان بنو مردنيش هؤلاء

أهل عصابة ، وأولي بأس وقوة فتوقع أبو زيد اختلال أمره ، وبعث اليه ولاطفه في الرجوع فامتنع فخرج أبو زيد من بلنسية ، ولحق بطاغية برشلونة ، ودخل في دين النصرانية . وبايعت أهل شاطبة لابن هود . ثم تابعه اهل جزيرة شقر ، حملهم عليها ولاتهم بنو عزيز بن يوسف عم زيان بن مردنيش . ثم بايعه اهل خبيان واهل قرطبة ، تسمى بأمير المسلمين ، وبايعه اهل اشبيلية عند رحيل المأمون عنها الى مراكش ، وولّى عليهم أخاه. ونازعه زيان بن مردنيش ، وكانت بينهما ملاقاة انهزم فيها زيان سنة تسع وعشرين . وحاصره ابن هود ببلنسية ، ثم أقلع . ولقي الطاغية على ماردة فانهزم ومحص الله المسلمين ، وانهزم بعدها اخرى على الكوس . ولم تزل غزواته متردّدة في بلاد العدوّ كل سنة ، وحربه معهم سجالا ، والطاغية يلتقم الثغور والقواعد .

ثم استولى ابن هود على الجزيرة الخضراء ، وجبل الفتح فرضتي المجاز على سبتة ، من يد السيد أبي عِمْران موسى لما انتقض على أخيه المأمون ، ونازله بسبتة فبايع هو لابن هود وأمكنه منها . ثم ثار بها اليَنَاشِتيّ على ما يذكر . ثم بويع للسلطان محمد بن يوسف ابن نصر سنة تسع وعشرين بأرجونة ، ودخلت قُرْطُبَة في طاعته ، ثم قَرفونَة . ثم انتقض أهل اشبيلية وأخرجوا سالم بن هود ، وبايعوا لابن مروان أحمد بن محمد الباجي وجهز عسكراً للقاء ابن الاحمر فانهزموا وأسر قائده . ثم اتفق الباجي مع ابن الاحمر على

فتنة ابن هود. وصالحَ ابن هود الفنش على فعلتهم على ألف دينار في كل يوم . ثم صارت قرطبة الى ابن هود، وزحف الى الباجي وابن الاحمر فانهزم ، ونزل ابن الاحمر ظاهر اشبيلية . ثم غدر الباجي فقتله وتولى ذلك صهره واشقيلولة ، وزحف سالم بن هود الى اشبيلية فنازلها وامتنعت عليه .

ووصل خطاب الخليفة المستنصر العباسي الى ابن هود من بغداد سنة احدى وثلاثين وفد به أبو علي حسن بن علي بن حسن ابن الحسين الكردي الملقب بالكمال. وجاء بالراية والخِلَع والعهد، ولقبه المتوكل . وقدم عليه بذلك في غرناطة في يوم مشهود ، وبايع له ابن الاحمر . وعندما غدر ابن الاحمر بالباجي فرّ من اشبيلية شعيب بن محمد الى البلد فاعتصم بها ، وتسمى المعتصم فحاصره ابن هود وأخذها من يده . ثم خرج العدوّ من كل جهة ونازلوا ثغور المسلمين وأحاطوا بهم ، وانتهت محلاتهم على الثغور الى سبع . ثم حاصر الطاغية مدينة قرطبة ، وغلب عليها سنة ثلاث وثلاثين ، وبايع اهل اشبيلية للرشيد من بني عبد المؤمن . ثم زحف ابن الاحمر الى غرناطة وملكها كما يذكر ، وبويع للرشيد سنة سبع وثلاثين . وكان عبدالله أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الأموي الرميمي وزير ابن هود، وكان يدعوه ذا الوزارتين ولّاه المُريّة من عمله فلم يزل بها ، وقدم عليه المتوكل سنة خمس وثلاثين وستمائة فهلك بالحمّام ودفن بمرسية ،

ويقال انه قتله . ثم استبدّ من بعده المؤيّد ، واستنزله عنها ابن الاحمر سنة ثلاث وأربعين . ولما هلك المتوكل ولي من بعده بمرسية ابنه ابو بكر محمد بعهده اليه ، وتلقّب بالواثق وثار عليه عزيز بن عبد الملك بن خطاب سنة ست وثلاثين لأشهر من ولايته فاعتقله ، وكان يلقب ضياء الدولة . ثم تغلب زيّان بن مردنيش على مرسية ، وقتل ابن خطاب لاشهر من ولايته . وأطلق الواثق بن هود من اعتقاله . ثم ثار عليه بمدينة مرسية محمد بن هود عم المتوكل سنة ثمان وثلاثين ، وأخرج منها زيان ابن مردنيش ، وتلقّب بهاء الدولة . وهلك سنة سبع وخمسين وستمائة . وولي ابنه الامير ابو جعفر . ثم ثار عليه سنة اثنتين وستين أبو بكر الواثق الذي كان ابن خطاب خلعه ، وهو المتوكل أمير المسلمين وبقي بها اميراً إلى ان ضايقه الفنش والبرشلوني فبعث اليه عبدالله بن علي بن اشقيلولة ، وتسلم مرسية منه . وخطب بها لابن الاحمر . ثم خرج منها راجعاً الى ابن الاحمر فأوقع به البصري في طريقه ، ورجع الواثق الى مرسية ثالثة فلم يزل بها الى ان ملكها العدوّ من يده سنة ثمان وستين ، وعوّضه منها حِصناً من عملها يسمى يس الى ان هلك ، والله خير الوارثين .

دولة بني الأحمر

الخبر عن دولة بني الأحمر ملوك الأندلس لهذا العهد ومبدأ أمورهم وتصاريف أحوالهم

أصلهم من أرجونَة من حُصون قُرْطُبَة، ولهم فيها سلف في أبناء الجند، ويعرفون ببني نصر وينسبون الى سَعْدِ بن عَبادَة سيد الخَزْرَج. وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين محمد بن يوسف ابن نصر، ويعرف بالشيخ وأخوه اسمعيل. وكانت لهم وجاهة في ناحيتهم. ولما فشل ريح الموحدين وضعف امرهم، وكثر الثوّار بالاندلس، وأعطى حصونها للطاغية، واستقل بأمر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية فأقام بدعوته العباسيّة، وتغلب على شرق الاندلس أجمع فتصدّى محمد بن يوسف هذا للثورة على ابن هود، وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة على الدعاء للامير أبي زكريا صاحب افريقية، وأطاعته حيان وشريش سنه ثلاثين بعدها، وكان يعرف بالشيخ ويلقب بأبي دبوس. واستظهر على أمره أولاً بقرابته من بني نصر واصهاره بني اشقيلولة عبد الله وعلي. ثم بايع لابن هود سنة احدى وثلاثين عندما وصله خطاب الخليفة من بغداد.

ثم ثار باشبيلية أبو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها،

ورجوعه الى مرسية فداخله محمد بن الاحمر في الصلح على ان يزوّجه ابنته فأطاعه ، ودخل اشبيلية سنة اثنتين وثلاثين . ثم فتك بابن الباجي وقتله ، وتناول الفتك به علي بن اشقيلولة . ثم راجع أهل اشبيلية بعدها لشهر دعوة ابن هود ، وأخرجوا ابن الاحمر . ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين بمداخله أهلها ثم ثار ابن أبي خالد بدعوته في جَيان ووصلته بيعتها فقدم اليها أبا الحسن بن اشقيلولة . ثم جاء على اثره ونزلها واستقرّ بها بعد مهلك ابن هود ، وبايع للرشيد سنة تسع وثلاثين . ثم تناول المؤيد من يد محمد بن الرميمي فخامه أهل البلد سنة ثلاث وستين وبايعوا لابن الاحمر .

ثم ثار ابو عمرو بن الجدّ ، واسمه يحيى بن عبد الملك بن محمد الحافظ أبي بكر وملك اشبيلية ، وبايع للامير أبي زكريا بن حفص صاحب افريقية سنة ثلاث واربعين ، وولي عليهم أبو زكريا أميراً ، وقام بأمرهم القائد شغاف ، والعدو أثناء ذلك يلتقم بلاد المسلمين وحصونهم من لدن عام عشرين او قبله ، وصاحب برشلونة من ولد البطريق الذي استعمله الافرنجة عليها لاول استرجاعهم لها من ايدي العرب فتغلب عليها ، وبعد عن الفرنجة ، وضعف لعهده سلطانهم . ووصلوا وراء الدروب ، وعجزوا فكانوا عن برشلونة وجماعتها اعجز فسما اهل طاغيتها منهم لذلك العهد ، واسمه حاقة ، الى التغلب على ثغور المسلمين . واستولى على

ماردة سنة ست وعشرين وستمائة ، ثم ميورقة سنة سبع وعشرين وستمائة . ثم اجاز الى سرقسطة وشاطبة ، كان تملكها منذ مائة وخمسين من السنين قبلها .

ثم بلنسية سنة ست وثلاثين وستمائة بعد حصار طويل ، وطوى ما بين ذلك من الحصون والقرى حتى انتهى الى المرية حصوناً ، وابن ادفونش أيضاً ملك الجلالقة هو ابن الادفونش « الملقب بالحكيم[1] » وآباؤه من قبله يتقرى الفرستيرة حصناً حصناً ، ومدينة مدينة الى ان طواها . واستعبد ابن الاحمر هذا لاول امره بما كان بينه وبين الثوار بالاندلس من المنازعة فوصل يده بالطاغية ، في سبيل الاستظهار على امره فوصله وشد عضده . وصار ابن الاحمر في جملته واعطاه ابن هود ثلاثين من الحصون او نحوها في كف غربه عن ابن الاحمر ، وان يعينه على ملك قرطبة فتسلمها . ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وأعاد اليها خيرة الله كلمة الكفر . ثم نازل اشبيلية سنة ست وأربعين ، وابن الاحمر معه مظهر الامتعاض لابن الجد وحاصرها سنتين . ثم دخلها صلحاً وانتظم معها حصونها وثغورها ، واخذ طليطلة من يد ابن كماشة ، وغلب بعد ذلك ابن محفوظ على شلب وطلبيره سنة تسع وخمسين . ثم ملك مرسية سنة خمس وستين . ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك الاندلس كورة كورة، وثغراً ثغراً، الى

---

(١) اسم أذفونش محرف عن: الفونس.

ان ألجأ المسلمين الى سيف البحر ما بين رندة من الغرب ، وإلبيرة من شرق الاندلس ، نحو عشر مراحل من الغرب الى الشرق . وفي مقدار مرحلة او ما دونها في العرض ما بين البحر والجوف. ثم سخط بعد ذلك الشيخ ابن الاحمر ، وطمع في الاستيلاء على كافة الجزيرة فامتنعت عليه ، وتلاحق بالاندلس غزاة من زناتة الثائرين يومئذ من بني عبد الواد وتوجين ومغراوة وبني مرين ، وكان أعلاهم كعباً في ذلك ، واكثرهم غزى بنو مرين فأجاز اولا اولاد ادريس بن عبد الحق ، واولاد رحو بن عبدالله بن عبد الحق اعياص الملك منهم سنة ستين او نحوها ، عقد لهم عمهم يعقوب بن عبد الحق سلطان المغرب ، واجازوا في ثلاثة آلاف او نحوها فتقبل ابن الاحمر اجازتهم ، ودفع بهم في نحر عدوه ورجعوا .

ثم تهايلوا اليه من بعد ذلك من كل بيت من بيوت بني مرين ، ومعظمهم الاعياص من بني عبد الحق لما تزاحمهم مناكب السلطان في قومهم ، وتغص بهم الدولة فينزعون الى الاندلس مغنين بها من بأسهم وشوكتهم في المدافعة عن المسلمين ، ويخلصون من ذلك على حظ من الدولة بمكان . ولم يزل الشأن هذا الى ان هلك محمد بن يوسف بن الاحمر سنة احدى وسبعين وستمائة ، وقام بأمره من بعده ابنه محمد ، وكان يعرف بالفقيه لما كان يقرأ الكتاب من بين اهل بيته ، ويطالع كتب العلم . وكان

ابوه الشيخ اوصاه باستصراخ ملوك زناتة من بني مرين الدائلين بالمغرب من الموحدين ، وان يوثق عهده بهم ، ويحكم اراضي سلطانه بمداخلتهم فأجاز محمد الفقيه ابن الاحمر الى يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، عندما تم استيلاؤه على بلاد المغرب ، وتغلبه على مراكش ، وافتقاده سرير ملك الموحدين بها فأجاب صريخه ، واجاز عساكر المسلمين من بني مرين وغيرهم الي الجهاد مع ابنه منديل .

ثم جاء على اثرهم وامكنه ابن هشام من الجزيرة الخضراء كان ثائرا بها فتسلمها منه ونزل بها ، وجعلها ركابا لجهاده ينزل بها جيش الغزو . ولما اجاز سنة اثنتين وسبعين كما قلناه هزم زعيم النصرانية ثم حذره ابن الاحمر على ملكه فداخل الطاغية . ثم حذر الطاغية فراجعه وهو مع ذلك يده في نحره بشوكة الاعياص الذين نزعوا اليه من بني مرين بما شاركوا صاحب المغرب من نسب ملكه وقاسموه في يعسوبية قبيلته فكان له بذلك مدفع عن نفسه ومرض في طاعة قرابته من بني اشقيلولة ، كان عبدالله منهم بمالقة وعلي بوادي آش وابراهيم بحصن قمارش فالتاثوا عليه ، وداخلوا يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين في المظاهرة عليه فكان له معهم فتنة ، وأمكنوا يعقوب من الثغور التي بأيديهم مالقة ووادي آش حتى استخلصها هذا السلطان الفقيه من بعد ذلك كما نذكره في أخبار بني مرين مع بني الاحمر . وصار بنو اشقيلولة آخرا

وقرابتهم بني الزرقاء الى المغرب ونزلوا على يعقوب بن عبد الحق وأكرم مثواهم واقطعهم واستعملهم في كبير الخطط للدولة حسبما يذكر. واستبد السلطان الفقيه ابن الاحمر بملك ما بقي من الاندلس وأورثه عقبه من غير قبيل ولا كثير عصبة ولا استكثار من الحامية الامن يأخذه الجلاء من فحول زناتة وأعياص الملك فينزلون بهم غزى، ولهم عليهم عزة وتغلب، وسبب ذلك ما قدمناه في الكتاب الاوّل من افقاد القبائل والعصائب بأرض الاندلس جملة فلا تحتاج الدولة هنالك الى كبير عصبية. وكان للسلطان ابن الاحمر في أول أمره عصبية من قرابته بني نصر ، وأصهارهم بني اشقيلولة وبني المولى ومن تبعهم من الموالي والمصطنعين كانت كافية في الامر من أوّله مع معاضدة الطاغية على ابن هود وثوار الاندلس، ومعاضدة ملك المغرب على الطاغية والاستظهار بالاعياص على ملك المغرب فكان لهم بذلك كله اقدار على بلوغ أمرهم وتمهيده ، وربما يفهم في مدافعة الطاغية اجتماع الخاصة والعامّة في عداوته ، والرهب منه بما هو عدوّ للدين فتستوي القلوب في مدافعته ومخافته فينزل ذلك بعض الشيء منزلة العَصَبِيَّة .

وكانت اجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق اليه أربع مرات، وأجاز ابنه يوسف اليهم بعد أبيه . ثم شغلته الفتنة مع بني يغمراسن ، الى ان هلك السلطان الفقيه سنة احدى وسبعمائة ، وهو الذي أعان الطاغية على منازلة طريف وأخذها ، وكان يير

عسكره مدّة حصاره اياها الى ان فتحها سنة اربع وسبعمائة لما كانت ركاباً لصاحب المغرب ، متى هم بالجواز لقرب مسافة الزقاق . فلما ملكها الطاغية صارت عينا على من يروم الجواز من الغزاة فعضب أمره عليهم ، وولي من بعده ابنه محمد المخلوع ، واستبد عليه وزيره محمد بن محمد بن الحكم اللخمي ، من مشيخة رندة ووزرائها فحجره واستولى على أمره ، الى ان ثار به أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد فقتل الوزير ، واعتقل أخاه سنة ثمان وسبعمائة ، وكان ابوهما السلطان الفقيه استعمل على مالقة الرئيس أبا سعيد بن عمه اسمعيل بن نصر ، وطالت فيها امارته . وهو الذي تملك سبتة ، وغدر بني الغرفي بها على عهد المخلوع وبدعوته كما يذكر في أخبار سبتة ، ودولة بني مرين . وكان أصهر اليه في ابنته وكان له منها ابنه ابو الوليد اسمعيل ، فلما تملك الجيّوش نصر غرناطة ، واستولى على سلطانهم بها ساءت سيرته ، وسيرة وزيره ابن الحاج ، وأحقد الاعياص من بني مرين ، واستظهر الرعية بالقهر والعسف .

وكان بنو ادريس بن عبدالله بن عبد الحق أمراء على الغزاة بمالقة ، وكان كبيرهم عثمان بن أبي المعلى فداخل أبا الوليد في الخروج على السلطان نصر ، وتناول الامر من يده لضعفه ، وسعفه بطانته واقرباؤه فاعتزموا على ذلك ، ولم يتم لهم الا باعتقال أبيه أبي الجيّوش فاعتقلوه ، وبايعوا ابا الوليد .

وثار بمالقة سنة سبع عشرة الرئيس أبو سعيد ، وزحفوا الى غرناطة فهزموا عساكر أبي الجُيُوش ، وثارت به الدهماء من أهل المدينة ، وأحيط به . وصالحهم على الخروج الى وادي آش فلحق بها ، وجدّد بها ملكاً الى أن مات سنة اثنتين وعشرين ، ودخل أبو الوليد الى غرناطة فاصّل بها لنفسه وبنيه ملكاً جديداً وسلطاناً فسيحاً . ونازله ملك النصارى الفنش بغرناطة سنة ثمان عشرة وأبلى فيها بني أبي العلا . ثم كان من تكييف الله تعالى في قتله وقتل رديفه ، واستلحام جيوش النصرانية بظاهر غرناطة ما ظهرت فيه معجزة من معجزات الله . وتردّد الى ارض النصرانية بنفسه غازياً مرات مع عساكر المسلمين من زناتة والاندلس . وكانت زناتة أعظم غناء في ذلك لقرب عهدهم بالتقشف والبداوة التي ليست للناس . وبلغ أبو الوليد من العزّ والشوكة إلى ان غدر به بعض قرابته من بني نصر سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، طعنه غدراً عندما انفض مجلسه بباب داره فأنفذه ، وحمل الى فراشه ، ولحق القادر بدار عثمان بن أبي العلى فقتله لحينه ، وقتل الموالي المجاهدين فخرج عليهم ، ولحق باندیس فتملكها ، واستدعى محمد بن الرئيس أبي سعيد في معتقله بسلوباشة . ونصبه للملك فلم يتم له مراده من ذلك . ورجعوا آخراً للمهادنة ، وقتل السلطان محمد وزيره ابن المحروق بداره غدراً سنة تسع وعشرين ، استدعاه

للحديث على لسان عمته المتغلبة عليه مع ابن المحروق ، وتناوله مع علوجه طعناً بالخناجر الى ان مات .

وقام السلطان باعباء ملكه ، ورجع عثمان ابن ابي العلى الى مكانه من يعسوبية الغزاة وزناتة ، حتى اذا هلك قدم عليهم مكانه ابنه ابا ثابت . وأجاز السلطان محمد الى المغرب صريخاً للسلطان ابى الحسن على الطاغية فوجده مشغولا بفتنة أخيه محمد . ومع ذلك جهز له العساكر ، وعقد عليها سنة ثلاث وثلاثين . واستراب بنو أبي العلى بمداخلة السلطان ابي الحسن فتشاوروا في أمره ، وغدروا به يوم رحيلة عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح ، وقدموا أخاه أبا الحجاج يوسف فقام بالامر ، وشمر عن ساعده في الاخذ بثار أخيه فنكب بني العلى وغربهم الى تونس ، وقدم على الغزاة مكان أبي ثابت بن عثمان قرثية من بني رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، وهو يحيي بن عمر بن رحو فقام فأمرهم وطال أمر رياسته . واستدعى السلطان أبو الحجاج السلطان أبا الحسن صاحب المغرب فأجاز ابنه عندما تم له الفتح بتلمسان ، وعقد له على عساكر جمة من زناتة والمتطوعة فغزاهم وغنم وقفل راجعاً . وتلاحقت به جموع النصارى وبيتوه على حدود أرضهم فاستشهد كثير من الغزاة ، وأجاز السلطان أبو الحسن سنة احدى وأربعين بكافة أهل المغرب من زناتة ومغراوة والمرتزقة والمتطوعة فنازل طريف ، وزحف اليه الطاغية فلقيه

بظاهرها فانكشف المسلمون ، واستشهد الكثير منهم ، وهلك فيها نساء السلطان وحريمه وفسطاطة من معسكره وكان يوم ابتلاء وتمحيص .

وتغلب الطاغية اثرها على القلعة ثغر غرناطة ، ونازل الجزيرة الخضراء وأخذها صلحاً سنة ثلاث وأربعين . ولم يزل أبو الحجاج في سلطانه الى ان هلك يوم الفطر سنة خمس وخمسين ، طعنه في سجوده من صلاة العيد وغدٌ من صفاعفة البلد كان مجتمعاً . وتولى ابنه ، واستبد عليه مولاهم رضوان حاجب أبيه وعمه فقام بأمره وغلبه عليه وحجبه . وكان اسمعيل أخوه ببعض قصور الحمراء قلعة الملك ، وكانت له ذمة وصهر من محمد بن عبدالله بن اسمعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد ، بما كان أبوه أنكحه شقيقة اسمعيل هذا . وكان أبو يحيى هذا يدعى بالرئيس ، وجده محمد هذا هو الذي قدمنا ان عثمان بن أبي العلى دعاه من مكان اعتقاله للملك فداخل محمد هذا الرئيس بعض الزعالقة من الغوغاء ، وبيت حصن الحمراء وتسوره وولج على الحاجب رضوان في داره فقتله ، وأخرج صهره اسمعيل ونصبه للملك ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين وسبعمائة .

وكان السلطان محمد هذا المخلوع بروضة خارج الحمراء فلحق بوادي آش وأجاز منها الى العدوة ، ونزل على ملك المغرب السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن فرعى له ذمته ، وأحمد

نزوله . وارتاب شيخ الغزاة يحيي بن عمرو بالدولة ففر الى دار الحرب ، ولحق منها بالمغرب . ونزل على السلطان أبي سالم فأحمد نزوله ، وولي مكانه على الغزاة بغرناطة من جهة ادريس بن عثمان ابن أبي العلى . فقام الرئيس بأمر اسمعيل أخيه ودبر ملكه . ثم ترددت السعايات وانذر الرئيس بالنكبة فغدر باسمعيل ، وقتله واخوته جميعاً سنة احدى وستين . وقام بملك الاندلس ، ونبذ الى الطاغية عهده ومنعه ما كان سلفه يعطونه من الجزية على بلاد المسلمين فشمر الطاغية لحربه ، وجهز العساكر اليه فأوقع المسلمون بهم بوادي آش ، وعليهم بعض الروساء من قرابة السلطان فعظمت النكاية . وارسل ملك المغرب الى الطاغية في شأن محمد المخلوع ، ورده الى ملكه فأركب الاساطيل ، وأجازه الى الطاغية فلقيه ووعده المظاهرة على أمره ، وشرط له الاستئثار بما يفتح من حصون المسلمين .

ثم نقض فيما افتتح منها ففارقه السلطان واوى الى الثغر المغربي في مملكة بني مرين ؛ وأمكن من ثغور رندة فزحف منها الى مالقة سنة خمس وستين فافتتحها . وفر الرئيس محمد بن اسمعيل من غرناطة ، ولحق بالطاغية . وكان معه ادريس بن عثمان شيخ الغزاة بحبسه الى ان فر من محبسه بعد حين ، كما يذكر في أخبارهم . وزحف السلطان محمد فيمن معه وأتوه بحاجب الرئيس وقتله ، واستلحم معه الرجال من الزعالقة الذين قتلوا

الحاجب ، وتسوروا قصور الملك . ودخل السلطان محمد غرناطة ، واستولى على ملكه . وقدم على الغزاة شيخهم يحيى بن عمر ، واختص ابنه عثمان ، ثم نكبهما لسنة وحبسهما بالمطبق بالمرية ، ثم غربهما بعد أعوام . وقدم على الغزاة قريبهما علي بن بدر الدين بن محمد بن رحو . ثم مات فقدم مكانه عبد الرحمن بن أبي يغلوسن وترفع على السلطان أبي علي بن محمد ملك المغرب ، وتملأ هذا السلطان محمد المخلوع أريكة ملكه بالحمراء ممتنعاً بالظهور والترف والعزة على الطاغية والجلالقة ، وعلى ملوك المغرب بالعدوة بما نال دولتهم جميعاً من الهرم الذي يلحق الدول .

وأما الجلالقة فانتقضوا على ملكهم بطرة بن ادفونش سنة ثمان وستين من لدن مهلك أبيهما ، ووقعت بين بطرة وبين ملك برشلونة بسبب إجارته عليه فتن وحروب حجر منها الجلالقة ، وكانت سبباً لانتقاضهم على بطرة ، واستدعائهم لاخيه الفنش فجاء وبايعوه ، وانحرفوا اليه جميعاً عن بطرة فتحيز الى ناحية بلاد المسلمين . واستدعى هذا السلطان محمداً صاحب غرناطة لنصره من عدوّه ، وأغزاه ببلاد الفنش ففتح كثيراً من معاقلها وخرّبها مثل حيان وابدة واثر وغيرها . وعاث في بسائطها ، ونزل قرطبة ، وخرّب نواحيها ورجع ظافراً غانماً . ولحق ببطرة سلطان الافرنجة الاعظم في ناحية الشمال من وراء جزيرة الاندلس ، وهو صاحب جزيرة أنْكَلْطَرَة ، وتسمى بنسر غالس ، وفد عليه صريخاً وزوّجه

ابنته فبعث ابنه لنصره في أمم الافرنج . وانهزم الفنش أمامهم ، وارتجع[1] بطرة البلاد حتى اذا رجعت عساكر الافرنجة ، رجع الفنش فارتجع البلاد ثانياً وحاصر أخاه بطرة في بعض حصون جليقة ، حتى أخذه وقتله ، واستولى على ملكهم .

واغتنم السلطان صاحب غرناطة شغلهم بهذه الفتنة فاعتزّ عليهم، ومنع الجزية التي كانوا يأخذونها من المسلمين منذ عهد سلفه فأقاموا من لدن سنة اثنتين وسبعين لا يعطونهم شيئاً . واستمرّ على ذلك ، وسما الى مطالبتهم بنسرغالس ملك الافرنجة من ورائهم الذي جاء لنصر بطرة ، وأنكحه بطرة ابنته ، وولدت له ولداً فزعم أبوه هذا الملك انه أحق بالملك من الفنش وغيره ، على عادة العجم في تمليك الأسباط من وُلد البطن . وطالت الحرب بينهما ، ونزل بالجلالقة من ذلك شغل شاغل ، واقتطع الكثير من ثغورهم وبلادهم فنعهم ابن الاحمر الجزية ، واعتز عليهم كما ذكرناه ، والحال على ذلك لهذا العهد .

وأما ملوك المغرب فانّ السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن لما استبد بملكه ، واستفحل أمره ، وكان عبد الرحمن بن ابي يغلوسن مقدّماً على الغزاة بالاندلس كما قلناه ، وهو قسيمه في النسب ، ومرادفه في الترشيح للملك فعثر السلطان عبد العزيز على مكاتبة بينه وبين أهل دولته ، فارتاب وبعث الى ابن الاحمر

(١) بمعنى : استعاد.

في حبسه فحبسه ، وحبس معه الامير مسعود بن ماسي لكثرة خوضه في الفتنة ، ومكاتبته لاهل الدولة. فلما توفي السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ، وبويع ابنه محمد السعيد يافعاً وكفله وزير أبيه أبو بكر بن غازي الثائر أطلق ابن الاحمر عبد الرحمن ابن يغلوسن من محبسه فنقم ذلك عليه الوزير أبو بكر كافل الدولة بالمغرب ، واعتزم على بعث الرؤساء من قرابة ابن الاحمر الى الاندلس لمنازعته ، ومدّه بالمال والجيش. وبلغ ذلك ابن الاحمر فعاجله عنه وسار في العساكر الى فرضة المجاز ، ونازل جبل الفتح ، ومعه ابن يغلوسن وابن ماسي ، واركبهما السفن فنزلوا ببلاد بطرة فاضطرب المغرب ، واشتدّ الحصار على أهل جبل الفتح ، واستأمنوا لابن الاحمر وأطاعوه.

وكان بسبتة محمد بن عثمان بن الكاس صهر أبي بكر بن غازي وقريبه بعثه لضبط المراسي عندما نزل ابن الاحمر على الجبل ، وبطنجة يومئذ جماعة من ولد السلطان أبي الحسن المرشحين محبوسون منذ عهد عبد العزيز فوقعت المراسلة من السلطان ابن الاحمر ، ومحمد ابن عثمان ، ونكر عليه مبايعتهم لولد صغير لم يراهق. واشار ببيعة واحد من أولئك المرشحين المحبوسين بطنجة ، ووعده بالمظاهرة والمدد بالمال والجيش ، ووقع اختيار محمد ابن عثمان على السلطان أبي العباس احمد فأخرجه وبايع له. وقد كان اولئك الفتية تعاهدوا في محبسهم ان من استولى منهم على الملك

أطلق الباقين منهم فوفى لهم السلطان أبو العباس لاول بيعته ، وأطلقهم من المحبس ، وبعثهم الى الاندلس ، ونزلوا على السلطان ابن الاحمر فأكرمهم وجعلهم لنظره . وبعث بالاموال والعساكر للسلطان أبي العباس ولوزيره محمد بن عثمان ، وكتب الى عبد الرحمن بن يغلوسن بموافقتها واجتماعها على الامر فساروا جميعا ، ونازلوا دار الملك بفاس حتى استأمن أبو بكر بن غازي للسلطان أبي العباس ، وأمكنه من البلد الجديد دار الملك فدخلها في محرم سنة ست وسبعين .

وشيع عبد الرحمن بن يغلوسن الى مراكش وأعمالها وسوغ له ملكها كما كان الوفاق بينهما من قبل . وبعث بالسعيد بن عبد العزيز المنصوب ، واتصلت الموالاة والمهاداة بينه وبين عبد الرحمن صاحب مراكش ، ونهض مراراً ، وحاصره وابن الاحمر يمده تارة ، ويسعى بينهما في الصلح أخرى ، الى أن نهض اليه سنة أربع وثمانين وحاصره شهراً ، واقتحم عليه حصنَه عَنْوَةً ، وقتله ورجع الى فاس . ثم نهض الى تِلِمْسان ، وهرب صاحبها أبو أحمد سلطان بني عبد الواد ، ودخل السلطان أبو العباس تلمسان .

وكان جماعة من سماسرة الفتن قد سعوا ما بينه وبين السلطان ابن الاحمر بالفساد حتى أوغروا صدره ، وحملوه على نقض دولة السلطان أبي العباس ببعض الاعياص الذين عنده فاختار من أولئك الفتية الذين نزلوا عليه من طنجة ، موسى ابن السلطان

أبي عنان ، واستوزر له مسعود بن ماسي ، وركب السفن معه الى سبتة فبادر أهلها بطاعة موسى ، وأتوه ببيعتهم ، وارتحل عنهم الى فاس . وملك السلطان ابن الاحمر سبتة ، وصارت في دعوته ، وعمد السلطان موسى الى دار الملك بفاس فوقف عليها يوماً ، واستأمنوا له آخر النهار فدخلها سنة ست وثمانين ، وأصبح جالساً على سرير ملكه .

وطار الخبر الى السلطان أبي العباس ، وقد ارتحل من تلمسان لقصد ابي حمو وبني عبد الواد بمكانهم من دار الملك فكر راجعاً ، وأغذ السير الى فاس فلما تجاوز تازي وتوسط ما بينها وبين فاس افترق عنه بنو مرين وسائر عساكره وساروا على راياتهم الى السلطان موسى ، ونهب معسكره ، ورجع هو الى تازي فتوثق منه عاملها حتى جاء بريد السلطان من فاس فتقبض عليه ، وحمله الى فاس وأزعجه السلطان موسى الى الاندلس ونزل على ابن الاحمر كما كان هو . واستولى السلطان موسى على المغرب ، واستبد عليه وزيره مسعود ، وطالب ابن الاحمر بالنزول على سبتة فامتنع ، ونشأت بينهما الفتنة ، ودس ابن ماسي لاهل بيته بالثورة على حامية السلطان ابن الاحمر عندهم فثاروا عليهم ، وامتنعوا بالقصبة حتى جاءهم المدد في اساطيل ابن الاحمر فسكن أهل بيته واطمأنت الحال ، ونزع الى السلطان ابن الاحمر جماعة من أهل الدولة ، وسألوه ان يبعث لهم ملكاً من الاعياص

الذين عنده فبعث اليهم الواثق محمد بن الامير ابي الفضل ابن السلطان أبي الحسن . وشيعه في الاسطول الى سبتة ، وخرج الى غمارة . وبلغ الخبر الى مسعود بن ماسي فخرج اليه في العسكر ، وحاصره بتلك الجبال . ثم جاءه الخبر بموت سلطانه موسى ابن السلطان أبي عنان بفاس فارتحل راجعاً . ولما وصل الى دار الملك نصب على الكرسي صبياً من ولد السلطان أبي لعباس كان تركه بفاس . وجاء السلطان أبو عنان ابن الامير أبي الفضل ، ونزل بجبل زرهون قبالة فاس . وخرج ابن ماسي في العساكر فنزل قبالته . وكان متولي أمره أحمد بن يعقوب الصبيحي ، وقد غص به اصحابه فذبوا[1] عنه ، وقتلوه امام خيمة السلطان . وامتعض السلطان لذلك ووقعت المراسلة بينه وبين ابن ماسي على ان يبايع بشرط الاستبداد عليه ، واتفقا على ذلك .

ولحق السلطان بابن ماسي ورجع به الى دار الملك فبايع له وأخذ له البيعة من الناس. وكانت معه حصة من جند السلطان ابن الاحمر مع مولى من مواليه فحبسهم جميعاً . وامتعض لذلك السلطان فاركب ابا العباس البحر ، وجاء معه بنفسه فدخلها وعساكر ابن ماسي عليها يحاصرونها فبايعوا جميعاً للسلطان

(١) ذب : تأتي بمعنى دافع . ولم نجد لها معنى «هجم» كما هو ظاهرها هنا، ومقتضى السياق: ذب عند أصحابه، وقتله جماعة السلطان.

ابي العبـاس . ورجع ابن الاحمر الى غرناطه ، وسار السلطان ابو العباس الى فاس ، واعترضه ابن ماسي في العساكر فحاصره بالصفيحة من جبل غمارة ، وتحدث اهل عسكره في اللحاق بالسلطان أبي العبـاس ففزعوا اليه ، وهرب ابن ماسي ، وحاصره السلطان شهراً حتى نزلوا على حكمـه فقطع ابن ماسي بعد ان قتله ومثل به . وقتل سلطانه ، واستلحم سائر بني ماسي بالتنكيل والقتل والعذاب .

واستولى على المغرب واستبد بملكه ، وأفرج السلطان ابن الاحمر عن سبتة وأعادها اليه . واتصلت الموالاة بينهما .

وأقام ابن الاحمر في اعتزازه ، ولم تطرقه نكبـة ولا حادثة سائر أيامه ، الا ما بلغنا انه نمى له عن ابنه وولي عهده أبي الحجاج يوسف انه يروم التوثب به ، وكان على سفر في بعض نواحي الاندلس فقبض على ولده لحينه ، ورجع الى غرناطة . ثم استكشف حاله فظهرت براءته فاطلقـه وأعاده الى أحسن أحواله . والا ما بلغنا أيضاً انه لما سار من غرناطة الى جبل الفتح شاربا[1] لاحوال السلطان أبي العباس ، وهو بالصفيحة من جبال غمارة ، وابن ماسي يحاصره فنمي اليه ان بعض حاشيته من اولاد الوزراء وهو ابن مسعود البلنسي [2] ابن الوزير أبي القاسم بن حكيم وقد اتفقوا

(١) بمعنى : مستضعفاً .
(٢) كذا بياضان في الأصل ، ولم نهتد إلى الأسماء الناقصة هنا في المراجع التي بين أيدينا .

على اغتياله ، وان ابن ماسي دس اليهم بذلك ونصبت له على ذلك العلامات التي عرفتها فقبض عليهم لحينه ، ولم يمهلهم وقتلهم وجميع من داخلهم في ذلك ، ورجع الى غرناطة ، وأقام ممتنعاً بملكه الى ان هلك سنة ثلاث وتسعين . فولي مكانه ابنه أبو الحجاج ، وبايعه الناس ، وقام بأمره خالد مولى أبيه ، وتقبض على اخوته سعد ومحمد ونصر فهلكوا في محبسهم ، ولم يوقف لهم على خبر .

ثم سعى عنده في خالد القائم بدولته انه أعد السم لقتله ، وان يحيى بن الصائغ اليهودي طبيب دارهم داخله في ذلك ففتك بخالد ، وقتل بين يديه صبراً بالسيوف لسنة او نحوها من ملكه . وحبس الطبيب فذبح في محبسه . ثم هلك سنة اربع وتسعين لسنتين او نحوها من ملكه . وبويع ابنه محمد ، وقام بأمره محمد الخصاصي القائد من صنائع ابيه ، والحال على ذلك لهذا العهد ، والله غالب على امره . وقد انقضى ذكر الدولة الاموية المنازعين لبني العباس ومن تبعهم من الملوك بالاندلس ، فلنذكر الان شيأ من اخبار ملوك النصرانية الذين يجاورون المسلمين بجزيرة الاندلس ، من سائر نواحيهم ، ونلم بطرف من انسابهم ودولهم .

الخبر عن ملوك بني أدفونش من الجلالقة ملوك الأندلس بعد القوط ولعهد المسلمين وأخبار من جاورهم من الفرنجة والبشكنس والبرتغال والالمام ببعض أخبارهم

والملوك لهذا العهد من النصرانية أربعة في اربعة من العمالات محيطة بعمالة المسلمين ، قد ظهر اعجاز الملة في مقامهم معهم وراء البحر ، بعدما استرجعوا من ايديهم ما نظمه الفتح الاسلامي أول الامر. واعظم هؤلاء الملوك الاربعة : قشتالة ؛ وعمالاته عظيمة متسعة، مشتملة على اعمال جليقية كلها ، مثل قشتالة وغليسية. والقرنتيرة؛ وهي بسيط قرطبة واشبيلية وطليطلة وجيان آخذة في جوف الجزيرة من المغرب الى المشرق . ويليه من جانب الغرب ملك البرتغال وعمالته صغيرة ، وهي اشبونة ، ولا ادري نسبه فيمن هو من الامم . ويغلب على الظن انه من اعقاب القواميس الذين تغلبوا على عمالات بني ادفونش في العصور الماضية كما نذكر بعد ، ولعله من اسباطهم واولي نسبهم والله اعلم . ويلي ملك قشتالة هذا من جهة الشرق ملك نبرة ، وهو ملك البشكنس ، وعمالته صغيرة فاصلة بين عمالات قشتالة وعمالة ملك برشلونة . وقاعدة ملك نبرة ، وهي مدينة ينبلونة . وملك برشلونة وما وراءها .

ونحن الان نذكر اخبار هذه الامم من عهد الفتح بما يظهر

لك منه تفصيل اخبارهم ، وذلك ان النصرانية لما تغلب عليهم المسلمون عند الفتح سنة تسعين من الهجرة وقتلوا لزريق ملك الغوط ، وانساحوا في نواحي جزيرة الاندلس ، واجفلت امم النصرانية كلها امامهم الى سيف البحر من جانب الجوف ، وتجاوزوا الدروب وراء قشتالة ، واجتمعوا بجليقيه وملكوا عليهم ثلاثة : ابن ناقلة فاقام ملكا تسع عشرة سنة ، وهلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وولي ابنه قافلة سنتين . ثم هلك فولوا عليهم بعدهما ادفونش ابن بطرة ، وهو الذي اتصل ملكه في عقبه لهذا العهد . ونسبهم في الجلالقة من العجم كما تقدم . ويزعم ابن حيّان انهم من اعقاب الغوط ، وعندي ان ذلك ليس بصحيح فان امة الغوط قد دثرت وغبرت وهلكت ، وقل ان يرجع امر بعد إدباره . وإنما هو ملك مستجد في امة اخرى ، والله اعلم . فجمعهم ادفونش بن بطرة على حماية ما بقي من ارضهم بعد ان ملك المسلمون عامتها . وانتهوا الى جليقة واقصروا عن الفتح بعدها حتى فشلت الدوله الاسلامية بالاندلس ، وارتجع النصارى الكثير مما غلبوا عليه .

وكان مهلك ادفونش بن بطرة سنة اثنتين واربعين ومائة لثمان عشرة سنة من ملكه ، وولي بعده ابنه فرويلة احدى عشرة سنة قوي فيها سلطانه ، وقارنه فيها شغل عبد الرحمن الداخل بتمهيد أمره فاسترجع مدينة بك ، وبرتغال وسمورة ،

وسلمنقة ، وشقرنية ، وقشتالة بعد ان كانت انتظمت للمسلمين في الفتح . وهلك سنة ثمان وخمسين ، وولي ابنه شيلون عشرة سنين . وهلك سنة ثمان وستين فولوا مكانه أدفونش منهم ، ووثب عليه سمول ماط فقتله وملك مكانه سبع سنين . وعلى عقب ذلك استفحل ملك عبد الرحمن بالاندلس ، وأغزى جيوشه أرض جليقية ففتح وغنم وأسر . ثم ولي منهم ادفونش آخر سنة اثنتين وخمسين ، وهلك سنة ثمان وستين فولوا مكانه أدفونش منهم ، ووثب احد ملوكهم المستبدين بأمرهم .

قال ابن حيّان : كانت ولاية رذمير هذا عند ترهب أخيه ادفونش الملك قبله ، وذلك سنة تسع عشرة وثلثمائة على عهد الناصر ، وتهيا للناصر الظهور عليه الى ان كان التمحيص على المسلمين في غزوة الخندق ، وذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، وكانت الواقعة بالخندق وقريباً من مدينة شنت ماكس كما ذكر في أخباره . ثم هلك رذمير سنة تسع وثلاثين وولي اخوه شانجة وكان تياهاً معجباً بطالا فانتقض سلطانه ، ووهن ملك قومه ، وانتزى عليه قوامس دولته فلم يتم لبني ادفونش بعدها ملك مستبد في الجلالقة إلا من بعد ازمان الطوائف وملوكهم كما ذكرناه . وكان اضطراب ملكهم كما نقل ابن حيان على يد فردلند بن عبد شلب قومس البة والقلاع فكان اعظم القوامس ، وهم ولاة الاعمال من قبل الملك الاعظم فانتقض على شانجة البة

وظاهرهم ملك البشكنس على شانجة ، وورد شانجة على الناصر بقرطبة صريخاً فامده ، واستولى بذلك الامداد على سمورة فملكها ، وأنزل المسلمين بها ، واتصلت الحرب بين شانجة وبين فردلند الى ان أسر فردلند في بعض ايام حروبهم ، وحصل في اسر ملك البشكنس على ان ينفذ اليه اسيره فردلند بن عبد شلب قومس البة والقلاع فابى من ذلك، وأطلقه. ووفد على المنتصر اردون بن ادفونش المقارع لشانجة صريخاً سنة احدى وخمسين فأجابه ، وانفذ غالباً مولاه في مدده . ثم هلك شانجة ملك بني ادفونش ببطليوس ، وقام بأمرهم بعده ابنه رذمير ، وهلك أيضاً فردلند بن عبد شلب قومس ألبة ، وولي بعده ابنه غرسية ، ولقي ردمير المسلمين بالثغر في بعض صوائفهم ، وعظمت نكايته بعد مهلك الحكم المستنصر الى ان قيض الله لهم المنصور بن أبي عامر حاجب ابنه هشام فأثخن في عمل رذمير ، وغزاه مراراً وحاصره في سمورة ، ثم في ليون بعد ان زحف الى غرسية بن فردلند صاحب البة ، وظاهر معه ملك البشكنس فغلبها . ثم ظاهروا مع رذمير وزحفوا جميعاً للقائه بشنت ماكس فهزمهم ، واقتحمها عليهم وخربها .

وتشاءم الجلالقة برذمير ، وخرج عليهم عمه بزمند بن اردون ، وافترق امرهم . ثم رجع رذمير طاعة المنصور سنة اربع وسبعين ، وهلك على اثرها فأطاعت امه ، واتفقت الجلالقة على بزمند بن اردون، وعقد له المنصور على سمورة والعيون وما اتصل بهما من

اعمال غليسية الى البحر الاخضر واشترط عليه فقبل . ثم امتعض بزمند لما نزل بالجلالقة عيث المنصور سنة ثمان وسبعين فافتتح حيون ، وحاصره في سمورة ففر عنها ، واسلمها اهلها الى المنصور فاستباحها ، ولم يبق لملك الجلالقة إلا حصون يسيرة بالجبل الحاجز بين بلدهم وبين البحر الاخضر .

ثم اختلف حال بزمند في الطاعة والانتقاض ، والمنصور يردد اليه الغزو حتى أذعن واخفر ذمته [1] الخارج على المنصور فاسلمه اليه سنة خمس وثمانين ، وضرب عليه الجزية . وأوطن المسلمين مدينة سمورة سنة تسع وثمانين ، وولي عليها أبا الاحوص معن بن عبد العزيز التُجَيْبي . ثم سار الى غرسية بن فردلند صاحب البة ، وكان أعان المخالفين على المنصور ، وكان فيمن اعان عليه حين خرج عليه فنازل المنصور مدينة اشبونة ، قاعدة غليسية فملكها وخربها . وهلك غرسيه هذا فولي ابنه شانجة ، وضرب المنصور عليهم الجزية ، وصار اهل جليقة جميعاً في طاعته ، وكانوا كالعمال له إلا بزمند بن ارذون ، ومسد بن عبد شلب قومس غليسية فانهما كانا املك لامرهما . على ان مسدا بعث ابنته للمنصور سنة ثلاث وثمانين وصيرها جارية له فاعتقها وتزوجها .

ثم انتقض بزمند وغزاه المنصور فبلغ شنت ياقب ، موضع حج النصرانية ومدفن يعقوب الحواري من اقصى غليسية ،

(١) كذا بياض بالأصل ولم نهتد إلى التصويب في المراجع التي بين أيدينا .

وأصابها خالية فهدمها ونقل ابوابها الى قرطبة فجعلها في سمت الزيادة التي اضافها الى المسجد الاعظم. ثم تطارح بزمند بن ارذون في السلم وانفذ ابنه يلانة مع معن بن عبد العزيز صاحب جليقيه فوصل به الى قرطبة، وعقد له السلم وانصرف الى ابيه. والحّ المنصور على ارغومس من القوامس، وكانوا في طرف جليقيه بين سمورة وقشتالة، وقاعدتهم شنت برية فافتتحها سنة خمس وثمانين. ثم هلك بزمند بن ارذون ملك بني ادفونش، وولي ابنه ادفونش وهو صاحب بسيط غرسية، واحتكما الى عبد الملك بن المنصور فخرج أصبغ بن سلمة قاضي النصارى للفصل بينهما فقضى به لمسد بن عبد شلب. فلم يزل ادفونش بزمند في كفالته الى ان قتل غيلة سنة ثمان فاستبد ادفونش بأمره وطلب القواميس المقتدرين على أبيه وعلى من سلف من قومه برسوم الملك فحاز ذلك منهم لنفسه وبعث على نواحيهم من عنده، وأذعنوا له وسقط ذكرهم في وقته مثل بني ارغومس وبني فردلند الذين قدمنا ذكرهم، وقد كان قيامهم ايام شانجة بن رذمير من بني ادفونش كما قدمناه. جمعهم ادفونش للقاء عبد الملك المظفر بن المنصور فظاهرهم ملك البشكنس ولقيهم بظاهر فلونية فهزموهم وافتتح الحصن صلحاً.

ثم انقرض أمر المنصور وبنيه، وجاءت الفتنة البربرية على راس المائة الرابعة فانتهز الفرصة في المسلمين صاحب البة، وهو شانجة بن غرسية وصار يظاهر الفرقة الخارجة على الاخرى الى

ان ادرك بعض الامل ، وقتله ملك البشكنس سنة ست واربعمائة وتغلب النصارى على ما كان غلب عليه بقشتالة وجليقيه. ولم يزل ادفونش ملكاً على جليقيه واعمالها . واتصل الملك في عقبه الى أن كان شأن الطوائف . تغلب المرابطون ملوك المغرب من لمتونة على ملوك الطوائف ، واستولوا على الاندلس وانقرض منها ملك العرب أجمع .

وفي تواريخ لمتونة وأخبارهم ان ملك قشتالة الذي ضرب الجزية على ملوك الطوائف سنة خمسين وأربعمائة هو البيطبيين ، ويظهر انه كان متغلباً على شانجة بن ابرك الملك يومئذ من بني ادفونش ، وهو مذكور في اخبارهم ، وانه لما هلك قام بأمره بنوه فردلند وغرسية ورذمير ، وولى امرهم فردلند ، واحتوى على شنت برية وعلى كثير من عمل ابن الافطس . ثم هلك وخلف شانجة وغرسية والفنش فتنازعوا ثم خلص الملك لألفنش ، وعلى عهده مات الظاهر اسمعيل بن ذي النون سنة سبع وستين واربعمائة وهو المستولي على طليطلة سنة ثمان وسبعين ، وهو يومئذ اعتزاز النصرانيه بجزيرة الاندلس ، وكان من بطارقته وقواميس دولته البرهانس فكان يلقب الانبنذور ، ومعناه ملك الملوك. وهو الذي لقي يوسف بن تاشفين بالزلاقة ، وكانت الدائرة عليه ، وذلك سنة احدى وثمانين .

وحاصر ابن هود في سرقسطة ، وكان ابن عمه رذمير منازعاً له فزحف الى طليطلة وحاصرها فامتنعت عليه ، وحاصر القسريلية

وغرسية المرية والبرهانس مرسية وقسطون شاطبة وسرقسطة . ثم استولى على بلنسية سنة تسع وثمانين ، وارتجعها المرابطون من يده بعد ان غلبوا ملوك الطوائف على امرهم .

ثم مات الفنش سنة احدى وخمسمائة ، وقام بأمر الجلالقة زوجته ، وتزوجت رذمير ثم فارقته ، وتزوجت بعده قمطاً من اقماطها ، وجاءت منه بولد كانوا يسمونه السليطين ، واوقع ابن رذمير بابن هود سنة ثلاث وخمسمائة الواقعة المشهورة التي استشهد فيها . وملك ابن رذمير سرقسطة وفر عماد الدولة وابنه الى روطة فأقام الى ان استنزله السليطين ، ونقله الى قشتالة . ثم كانت بين رذمير واهل قشتاله حرب هلك فيها البرهانس سنة سبع وخمسمائة وذاك لآخر أيام المرابطين بلمتونة . ثم انقرض أمرهم على يد الموحدين . وكان امر النصارى لعهد المنصور يعقوب ابن امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن، كان دائراً بين ثلاثة من ملوكهم الفنش والبيبوج وابن الرند ، وكبيرهم الفنش ، وهو اميرهم يوم الارك الذي كان للمنصور عليهم سنة احدى وتسعين وخمسمائة ، والبيبوج صاحب ليون هو الذي مكر بالناصر عام العقاب فداخله وقدم عليه ، وأظهر له التنصيح فبذل له أموالا . ثم غدر به وكر عليه الهزيمة يوم العقاب . ثم هلك الناصر وولي ابنه المستنصر ، وفشل ريح بني عبد المؤمن ، واستولى الفنش على جميع ما افتتحه المسلمون من معاقل الاندلس وارتجعها . ثم هلك الفنش وولي

ابنه هراندة ، وكان احـول ، وكـان يلقب بذلك وهو الذي ارتجع قرطبة واشبيلية مـن أيدي بني هـود ، وعلى عهده زحف ملك ارغون فارتجع شرق الاندلس كله شاطبة ودانية وبلنسية وسرقسطة ، وسائر الثغور والقواعد الشرقية . وانحاز المسلمون الى سيف البحر ، وملكـوا عليهم ابن الاحمـر بعد ولاية ابن هود .

ثم هلك هراندة وولي ابنه ، ثم هلك ابنه وولي ابنه هراندة وأجاز بنو مُرَيْن الى الاندلس صريخاً لابن الاحمر ، وسلطانهم يومئذ يعقوب بن عبد الحق فلقيتـه جموع النصرانية بوادلك ، وعليهم ذنبة من اقماط بني أدفونش وزعمائهم فهزمهم يعقوب بن عبد الحق ، وبقيت فتن متصلة ، ولم يلقه يعقوب ، وإنمـا كان يغزو بلادهم ويكثر فيها العيث إلى أن القوه بالسلم ، وخالف على هراندة ملك قشتالة هذا ابنه شانجة فوفد هراندة عـلى يعقوب بن عبد الحق صريخاً ، وقبل يده فقبل وفادته وأمده بالمال والجيش ورهن في المال التاج المعروف من ذخائر سلفهم فلم يزل بدار بني عبد الحق من بني مرين لهذا العهد .

ثم هلك هراندة سنة ثلاث وثمانين ، واستقل ابنـه شانجة بالملك ، ووفد على يوسف بن يعقوب بالجزيرة الخضراء بعد مهلك أبيه يعقوب ، وعقد معه السلم . ثم انتقض وحاصر طريف وملكها ، وهلك سنة ثلاث وتسعين فولي ابنه هراندة . ثم هلك سنة اثنتي

عشرة وسبعمائة فولي ابنه بطرة صغيراً ، وكفله عمه جران ، وكان نزلها جميعاً على غرناطة عند زحفهما اليها سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، فولي ابنه الهنشة بن بطرة صغيراً ، وكفله زعماء دولتهم. ثم استبد بأمره وزحف الى السلطان أبي الحسن وهو محاصر لطريف سنة احدى وخمسين فهلك في الطاعون الجارف ، وملك ابنه بطرة وقرابته القمط برشلونة فأجاره ملكها ، وزحف اليه بطرة مراراً وتغلّب على كثير من أعماله. وحاصر بلنسية مراراً. ثم اتيح الغلب للقمط سنة ثمان وسبعين وسبعمائة فاستولى على بلاد قشتالة. وزحفت اليه أمم النصرانية لما كانوا سئموا من عنف بطرة وسوء ملكته، ولحق بطرة بامم الفرنجة الذين وراء قشتالة في الجوف بجهات الليمانية وفرطانية الى سيف البحر الاخضر وجزيرة قدوج شنت مزين ملكهم الاعظم ، وهو البلنس غالس . وجاء معه مدداً بامم لا تحصى حتى ملك قشتالة والقرنتيرة ورجعوا عنه الى بلادهم بعد ان أصابهم وباء هلك الكثير منهم .

ثم اتصلت الحرب بين بطرة وأخيه القمط الى ان غلبه القمط ، واعتصم منه بطرة ببعض الحصون ، ونازله القمط ، حتى اذا أشرف على أخذه بعث بطرة الى بعض الزعماء سراً لنيل النزول في جوارة فأجابه ، ووشى به لاخيه القمط فكبسه في بيت ذلك الزعيم وقتله سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة. واستولى القمط على ملك بني ادفونش أجمع ، واستنزل ابن أخيه بطرة من قرمونة .

وقد كان اعتصم بها بعد مهلك أبيه مع وزيره مرتين لبس هو . واستقام له ملك قشتالة ، ونازعه البلنس غالس ملك الافرنجة بالابن الذي هو من بنت بطرة ، على عادة العجم في تمليك ابن البنت محتجاً بأنّ القمط لم يكن لرشدة . واتصلت الحرب بينهما ، وشغله ذلك عن المسلمين فامتنعوا من الجزية التي كانت عليهم لمن قبله . وهلك هذا القمط سنة احدى وثمانين وسبعمائة فملك ابنه شانجة ، وفرّ ابنه الآخر غرمس الى غرناطة . ثم رجع الى نواحي قشتالة ، والامر على ذلك لهذا العهد ، وفتنتهم مع الفنش ملك الفرنج موصولة ، وعاديتهم لذلك عن المسلمين مرفوعة ، والله من ورائهم محيط .

وامّا ملك البرتغال بجهة اشبونة غرب الاندلس ، ومملكته صغيرة ، وهي من أعمال جليقية ، وصاحبها لهذا العهد متميز بسمته . وملكه مشارك لابن ادفونش في نسبه . ولا أدري كيف يتصل نسبه معهم . وامّا ملك برشلونة بجهة شرق الاندلس فعمالتهم واسعة ، ومملكتهم كبيرة تشتمل على برشلونة بجهة وارغون وشاطبة وسرقسطة وبلنسية وجزيرة دانية وميورقة وبنورقة ، ونسبهم في الفرنج ، وسياق الخبر عن ملكهم ما نقل ابن حيان ان الغوط الذين كانوا بالاندلس كانوا قديماً في ملك الفرنج ، ثم اعتزوا عليهم وامتنعوا ونبذو اليهم عهدهم .

وكانت برشلونة من ممالك الفرنج وعمالاتهم فلما جاء الله

بالاسلام ، وكان الفتح ، قعد الفرنج عن نصر الغوط لتلك العداوة فلما انقضى أمر الغوط ، زحف المسلمون الى الفرنج فازعجوهم عن برشلونة وملكوها . ثم تجاوزوا الدروب من ورائها الى البسائط بالبر الكبير فملكوا من قواعدها جزيرة أربونة وما اليها من تلك البسائط .

ثم كانت فترة عند انقراض الدولة الاموية بالمشرق ، وبداية الدولة العباسية افتتن فيها العرب بالاندلس ، وانتهز الفرنج فرصتهم فارتجعوا بلادهم الى برشلونة فملكوها لهذا العهد مائتين من الهجرة ، وولوا عليهم من قبلهم ، وصار أمرها راجعاً الى ملك رومة من الفرنجة ، وهو قارله الاكبر ، وكان من الجبابرة . ثم ركبهم من الخلاف والمنافسة في أوقات ضعفهم واختلاف ملوكهم كالذي ركبه المسلمون من ضعفت يده من الملوك فاقتطع الامراء نواحيهم بكل جهة ، فكان ملوك برشلونة هؤلاء ممن اقتطع عمله ، وكان ملوك بني أمية لاول دولتهم يتراضون بمهادنة هؤلاء الملوك أهل برشلونة حذراً من مدد صاحب رومة ، ثم صاحب القسطنطينية من ورائه . فلما كانت دولة المنصور بن أبي عامر بين اقطاع برشلونة عن ملك الفرنج ، شمر المنصور لغزوهم ، واستباح بلادهم ، وأثخن في أعمالهم ، وافتتح برشلونة وخربها ، وانزل بهم النقمات . وملكهم لعهده بردويل بن سير وكانت حالة الظهور عليه كحاله مع سائر الملوك النصارى .

ولما هلك بردويل ترك من الولد فلبة ورند وأومنقود . ثم انتقض أومنقود على عبد الملك بن المنصور فغزاه وأخذه في بعض ثغوره صلحاً . ثم كانت الفتنة البربرية وحضرها أومنقود فهلك في الوقعة مع البربر سنة أربعمائة ، وانفرد بيمند بملك برشلونة الى ان هلك بعد عشر وأربعمائة ، وملك ابنه يلتنفير وكفلته امه وحاربت يحيى بن منذر من ملوك الطوائف ، وهي التي تغلبت على ثغر طرشوشة ، واتصل الملك في عقب بيمند . وكان الملك منهم لآخر دولة الموحدين جامعة بن بطرة بن ادفونش بن ريند ، وهو الذي ارتجع بلنسية وملكهم بهذا العهد اسمه بطرة . ولم يبلغني كيف اتصال نسبه بقومه . وملك بعد العشرين من هذه المائة وهو حيّ لهذا العهد ، وابنه غالب عليه لكبر سنه . والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

أخبار القائمين بالدولة العباسية من العرب المستبدين بالنواحي ونبدأ منهم ببني الأغلب ولاة افريقية وأولية أمرهم ومصاير أحوالهم

قد ذكرنا في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه شأن فتح افريقية على يد عبد الله بن أبي سرح ، وكيف زحف اليها في عشرين الفاً من الصحابة وكبار العرب ففض جموع النصرانية الذين كانوا بها من الفرنجة والروم والبربر ، وهدم سبيطلة قاعدة ملكهم وخربها ، واستبيحت أموالهم وسبيت نساؤهم وبناتهم ، وأفترق

أمرهم وساخت خيول العرب في جهات افريقية ، وأثخنوا بها في أهل الكفر قتلاً واسراً ، حتى لقد طلب أهل أفريقية من ابن أبي سرح ان يرحل عنهم بالعرب الى بلادهم ، ويعطوه ثلثمائة قنطار من الذهب ففعل ، وقفل الى مصر سنة سبع وعشرين .

معاوية بن خديج

ثم أغزى معاوية بن أبي سفيان معاوية بن خديج السكوني افريقية سنة أربع وثلاثين ، وكان عاملاً على مصر فغزاها ونازل جلولاء ، وقاتل مدد الروم الذي جاءها من قُسْطَنْطِينِيَّة لقيهم بقصر الأحمر فغلبهم ، وأقلعوا الى بلادهم ، وافتتح جلولاء ، وغنم وأثخن وقفل .

عقبة بن نافع

ثم ولّى معاوية سنة خمس وأربعين عُقْبَة بن نافع بن عبد الله بن قيس الفِهْرِيّ على افريقية واقتطعها عن معاوية بن خديج فبنى القيروان ، وقاتل البربر ، وتوغل في أرضهم .

أبو المهاجر

ثم استعمل معاوية على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد فعزل عقبة عن افريقية ، وولى مولاه أبا المهاجر ديناراً سنة خمس وخمسين

فغزا المغرب ، وبلغ الى تِلِمْسان ، وخرب قيروان عقبة واساء عزله ، وأسلم على يديه كسيله الاوربي بعد حرب ظفر به فيها .

عقبة بن نافع ثانيا

ولما استقل يزيد بن معاوية بالخلافة ، رجع عُقْبَةُ بن نافع الى افريقية سنة اثنتين وستين فدخل افريقية ، وقد نشأت الردّة في البربراة فزحف اليهم، وجعل مقدّمته زُهَيْر بن قَيْس البلوي ، وفرّ منه الروم والفرنجة فقاتلهم ، وفتح حصونهم مثل لميس وباغاية ، وفتح أذنة قاعدة الزاب بعد ان قاتله ملوكها من البربر فهزمهم ، وأصاب من غنائمهم ، وحبس أبا المهاجر فلم يزل في اعتقاله . ثم رحل الى طنجة فأطاعه بَلْيان ملك غمارة ، وصاحب طنجة ، وهاداه وأتحفه ودلّه على بلاد البربر وراءه بالمغرب ؛ مثل وليلى عند زرهون ، وبلاد المصامدة وبلاد السوس ، وكانوا على دين المجوسية، ولم يدينوا بالنصرانية فسار عقبة وفتح وغنم وسبى ، وأثخن فيهم وانتهى الى السوس . وقاتل مَسوفَة من أهل اللثام وراء السوس ، ووقف على البحر المحيط وقفل راجعاً ، وأذن لجيوشه في اللحاق بالقَيْرَوان .

وكان كسيلة ملك أروبة والبرانس من البربر قد اضطغن عليه بما كان يعامله به من الاحتصار ، يقال انه كان يحاصره في كل يوم ، ويأمره بسلخ الغنم اذا ذبحت لمطبخه فانتهز فيه الفرصة ،

وأرسل البربر فاعترضوا له في تهودا وقتلوه في ثلثمائة من كبار الصحابة والتابعين ، واستشهدوا كلهم . وأسر في تلك الوقعة محمد ابن أوْس الأَنصاري في نفر فخلصهم صاحب قَفْصَة ، وبعث بهم الى القيروان مع من كان بها من المخلفين والذراري . ورجع زهير ابن قيس الى القيروان ، واعتزم على القتال ، وخالفه حنش بن عبد الله الصَنْعَانِيّ ، وارتحل الى مِصْرَ ، واتبعه الناس فاضطر زهير الى الخروج معهم ، وانتهى الى برقة فأقام بها مرابطاً ، واستأمن من كان بالقيروان الى كسيلة فأمّنهم ، ودخل القيروان واقاموا في عهده .

زهير بن قيس البلوي

ولما ولي عبد الملك بن مروان بعث الى زهير بن قيس بمكانه من برقة بالمدد وولاه حرب البرابرة فزحف سنة سبع وستين ، ودخل افريقية ولقيه كسيلة على ميس من نواحي القيروان فهزمه زهير بعد حروب صعبة ، وقتله واستلحم في الوقعة كثير من أشراف البربر ورجالاتهم . ثم قفل زهير الى المشرق زاهداً في الملك وقال: انما جئت للجهاد، وأخاف ان نفسي تميل الى الدنيا ، وسار الى مصر ، واعترضه بسواحل برقة اسطول صاحب قسطنطينية جاؤا لقتاله فقاتلهم، واستشهد رحمه الله تعالى .

حسان بن النعمان الغساني

ثم ان عبد الملك بن مروان بعد أن قتل عبدالله بن الزبير ، وصفا له الامر امر حسان بن النُعمان الغساني بغزو افريقية ، وامده بالعساكر ، ودخل القيروان وافتتح قَرطاجَنَّة عنوة وخربها وفر من كان بها من الروم والفرنجة الى صِقِلِّيَّة والاندلس . ثم اجتمعوا في صَطَفورة وَبَنْزرت ، وهزمهم ثانية . وانحاز الفل إلى باجة وبونة فتحصنوا بها . ثم سار حسان الى الكاهنة ملكة جِرادَة بجبل اوراس ، وهي يومئذ أعظم ملوك البربر فحاربها ، وانهزم المسلمون وأسر منهم جماعة . وأطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسي فانها أمسكته وأرضعته مع ولديها وصيرتة أخاً لهما . وأخرجت العرب من افريقية ، وانتهى حسان الى برقة ، وجاءه كتاب عبد الملك بالمقام حتى يأتيه المدد . ثم بعث اليه المدد سنة أربع وسبعين فسار الى افريقية ، ودس الى خالد بن يزيد يستعمله فأطلعه على خبرهم ، واستحثه فلقي الكاهنة وقتلها ، وملك جبل اوراس وما اليه ، ودوخ نواحيه وانصرف الى القَيْرَوَان ، وامن البربر ، وكتب الخراج عليهم وعلى من معهم من الروم والفرنج ، على أن يكون معه اثنا عشر ألفاً من البربر لا يفارقونه في مواطن جهاده ورجع الى عبد الملك ، واستخلف على افريقية رجلاً اسمه صالح من جنده .

موسى بن نصير

ولما ولي الوليد بن عبد الملك كتب الى عمه عبدالله، وهو على مصر، ــ ويقال عبد العزيز ــ ان يبعث بموسى بن نصير الى افريقية، وكان أبوه نصير من حرس معاوية فبعثه عبدالله، وقدم القيروان، وبها صالح خليفة حسّان فعقد له، ورأى البربر قد طمعوا في البلاد فوجه البعوث في النواحي، وبعث ابنه عبدالله في البحر الى جزيرة مَيُورْقَة فغنم منها وسبى وعاد. ثم بعثه الى ناحية أخرى وابنه مروان كذلك، وتوجه هو الى ناحية فغنم منها وسبى. وعاد وبلغ الخمس من المغنم سبعين ألف رأس من السُبي. ثم غزا طَنْجَة، وافتتح درعة، وصحراء تافيلالت. وارسل ابنه الى السوس، وأذعن البربر لسلطانه ودولته، وأخذ رهائن المصامدة، وانزلهم بطنجة، وذلك سنة ثمان وثمانين، وولى عليها طارق بن زياد الليثي. ثم اجاز طارق الى الاندلس دعاه اليها يَلْبان ملك غمارة فكان فتح الاندلس سنة تسعين. وأجاز موسى بن نصير على أثره فكمل فتحها كما ذكرناه. ثم قفل موسى الى الشرق واستخلف على افريقية ابنه عبدالله، وعلى الاندلس عبد العزيز، وهلك الوليد، وولي سليمان سنة ست وتسعين فسخط موسى وحبسه.

محمد بن يزيد

ولما ولي سليمان ، وحبس موسى بن نصير عن ابنه عبدالله عن افريقية ، ولى مكانه محمد ابن يزيد مولى قُرَيْش فلم يزل عليها حتى مات سليمان .

اسمعيل بن أبي المهاجر

ولما مات سليمان استعمل عمر بن عبد العزيز على افريقية اسمعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر ، وكان حسن السيرة ، واسلم جميع البربر في أيامه .

يزيد بن أبي مسلم

ولما تولى يزيد بن عبد الملك ، ولي على افريقية يزيد بن ابي مسلم مولى الحجاج ، وكاتبه فقدم سنة احدى ومائة ، واساء السيرة في البربر ، ووضع الجزية على من اسلم من أهل الذمة منهم تأسّياً بما فعله الحجاج بالعراق فقتله البربر لشهر من ولايته . ورجعوا الى محمد ابن يزيد مولى من الانصار الذين كان عليهم قبل اسمعيل ، وكتبوا الى يزيد بالطاعة والعذر عن قتل ابن أبي مسلم فأجابهم بالرضاء ، واقر محمد بن ابي يزيد على عمله .

بشر بن صفوان الكلبي

ثم ولى يزيد على افريقية بشر بن صفوان الكلبي فقدمها سنة

ثلاث ومائة فهدها ، وسكن أرجاءها وغزا بنفسه صقلية سنة تسع ، وهلك مرجعه عنها .

عبيدة بن عبد الرحمن

ثم عزل هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان عن افريقية ، وولى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن السَلَمِيّ وهو ابن اخي أبي الاعور فقدمها سنة عشر .

عبيدة الله بن الحبحاب

ثم عزل هشام عبيدة بن عبد الرحمن ، وولى مكانه عبيدالله بن الحبحاب مولى بني سلول ، وكان والياً على مصر فأمره ان يمضي الى افريقية ، واستخلف على مصر ابنه أبا القاسم وسار الى افريقية فقدمها سنه اربع عشرة ، وبنى جامع تونس ، واتخذ لها دار الصناعة لانشاء المراكب البحرية . وبعث الى طنجه ابنه اسمعيل ، وجعل معه عمر بن عبيد الله المرادي . وبعث على الاندلس عُقْبَة بن حجاج القيسي . وبعث حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وأرض السودان ، وأصاب من مغانم الذهب والفضة والسُّبي كثيراً ، ودوخ بلاد المغرب وقبائل البربر ورجع . ثم اغزاه ثانية في البحر الى صقلية سنة اثنتين وعشرين ، ومعه عبد الرحمن بن حبيب

فنازل سَرَقُوسَة أعظم مدائن صقلية، وضرب عليهم الجزية وأثخن في سائر الجزيرة .

وكان محمد بن عبيدالله بطنجة قد اساء السيرة في البربر ، وأراد أن يخمس[1] من أسلم منهم ، وزعم أنه الفيء فأجمعوا الانتقاض ، وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن ابي عبيدة الى صقلية فسار ميسرة المظفري بدعوة الصُفْرية من الخوارج ، وزحف الى طنجة فقتل عمر بن عبيدالله وملكها ، واتبعه البربر وبايعوه بالخلافة ، وخاطبوه بأمير المؤمنين ، وفشت مقالته في سائر القبائل بافريقية . وبعث ابن الحَبْحاب اليه خالد بن حبيب الفهري فيمن بقي معه من العساكر . واستقدم حبيب ابن أبي عبيدة من صقلية ومن معه من العساكر ، وبعثه في اثر خالد ، ولقيهم ميسرة والبربر بناحية طنجة فاقتتلا قتالا شديداً . ثم تحاجزوا ، ورجع ميسرة الى طنجة فكره البربر سوء سيرته فقتلوه ، وولوا عليهم مكانه خالد بن حبيب الزناتي . واجتمع اليه البربر ، ولقيه خالد ابن حبيب في العرب وعساكر هشام فانهزموا ، وقتل خالد ابن حبيب وجماعة من العرب وسميت بهم غزوة الاشراف ، وانتقضت افريقية على ابن الحبحاب، وبلغ الخبر الى الاندلس فعزلوا عامله عُقْبَة بن الحَجَّاج وولوا عبد الملك بن قَطَن كما مرّ .

---

(١) بمعنى بتقاضى الخمس وهي لفظة عامية .

كلثوم بن عياض

ولما انتهى الخبر الى هشام بن عبد الملك بهزيمة العساكر بالمغرب ، استنقص ابن الحبحاب وكتب اليه يستقدمه ، وولى على افريقية سنة ثلاث وعشرين كُلثوم بن عياض ، وعلى مقدّمته بَلخ بن بشر القُشَيريّ فاساء الى اهل القَيروان ، فشكوا الى حبيب بن أبي عبيدة ، وهو بتِلمْسان موافق للبربر ، فكتب الى كلثوم بن عياض ينهاه ويتهدده فاعتذر واغضى له عنها ، ثم سار واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عُقْبَة ، ومرّ على طريق سُبَيْبَة ، وانتهى الى تلمسان ، ولقي حبيب بن عبيدة واقتتلا ، ثم اتفقا ورجعا جميعاً . وزحف البرابرة إليهم على وادي طنجة وهو وادي سُبوا فانهزم بلخ في الطلائع ، وانتهوا الى كلثوم فانكشف واشتد القتال . وقتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة ، وكثير من الجند وتحيز أهل الشام الى سبتة مع بلخ بن بشر فحاصرهم البرابرة ، وأرسلوا الى عبد الملك بن قطن أمير الاندلس في ان يجيزوا اليه فأجابهم الى ذلك بشرط ان يقيموا سنة واحدة. وأخذ رهنهم على ذلك ، وانقضت السنة ، وطالبهم بالشرط فقتلوه وملك بلخ الاندلس.

وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة ابن عقبة بن نافع لما قتل أبوه حبيب مع كلثوم بن عياض ، وأجاز بلخ الى الاندلس فملكها فأجاز عبد الرحمن الى الاندلس ، يحاول ملكها . فلما جاء

أبو الخطار الى الاندلس من قبل حنظلة أَيِسَ عبد الرحمن من أمرها ، ورجع الى تونس سنة ست وعشرين ، وقد توفي هشام ، وولي الوليد بن يزيد فدعا لنفسه ، وسار الى القيروان ، ومنع حنظلة من قتاله ، وبعث اليه وجوه الجند فانتهز عبد الرحمن الفرصة فيهم وأَوثقهم لئلا يقاتله أصحابهم ، واغذ السير الى القيروان فرحل حنظلة من افريقية ، وقفل الى المشرق سنة سبع وعشرين . واستقل عبد الرحمن بملك افريقية ، وولي مروان بن محمد فكتب له بولايتها ، ثم ثارت عليه الخوارج في كل جهة فكان عمر بن عطاب الأَزْدِيّ بطَبَنْياش ، وعروة بن الوليد الصُفْرِيّ بتونس ، وثابت الصِّنْهاجي بباجة ، وعبد الجبّار بن الحرث بطرابلس على رأي الاباضيّة فزحف عبد الرحمن اليهما سنة احدى وثلاثين فظفر بهما ، وقتلهما ، وسرح أخاه الياس لابن عطاب فهزمه وقتله . ثم زحف الى عروة بتونس فقتله ، وانقطع أمر الخوارج .

وزحف سنة خمس وثلاثين الى جموع من البربر بنواحي تِلِمْسان فظفر بهم ، وقفل . ثم بعث جيشاً في البحر الى صقلّيّة ، وآخر الى سَرْدانية فاثخنوا في امم الفرنج حتى استقروا بالجزاء . ثم دالت دولة بني العباس ، وبعث عبد الرحمن بطاعته الى السفاح ثم الى أبي جعفر من بعده . ولحق كثير من بني أمية الى افريقية . وكان ممن قدم عليه القاضي ، وعبد المؤمن ابنا الوليد بن يزيد ، ومعهما ابنة عم لهما فزوجها عبد الرحمن من أخيه الياس . ثم بلغ

عبد الرحمن عنهما السعي في الخلافة فقتلهما ، وامتعضت لذلك ابنة عمها فاغرت زوجها بأخيه عبد الرحمن واستفسدته . وكان عبد الرحمن قد أرسل الى أبي جعفر بهدية قليلة ، وذهب يعتذر عنها فلم يحسن العذر ، وأفحش في الخطاب فكتب اليه المنصور يتهدده ، وبعث اليه بالخلعة فانتقض هو ومزق خلعته على المنبر فوجد أخوه الياس بذلك السبيل الى ما كان يحاول عليه ، وداخل وجوهاً من الجند في الفتك بعبد الرحمن ، واعادة الدعوة للمنصور ومالأه في ذلك أخوه عبد الوارث وفطن عبد الرحمن لهما فأمر الياس بالمسير الى تونس ، وجاء ليودعه ومعه أخوه عبد الوارث فقتلاه في آخر سبع وثلاثين لعشر سنين من امارته .

حبيب بن عبد الرحمن

ولما قتل عبد الرحمن نجا ابنه حبيب الى تونس فلحق به بعد ان طلبوه ، وضبطوا ابواب القصر ليأخذوه فلم يظفروا به . وكان عمه عمران بن حبيب بتونس فلحق به ، واتبعه الياس فاقتتلوا ملياً ، ثم اصطلحوا على ان يكون لحبيب قفصة وقصطيلة ونفزاوة ، ولعمران تونس وصطفورة ، وهي تبرزو والجزيرة ، ولالياس سائر افريقية . وتم هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين . وسار حبيب الى عمله ببلاد الجريد ، وسار الياس مع اخيه عمران الى تونس فغدر بعمران وقتله وجماعة من الاشراف معه ، وعاد الى القيروان .

وبعث بطاعته الى ابي جعفر المنصور مع عبد الرحمن بن زياد بن انعم قاضي افريقية .

ثم سار حبيب الى تونس فملكها ، وجاءه عمه الياس فقاتله ، وخالفه حبيب إلى القيروان فدخلها وفتق السجون فرجع الياس في طلبه ، وفارقه أكثر اصحابه الى حبيب فلما تواقفا دعاه حبيب الى البراز فتبارزا وقتله حبيب ، ودخل القيروان ، وملكها آخر سنة ثمان وثلاثين ، ونجا عمه الآخر عبد الوارث الى وَرْفَجومَة من قبائل البربر ، وكبيرهم يومئذ عاصم بن جميل ، وكان كاهناً ويدعي النبوة فأجار عبد الوارث ، وقاتلهم حبيب فهزموه الى قابس . واستفحل أمرهم ، وكتب من كان بالقيروان من العرب الى عاصم بن جميل يدعونه للولاية عليهم ، واستخلفوه على الحماية ، والدعاء للمنصور فلم يجب الى ذلك . وقاتلهم فهزمهم ، واستباح القيروان ، وضرب المساجد واستهانها . ثم سار الى حبيب بن عبد الرحمن بقابس فقاتله وهزمه ، ولحق حبيب بجبل أوراس فأجاره أهله ، وجاء عاصم فقاتلهم فهزموه ، وقتل جماعة من أصحابه . وقام بأمر وربجومة والقيروان من بعده عبد الملك ، وقتله سنة أربعين ومائة . وكانت امارة الياس على افريقية سنة ونصفاً ، وامارة حبيب ثلاث سنين .

عبد الملك بن أبي الجعد الوربجومي

ولما قتل عبد الملك بن ابي الجعد حبيب بن عبد الرحمن رجع في قبائل وربجومة الى القيروان وملكها ، واستولت وربجومة على افريقية ، وساروا في اهل القيروان بالعسف والظلم كما كان عاصم واسوأمنه . وافترق أهل القيروان بالنواحي فراراً بأنفسهم ، وشاع خبرهم في الافاق فخرج بنواحي طرابلس عبد الاعلى بن السمح المغافري الاباضي منكـراً لذلـك ، وقصد طرابلس وملكها .

عبد الأعلى بو السمح المغافري

ولما ملك عبد الاعلى مدينة طرابلس ، بعث عبد الملك بن ابي الجعد العساكر لقتاله سنة احدى وأربعين فلقيهم أبو الخطاب وهزمهم ، وأثخن فيهم ، واتبعهم الى القيروان فملكها ، وأخرج وربجومة منها واستخلف عليها عبد الرحمن بن رُسْتُم ، وسار الى طرابلس للقاء العساكر القادمة من ناحية أبي جعفر .

محمد بن الأشعث الخزاعي

كان أبو جعفر المنصور ، لما وقع بافريقية ما وقع من الفتنة وملك قبائل وربجومة القيروان ، وفد عليه رجالات من جند افريقية يشكون ما نزل بهم من وربجومة ، ويستصرخونه فولى

على مصر وافريقية محمد بن الأشعث الخزاعي فنزل مصر ، وبعث على افريقية أبا الاحوص عمرو بن الاحوص العِجْليّ . وسار في مقدمته فلقيه ابو الخطاب عبد الاعلى بسَرْت ، ودهمه بالعساكر ومعهم الاغلب بن سالم بن عِقال ابن خفاجة بن سوادة التميمي فسار لذلك ، ولقي أبا الخطاب بسرت ثانية فانهزم أبو الخطاب ، وقتل عامة أصحابه ، وذلك سنة أربع وأربعين .

وبلغ الخبر الى عبد الرحمن ابن رستم بالقيروان ففر عنها الى تاهرت وبنى هنالك مدينة ونزلها ، وقام ابن الاشعث فافتتح طرابلس ، واستعمل عليها المخارق غِفاراً الطائي ، وقام بأمر افريقية وضبطها . وولى على طَبْنَة والزاب الاغلب بن سالم . ثم ثارت عليه المُضَرية وأخرجوه سنة ثمان واربعين فقفل الى المشرق الاغلب بن سالم . ولما قفل بن الاشعث الى المشرق ولى على المضرية عيسى ابن موسى الخراساني فبعث أبو جعفر المنصور الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي بعده على افريقية ، وكان من اصحاب ابي مسلم بخراسان . وقدم مع ابن الاشعث فولاه على الزاب وطبنة فقدم القيروان ، وسكن الناس . ثم خرج عليه ابو قرة اليَفْرُنيّ في جموع البربر فهرب وسكن (١) فابى عليه الجند وخلعوه . وكان الحسن بن حرب الكندي بقابس فكاتب الجند ، وثبطهم عن الاغلب فلحقوا به ، وأقبل بهم الى القيروان فملكها ،

(١) بياض بالأصل، ولم نعثر على اسم البلدة التي سكن بها في المراجع التي بين أيدينا.

ولحق الأغلَبُ بقابس . ثم رجع الى اقبال الحسن بن حرب سنة خمسين فهزمه ، وسار الى القيروان فكرّ عليه الحسن دونهـا واقتتـلوا ، واصاب الاغلبَ سهم فقتله . وقدّم أصحابه عليهم المغافر بن غِفار الطائي الذي كان على طرابلس ، وحملوا على الحَسَن فانهزم أمامهم الى تونس . ثم لحق بكتامة وخيل المخارق في اتباعة. ثم رجع الى تونس بعد شهرين فقتله الجند ، وقيل اصحاب الاغلب قتلوه في الموقف الذي قتـل فيه الاغلب ، وقام بامر افريقيـة المخارق بن غفار الى ان كان ما نذكره .

عمر بن هزار مرد

ولـما بلـغ أبا جعفر المنصور قَتْـلَ الأغلَبِ بن سالم بعث على افريقية مكانه عمر بن حفص هَزارْمَرْد ، من ولد قبيصة بن أبي صُفْرَة أخي المُهلّب فقدمها سنة احدى وخمسين فاستقـامت أموره ثلاث سنين . ثم سار لبناء السور على مدينة طبنة ، واستخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب المُهلّبي فلمـا توجه لذلك ثار البربر بافريقية ، وغلبوا على من كان بها ، وزحفوا الى القيروان وقاتلوا أبا حازم فقتلوه واجتمع البربر الأباضيّة بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب الاباضي مولى كِنْدَة ، وكان على طرابلس الجُنَيد بن بشار الأَسَدِيّ من قبل عُمَر بن حفص

فأمده بالعساكر ، وقاتلوا أبا حـازم فهزمهم وحصرهم بقابس ، وانقضَّت افريقية من كل ناحية .

ثم ثاروا في عسكر الى طبنة وحاصروا بها عمر بن حفص ، فيهم أبو قرة اليعقوبي في أربعين ألفاً من الصُفْرِيّة وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفاً من الأَباضيَّة جاؤا معه ، والمسور الزناتي في عشرة آلاف من الاباضية ، وأمم من الخوارج ، من صنهاجة وزناتة وهوارة مـا لا يحصى فدافعهم عمر بن حفص بالأَموال ، وفرق كلمتهم وبذل لاصحاب أبي قرة مالاً فانصرفوا . واضطر أبو قرّة لاتّباعهم فبعث عمر جيشاً الى ابن رستم وهو بتهودا فانهزم الى تاهرت وضعف الاباضية عن حِصار طبنة فافرجوا عنها ، وسار أبو حاتم الى القيروان ، وحاصرها ثمانية أشهر ، واشتدّ حِصارها . وسار عمر بن حفص ، وجهز العساكر لطبنـة فخالفه أبو قُرَّة الى طبنة فهزموه . وبلغ أبا حاتم وأصحابه وهو عـلى القيروان مسير عُمَرَ بن حَفص اليهم فساروا للقائه فال هو من الأُرْبس الى تونس، ثم جاء الى القيروان فدخلها واستعدّ للحصـار ، واتبعه أبو حاتم والبربر فحاصروه الى ان جهـده الحصار ، وخرج لقتالهم مستميتاً فقتل آخر سنة أربع وخمسين ، وولي مكانه أخوه لاّمه حميد بن صخر فوادع ابا حاتم على أن يقيم دعوة العباسيـة بالقيروان ، وخرج أكثر الجند الى طبنة ، وأحرق أبو حـاتم أبواب القيروان وثلم سورها .

يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب

ولما بلغ المنصور انتقاض افريقية على عمر بن حفص، وحصاره بطبنة ثم بالقيروان، بعث اليه يزيد بن أبي حاتم بن قبيصة ابن المهلّب بن أبي صُفرة في ستين ألف مقاتل. وبلغ خبره عمر بن حفص فحمله ذلك على الاستماتة حتى قتل، وسار يزيد بن حاتم فقدم عليها، وأبو حاتم يعقوب بن حبيب مستول عليها فسار الى طرابلس للقائه، واستخلف على القيروان عمر بن عثمان الفِهْري فانتقض وقتل أصحابه، وخرج المخارق بن غِفار فرجع اليهما ابو حاتم ففرّا من القيروان، ولحقا بجيجل من سواحل كتامة فتركهما، واستخلف على القيروان عبد العزيز بن السبع المغافري، وسار للقاء يزيد. وسار يزيد الى طرابلس فلحق أبو حاتم بجبال نفوسة، واتبعته عساكر يزيد فهزمهم فسار اليه يزيد بنفسه، وقاتله قتالا شديداً فانهزم البربر، وقتل أبو حاتم في ثلاثين الفاً من أصحابه، وتتبعهم يزيد بالقتل بثأر عمر بن حفص.

ثم ارتحل الى القيروان فدخلها منتصف سنة خمس وخمسين. وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفِهريّ مع أبي حاتم فلحق بكتامة، وبعث يزيد في طلبه فحاصروهم، ثم ظفروا بهم. وهرب عبد الرحمن، وقتل جميع من كان معه. وبعث يزيد المخارق بن غفار على الزاب، ونزل طبنة، وأثخن في البربر في

وقائع كثيرة مع وربجومة وغيرهم الى أن هلك يزيد ، سنة سبعين ومائة في خلافة هرون الرشيد ، وقام بأمره ابنه داود فخرج عليه البربر ، وأوقع بهم ، ورجع الى القيروان الى ان كان من أمره ما نذكر .

أخوه روح بن حاتم

ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم ، وكان أخوه رَوْحٌ على فلَسْطين استقدمه وعزّاه في أخيه ، وولاّه على افريقية فقدمها منتصف احدى وسبعين . وسار داود ابن أخيه يزيد الى الرشيد . وكان يزيد قد أذلّ الخوارج ومهّد البلاد فكانت ساكنة أيام روح ، ورغب في موادعة عبد الوهاب بن رُسْتُم ، وكان من الوَهْبِيَّة فوادعه . ثم هلك روح في رمضان سنة أربع وسبعين ، وكان الرشيد قد بعث بعهده سراً الى نصر بن حبيب من قرابتهم فقام بالأمر بعد روح الى أن ولي الفضل .

ابنه الفضل بن روح

ولما توفي روح بن حاتم قام حبيب بن نصر مكانه ، وسار ابنه الفضل الى الرشيد فولّاه على افريقية مكان أبيه فعاد الى القيروان في محرم سنة سبع وسبعين ، واستعمل على تونس المغيرة ابن أخيه بشر بن روح ، وكان غلاماً غِرّاً فاستخف بالجند ، واستوحشوا من الفضل لما أساء فيهم السيرة ، وأخذهم بموالاة

حبيب بن نصر فاستعفى أهل تونس من المغيرة فلم يعفهم ، فانتقضوا وقدّموا عليهم عبد الله بن الجارود ، ويعرف بعبد رَبِّهِ الأنباري ، وبايعوه على الطاعة ، وأخرجوا المغيرة ، وكتبوا إلى الفضل أن يولّي عليهم من أراد فولى عليهم ابن عمه عبد الله بن يزيد بن أبي حاتم ، وسار الى تونس . ولما قاربها بعث ابن الجارود جماعة لتلقيه، واستفهامه في أي شيء جاء فعدوا عليه وقتلوه افتئاتاً بذلك على ابن الجارود واضطر الى اظهار الخلاف ، وتولى كبر ذلك محمد بن الفارسي من قوّاد الخرسانيَّة ، وكتب الى القوّاد والعمَّال في النواحي ، واستفسدهم على الفضل . وكثر جموع ابن الجارود ، وخرج الفضل فانهزم واتبعه ابن الجارود ، واقتحم عليه القيروان . ووكل بـه وبأهله من يوصلهم الى قابس . ثم ردّه من طريقه وقتله منتصف ثمان وسبعين . ورجع ابن الجارود الى تونس ، وامتعض لقتل الفضل جماعة من الجند وفي مقدمتهم مالك بن المُنذر ووثبوا بالقيروان فملكوها ، وسار اليهم ابن الجارود من تونس فقتلهم ، وقتل مالك بن المنذر وجماعة من أعيانهم ، ولحق فلُّهم بالاندلس فقدّموا عليهم الصلت بن سعيد ، وعادوا الى القيروان واضطربت افريقية .

خزيمة بن أعين

ولما بلغ الرشيد مقتل الفضل بن رَوْحٌ ، وما وقع بافريقية

من الاضطراب ، ولي مكانه خُزَيْمَة بن أَعْيَن ، وبعث الى ابن الجارود يحيى بن موسى لحِلّه عند أهل خُراسان .

ويقال يقطين يرغبه في الطاعة فأجابه بشرط الفراغ من العلاء ابن سعيد . وعلم يقطين أنه يغالطه فداخل صاحبه محمد بن الفارسي، واستماله فنزع عن ابن الجارود . وخرج ابن الجارود من القيروان فراراً من العلاء في محرم سنة تسع وسبعين لسبعة أشهر منولايته وسار للقاء ابن الفارسي من القيروان ، وتزاحفا للقتال فدعا ابن الجارود ابن الفارسي الى خلوة ، وقد دس رجلًا من أصحابه يغتاله في خلوتها فقتله ، وانهزم أصحابه وسابق العلاء بن سعيد ويقطين الى القيروان فسبق اليها العلاء ، وملكها وفتك في أصحاب ابن الجارود . ولحق ابن الجارود بهرثمة فبعث به الى الرشيد ، وكتب إليه أنّ العلاء بن سعيد هو الذي أخرجه من القيروان فأمره بان يبعث بالعلاء فبعث به مع يقطين ، فاعتقل ابن الجارود وأحسن الى العلاء الى أن توفي بمصر .

وسار هرثمة الى القيروان فقدمها سنة سبع وسبعين فأمّن الناس وسكّنهم ، وبنى القصر الكبير بالمنستير لسنة من قدومه ، وبنى السور على طرابلس مما يلي البحر . وكان ابراهيم بن الاغلب عاملًا على الزاب وطبنة فهاداه ، ولاطفه فعقد له على عمله فقام بأمره وحسن أثره . ثم خرج عليه عِياض بن وَهْب الهوّاري ، وكُلَيب بن جميع الكلبي ، وجمعا الجموع فسرح هرثمة اليهما يحيى

ابن موسى من قواد الخراسانية ففرق جموعها ، وقتل كثيراً من أصحابها ، ورجع الى القيروان . ولما رأى هرثمة كثرة الثوار والخلاف بافريقية استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه ، ورجع الى العراق لسنتين ونصف من ولايته .

محمد بن مقاتل الكعبي

ثم بعث الرشيد على افريقية محمد بن مقاتل الكعبي وكان صنيعته فقدم القيروان في رمضان سنة احدى وثمانين ، فكان مسيء السيره فاختلف عليه الجند ، وقدّموا مخلد بن مُرّةَ الأزدي فبعث اليه العساكر فهزم وقتل . ثم خرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي سنة ثلاث وثمانين ، واجتمع اليه الناس ، وسار الى القيروان فخرج اليه محمد بن مقاتل ، ولقيه فانهزم أمامه ورجع الى القيروان ، وتمام في اتباعه الى أن دخل عليه القيروان ، وأمّنه تمام على أن يخرج عن افريقية ، فسار محمد إلى طرابلس ، وبلغ الخبر الى ابراهيم بن الأَغْلَب بمكانه من الزاب فانتقض لمحمد ، وسار بجموعه الى القيران ، وهرب تمام بين يديه الى تونس ، وملك القيروان . واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس ، وأعاده الى امارته بالقيروان آخر ثلاث وثمانين ، وزحف تمام لقتالهم فخرج اليه ابراهيم بن الاغلب بأصحابه فهزمه ، وسار في اتباعه

الى تونس . واستأمن له تمام فأمّنه ، وجاء به الى القيروان وبعث به الى بغداد فاعتقله الرشيد .

ابراهيم بن الأغلب

ولما استوثق الامر لمحمد بن مقاتل ، كره أهل البلاد ولايته، وداخلوا ابراهيم بن الاغلب في أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد في ذلك ، على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت من مصر الى افريقية ، وعلى أن يحمل هو من افريقية أربعين ألفاً . وبلغ الرشيد غناءه في ذلك ، واستشار فيه أصحابه فأشار هرثمة بولايته فكتب له بالعهد الى افريقية ، منتصف أربع وثمانين فقام ابراهيم بالولاية ، وضبط الامور . وقفل ابن مقاتل الى المشرق ، وسكنت البلاد بولاية ابن الاغلب وابتنى مدينة العبَّاسِيَّة قرب القيروان ، وانتقل اليها بجملته . وخرج عليه سنة ست وثمانين بتونس حمديس من رجالات العرب، ونزع السواد فسرّح اليه ابن الاغلب عمْران بن مُجالِد في العساكر فقاتله ، وانهزم حمديس ، وقتل من اصحابه نحو عشرة آلاف .

ثم صرف همه الى تمهيد المغرب الأقصى ، وقد ظهر فيه دعوة العلويّة بادريس بن عبدالله . وتوفي ونصب البرابرة ابنه الأصغر، وقام مولاه راشد بكفالته ، وكبر ادريس ، واستفحل أمره

براشد فلم يزل ابراهيم يدس الى البربر، ويسرب فيهم الاموال حتى قتل راشد، وسيق رأسه اليه. ثم قام بأمر ادريس بعده بهلول عبد الرحمن المظفّر من رؤس البربر فاستفحل أمره، فلم يزل ابراهيم يتلطّفه ويستميله بالكتب والهدايا، الى أن انحرف عن دعوة الادارسة الى دعوة العباسيّة فصالحه ادريس، وكتب اليه يستعطفه بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه. ثم خالف أهل طرابلس على ابراهيم بن الاغلب سنة تسع وثمانين، وثاروا بعاملهم سفيان بن المهاجر، وأخرجوه من داره الى المسجد وقتلوا عامة أصحابه. ثم أمنوه على ان يخرج من طرابلس فخرج سفيان لشهر من ولايته، واستعملوا عليهم ابراهيم ابن سفيان التميمي فبعث اليهم ابراهيم بن الاغلب العساكر، وهزمهم، ودخل طرابلس عسكره.

ثم استحضر ابراهيم الذين تولوا كبر ذلك فحضروا في ذي الحجة آخر السنة، وعفا عنهم وأعادهم الى بلدهم. ثم انتقض عِمْران بن مُجالِد الربعيّ سنة خمس وتسعين على ابن الاغلب. وكان بتونس، واجتمع معه على ذلك قريش بن التونسي، وكثرت جموعهما. وسار عمران الى القيروان فملكها، وقدم عليه قريش من تونس، وخندق ابراهيم على نفسه بالعباسيّة فحاصروه سنة كاملة، كانت بينه وبينهم حروب كان الظفر في آخرها

لابن الاغلب . وكان عمران يبعث الى أسد بن الفرات القاضي في الخروج اليهم وامتنع .

ثم بعث الرشيد الى ابراهيم بالمال فنادى في الناس بالعطاء ، ولحق به اصحاب عمران ، وانتقض أمره ولحق بالزاب فأقام به الى أن توفي ابن الأغلب . ثم بعث ابراهيم على طرابلس ابنه عبد الله سنة ست وتسعين فثار عليه الجند وحاصروه بداره . ثم أمّنوه على ان يخرج عنهم فخرج ، واجتمع اليه الناس ، وبذل العطاء وأتاه البربر من كل ناحية . وزحف الى طرابلس فهزم جندها ودخل المدينة . ثم عزله أبوه وولّى سفيان بن المضاء فثارت هوارة بطرابلس ، وهجم الجند فلحقوا بابراهيم بن الاغلب وأعاد معهم ابنه عبد الله في ثلاثة عشر ألفاً من العساكر ففتك بهوارة ، وأثخن فيهم وجدد سور طرابلس . وبلغ الخبر الى عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم فجمع البربر ، وجاء الى طرابلس فحاصرها وسد عبد الوهاب باب زناتة ، وكان يقاتل من باب هوارة . ثم جاءه الخبر بوفاة أبيه فصالحهم على ان يكون البلد والبحر لعبد الله ، وأعمالها لعبد الوهاب ، وسار الى القيران . وكانت وفاة ابراهيم في شوّال سنة ست وتسعين .

ابنه أبو العباس عبد الله

ولما توفي ابراهيم بن الأغلب عهد لابنه عبد الله ، وكان

غائباً بطرابلس والبربر يحاصرونه كما ذكرناه ، وأوصى ابنه الآخر زيادة الله أن يبايع له بالامارة ففعل ، وأخذ له البيعة على الناس بالقيروان . وكتب اليه بذلك فقدم أبو العباس عبد الله في صفر سنة سبع وتسعين ، ولم يرع حق أخيه فيما فعله . وكان ينتقصه ولم يكن في أيامه فتنة بما مهد له أبوه الامر . وكان جائراً حتى قيل ان مهلكه كان بدعوة حفص بن حميد من الاولياء الصالحين من أهل حَمُّود ومهريك ، وفد عليه في جماعة من الصالحين يشكو ظلامة فلم يصغ اليهم فخرج حفص يدعو عليه ، وهم يؤمنون فأصابته قرحة في أذنه عن قريب هلك منها في ذي الحجة سنة احدى ومائتين لخمس سنين من ولايته .

أخوه زيادة الله

ولما توفي أبو العباس ولي مكانه أخوه زيادة الله وجاءه التقليد من قبل المأمون ، وكتب اليه يأمره بالدعاء لعبد الله بن طاهر على منابره فغضب من ذلك ، وبعث مع الرسول بدنانير من سكة الأدارسة يعرض له بتحويل الدعوة . ثم استأذنه قرابته في الحجّ وهم أخوه الأغلب وأبناء أخيه ابي العباس محمد وابو محمد بهر وابراهيم ابو الأغلب . فأذن لهم ، وانطلقوا لقضاء فرضهم فقضوه ، وأقاموا بمصر حتى وقعت بين زيادة الله وبين الجند الحروب فاستقدمهم ، واستوزر أخاه الأغلب وهاجت الفتن . واستولى كل رئيس بناحية فملكوها عليه كلها ، وزحفوا الى القيروان فحصروه . وكان

فاتحة الخلاف زياد بن سهل بن الصقليّة ، خرج سنة سبع ومائتين وجمع وحاصر مدينة باجة فسرح اليه العساكر فهزموه ، وقتلوا أصحابهِ . ثم انتقض منصور التُرْمُذِيّ بطبنة ، وسار الى تونس فملكها ، وكان العامل عليها اسمعيل بن سفيان ، وسفيان أخو الاغلب فقتله لتُسْتَخلص له طاعة الجند .

وسرح زيادة الله العساكر من القيروان مع غلبون ابن عمه ووزيره ، اسمه الاغلب بن عبد الله بن الأغلب ، وتهدّدهم بالقتل ان انهزموا فهزمهم منصور ، وخشوا على انفسهم ففارقوا الوزير غلبون ، وافترقوا على افريقية ، واستولوا على باجة والجزيرة وصطفورة والاربس وغيرها . واضطربت افريقية ؛ ثم اجتمعوا الى منصور ، وسار بهم الى القيروان فملكها ، وحاصره في العباسية أربعين يوماً ، وعمروا سور القيروان الذي خربه ابراهيم بن الاغلب . ثم خرج اليه زيادة الله فقاتله فهزمه ، وَلحق بتونس . وخرب زيادة الله سور القيروان . ولحق قواد الجند بالبلاد التي تغلبوا عليها . فلحق منهم عامر بن نافع الازرق بسبيبة . وسرح زيادة الله سنة تسع ومائتين عسكراً مع محمد بن عبد الله بن الاغلب فهزمهم عامر وعادوا ، ورجع منصور الى تونس . ولم يبق على طاعة زيادة الله من افريقية إلّا تونس والساحل وطرابلس ونفزاوة .

وبعث الجند الى زيادة الله بالامان ، وأن يرتحل عن افريقية وبلغه انّ عامر بن نافع يريد نفزاوة ، وان برابرتها دعوه فسرح

اليهم مائتي مقاتل لمنع عامر بن نافع فرجّع[1] عامراً عنها ، وهزمه الى قسطيلة ورجع . ثم هرب عنها واستولى سفيان على قسطيلة وضبطها . وذلك سنة تسع ومائتين . واسترجع زيادة الله قسطيلة والزاب وطرابلس ، واستقام أمره . ثم وقعت الفتنة بين منصور الطَّنْبذي وبين عامر بن نافع ، لان منصوراً كان يحسده ويضغن عليه فاستمال عامر الجند وحاصره بقصره بطبندة ، حتى استأمن اليه على ان يركب الى الشرق . وأجابه الى ذلك وخرج منصور من طبندة منهزماً . ثم رجع فحاصره عامر حتى استأمن اليه ثانياً على يد عبد السلام بن المفرّج من قواد الجند ، وأخذ له الامان من عامر على ان يركب البحر الى المشرق فأجابه عامر وبعثه مع ثقاته الى تونس وأوصى ابنه . وكان يغريه ان يقتله اذا مرّ به فقتله ، وبعث برأسه ورأس ابنه .

وأقام عامر بن نافع بمدينة تونس الى أن توفي سنة أربع عشرة . ورجع عبد السلام بن المفرّج الى باجة فأقام بها الى ان انتقض فضل بن أبي العين بجزيرة شريك ، سنة ثمان عشرة ومائتين فسار اليه عبد السلام بن المفرج الربعي ، وجاءت عساكر زيادة الله فقاتلوها ، وقتل عبد السلام . وانهزم فضل الى مدينة تونس وامتنع بها ، وحاصرته العساكر حتى اقتحموها عليه ، وقتلوا كثيراً من أهلها وهرب آخرون حتى أمّنهم زيادة الله وعادوا .

(١) كذا . ولعلها فمنع .

وفي سنة تسع عشرة ومائتين فتح أسد بن الفرات صقليّة . كانت صقلية من عمالات الروم وأمرها راجع الى صاحب قسطنطينية ، وولي عليها سنة احدى عشرة ومائتين بطريقاً اسمه قُسَنْطيل ، واستعمل على الاسطول قائداً من الروم حازماً شجاعاً فغزا سواحل افريقية وانتهبها . ثم بعد مدّة كتب ملك الروم الى قسنطيل يأمره بالقبض على مقدم الاسطول وقتله . ونمى الخبر اليه بذلك فانتفض ، وتعصب له أصحابه ، وسار الى مدينة سرقوسة من بلاد صقليّة فملكها ، وقاتله قسنطيل فهزمه القائد ، ودخل مدينة نطانية فأتبعه جيشاً أخذوه وقتلوه واستولى القائد على صقلية فملكها ، وخوطب بالملك . وولّى على ناحية من الجزيرة رجلاً اسمه بلاطة ، وكان ميخاييل ابن عم بلاطة على مدينة بليرم فانتقض هو وابن عمه على القائد ، واستولى بلاطة على مدينة سرقوسة . وركب القائد في أساطيله الى افريقية مستنجداً بزيادة الله فبعث معهم العساكر ، واستعمل عليهم أسد بن الفرات قاضي القيروان فخرجوا في ربيع سنة اثنتي عشرة فنزلوا بمدينة مأزر ، وساروا الى بلاطة ولقيهم القائد ، وجميع الروم الذين بها استمدّهم فهزموا بلاطة والروم الذين معه ، وغنموا أموالهم .

وهرب بلاطة الى قلوزة فقتل ، واستولى المسلمون على عدّة حُصون من الجزيرة ووصلوا الى قلعة الكرات ، وقد اجتمع بها خلق كثير فخادعوا القاضي أسد بن الفرات في المراودة على

الصلح وأداء الجزية ، حتى استعدّوا للحصار ، ثم امتنعوا عليه فحاصرهم وبعث السرايا في كل ناحية ، وكثرت الغنائم . وحاصروا سرقوسة براً وبحراً ، وجاءه المدد من افريقية وحاصروا بليرم . وزحف الروم الى المسلمين وهم يحاصرون سرقوسة قد بعثوهم ، واشتدّ حصار المسلمين بسرقوسة . ثم أصاب معسكرهم الفناء ، وهلك كثير منهم ، ومات أسد بن الفرات أميرهم ودفن بمدينة قصريانة ، ومعهم القائد الذي جاء يستنجدهم فخادعه أهل قصريانة وقتلوه .

وجاء المدد من القُسْطَنْطِينِيَّةِ فتصافُّوا مع المسلمين وهزموهم ، ودخل فلُّهم الى قصريانة . ثم توفي محمد بن الحواري أمير المسلمين وولي بعده زهير بن عوف . ثم محَّض[1] الله المسلمين فهزمهم الروم مرات ، وحصروهم في معسكرهم حتى جهدهم الحصار ، وخرج من كان في كبركيب من المسلمين بعد أن هدموها وساروا الى مأزر . وتعذر عليهم الوصول الى اخوانهم وأقاموا كذلك الى سنة أربع عشرة الى أن أشرفوا على الهلاك فوصلت مراكب افريقية مدداً واسطول من الاندلس خرجوا للجهاد . واجتمع منهم ثلثمائة مركب فنزلوا الجزيرة ، وأفرج الروم عن حصار المسلمين ، وفتح المسلمون مدينة بليرم بالأَمان سنة سبع عشرة . ثم ساروا

(١) امتحن .

سنة تسع عشرة الى مدينة قصربانـة وهزموا الروم عليهـا سنة عشرين . ثم بعثوا الى طرميس .

ثم بعث زيادة الله الفضل بن يعقوب في سرية الى سرقوسة فغنموا . ثم سارت سرية أخرى واعترضها بطريق صقليّة فامتنعوا منه في وعر وخمل من الشِعْرَاء ، حتى يئس منهم وانصرف على غير طائل فحمل عليهم أهل السريّة وانهزموا ، وسقط البطريق عن فرسه فطعن وجرح ، وغنم المسلمون مـا معهم مـن سلاح ودواب ومتاع . ثم جهز زيادة الله الى صقلية ابراهيم بن عبدالله ابن الاغلب في العساكر ، وولاه أميراً عليهـا فخرج منتصف رمضان ، وبعث اسطولا فلقي أسطولا للروم فغنمه ، وقتل من كان فيه . وبعث اسطولا آخر الى قصورة فلقي اسطولا فغنمه وسارت سرية الى جبل النار والحصون التي في نواحيها وكثر السُبيّ بأيدي المسلمين . وبعث الأغلب سنة احـدى وعشرين أسطولا نحو الجزائر فغنموا وعادوا . وبعث سرية الى قطلبانة وأخرى الى قصريانة كان فيها التمحيص على المسلمين ، ثم كانت وقعة أخرى كان فيها الظفر للمسلمين . وغنم المسلمون من اسطولهم تسع مراكب ، ثم عثر بعض المسلمين عـلى عورة من قصريانة فدل المسلمين عليها ، ودخلوا منها البلد ، وتحصن المشركون بحصنه حتى استأمنوا وفتحه الله ، وغنم المسلمون غنائمه ، وعادوا الى بليرم الى أن وصلهم الخبر بوفاة زيادة الله فوهنوا أوّلا ، ثم

انشطوا وعادوا لي الصبر والجهاد وكانت وفاة زيادة الله منتصف سنة ثلاث وعشرين ومائتين لاحدى وعشرين سنة ونصف من ولايتــه .

أخوهما أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب

ولما توفي زيادة الله بن ابراهيم تولى أخوه الأغلب، ويكنّى أبا عقال فأحسن الى الجند ، وأزال المظالم ، وزاد العمال في أرزاقهم وكفهم عن الرعية . وخرج عليه بقسطيلة خوارج زواغة ولواتة ومكناسة ، وقتلوا عاملها بهــا ، وبعث اليهم العساكر فقتلهم واستأصلهم . وبعث سنة أربع وعشرين سريّة الى صقلية فغنموا وعــادوا ظافرين . وفي سنة خمس وعشرين استأمن للمسلمين عدة حصون من صقلية فأمنوهم ، وفتحوها صلحاً . وسار اسطول المسلمين الى قلورية ففتحوها ولقوا اسطول القسطنطينية فهزموهم وفي سنة ست وعشرين سارت سرايا المسلمين بصقلية الى قصريانة، ثم حصن القيروان ، وأثخنوا في نواحيها كما نذكر . ثم توفي الاغلب ابن ابراهيم في ربيــع من سنة ست وعشرين ومائتين ، لسنتين وسبعة أشهر من امارتة .

ابنه أبو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم

ولما توفي أبو عقــال الأغلب ولي بعده ابنه أبو العبــاس ،

ودانت له افريقية ، وشيَّد مدينة بقرب تاهرت ، وسمَّاها العباسية وذلك سنة سبع وعشرين ، وأحرقها أفلح بن عبد الوهاب بن رستم . وكتب الى صاحب الاندلس يتقرب اليه بذلك فبعث اليه بمائة ألف درهم . وفي أيامه ولي سحنون القضاء سنة أربع وثلاثين بعد عزل ابن الجواد ، وضربه سحنون فمات ، ومات سحنون سنة أربعين ومائتين ، وثار عليه أخوه أبو جعفر وغلبه . ثم اتفقا على ان يستوزره فاستبد عليه ، وقتل وزراءه ومكث على ذلك . ثم أقام أبو العباس محمد بأمره ، واستبدّ سنة ثلاث واربعين بعد ان استعدّ لذلك رجالا ، وحارب أخوه أبو جعفر فغلبه محمد وانتقض عليه ، وأخرجه من افريقية الى مصر سنة ست وأربعين ومائتين لستة عشر شهراً من ولايته .

ابنه أبو ابراهيم أحمد بن أبي العباس محمد

لما توفي أبو العباس محمد بن أبي عقال سنة اثنتين وأربعين ، ولي مكانه ابنه أبو ابراهيم أحمد فأحسن السيرة ، وأكثر العطاء للجند ؛ وكان مولعاً بالعمارة فبنى بافريقية نحواً من عشرة آلاف حِصْن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد . واتخذ العبيد جنداً ؛ وخرج عليه بناحية طرابلس خوارج من البربر فغلبهم عاملها وهو يومئذ أخوه عبد الله بن محمد بن الاغلب ، سرح اليهم أخاهما زيادة الله يحاربهم ، واستلحمهم وكتب الى أخيه أبي ابراهيم بالفتح .

وفي أيامه افتتحت قصريانة من مدن صقليه في شوّال سنة أربع وأربعين ، وبعث بفتحها الى المتوكل ، وأهدى له من سبيها . ثم توفي ابراهيم هذا سنة تسع وأربعين لثمان سنين من ولايته .

ابنه زيادة الله الأصغر بن أبي ابراهيم بن أحمد

ولما توفي ابو ابراهيم ولي مكانه ابنه زيادة الله ، ويعرف بزيادة الله الأصغر فجرى على سنن سلفه ، ولم تطل أيامه . وتوفي سنة خمسين لحول من ولايته .

أخوه أبو الغرانيق بن أبي ابراهيم بن أحمد

ولما توفي زيادة الله كما قدّمناه ، ولي مكانه أخوه محمد ويلقب بابي الغرانيق فغلب عليه اللهو والشراب . وكانت في أيامه حروب وفتن . وفتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين . وتغلّب الروم على مواضع من جزيرة صقلية ، وبنى محمد حصوناً ومحارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة الى جهة المغرب وهي الآن معروفة . ثم توفي ابو الغرانيق منتصف احدى وستين لاحدى عشرة سنة من ولايته .

بقية أخبار صقلية

وفي سنة ثمان وعشرين سار الفضل بن جعفر الهمداني في البحر

ونزل مرسى مسينة وحاصرها فامتنعت عليه ، وبث السرايا في نواحيها فغنموا . ثم بعث طائفة من عسكره وجاؤا الى البلد من وراء جبل مطلّ عليه ، وهم مشغولون بقتاله فانهزموا ، وأعطوا باليد ففتحها . ثم حاصر سنة اثنتين وثلاثين مدينة لسى ، وكاتب أهلها بطريق صقلّية يستمدونه فأجابهم ، وأعطاهم العلامة بايقاد النار على الجبل . وبلغ ذلك الفضل بن جعفر فأوقد النار على الجبل ، وأكمن لهم من ناحيته فخرجوا ، واستطرد لهم ، حتى جاوزوا الكمين فخرجوا عليهم فلم ينج منهم إلّا القليل ، وسلموا البلد على الامان . وفي سنة ثلاث وثلاثين أجاز المسلمون الى ارض انكبردة من البرّ الكبير ، وملكوا منها مدينة وسكنوها وفي سنة أربع وثلاثين صالح أهل رغوس ، وسلموا المدينة للمسلمين فهدموها بعد ان حملوا جميع ما فيها . وفي سنة ثلاث وثلاثين توفي امير صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب ، واجتمع المسلمون بعده على ولاية العبّاس بن الفضل بن يعقوب بعد موت أميرهم . وكتب له محمد بن الاغلب بعهده على صقلية ، وكان من قبل يغزو ويبعث السرايا ، وتأتيه الغنائم . ولما جاءه كتاب الولاية خرج بنفسه ، وعلى مقدّمته عمه رياح فعاث في نواحي صقليّة ، وردد البعوث والسرايا الى قطانية وسرقوسة وبوطيف ورغوس فغنموا وخرّبوا وحرقوا ، وافتتح حصوناً جمة ، وهزم أهل قصريانة ، وهي مدينة ملك صقلية .

وكان الملك قبله يسكن سرقوسة فلما فتحها المسلمون كما ذكرناه انتقل الملك الى قصريانة وأخبر أن العباس كان يردد الغزو الى نواحي سرقوسة وقصريانة شاتية وصائفة فيصيب منهم ، ويرجع بالغنائم والاسارى . فلما كان في شاتية منها أصاب منهم أسارى ، وقدّمهم للقتل فقال له بعضهم وكان له قدر وهيبة استبقني وأنا املك قصريانة، ودلهم على عورة البلد فجاؤها ليلاً ، ووقفهم على باب صغير فدخلوا منه . فلما توسطوا البلد ، وضعوا السيف ، وفتحوا الابواب ودخل العباس في العسكر فقتل المقاتلة وسبى بنات البطارقة ، وأصاب فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الروم بصقلية من يومئذ .

وبعث ملك الروم عسكراً عظيماً مع بعض بطارقته ، وركبوا البحر الى مرسى سرقوسة فجاءهم العباس من بليرم فقاتلهم وهزمهم وأقلع فلّهم الى بلادهم بعد ان غنم المسلمون من اسطولهم ثلاثة أو أكثر ، وذلك سنة سبع وثلاثين . وافتتح بعدها كثيراً من قلاع صقلية ، وجاء مدد الروم من القسطنطينية وهو يحاصر قلعة الروم فنزلوا سرقوسة ، وزحف اليهم العباس من مكانه وهزمهم ورجع الى قصريانة فحصنها وأنزل بها الحامية . ثم سار سنة سبع واربعين الى سرقوسة فغنم ورجع واعتل في طريقه فهلك منتصف سنته ودفن في نواحي سرقوسة ، وأحرق النصارى شلوه ، وذلك لاحدى عشرة سنة من امارته . واتصل الجهاد بصقلية والفتح ،

وأجاز المسلمون الى عدوة الروم في الشمال وغزوا أرض قلورية وانكبرده ، وفتحوا فيها حصوناً وسكن بها المسلمون .

ولما توفي العباس اجتمع الناس على ابنه عبد الله ، وكتبوا الى صاحب افريقية ، وبعث عبد الله السرايا ففتح القلاع ؛ وبعد خمسة أشهر من ولايته وصل خَفاَجة بن سُفيان من افريقية على صقلية في منتصف ثمان واربعين ، وأخرج ابنه محموداً في سرية الى سرقوسة فعاث في نواحيها ، وخرج اليهم الروم فقاتلهم وظفر ورجع. ثم فتح مدينة نوطوس سنة خمس وخمسين وسار الى سرقوسة وجبل النار ، واستأمن اليه أهل طرميس ثم غدروا فسرّح ابنه محمداً في العساكر وسبي اهلها . ثم سار خفاجة الى رغوس وافتتحها ، وأصابه المرض فعاد الى بليرم .

ثم سار سنة ثلاث وخمسين الى سرقوسة وقطانية فخرب نواحيها ، وأفسد زرعها ، وبعث سراياه في ارض صقلية فامتلأت أيديهم من الغنائم . وفي سنة أربع وخمسين وصل بطريق من القسطنطينية لاهل صقلية فقاتله جمع من المسلمين وهزموه ، وعاث خفاجة في نواحي سرقوسة ، ورجع الى بليرم . وبعث سنة خمس وخمسين ابنه محمداً في العساكر الى طرميس ، وقد دلّه بعض العيون على بعض عوراتها فدخلوها وشرعوا في النهب . وجاء محمد ابن خفاجة من ناحية أخرى فظنوه مدداً للعدوّ فاجفلوا ، ورآهم محمد مجفلين فرجع . ثم سار خفاجة الى سرقوسة فحاصرها وعاث

في نواحيها ، ورجع فاغتاله بعض عسكره في طريقه وقتله ، وذلك سنة خمس وخمسين وولى الناس عليهم ابنه محمداً . وكتبوا الى محمد ابن أحمد أمير افريقية فأقرّه على الولاية ، وبعث اليه بعهده .

إبراهيم بن أحمد أخو أبي الغرانيق

ولما توفي ابو الغرانيق ولي أخوه ابراهيم ، وقد كان عهد لابنه أبي عقال ، واستحلف أخاه ابراهيم أن لا ينازعه ولا يعرض له ، بل يكون نائباً عنه الى أن يكبر فلما مات عدا عليه أهل القيروان وحملوه على الولاية عليهم ، لحسن سيرته وعدله فامتنع ، ثم أجاب وترك وصية أبي الغرانيق في ولده أبي عقال ، وانتقل الى قصر الامارة وقام بالامر أحسن قيام . وكان عادلاً حازماً فقطع البغي والفساد ، وجلس لسماع شكوى المتظلمين فأمنت البلاد ، وبنى الحصون والمحارس بسواحل البحر ، حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة للنذير بالعدوّ فيتصل ايقادها بالاسكندرية في الليلة الواحدة وبنى سور سوسة . وفي أيامه كان مسير العباس ابن أحمد بن طولون مخالفاً على أبيه صاحب مصر سنة خمس وستين فملك برقة من يد محمد بن قهرب قائد ابن الاغلب ثم ملك لبدة ، ثم حاصر طرابلس ، واستمدّ ابن قهرب بقوسة فأمدوه ولقي العباس بن طولون بقصر حاتم سنة سبع وستين فهزمه ، ورجع الى مصر .

ثم خالفت وزداجة ومنعوا الرهن ، وفعلت مثل ذلك هوارة ، ثم لواتة ، وقتل ابن قهرب في حروبهم فسرّح ابراهيم ابنه أبا العباس عبد الله اليهم في العساكر سنة تسع وستين فأثخن فيهم . وفي سنة ثمانين كثر الخوارج ، وفرّق العساكر اليهم فاستقاموا ، واستركب العبيد السودان واستكثر منهم فبلغوا ثلاثة آلاف . وفي سنة احدى وثمانين انتقل الى سكنى تونس ، واتخذ بها القصور ثم تحرّك الى مصر سنة ثلاث وثمانين لمحاربة ابن طولون ، واعترضته نفوسة فهزمهم وأثخن فيهم . ثم انتهى الى سرت فانفضت عنه الحشود فرجع ، وبعث ابنه أبا العباس عبد الله على صقلية سنة سبع وثمانين فوصل اليها في مائة وستين مركباً . وحاصر طرابة وانتقض عليه بليرم وأهل كبركيت ، وكانت بينهم فتنة فاغراه كل واحد منهم بالآخرين . ثم اجتمعوا لحربه ، وزحف اليه أهل بليرم في البحر فهزمهم واستباحهم ، وبعث جماعة من وجوهها الى أبيه ، وفرّ آخرون من أعيانهم الى القسطنطينية ، وآخرون الى طرميس فاتبعهم وعاث في نواحيها . ثم حاصر أهل قطانية فامتنعوا عليه فأعرض عن قتال المسلمين . وتجهز سنة ثمان وثمانين للغزو فغزا دمقش ثم مسيني . ثم جاء في البحر الى ربو ففتحها عنوة ، وشحن مراكبه بغنائمها ، ورجع الى مسيني فهدم سورها . وجاء مدد القسطنطينية في المراكب فهزمهم ، وأخذ لهم

ثلاثين مركباً . ثم أجاز الى عدوة الروم وأوقع بأمم الفرنجة من وراء البحر . ورجع الى صقلية .

وجاء في هذه السنة رسول المعتضد بعزل الامير ابراهيم لشكوى أهل تونس به فاستقدم ابنه أبا العباس من صقلية ، وارتحل هو اليها مظهراً لغربة الانتجاع . هكذا قال ابن الرقيق . وذكر انه كان جائراً ظلوماً سفاكاً للدماء ، وانه أصابه آخر عمره ماليخوليا أسرف بسببها في القتل فقتل من خدمه ونسائه وبناته ما لا يحصى . وقتل ابنه أبا الاغلب لظنّ ظنه به . وافتقد ذات يوم منديلًا لشرابه فقتل بسببه ثلثمائة خادم . وامّا ابن الاثير فاثنى عليه بالعقل والعدل وحسن السيرة ، وذكر أن فتح سرقوسة كان في أيامه على يد جعفر بن محمد أمير صقلية ، وأنه حاصرها تسعة أشهر ، وجاءهم المدد من قسطنطينية في البحر فهزمهم . ثم فتح البلد واستباحها .

واتفقوا كلهم على أنه ركب البحر من افريقية الى صقلية فنزل طرابنة ، ثم تحوّل عنها الى بليرم ونزل على دِمَقّش وحاصرها سبعة عشر يوماً . ثم فتح مسيني وهدم سورها . ثم فتح طرميس آخر شعبان من سنة تسع وثمانين ، ووصل ملك الروم بالقسطنطينية ففتحها. ثم بعث حافده زيادة الله ابن ابنه أبي العباس عبد الله الى قلعة بيقش فافتتحها ، وابنه أبو محرز الى رمطة فأعطوه الجزية . ثم عبر الى عدوة البحر وسار في برّ الفرنج ، ودخل

قلورية عنوة فقتل وسبى ورهب منه الفرنجة . ثم رجع الى صقلية ورغب منه النصارى في قبول الجزية فلم يجب الى ذلك . ثم سار الى كَنْسَة فحاصرها ، واستأمنوا اليه فلم يقبل . ثم هلك وهو محاصر لها آخر تسع وثمانين لثمان وعشرين سنة من امارته فولى أهل العسكر عليهم حافده أبا مُضَر ليحفظ العساكر والامور ، الى أن يصل ابنه أبو العباس ، وهو يومئذ بافريقية فأمن أهل كنسة قبل ان يعلموا بموت جدّه ، وقبل منهم الجزية ، وأقام قليلًا حتى تلاحقت به السرايا من النواحي . ثم ارتحل وحمل جدّه ابراهيم فدفنــه في بليرم ، وقال ابن الاثير حمــله الى القيروان فدفنه بها .

ظهور الشيعي بكتامة

وفي أيامه ظهر أبو عبد الله الشيعي بكتامة يدعو للرضا من آل محمد ، ويبطن الدعوة لعُبَيْد الله المهدي من ابنــاء اسمعيل الامام ، واتبعه كتامة ، وهو من الاسباب التي دعته للتوبة والاقلاع ، والخروج الى صقلية . وبعث اليه موسى بن عيَّاش صاحب صلة بالخبر ، وبعث ابراهيم رسوله الى الشيعي بانكجان يهدّده ويحذره فلم يقبل ، وأجابه بما يكره . فلما قربت أمور أبي عبد الله ، وجاء كتاب المعتضد لابراهيم كما قدّمناه أظهر التوبة ، ومضى الى صقليــة ، وكانت بعده بافريقية حروب أبي عبد الله

الشيعي مع قبائل كتامة ، حتى استولى عليهم واتبعوه ، وكان ابراهيم قد أسرّ لابنه أبي العباس في شأن الشيعي ونهاه عن محاربته ، وأن يلحق به الى صقلية ان ظهر عليه .

ابنه أبو العباس عبد الله بن ابراهيم أخي محمد أبي الغرانيق

ولما هلك ابراهيم سنة تسع وثمانين كما قدّمناه ، قدم حافده زيادة الله بالجيوش على أبيه أبي العباس عبد الله فقام بأمر افريقية ، وعظم غَناؤه ، وكتب الى العمال كتابا يقرأ على الناس بالوعد الجميل والعدل والرفق والجهاد واعتقل ابنه زيادة الله هذا لما بلغه عنه من اعتكافه على اللذات واللهو ، وأنه يروم التوثب عليه ، وولى على صقليّة مكانه محمد بن السرقوسي . وكان أبو العباس حسن السيرة عادلاً بصيراً بالحروب ، وكانت أيامه صالحة ، وكان نزوله بتونس . ولما توفي استولى أبو عبد الله الشيعي على كتامة ، ودخلوا في أمره كافة ، وزحف الى ميلة فافتتحها ، وقتل موسى ابن عيّاش . وكان فتح بن يحيى أمير مسالة من كتامة حارب أبا عبد الله طويلاً ، ثم غلبه ، واستولى على قومه فنزع فتح الى أبي العبّاس ، وحرّضه على قتال يكزاخول ، وانما كان يكرّ على جفنة اذا نظر وزحف اليه من تونس سنة تسع وثمانين ، ودخل سطيف ثم يلزمه ؛ وقتل من دخل في دعوتهم . ولقيه أبو عبد الله الشيعي فانهزم وهرب من تاوزرت الى انكجان ، وهدم أبو خول

قصر الشيعي ؛ ثم قاتلهم يوماً الى الليل فانهزم عسكر أبي خول ، ولحق بتونس ، ورجع بكتامة الى مواضعهم . ولما دخل أبو خول بأبيه جدّد له العسكر وأعاده ثانية ، وانتظمت اليه القبائل ، وسار حتى نزل سطيف . ثم ارتحل منها الى لقائهم ، وزحف اليه أبو عبد الله فهزمه ، ورجع الى سطيف ؛ ثم ارتحل منها الى لقائهم . وفي أثناء ذلك صانع زيادة الله بعض الخدم على قتل أبيه أبي العباس فقتل نائماً في شعبان سنة تسعين ومائتين ، واطلق زيادة الله من اعتقاله .

ابنه أبو مضر زيادة الله

ولما أطلق زيادة الله من الاعتقال اجتمع أهل الدولة ، وبايعوا له فقتل الخصيان الذين قتلوا أباه ، وأقبل على اللذات واللهو ومعاشرة المضحكين والصفّاعين ، وأهمل أمور الملك واستقل . وكتب الى أخيه أبي خول على لسان أبيه يستقدمه ، وقدم فقتله ، وقتل عمومته واخوته . وقوي أمر الشيعي ، وانتقل زيادة الله الى رقادة ليلاً لئلا يخالفه الشيعي اليها . وفتح الشيعي مدينة سطيف فسرّح زيادة الله العساكر لحربه ، وعقد عليها لابراهيم ابن حبيش من صنائعه فخرج في أربعين ألفاً ، وأقام بقسطيلة ستة أشهر فاجتمعت اليه مائة ألف ، وزحف الى كتامة ، وتلقوه بأجانة فاخترمت عساكره وولت الهزيمة عليه . وانتهى الى باغاية ، ثم

انتقل الى القيروان ؛ وافتتح أبو عبد الله مدينة طبنة ، وقتل فتح بن يحيى المسالتي ، وكان بها . ثم فتح يلزمة ، وهدم سورها . ثم وصل عروبة بن يوسف من امراء كتامة الى باغاية ، وأوقع بالعساكر التي كانت بها مجمرة لحربهم بنظر هرون بن الطبني .

وأرسل أبو عبد الله الشيعي الى تيجيسن فحاصرها ، ثم افتتحها صلحاً . وكثر الارجاف بالقيروان ففتح زيادة الله ديوان العطاء ، واستلحق واستركب وأجمع الخروج فخرج الى الأربس سنة خمس وتسعين ، فلما انتهى اليها تخوف غائلة الشيعي ، وأشار عليه أهل بيته بالرجوع فرجع الى رقادة ، وقدم على العساكر ابراهيم بن أبي الاغلب من وجوه أهل بيته . ثم زحف أبو عبد الله الى باغاية ففتحها صلحاً ، وهرب عاملها . ثم سرّب أبو عبد الله الجيوش فبلغت مجانة ، وأوقعوا بقبائل نفزة ، واستولوا على تيفاش . وزحف ابن أبي الاغلب الى تيفاش فمنعه أهلها ، وهزموا طلائعه فافتتحها ، وقتل من كان بها . ثم خرج أبو عبد الله الشيعي في عساكر كتامة الى باغاية ثم الى سكاية ؛ ثم الى سبيبة ، ثم الى حمودة فاستولى على جميعها ، وأمّن أهلها ورحل ابن أبي الاغلب من الاربس . ثم سار أبو عبد الله الى قسطيلة وقفصة فأمنهم ، ودخلوا في دعوته ، وانصرف الى باغاية ، ثم الى انكجان . وزحف ابن أبي الاغلب الى باغاية فقاتلها ، وامتنعت عليه ، ورجع الى الاربس . ثم زحف أبو عبد الله الى الاربس

سنة ست وتسعين في جمادى ومرّ بشق بنارية ، وأمّن أهلها الى قودة .

خروج زيادة الله الى المشرق

ولما وصل الخبر الى زيادة الله بوصول الشيعي الى قودة ، حمل أمواله وأثقاله ، ولحق بطرابلس معتزماً على الشرق . وأقبل الشيعي الى افريقية ، وفي مقدمته عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير ، ووصل الى رقادة في رجب سنة ست وتسعين ، وتلقاه أهل القيروان وبايعوا لعبيد الله المهدي كما ذكرناه في أخبارهم ودولتهم . وأقام زيادة الله بطرابلس سبعة عشر يوماً ، وانصرف ومعه ابراهيم ابن الاغلب . وكان نمي عنه أنه أراد الاستبداد لنفسه بالقيروان بعد خروج زيادة الله فاعرض عنه ، واطرحه وبلغ مصر فمنعه عاملها عيسى البرشدي من الدخول إلّا عن أمر الخليفة ، وأنزله بظاهر البلد ثمانية ايام . وانصرف الى ابن الفرات وزير المقتدر يستأذن له في الدخول فأتاه كتابه بالمقام في الرقة ، حتى يأتيه رأي المقتدر فأقام بها سنة . ثم جاءه كتاب المقتدر بالرجوع الى افريقية . وامر النوشزي بامداده بالرجال والمال لاسترجاع الدعوة بافريقية ، ووصل الى مصر فأصابته بها علة مزمنة ، وسقط شعره . ويقال انه سم ، وخرج الى بيت المقدس ومات بها . وتفرّق بنو الاغلب ، وانقطعت أيامهم ، والبقاء لله وحده . والله سبحانه وتعالى أعلم .

دولة بني أبي الحسن الكلبيين

بقية أخبار صقلية ودولة بني الحسن الكلبيين بها من العرب المستبدين بدعوة العبيديين وبداية أمرهم وتصاريف أحوالهم

ولما استولى عبيد الله المهدي على افريقية ودانت له، وبعث العمال في نواحيها بعث على جزيرة صقليّة الحسن بن محمد بن أبي خنزير، من رجالات كتامة، فوصل الى مازر سنة سبع وتسعين في العساكر، فولى أخاه على كبركيت؛ وولى على القضاء بصقليّة اسحق بن المنهال. ثم سار سنة ثمان وتسعين في العساكر الى ومنش فعاث في نواحيها ورجع. ثم شكا أهل صقلية سوء سيرته وثاروا به وحبسوه، وكتبوا الى المهدي معتذرين فقبل عذرهم وولى عليهم أحمد بن قهرب. وبعث سرية الى أرض قلورية فدوّخوها ورجعوا بالغنائم والسبي. ثم أرسل سنة ثلثمائة ابنه علياً الى قلعة طرمين المحدثة ليتخذها حِصْناً لحاشيته وأمواله حذراً من ثورة أهل صقلية فحصرها ابنه ستة أشهر. ثم اختلف عليه العسكر فأحرقوا خيامه، وأرادوا قتله فمنعه العرب، ودعا هو الناس الى المقتدر فأجابوه. وقطع خطبة المهدي، وبعث الاسطول الى افريقية، ولقوا أسطول المهدى وقائده الحسن بن أبي خنزير فقتلوه، وأحرقوا الاسطول.

وسار أسطول بن قهرب الى صفاقس فخربوها وانتهوا الى طرابلس ، وانتهى الخبر الى القائم بن المهدي . ثم وصلت الخلع والالوية من المقتدر الى ابن قهرب . ثم بعث الجيش في الاسطول الى قلورية فعاثوا في نواحيها ورجعوا . ثم بعث ثانية اسطولاً الى افريقية فظفر به اسطول المهدي فانتقض أمره ، وعصى عليه أهل كبركيت ، وكاتبوا المهدي . ثم ثار النـاس بابن قهرب آخر الثلثمائة وحبسوه ، وأرسلوه الى المهدي فأمر بقتله على قبر ابن خنزير في جماعة من خاصته . وولّى على صقلية أبا سعيد بن أحمد ، وبعث معه العساكر من كتامة فركب اليها البحر فنزل في طرابنة ، وعصى عليه أهل صقلية بمن معه من العساكر فامتنعوا عليه ، وقاتله أهل كبركيت وأهل طرابنة فهزمهم وقتلهم . ثم استأمن اليه أهل طرابنة فأمنهم وهدم أبوابهـا . وأمره المهدي بالعفو عنهم .

ثم ولى المهدي على صقليّة سالم بن راشد ، وأمدّه سنة ثلاث عشرة بالعساكر فعبر البحر الى أرض انكبردة فدوّخها ، وفتحوا فيها حصوناً ورجعوا . ثم عادوا اليها ثانية وحاصروا مدينة ادرنت أياماً ، ورحلوا عنها . ولم يزل أهل صقليّة يغيرون على ما بأيدي الروم من جزيرة صقليّة وقلورية ، ويعيثون في نواحيها . وبعث المهديّ سنة اثنتين وعشرين جيشاً في البحر مع يعقوب بن اسحق فعاث في نواحي جنوة ورجعوا . ثم بعث جيشه من قابل ففتحوا

مدينة جنوة ، ومروا بسردانية فأحرقوا فيها مراكب وانصرفوا . ولما كانت سنة خمس وعشرين انتقض أهل كبركيت على أميرهم سالم بن راشد ، وقاتلوا جيشه ، وخرج اليهم سالم بنفسه فهزمهم ، وحصرهم ببلدهم .

واستمد القائم فأمدّه بالعساكر مع خليل بن اسحق ، فلما وصل الى صقلية شكا اليه أهلها من سالم بن راشد ، واسترحمته النساء والصبيان . وجاءه أهل كبركيت وغيرها من أهل صقلية بمثل ذلك فرق لشكواهم ، ودس اليهم سالم بأنّ خليلاً انما جاء للانتقام منهم بمن قتلوا من العسكر فعاودوا الخلاف ، واختط خليل مدينة على مرسى المدينة ، وسماها الخالصة . وتحقق بذلك أهل كبركيت ما قال لهم سالم ، واستعدوا للحرب فسار اليهم خليل منتصف ست وعشرين ، وحصرهم ثمانية أشهر يغاديهم بالقتال ويراوحهم ؛ حتى اذا جاء الشتاء رجع الى الخالصة ، واجتمع أهل صقليّة على الخلاف ، واستمدوا ملك القسطنطينية فأمدّهم بالمقاتلة والطعام . واستمد خليل القائم فأمدّه بالجيش فافتتح قلعة أبي ثور وقلعة البلوط ، وحاصر قلعة بلاطنو الى أن انقضت سنة سبع وعشرين فارتحل عنها وحاصر كبركيت . ثم حبس عليها عسكراً للحصار مع أبي خلف بن هرون ورحل عنها ، وطال حصارها الى سنة تسع وعشرين فهرب كثير من أهل البلد الى بلد الروم ، واستأمن الباقون فأمنهم على النزول عن القلعة .

ثم غدر بهم فارتاع لذلك سائر القلاع وأطاعوا ، ورجع خليل الى افريقية آخر سنة تسع وعشرين ، وحمل معه وجوه أهل كبركيت في سفينة ، وأمر بخرقها في لجة البحر فغرقوا أجمعين . ثم ولّى على صقلية عطاف الأزدي . ثم كانت فتنة أبي يزيد ، وشغل القائم والمنصور بأمره فلما انقضت فتنة أبي يزيد ، عقد المنصور على صقليّة للحسن بن أبي الحسن الكلبي من صنائعهم ووجوه قواده ، وكنيته ابو الغنائم ، وكان له في الدوله محل كبير . وفي مدافعة أبي يزيد غناء عظيم . وكان سبب ولايته أنّ أهل بليرم كانوا قد استضعفوا عطافاً واستضعفهم العدوّ لعجزه ، فوثب به أهل المدينة يوم الفطر من سنة خمس وثلاثين ، وتولّى كِبَر ذلك بنو الطير منهم ، ونجا عطاف الى الحصن ، وبعث للمنصور يعلمه ويستمدّه فولى الحسن بن علي على صقلية، وركب البحر الى مازر ، وأرسى بها فلم يلقه أحد منهم . وأتاه في الليل جماعة من كتامة واعتذروا اليه عن الناس بالخوف من بني الطير . وبعث بنو الطير عيونهم عليه واستضعفوه وواعدوه أن يعودوا اليه فسبق ميعادهم ، ودخل المدينة ، ولقيه حاكم البلد وأصحاب الدواوين ، واضطر بنو الطير الى لقائه ، وخرج اليهم كبيرهم اسمعيل ، ولحق به من انحرف عن بني الطير فكثر جمعه . ودس اسمعيل بعض غلمانه فاستغاث بالحسن من بعض عبيده انه أكره امرأته على الفاحشة ، يعتقد ان الحسن لا يعاقب مملوكه

فتخشن قلوب أهل البلد عليه . وفطن الحسن لذلك فدعا الرجل واستحلفه على دعواه ، وقتل عبده فسر الناس بذلك ، ومالوا عن الطيري وأصحابه ، وافترق جمعهم . وضبط الحسن أمره ، وخشي الروم بادرته فدفعوا اليه جزية ثلاث سنين . وبعث ملك الروم بطريقا في البحر في عسكر كبير الى صقلية ، واجتمع هو والسردغرس . واستمدّ الحسن بن علي المنصور فأمدّه بسبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف وخمسمائة راجل ، وجمع الحسن من كان عنده وسار براً وبحراً . وبعث السرايا في أرض قلورية ، ونزل على ابراجه فحاصرها وزحف اليه الروم فصالحه على مال أخذه ، وزحف الى الروم ففروا من غير حرب . ونزل الحسن على قلعة قيشانة فحاصرها شهراً ، وصالحهم على مال ورجع بالاسطول الى مسيني فشتى بها . وجاءه أمر المنصور بالرجوع الى قلورية فعبر الى خراجة فلقي الروم والسردغرس فهزمهم ، وامتلأ من غنائمهم ، وذلك يوم عرفة سنة أربعين وثلثمائة .

ثم ثار الى خراجة فحاصرها حتى هادنه ملك الروم قسطنطين . ثم عاد الى ربو وبنى بها مسجداً وسط المدينة ، وشرط على الروم أن لا يعرضوا له ، وان من دخله من الاسرى أمن . ولما توفي المنصور وملك ابنه المعزّ سار اليه الحسن ، واستخلف على صقليّة ابنه أحمد ، وأمره المعز بفتح القلاع التي بقيت للروم بصقليّة فغزاها ، وفتح طرمين وغيرها سنة احدى وخمسين ، وأعيته رمطة

فحاصرها فجاءها من القسطنطينية أربعون ألفاً مدداً . وبعث أحمد يستمدّ المعزّ فبعث اليه المدد بالعساكر والاموال مع ابيه الحسن. وجاء مـدد الروم فنزلوا بمرسى مسينة ، وزحفوا الى رومطة ، ومقدّم الجيوش على حصارها الحسن بن عمّار وابن أخي الحسن بن علي فأحاط الروم بهم. وخرج أهل البلد اليهم ، وعظم الامر على المسلمين فاستماتوا ، وحملوا على الروم وعقروا فرس قائدهم منويل فسقط عن فرسه ، وقتل جماعة من البطارقة معه . وانهزم الروم وتتبعهم المسلمون بالقتل ، وامتلأت أيـديهم من الغنائم والاسرى والسُبيّ .

ثم فتحوا رمطة عنوة وغنموا مـا فيها ، وركب فلّ الروم من صقلية وجزيرة رفق في الاسطول ناجين بأنفسهم فاتبعهم الامير احمد في المراكب فحرقوا مراكبهم ، وقتل كثير منهم ، وتعرف هذه الوقعة بوقعة المجـاز ، وكانت سنة أربع وخمسين وأسر فيها الف من عظمائهم ، ومائة بطريق . وجاءت الغنائم والاسارى الى مدينة بليرم حاضرة صقلية ، وخرج الحسن للقائهم فاصابته الحمى من الفرح فمات ، وحزن الناس عليه وولي ابنه احمد باتفاق أهل صقلية بعـد ان ولّى المعزّ عليهم يعيش مولى الحسن فلم ينهض بالامر ووقعت الفتنة بين كتامة والقبائل ، وعجز عن تسكينها. وبلغ الخبر الى المعزّ فولى عليها أبا القـاسم عليّ بن الحسن نيابة عن أخيه أحمد .

ثم توفي أحمد بطرابلس سنة تسع وخمسين ، واستبد بالامارة اخوه ابو القاسم علي ، وكان مدلا محباً . وسار اليه سنة احدى وسبعين ملك الفرنج في جموع عظيمة ، وحصر قلعة رمطة وملكها، وأصاب سرايا المسلمين . وسار الامير ابو القاسم في العساكر من بليرم يريدهم ، فلما قاربهم خام عن اللقاء ورجع ، وكان الفرنج في الاسطول يعاينونه فبعثوا بذلك للملك بردويل فسار في اتباعه ، وادركه فاقتتلوا ، وقتل أبو القاسم في الحرب . وأهم المسلمين أمرهم فاستماتوا ، وقاتلوا الفرنج فهزموهم أقبح هزيمة . ونجا بردويل الى خيامه برأسه ، وركب البحر الى رومة . وولى المسلمون عليهم بعد الامير أبي القاسم ابنه جابر فرحل بالمسلمين لوقته راجعاً ، ولم يعرج على الغنائم . وكانت ولاية الامير أبي القاسم اثنتي عشرة سنة ونصفاً . وكان عادلاً حسن السيرة .

ولما ولي ابن عمه جعفر بن محمد بن علي بن أبي الحسن ، وكان من وزراء العزيز وندمائه استقامت الامور ، وحسنت الاحوال . وكان يحب أهل العلم ويجزل الهبات لهم . وتوفي سنة خمس وسبعين ، وولي أخوه عبد الله فاتبع سيرة أخيه إلى أن توفي سنة تسع وسبعين ، وولي ابنه ثقة الدولة أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي الحسن ، فأنسى بجلائله وفضائله من كان قبله منهم الى أن أصابه الفالج ، وعطل نصفه الايسر سنة ثمان وثمانين . وولي ابنه تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة يوسف فضبط الامور ،

وقام بأحسن قيام ، وخالف عليه أخوه عليّ سنة خمس وأربعمائة مع البربر والعبيد ، فزحف اليـه جعفر فظفر به وقتله ، ونفى البربر والعبيد ، واستقامت أحواله . ثم انقلبت حاله واختلت على يد كاتبه ووزيره حسن بن محمد الباغاني فثار عليه الناس بسببها ، وجاؤا حول القصر ، وأخرج اليهم أبو الفتوح في مِحَفَّة فتلطف بالناس ، وسلم اليهم البـاغاني فقتلوه ، وقتلوا حافده أبا رافع ، وخلع ابنه ابن جعفر ، ورحل الى مصر ، وولى ابنه ابن جعفر سنة عشرة ولقبه بأسد الدولة بن تاج الدولة . ويعرف بالأكحل فسكن الاضطراب واستقـامت الاحوال ، وفوّض الامور الى ابنه ابن جعفر ، وجعل مقـاليد الامور بيده فأساء ابن جعفر السيرة ، وتحامل على صقلية ومال الى أهل افريقية . وضج الناس وشكوا أمرهم الى المعزّ صاحب القيروان ، وأظهروا دعوته فبعث الاسطول فيه ثلثمائة فارس مع ولديه عبدالله وأيوب ، واجتمع أهل صقليّة وحصروا أميرهم الأكحل ، وقتـل وحمل رأسه الى المعزّ سنة سبع عشرة وأربعماية . ثم ندم أهل صقلية على ما فعلوه وثاروا بأهل افريقية ، وقتلوا منهم نحواً من ثلثمائة وأخرجوهم ، وولوا الصمصام أخا الاكحل فاضطربت الامور ، وغلب السفلة على الاشراف . ثم سار أهل بليرم عـلى الصمصام وأخرجوه ، وقدموا عليهم ابن الثمنة من رؤس الاجناد ، وتلقب القادر بالله واستبدّ بمازر ابنه عبدالله قبل الصمصام ، وغلب ابن الثمنة على

ابن الاكحل فقتله واستقل بملك الجزيرة ، الى أن أخذت من يده . ولما استبدّ ابن الثمنة بصقلية تزوّج ميمونة بنت الجراس فتخيل له منها شيء فسقاها السم . ثم تلافاها وأحضر الاطباء فانعشوها ، وأفاقت فندم واعتذر فأظهرت له القبول . واستأذنته في زيارة أخيها بقصريانة ، وأخبرت أخاها فحلف أن لا يردّها ، ووقعت الفتنة وحشد ابن الثمنة فهزمه ابن جراس فانتصر ابن الثمنة بالروم .

وجاء القمص وجاز ابن ينقر بن خبرة ومعه سبعة من اخوته ، وجمع من الافرنج ، ووعدهم بملك صقلية فداخل في بيع ميّة . وقصد قصريانة وحكموا على مروا من المنازل ، وخرج ابن جراس فهزمه ورجع الى افريقية عمر بن خلف بن مكي فنزل تونس ، وولي قضاءها . ولم يزل الروم يملكونها حتى لم يبق الا المعاقل . وخرج ابن الجراس باهله وماله صلحاً سنة أربع وستين وأربعمائة ، وتملكها رجار كلها ، وانقطعت كلمة الاسلام منها ، ودولة الكلبيين وهم عشرة ، ومدّتهم خمس وتسعون سنة . ومات رجار في قلعة مليطو من ارض قلورية سنة أربع وتسعين ، وولي ابنه رجار الثاني وطالت أيامه . وله الف الشريف أبو عبد الله الادريسي كتاب نزهة المشارق في أخبار الآفاق ، وسماه قصار رجار علماً عليه معروفاً به في الشهرة ، والله مقدر الليل والنهار .

الخبر عن جزيرة أقريطش وما كان بها للمسلمين من الملك على يد بني البلوطي الى أن استرجعها العدو

هذه الجزيرة من جزر البحر الرومي ما بين صقلّيّة وقبرص، في مقابلة الاسكندرية على يد الجالية أهل الربض. وذلك أنّ أهل الرَّبض الغَرْبي من قُرْطُبَة، وكان محلة متصلة بقصر الحَكَم ـ ابن هشام فنقموا عليه، وثاروا به سنةاثنتين ومائتين فأوقع بهم الوقعة المشهورة، واستلحمهم وهدم ديارهم ومساجدهم، وأجلى الفلّ منهم الى العُدْوَة، ونزلوا بفاس وغيرها. وغرّب آخرين الى الاسْكَنْدَرِيّة فنزلوا وافترقوا في جوانبها. وتلاحى رجل منهم مع جزّار من سوقة الاسكندرية فنادوا بالثأر، واستلحموا كثيراً من أهل البلد وأخرجوا بقيتهم، وامتنعوا بها وولّوا عليهم أبا حفص عمر بن شُعَيب البَلوطِيّ ويعرف بأبي الفيض، من أهل قرية مطروح، من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة فقام برياستهم. وكان على مِصْرَ يومئذ عبد الله بن طاهر فزحف اليهم، وحصرهم بالاسكندرية فاستأمنوا له فأمّنهم وبعثهم الى جزيرة اقْريطش فعمروها وأميرهم أبو حفص البلوطي. وتداولها بنوه من بعده مدّة من مائة وأربعين سنة، الى أن ملكها أرْيانوس بن قسْطَنْطين ملك القُسْطَنْطِينِيّة من يد عبد العزيز بن شعيب من أعقابه سنة خمس وثلثمائة، واخرجوا المسلمين منها، والله يعيد الكرة ويذهب آثار الكفرة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

أخبار اليمن

أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه للعباسيين والعبيديين وسائر ملوك العرب وابتداء ذلك وتصاريفه على الجملة ثم تفصيل ذلك على مدنه وممالكه واحدة بعد واحدة

قد كنا قدّمنا في أخبار السير النبوية كيف صار اليمن في ملكة الاسلام بدخول عامله في الدعوة الاسلامية ، وهو باذان عامل كسرى ، وأسلم معه أهل اليمن . وأمّره النبيّ صلى الله عليه وسلم على جميع مخاليفها ، وكان منزله صنعاء كرسي التبابِعَة . ولما مات بعد حجة الوداع قسم النبيّ صلى الله عليه وسلم اليمن على عمال من قبله ، وجعل صنعاء لابنه شهربان بن باذان . وذكرنا خبر الأسود العنسِيّ ، وكيف أخرج عمال النبيّ صلى الله عليه وسلم من اليمن ، وزحف الى صنعاء فملكها . وقتل شهربان بن باذان ، وتزوّج امرأته واستولى على اكثر اليمن ، وارتدّ أكثر أهله . وكتب النبيّ صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وعماله ، والى من ثبت على اسلامه فداخلوا زوجة شهربان بن باذان التي تزوّجها في أمره ، على يد ابن عمها فيروز . وتولى كبر ذلك قيس بن عبد يغوث المرادي فبيته هو وفيروز وذاذويه باذن زوجته فقتلوه . ورجع عمال النبيّ صلى الله عليه وسلم الى أعمالهم ، وذلك قبيل الوفاة.

واستبد قَيس بصنعاء ، وجمع الفلّ من جند الأَسْوَد فولى أبو بكر على اليمن فيروز فيمن اليه من الابناء ، وأمر الناس بطاعته فقاتل قيس بن مكشوح وهزمه. ثم ولّى ابو بكر المهاجر ابن أَبي أُمَيّة فقاتل أهل الردّة باليمن ، وكذلك عكرمة بن أبي جهل ، وأمره ان يبدأ بالمرتدّة. ثم دعته عائشة فسار معها وحضر حرب الجمل. وولي على اليمن عبيد الله بن عباس ، ثم أخاه عبد الله . ثم ولى معاوية على صنعاء فيروز الديلمي ، ومات سنة ثلاث وخمسين .

ثم جعل عبد الملك اليمن في ولاية الحجاج لما بعثه لحرب ابن الزبير سنة اثنتين وسبعين . ولما جاءت دولة بني العباس ولّى السفاح على اليمن عمه داود بن علي حتى إذا توفي سنة ثلاث وثلاثين ، ولّى مكانه محمد بن يزيد بن عُبَيْدِ الله بن عبد الملك عبد الدار . ثم تعاقب الولاة على اليمن ، وكانوا ينزلون صنعاء حتى انتهت الخلافة الي المأمون ، وظهرت دعاة الطالبين بالنواحي ، وبايع أبو السرايا من بني شيبان بالعراق لمحمد بن ابراهيم طباطبا ابن اسمعيل بن ابراهيم أخو المهدي ، النفس الزكية ، محمد بن عبد الله بن حسن . وكثر الهرج وفرّق العمال في الجهات ، ثم قتل وبويع محمد بن جعفر الصادق بالحجاز . وظهر باليمن ابراهيم بن موسى الكاظم سنة مائتين ، ولم يتم أمره ، وكان يعرف بالجزار لسفكه الدماء . وبعث المأمون عساكره الى اليمن فدوّخوا

نواحيه وحملوا كثيراً من وجوه الناس فاستقام أمر اليمن كما نذكره .

دعوة زياد بالدعوة العباسية

ولما وفد وجوه أهل اليمن على المأمون ، كان فيهم محمد زياد وَلَد عبد الله بن زياد بن أبي سُفْيان فاستعطف المأمون ، وضمن له حياطة اليمن من العَلَويّين فوصله ، وولاه على اليمن ، وقدمها سنة ثلاث ومائتين . وفتح تَهامَة اليمن ، وهي البلد التي على ساحل البحر الغربي . واختط بها مدينة زبيد ، ونزلها وأصارها كرسيّاً لتلك المملكة . وولى على الجبال مولاه جعفراً ، وفتح تَهامَة بعد حروب من العرب . واشترط على عرب تَهامَة أنْ لا يركبوا الخيل ، واستولى على اليمن أجمع .

ودخلت في طاعته أعمال حضرموت والشِّحْر وديار كِنْدَة ، وصار في مرتبة التبابعة . وكان في صنعاء قاعدة اليمن بنو جعفر من حِمْيَر بقيّة الملوك التبابعة ، استبدّوا بها مقيمين بالدعوة العبّاسيّة ، ولهم مع صنعاء سِحان ونَجْران وجَرَش . وكان أخوهم أسعد بن يعفر ، ثم أخوه قد دخلوا في طاعة ابن زياد ، وولي بعده ابنه ابراهيم ثم ابنه زياد بن ابراهيم ، ثم أخوه أبو الجيش اسحق بن ابراهيم . وطالت مدّته الى ان أسنّ وبلغ الثمانين . وقال عمارة : ملك ثمانين سنة باليمن وحضرموت والجزائر البحرية . ولما بلغه

قتل المتوكّل وخلع المستعين ، واستبداد الموالي على الخلفاء مع ارتفاع اليمن ركب بالمظلّة شأن سلاطين العجم المستبدّين .

وفي أيّامه خرج باليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرسّي بن ابراهيم بن طباطبا بدعوة الزيدية ، جاء بها من السند ، وكان جدّه القاسم قد فرّ الى السند بعد خروج أخيه محمد مع أبي السرايا ، ومهلكه كما مرّ فلحق القاسم بالسند ، وأعقب بها الحسين ثم ابنه يحيى باليمن سنة ثمان وثمانين ، ونزل صَعْدَة وأظهر دعوة الزيدية ، وزحف الى صنعاء فملكها من يد أسعد بن يعفر ، ثم استردّها منه بنو أسعد ، ورجع الى صعدة . وكان شيعته يسمونه الامام ، وعقبه الآن بها . وقد تقدّم خبرهم .

وفي ايام أبي الجيش بن زياد أيضاً ظهرت دعوة العُبَيْديين باليمن فأقام بها محمد بن الفضل بعدن لاعة وجبال اليمن الى جبال المذيخرة سنة أربعين وثلثمائة . وبقي له باليمن من السرجة الى عدن عشرون مرحلة ، ومن مخلافة الى صنعاء خمس مراحل . ولما غلبه محمد بن الفضل بهذه الدعوة امتنع أصحاب الأطراف عليه ؛ مثل بني أسعد بن يعفر بصنعاء ، وسليمان بن طرف بَعثّر ، والامام الرسي بصعدة فسلك معهم طريق المهادنة . ثم هلك أبو الجيش سنة احدى وسبعين وثلثمائة بعد ان اتسعت جبايته وعظم ملكه .

قال ابن سعيد : رأيت مبلغ جبايته وهو ألف ألف مكررة مرتين ، وثلثمائة ألف وستة وستون ألفاً من الدنانير العشرية ما

عدا ضرايبه على مراكب السند ، وعلى العنبر الواصل بباب المندب وعدن ابين ، وعلى مغائص اللؤلؤ ، وعلى جزيرة دهلك ، ومن بعضها وصائف . وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر يهادونه ويخطبون مواصلته . ولما مات خلّف صبياً صغيراً اسمه عبد الله ، وقيل ابراهيم وقيل زياد ، وكفلته اخته ومولاه رشيد الحبشي ، واستبدّ عليهم الى ان انقرضت دولتهم سنة سبع واربعمائة . ثم هلك هذا الطفل فولوا طفلاً آخر من بني زياد أصغر منه . وقال ابن سعيد : لم يعرف عمارة اسمه لتوالي الحجبة عليه ، ويعني عمارة مؤرخ اليمن ، وقيل هذا الطفل الاخير اسمه ابراهيم ، وكفلته عمته ومرجان من موالي الحسن بن سلامة .

واستبد بأمرهم ودولتهم ، وكان له موليان اسم احدهما قيس ، والآخر نجاح فجعل الطفل المملك في كفالته ، وأنزله معه بزبيد . وولى نجاحاً على سائر الاعمال خارج زبيد ، ومنها الكرارة واللجم . وكان يؤثر قيساً على نجاح ، ووقع بينهما تنافر ، ورفع لقيس ان عمة الطفل تميل الى نجاح وتكاتبه دونه فقبض عليها باذن مولاه مرجان ، ودفنها حيةً واستبدّ وركب بالمظلة ، وضرب السكة . وانتقض نجاح لذلك فزحف في العساكر ، وبرز قيس للقائه فكانت بينهما حروب ووقائع ، انهزم قيس في آخرها ، وقتل في خمسة آلاف من عسكره . وملك نجاح زبيد سنة عشر وأربعمائة . ودفن قيساً ومولاه مرجاناً مكان الطفل والعمة ، واستبدّ وضرب

السكة باسمه . وكاتب ديوان الخلافة ببغداد فعقد له على اليمن . ولم يزل مالكاً لتهامة قاهراً لاهل الجبال ، وانتزع الجبال كلها من مولاه الحسن بن سلامة . ولم تزل الملوك تتقي صولته الى أن قتله علي الصليحي القائم بدعوة العُبَيْدِيّين على يد جارية بعث بها اليه سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة فقام بالامر بعده يزيد مولاه كهلان . ثم استولى الصليحي على زبيد وملكها من يده كما يذكر .

الخبر عن بني الصليحي القائمين بدعوة العبيديين باليمن

كان القاضي محمد بن علي الهمداني ثم الصليحي رئيس حران من بلاد همذان ، وينتسب في بني يام ، ونشأ له ولد اسمه علي ، وكان صاحب الدعوة يومئذ عامر بن عبد الله الزواني نسبة الى زَوَايَةَ من قرى حَرّان ، ويقال انه كان عنده كتاب الجفر من ذخائر أبيهم بزعمهم فزعموا انّ علي ابن القاضي محمد مذكور فيه فقرأ على علي عامل الداعي ، وأخذ عنه . ولما توسّم فيه الأهلية أراه مكان اسمه في الجفر وأوصافه . وقال لابيه القاضي احتفظ بابنك فيملك جميع اليمن . ونشأ فقيهاً صالحاً ، وجعل يحجّ بالناس على طريق الطائف والسروات خمس عشرة سنة فطار ذكره ، وعظمت شهرته ، وألقى على ألسنة الناس انه سلطان اليمن . ومات الداعي عامر الزواني فأوصى له بكتبه ، وعهد اليه بالدعوة .

ثم حج بالناس سنة ثمان وعشرين وأربعمائة على عادته ، واجتمع بجماعة من قومه همدان كانوا معه فدعاهم الى النصرة والقيام معه فأجابوه وبايعوه ، وكانوا ستين رجلاً من رجالات قومهم فلما عادوا قام في مسار وهو حِصْنٌ بذروة جبل حمام ، وحصّن ذلك الحصن ، ولم يزل أمره ينمى .

وكتب الى المستنصر صاحب مصر يسأله الاذن في اظهار الدعوة فأذن له ، وأظهرها وملك اليمن كله . ونزل صنعاء واختطّ بها القصور ، وأسكن عنده ملوك اليمن الذين غلب عليهم ، وهزم بني طرف ملوك عَثَّر وتهامة ، وأعمل الحيلة في قتل نجاح مولى بني زياد ملك زبيد ، حتى تم له ذلك على يد جارية أهداها اليه كما ذكرناه سنة اثنتين وخمسين . ثم سار الى مكة بأمر المستنصر صاحب مصر ليمحو منها الدعوة العبّاسيّة والامارة الحَسَنِيّة . واستخلف على صنعاء ابنه المكرّم أحمد ، وحمل معه زوجته أسماء بنت شهاب ، قد سباها سعيد بن نجاح ليلة البيات فكتبت الى ابنها المكرّم اني حبلى من العبد الأحول فادركني قبل ان أضع ، وإلّا فهو العار الذي لا يمحوه الدهر فسار المكرّم من صنعاء سنة خمس وسبعين في ثلاثة آلاف ، ولقي الحبشة في عشرين ألفاً فهزمهم . ولحق سعيد بن نجاح بجزيرة دهلك . ودخل المكرّم الى أمه وهي جالسة بالطاق الذي عنده رأس الصليحي وأخيه فأنزلها ودفنها ورفع السيف ، وولّى خاله أسعد بن شهاب

على أعمال تَهامَة كما كان ، وأنزله بزُبَيد منها ، وارتحل بأمّـه الى صنعاء وكانت تدبر ملكه .

ثم جمع أسعد بن شهاب أموال تَهامَة ، وبعث بها مع وزيره أحمد بن سالم ففرقتها أسماء عـلى وفود العرب . ثم هلكت أسماء سنة سبع وسبعين ، وخرجت زبيد من يد المكرّم ، واستردّها سعيد بن نجـاح سنة تسع وسبعين . ثم انتقـل المكرّم الى ذي جِبْلة سنة ثمانـين ، وولى عـلى صنعاء عِمْران بن الفضل الهمداني فاستبدّ بها ، وتوارثهـا عقبه ، وتسمى ابنـه أحمد باسم السلطان واشتهر به ، وبعده ابنه حاتم بن أحمد ، وليس بعده بصنعاء من له ذكر حتى ملكها بنو سليمان لما غلبهم الهواشم على مكة كما مرّ في أخبارهم .

ولما انتقل المكرّم الى ذي جِبْلة وهي مدينة اختطّها عبدالله ابن محمد الصليحي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وكان انتقـاله باشارة زوجه سيدة بنت أحمد التي صار اليها تدبير ملكه بعد أمّه اسماء فنزلها ، وبنى فيها دار العزّ ، وتحيّل عـلى قتل سعيد بن نجاح فتمّ له كما نذكر في أخبار ابن نجاح . وكان مشغولا بلذّاته محجوباً بزوجته . ولما حضرته الوفاة سنة أربـع وثمانين عهد الى ابن عمه المنصور بن أحمد المظفّر بن علي الصليحي صاحب معقـل أشْيَح ، وأقام بمعقله وسيدة بنت أحمـد بذي جبلة ، وخطبهـا المنصور سبا وامتنعت منه فحاصرها بذي جبلة ، وجاءها أخوها

لأمّها سليمان بن عامر وأخبرها ان المستنصر زوجك منه ، وأبلغها أمره بذلك ، وتلا عليها : « وما كانَ لمؤمن ولا مُؤمِنَةٍ إذا قَضى اللهُ ورَسُولَهُ أمراً أنْ تَكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ من أمْرِهم » وانّ أمير المُؤمنين زوجك من الداعي المنصور أبي حِمْيَر سبا بن أحمد ابن المظفر ، على مائة ألف دينار ، وخمسين ألفاً من أصناف التُحَف واللطائف فانعقد النكاح ، وسار اليها من معقل أشيح الى ذي جبلة . ودخل اليها بدار العز ، ويقال انها شبهت بجارية من جواريها فقامت على رأسه ليلها كله ، وهو لا يرفع الطرف اليها حتى اصبح فرجع الى معقله . وأقامت هي بذي جبلة ، وكان المتولي عليها المفضَّل بن أبي البركات من بني نام رهط الصُلَيحيّ ، واستدعى عشيرته جنبا . وأنزلهم عنده بذي جِبْلة فكان يسطو بهم وكانت سيدة تأتي التَعكُر في الصيف ، وبه ذخائرها وخزائنها فاذا جاء الشتاء رجعت الى ذي جبلة . ثم انفرد المُفَضَّل لقتال نجاح، فرتّب في حصن التعكر فقيها يلقّب بالجمل ، مع جماعة من الفقهاء أحدهم ابراهيم بن زيد بن عمر عمارة الشاعر فبايعوا الجمل ، على ان يمحو الدعوة الإماميّة فرجع المفضل من طريقه ، وحاصرهم ، وجاءت خولان لنصرتهم ، وضايقهم المفضل ، وهلك في حصارهم سنة أربع وخمسمائة ، فجاءت بعده الحرة سيدة وأنزلتهم على عهد فنزلوا ، ووفت لهم به وكفلت عقب المفضل وولده ، وصار معقل التعكر في يد عمران بن الذرّ الخولاني ، وأخيه سليمان .

واستولى عمران على الحرة سيدة مكان المفضل . ولما ماتت استبد عمران وأخوه بحصن التعكر ، واستولى منصور بن المفضل ابن أبي البركات على ذي جبلة ، حتى باعه من الداعي الذريعي صاحب عدن كما يأتي واعتصم بمعقل أشيح الذي كان للداعي المنصور سبا بن أحمد . وذلك انّ المنصور توفي سنة ست وثمانين وأربعمائة ، واختلف أولاده من بعده . وغلب ابنه علي منهم على المعقل ، وكان ينازع المفضل بن أبي البركات ، والحرة سيدة ، وأعياها أمره فتحيّل المفضل بسم أودعه سفرجلاً اهداه اليه فمات منه ، واستولى بنو أبي البركات على بني المظفر في أشيح وحصونه . ثم باع حصن ذي جبلة من الداعي الزريعي صاحب عدن بمائة ألف دينار . ولم يزل يبيع معاقله حِصناً حِصناً حتى لم يبق له غير معقل تعَز ، اخذه منه علي بن مهدي بعد ان ملك ثمانين سنة ، وبلغ من العمر مائة سنة ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

الخبر عن دولة بني نجاح بزبيد موالي بني زياد ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم

ولما استولى الصُلَيحيُّ على زبيد من يد نَجاح ، بعد ان اهلكه بالسم على يد الجارية التي بعثها اليه سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة كما مرّ . وكان لنجاح ثلاثة من الولد مُعارك وسعيد

وَجيَّاش : فقتل معارك نفسه ، ولحق سعيد وجياش بجزيرة دهلك وأقاما هنالك يتعلمان القرآن والآداب . ثم رجع سعيد الى زبيد مُغاضباً لاخيه جياش ، واختفى بها في نفق احتفره تحت الارض ثم استقدم أخاه جياشاً فَقدم وأقاما هنالك في الاختفاء ثم ان المُستَنْصِر العُبَيْدِيّ الخليفة بمصر ، قطع دعوته بمكة محمد بن جعفر أميرها من الهواشم فكتب الى الصليحي يأمره بقتاله ، وحمله على إقامة الدعوة العَلَوِيَّة بمكة فسار عليّ الصليحي لذلك من صنعاء ، وظهر سعيد وأخوه من الاختفاء ، وبلغ خبرهم الصليحي فبعث عسكراً نحواً من خمسة آلاف فارس ، وأمرهم بقتلهما . وقد كان سعيد وجياش خالفا العسكر ، وسارا في اتباع الصليحي وهو في عساكره فبيتوه في اللجم ، وهو متوجه الى مكة فانتقض عسكره وقتل . وتولى قتله جياش بيده سنة ثلاث وسبعين .

ثم قتل عبد الله الصليحي أخا عليّ في مائة وسبعين من بني الصليحي ، وأسر زوجته أسماء بنت عمه شهاب في مائة وخمس وثلاثين من ملوك القحطانيين الذين غلبوا باليمن . وبعث الى العسكر الذين ساروا لقتل سعيد وجياش فأمّنهم واستخدمهم ، ورحل الى زبيد ، وعليها أسعد بن شهاب أخو زوجة الصليحي ، ففرّ أسعد الى صنعاء ، ودخل سعيد الى زبيد ، وأسماء زوجة الصليحي امامه في هودج ، ورأس الصليحي وأخيه عند هودجها .

وأنزلها بدارها ونصب الرأسين قبالة طاقها في الدار . وامتلأت القلوب منه رعباً ، وتلقب نصير الدولة ، وتغلب ولاة الحصون على ما بأيديهم . ودس المكرَّم بن الصليحي بن سعيد بن نجاح بصنعاء على لسان بعض أهل الثغور ، وضمن له الظفر فجاء سعيد لذلك في عشرين ألفاً من الحَبَشَة . وسار اليه المكرم من صنعاء ، وهزمه وحال بينه وبين زبيد فهرب الى جزيرة دهلك ، ودخل المكرم زبيد ، وجاء الى أمه وهي جالسة بالطاق ، وعندها رأس الصليحي واخيه فأنزلهما ودفنهما . وولى على زبيد خاله أسعد سنة سبع وتسعين .

وكتب المكرَّم الى عبد الله بن يَعْفُر صاحب حِصن الشَّعْر بأن يُغري سعيداً بالمكرّم ، وانتزاع ذي جبلة من يده لاشتغاله بلذّاته ، واستيلاء زوجه سيدة بنت أحمد عليه . وانه يلجّ فتمت الحيلة فسار سعيد في ثلاثين ألفا من الحبشة ، وأكمن له المكرّم تحت حصن الشعر فثاروا به هنالك . وانهزمت عساكره وقُتِلَ ونُصِبَ رأسه عند الطاق الذي كان فيها رأس الصليحي بزبيد . واستولى عليها المكرّم ، وانقطع منها ملك الحبشة . وهرب جياش ومعه وزير أخيه خلف بن أبي الظاهر المرواني ، ودخلا عدن متنكرين . ثم لحقا بالهند وأقاما بها ستة اشهر ، ولقيا هنالك كاهنا جاء من سمرقند فبشرهما بما يكون لهما فرجعا الى اليمن ، وتقدم خلف الوزير الى زبيد ، وأشاع موت جَيَّاش ، واستأمن

لنفسه ، ولحق جياش فاقاما هنالك مختفيين وعلى زُبَيد يومئذ أسعد بن شهاب خال المكرّم ومعه عليّ بن القم وزير المكرم ، وكان حنقا على المكرم ودولته فداخله الوزير خلف ، ولاعب ابنه الحسين الشطرنج . ثم انتقل الى ملاعبة أبيه فاغتبط به ، وأطلعه على رأيه في الدولة وكان يتشيع لآل نجاح .

وانتمى بعض الايام ، وهو يلاعب فسمعه علي بن القم ، واستكشف أمره فكشف له القناع واستحلفه ، وجياش أثناء ذلك يجمع أشياعه من الحبشة ، وينفق فيهم الاموال ، حتى اجتمع له خمسة آلاف فثار بهم في زبيد سنة اثنتين وثمانين ونزل دار الامارة ومنّ على اسعد بن شهاب وأطلقه لزُمانة كانت به ، وبقي ملكا على زبيد يخطب للعباسيّين ، والصُلَيحيُّون يخطبون للعُبَيديّين والمكرّم يبعث العرب للغارة على زبيد كل حين ، الى أن هلك جياش على راس المائة الخامسة ، وكانت كنيته ابن القطاي . وكان موصوفا بالعدل . ووليَ بعده ابنه الفاتك صبيّاً لم يحتلم ، ودبروا ملكه . وجاء عمه ابراهيم لقتاله وبرزوا له فثار عبد الواحد بالبلد ، وبعث منصور الى الفضل بن أبي البركات صاحب التعكر فجاء لنصره مضمراً به ، ثم بلغه انتقاض أهل التعكر عليه فرجع ولم يزل منصور في ملكه بزبيد الى ان وزر له ابو منصور عبيدالله فقتله مسموما سنة سبع عشرة وخمسمائة.

ونصب فاتكا ابنه طفلاً صغيراً. واستبد عليه، وقام بضبط

الملك ، وهان عليه التعرّض لآل نجاح حتى هربت منه أم فاتك هذا ، وسكنت خارج المدينة ، وكان قرماً شجاعاً ، وله وقائع مع الاعداء . وحاربه ابن نجيب داعي العَلَوِيَّة فامتنع عليه ، وهو الذي شَيَّد المدارس للفقهاء بزبيد ، واعتنى بالحاج . ثم راود مفارك بنت جياش ، ولم تجد بداً من اسعافه فامكنته ، حتى اذا قضى وطره مسحت ذكره بمنديل مسموم فنثر لحمه . وذلك سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

وقام بأمر فاتك بعده زريق من موالي نجاح . قال عمارة : كان شجاعاً فاتكاً قرماً ، وكان من موالي أم فاتك المختصين بها . قال عمارة : وفي سنة احدى وثلاثين وخمسمائة توفي فاتك بن المنصور ، وولي بعده ابن عمه وسميه فاتك بن محمد بن فاتك ، وسرور قائم بوزارته ، وتدبير دولته ، ومحاربة اعدائه . وكان يلازم المسجد الى ان دس عليه علي بن مهدي الخارجي من قتله في المسجد ، وهو يصلّي العصر يوم الجمعة ثاني عشر صفر سنة احدى وخمسين . وثار السلطان بالقاتل فقتل جماعة من أهل المسجد ، ثم قتل واضطرب موالي نجاح بالدولة ، وثار عليهم ابن مهدي الخارجي ، وحاربهم مراراً ، وحاصرهم طويلاً . واستعانوا بالشريف المنصور احمد بن حمزة السُلَيْمَانِيّ ، وكان يملك صَعْدَة فاغاثهم على ان يملكوه ويقتلوا سيدهم فاتك بن محمد فقتلوه سنة ثلاث وخمسين ومَلَّكوا عليهم الشريف أحمد فعجز عن مقاومة ابن مهدي ، وفرّ

تحت الليل ، وملكها علي بن مهدي سنة أربع وخمسين ، وانقرض أمر آل نجاح ، والملك لله .

الخبر عن دولة بني الزريع بعدن من دعاة العبيديين باليمن وأولية أمرهم ومصايرهم

وعَدَنُ هذه من أمنـع مدائن اليمن ، وهي على ضِفَّة البحر الهندي . وما زالت بلد تجارة من عهد التبابِعَةِ ، واكثر بنائهم بالأَخصَاصِ ، ولذلك يطرقها تجار الحرير كثيراً . وكانت صدر الاسلام دار ملك لبني معن ، ينتسبون الى معن بن زائدة ، وملكوها من أيام المأمون ، وامتنعوا على بني زياد ، وقنعوا منهم بالخطبة والسِكَّة . ولما استولى الداعي علي بن محمد الصليحي رعى لهم ذمام العروبية ، وقرّر عليهم ضريبة يعطونها . ثم اخرجهم منها ابنه أحمد المكرّم ، وولى عليها بني المكرّم من عشيرة جسم بن يام من همذان ، وكانوا أقرب عشائره اليه فأقامت في ولايتهم زمناً . ثم حدثت بينهم الفتنة ، وانقسموا الى فئتين بني مسعود بن المكرّم وبني الزريع بن العباس بن المكرّم . وغلب بنو الزريع بعد حروب عظيمة .

قال ابن سعيد : وأوّل مذكور منهم الداعي بن أبي السعود ابن الزريع ، أوّل من اجتمع له الملك بعد بني الصليحي ، وورثه عنه بنوه ، وحاربه ابن عمه علي بن أبي الغارات بن مسعود بن

المكرّم صاحب الزعازع فاستولى على عدن من يده ، بعد مقاساة ونفقات في الاعراب . ومات بعد فتحها بسبعة أشهر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . وولي ابنه الأغَرّ ، وكان مقيماً بحصن الدمْلَوَة المعقل الذي لا يرام . وامتنع عليه بعده ابن بلال بن الزريع من مواليه ، وخشي محمد بن سبا على نفسه ففرّ الى منصور بن المفضّل من ملوك الجبال الصُلَيْحِيّين بذي جِبْلة .

ثم مات الأغَرّ قريباً فبعث بَلالُ عن محمد بن سبا فوصل الى عدن ، وكان التقليد جاء من مصر باسم الأغَرّ فكتب مكانه محمد بن سبا ، وكان في نعوته الداعي المعظَّم المتوَّج المكنى بسيف أمير المؤمنين فوقعت كلها عليها ، وزوّجه بلال بنته ومكنه من الاموال التي كانت في خزائنه . ثم مات بلال عن مال عظيم ، وورثه محمد بن سبا وأنفقه في سبيل الكرم والمروءات . واشترى حصن ذي جِبْلة من منصور بن المفضَّل بن أبي البرَكات كما ذكرناه . واستولى عليه وهو دار ملك الصليحيين ، وتزوج سيدة بنت عبد الله الصليحي . وتوفي سنة ثمان وأربعين . وولي ابنه عمران بن محمد بن سبا . وكان ياسر بن بلال يدبّر دولته . وتوفي سنة ستين وخمسمائة ، وترك ولدين صغيرين وهما محمد وأبو السعود فحبسهما ياسر بن بلال في القصر ، واستبد بالأمر . وكان ياسر محمد كثير العطية للشعراء . ومِمَّنْ وفد عليه ومدحه ابن قلاقس شاعر الاسكندرية ، ومن قصائده في مدحه :

سافر اذا حاولت قدراً   سار الهلال فصار بدراً

وهو آخر ملوك الزريعيين . ولما دخل سيف الدوله أخو صلاح الدين الى اليمن سنة ست وستين وستمائة ، واستولى عليها جاء الى عدن فملكها ، وقبض على ياسر بن بلال ، وانقطعت دولة بني زريع . وصار اليَمَن للمعزّ ، وفيه ولاتهم بنو أيوب كما نذكر في أخبارهم . وكانت مدينة الحديدة قرب عدن اختطها ملوك الزريعيين فلما جاءت دولة بني ايوب تركوها ونزلوا تعز من الجبال كما يأتي ذكره .

أخبار ابن مهدي الخارجي وبنيه وذكر دولتهم باليمن وبدايتها وانقراضها

هذا الرجل من أهل العثر من سواحل زبيد ، وهو علي بن مهدي الحِمْيَرِيّ . كان أبوه مهدي معروفاً بالصلاح والدين . ونشأ ابنه على طريقته فاعتزل ونسك . ثم حجّ ولقيَ علماء العراق وأخذ الوعظ من وعّاظهم ، وعاد الى اليمن ، واعتزل ولزم الوعظ . وكان حافظاً فصيحاً ، ويخبر بحوادث أحواله فيصدق فمال اليه الناس ، واغتبطوا به ، وصار يتردّد للحج سنة احدى وستين ، ويعظ الناس في البوادي . فاذا حضر الموسم ركب على نجيب له ووعظ الناس . ولما استولت ام فاتك على بني جَيّاش أيام ابنها فاتك بن منصور ، أحسنت فيه المعتقد ، وأطلقت له ولقرابته وأصهاره خرجهم فحسنت أحوالهم ، وأثروا وركبوا الخيول

وكان يقول في وعظه : دنا الوقت ، يشير الى وقت ظهوره . واشتهر ذلك عنه ، وكانت ام فاتك تصل أهل الدولة عنه فلما ماتت سنة خمس وأربعين جاءه أهل الجبال وحالفوه على النصرة. وخرج من تهامة سنة ثمان وثلاثين ، وقصد الكودا فانهزم وعاد الى الجبال ، وأقام الى سنة احدى وأربعين . ثم اعادته الحُرّةُ أم فاتك الى وطنه ، وماتت سنة خمس وأربعين فخرج الى هوازن ، ونزل ببطن منهم يقال له حيوان في حِصنٍ يسمى الشَّرف ، وهو حصن صعب ليس يُرْتَقَى على مسيرة يوم من سفح الجبل ، في طريقه أوعارٌ في وادٍ ضيّق عقبة كؤد. وأصحابه سماهم الانصار ، وسمى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين .

وأمّر للأنصار رجلًا اسمه سبا ، وللمهاجرين آخر اسمه شيخ الاسلام ، واسمه النوبة . واحتجب عمن سواهما . وجعل يشنّ الغارات على أرض تهامة ، وأعانه على ذلك خراب النواحي بزبيد فاخرب سابلتها ونواحيها ، وانتهى الى حصن الداثر على نصف مرحلة من زبيد وأعمل الحِيَل في قتل مسرور مدبر الدولة فقتل كما مرّ وأقام يخيف زبيد بالزحوف . قال عمارة : زاحفها سبعين زحفاً ، وحاصرها طويلًا ، واستمدّ الشريف أحمد بن حمزة السُلَيْماني صاحب صَعْدَة فامدّهم وشرط عليهم قتل سيدهم فاتك فقتلوه سنة ثلاث وخمسين . وملك عليهم الشريف ، ثم عجز وهرب عنهم .

واستولى علي بن مَهْدي عليها في رجب سنة أربع وخمسين ،

ومات لثلاثة اشهر من ولايته. وكان يُخْطَب له بالامام المهدي أمير المؤمنين. وقامع الكفرة والملحدين، وكان على رأي الخوارج يتبرأ من عَلِيّ وعُثْمان ويكفر بالذنوب، وله قواعد وقواميس في مذهبه يطول ذكرها. وكان يقتل على شرب الخمر. قال عمارة: كان يقتل من خالفه من أهل القبلة، ويبيح نساءهم وأولادهم، وكانوا يعتقدون فيه العصمة، وكانت أموالهم تحت يده ينفقها عليهم في مُؤَنهم، ولا يملكون معه مالاً ولا فرساً ولا سلاحاً. وكان يقتل المنهزم من أصحابه، ويقتل الزاني وشارب الخمر وسامع الغناء، ويقتل من تأخر عن صلاة الجماعة، ومن تأخر عن وعظه يوم الاثنين والخميس. وكان حَنَفِيّاً في الفروع. ولما توفي تولى بعده ابنه عبد النبي، وخرج من زبيد، واستولى على اليمن أجمع، وبه يومئذ خمس وعشرون دولة فاستولى على جميعها ولم يبق له سوى عدن ففرض عليها الجزية.

ولما دخل شمس الدولة تورشاه بن أيوب أخو صلاح الدين سنة ست وستين وخمسمائة، واستولى على الدولة التي كانت باليمن فقبض على عبد النبي وامتحنه، وأخذ منه أموالاً عظيمة، وحمله الى عدن فاستولى عليها. ثم نزل زبيد واتخذها كُرْسِيّاً لملكه. ثم استوخمها، وسار في الجبال، ومعه الاطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء ليتخذ فيه سكناه فوقع اختيارهم على مكان تِعِزّ فاختط به المدينة ونزلها. وبقيت كرسياً للملكه وبنيه ومواليهم بني رسول

كما نذكر في أخبارهم . وبانقراض دولة بني المهدي انقرض ملك العرب من اليمن وصار للغُزّ ومواليهم .

قواعد اليمن

ولنذكر الان طرفاً من الكلام على قواعد اليمن ومدنه واحدة واحدة كما اشار اليه ابن سعيد :

اليمن : من جزيرة العرب يشتمل على كراسيّ سبعة للملك تَهامَة والجبال، وفي تهامة مملكتان : مملكة زبيد ومملكة عدن . ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر من البرّين من جهة الحجاز ، الى آخر اعمال عدن دورة البحر الهندي .

قال ابن سعيد : وجزيرة العرب في الاقليم الاول، ويحيط بها البحر الهندى من جنوبها ، وبحر السويس من غربها ، وبحر فارس من شرقها. وكانت اليمن قديماً للتبابعة، وهي اخصب من الحجاز، وأكثر اهلها القحطانية،وفيها من عرب وائل . وملكها لهذا العهد لبني رسول موالي بني أيوب ، ودار ملكهم تعز ، بعد ان نزلوا الحَرّة أولا : وبصَعْدَة من اليمن أئمة الزَيْدِيّة وبزبيد وهي مملكة اليمن شمالها الحجاز، وجنوبها البحر الهندي، وغربها بحر السويس اختطها محمد بن زياد ايام المأمون سنة اربع ومائتين ، وهي مدينة مسوّرة تدخلها عين جارية، تحلها الملوك . وعليها غيطان يسكنونها ايام الغلة . وهي الان من ممالك بني رسول ، وبها كان ملك بني

زياد ومواليهم. ثم غلب عليها بنو الصُلَيحي وقد مرّ خبرهم.

عثّر وحلي والسرجة: من اعمال زبيد في شمالها، وتعرف بأعمال ابن طُرَف، مسيرة سبعة ايام في يومين من السرجة الى حلي، ومكة ثمانية ايام. وعثر هي منبر الملك وهي على البحر، وكان سليمان ابن طرف ممتنعاً بها على ابي الجيش ابن زياد. وكان مبلغ ارتفاعه خمسمائة الف دينار. ثم دخل في طاعته وخطب له وحمل المال. ثم صارت هذه المملكة للسُلَيمانيّين من بني الحسن من امراء مكة، حين طردهم الهواشم عن مكة. وكان غالب بن يحيى منهم يؤدّي الأتاوة لصاحب زبيد، وبه استعان محمد مفلح الفاتكي من سرور. ثم هلك بعدها. ثم عيسى بن حمزة من بنيه. ولما ملك الغُزّ اليمن أخذ يحيى اخو عيسى اسيراً، وسيق الى العراق فحاول عليه عيسى فتخلصه من الاسر. ورجع الى اليمن فقتل اخاه عيسى، ووَلِيَ مكانه المهجم من اعمال زبيد على ثلاثة مراحل عليها، وعربها من العسيرة من حَكَم وجَعفَر قبيلتين منهم. ويجلب منها الزنجبيل.

السرير: آخر اعمال تهامة من اليمن، وهي على البحر دون سور، وبيوتها اخصاص، وملكها راجح بن قتادة سلطان مكة اعوام الخمسين وستمائة. وله قلعة على نصف مرحلة منها.

الزرائب: من الاعمال الشمالية من زبيد، وكانت لابن طرف، واجتمع له فيها عشرون الفاً من الحبشة الذين معه جميعاً. وقال ابن سعيد: في اعمال زبيد والاعمال التي في الطريق الوسطى بين

البحر والجبال. وهي في خط زبيد في شماليها، وهي الجادّة الى مكة. قال عمارة: هي الجادّة السلطانيّة منها الى البحر يوم أوْ دونه. وكذلك الى الجبال. ويجتمع الطريقـان الوسطى والساحلية في السرير ويفترقان.

عدن: من ممالك اليمن في جوف زبيد، وهي كرسي عملها، وهي على ضِفَّةِ البحر الهندي. وكانت بلد تجارة منذ ايام التبابعة، وبعدها عن خطِّ الاستواء ثلاث عشرة درجة، ولا تنبت زرعاً ولا شجراً، ومعاشهم السمك، وهي ركاب الهند من اليمن وأول ملكها لبني معن بن زائدة، استقاموا لبني زياد وأعطوهم الاتاوة. ولما ملك الصُلَيْحِيُّون أقرّهم الداعي. ثم اخرجهم ابنه احمد المكرّم، وولاها بني المكرّم من جَشَمِ بن يام رهطه بهمدان، وصفا الملك فيها لبني الزريع منهم، وقنع منهم بالاتاوة، حتى ملكهـا من ايديهم شمس الدولة بن ايوب كما تقدّم.

عدن أبين: من بينات المدن وهي الى جهة الشِّحْر.

الزعزاع: بِاودية ابن ايوب عدن، وكانت لبني مسعود بن المكرّم المقارعين لبني الزُرَيْع.

الجوّة: اختطها ملوك الزريعيين قرب عدن، ونزلها بنو ايوب ثم انتقلوا الى تعزّ.

حصن ذي جِبْلَة: من حصون مخلاف جعفر، اختطه عبدالله الصليحي اخو الداعي سنة ثمان وخمسين واربعمائة، وانتقل اليه

ابنه المكرّم من حصن صنعاء. وزوجه سيدة بنت احمد المستبدّة عليه، وهي التي تحكّمت سنة ثمانين. ومات المكرم وقد فوّض الامر في الملك والدعوة الى سبا بن احمد بن المظفر الصليحي، وكان في معقل اشيح، وكانت تستظهر بقبيل جَنَب، وكانوا خاملين في الجاهلية فظهروا بمخلاف جعفر. ثم وصل من مصر ابن نجيب الدولة داعياً، ونزل مدينة جَنَد، واعتضد بهمذان فحاربته السيدة بجنب وخولان الى ان ركب البحر وغرق. وكان يتولى أمورها المفضَّل بن أبي البركات بعد زوجها المكرّم، واستولى عليها.

التعكر: من مخلاف جعفر، كان لبني الصليحي، ثم لسيدة من بعدهم، ثم طلبه منها المفضل بن أبي البركات فسلمته اليه، وأقام فيه الى ان سار الى زبيد، وحاصر فيها بني نجاح، وطالت غيبته فثار بالتعكر جماعة من الفقهاء، وقتلوا نائبه، وبايعوا لابراهيم ابن زيدان منهم، وهو عم عمارة الشاعر. واستظهروا بخولان فرجع المفضل وحاصرهم كما ذكرنا ذلك من قبل.

حصن خَدَد: كان لعبدالله بن يعلى الصليحي، وهو من مخلاف جعفر، وكان المفضَّل قد أدخل من خولان في حصون المخلاف عدداً كثيراً في بني بحر وبني منبه ورواح وشعب. فلما مات المفضل وفي كفالته سيدة كما مرّ، وثب مسلم بن الذر من خولان في حصن خدد، وملكه من يد عبدالله بن يعلى الصليحي، ولحق

عبد الله بحصن مصدود، ورشحته سيدة لمكان المفضل، واستخلصته الدولة من مدينة الجند ومن اليمن بأمرها .

حصن مصدود : من حصون مخلاف جعفر وهي خمسة :[1] ذو جبلة والتعكر وحصن خدد . ولما غلبت خولان على حصن خدد من يد عبد الله الصليحي ، ولحق بحصن مصدود ، واستولى عليه منهم زكريا بن شكير البحري، وكان بنو الكردي من حِمْيَر ملوكاً قبل بني الصليحي باليمن ، وانتزع بنو الصليحي ملكهم ، وكان لهم مخلاف بحصونة، ومخلاف مغافر، ومخلاف الجند، وحصن سمندان . ثم استقرّت لمنصور بن المفضل بن أبي البركات ، وباعها من بني الزريع كما مرّ .

صنعاء : قاعدة التبابعة قبل الاسلام ، وأول مدينة اختطت باليمن ، وبنتها فيما يقال عاد ، وكانت تسمى أوال من الأَوّلية بلغتهم . وقصر غَمْدان قريب منها أحد البيوت السبعة ، بناه الضحاك باسم الزُهَرَة ، وحجت اليه الأُمم، وهدمه عثمان. وصنعاء اشهر حواضر اليمن ، وهي فيما يقال معتدلة ، وكان فيها أول المئة الرابعة بنو يَعْفُر من التبابعة ، ودار ملكهم كحلان ، ولم يكن لها نباهة في الملك الى ان سكنها بنو الصليحي ، وغلب عليها الزيدية ، ثم السليمانيون من بعد بني الصليحي .

قلعة كحلان : من اعمال صنعاء لبني يعفر من التبابعة، بناها

---

(١) قوله وهي خمسة ، المعدود هنا أربعة ، منها حصن مصدود.

قرب صنعاء ابراهيم ، وكانت له صعدة ونجران . واعتصم بنو يعفر بقلعة كحلان وقال البيهقي : سيد قلعة كحلان أسعد بن يعفر ، وحارب بني الرسي وبني زياد أيام أبي الجيش .

حصن الصمدان : من اعمال صنعاء ، كانت فيه خزائن بني الكردي الحميريّين الى ان ملكه علي الصليحي، ورد عليهم المكرّم بعض حصونهم الى ان انقرض امرهم على يد ابن مهدي . وكان لهم مخلاف [1] جعفر الذي منه مدينة ذي جبلة ، ومعقل التعكر وهو مخلاف الجند ومخلاف معافر مقر ملكهم السمدان ، وهو أحصن من الدمولة .

قلعة منهاب : من قلاع صنعاء بالجبال ملكها بنو زريع ، واستبد بها منهم الفضل بن علي بن راضي بن الداعي محمد بن سبا ابن زُرَيع نعته صاحب الجزيرة بالسلطان . وقال : كانت له قلعة منهاب، وكان حياً سنة ست وثمانين وخمسائة ، وصارت بعده لاخيه الاغرّ أبي علي .

جبل الدبجرة : وهو بقرب صنعاء ، وقد اختط جعفر مولى بني زياد سلطان اليمن مخلاف جعفر فنسب اليه .

عدن لاعة : بجانب الدبجرة ، اول موضع ظهرت فيه دعوة الشيعة باليمن ؛ ومنها محمد بن المفضل الداعي . ووصل اليها أبو

(١) في لسان العرب . . . وقال الليث : يقال فلان من مخلاف كذا وكذا وهو عند اليمنيين كالرستاق، والجمع مخاليف.

عبد الله الشيعي صاحب الدعوة بالمغرب. وفيها قرأ على عليّ بن محمد الصليحي صبياً، وهي دار دعوة اليمن. كان محمد بن المفضل داعياً على عهد أبي الجيش بن زياد وأسعد بن يعفر.

بيجان: ذكرها عمارة في المخاليف الجَبلِيَّة، وملكها نستوان ابن سعيد القحطاني.

تعمر: من أجلّ معاقل الجبال المطلة على تَهامة، ما زال حِصْناً الملوك، وهو اليوم كرسي لبني رسول ومعدود في الامصار. وكان به من ملوك اليمن منصور بن المفضل بن أبي البركات، وبنو المظفر، وورثها عنه ابنه منصور ثم باعها حصناً حصناً من الداعي بن المظفر والداعي الزريعي، الى ان بقي بيده حصن تعمر فأخذه منه بن مهدي.

معقل اشيح: من اعظم حصون الجبال، وفيه خزائن بني المظفر من الصليحيين، صارت له بعهد المكرّم ابن عمه صاحب ذي جبلة، وقلده المستنصر الدعوة، وتوفي سنة ست وثمانين وأربعمائة. وغلب ابنه عليّ على معقل الملك اشيح. وأعيا المفضل أمره الى ان تحيّل عليه وقتله بالسمّ، وصارت حصون بني المظفر الى بني أَبي البركات. ثم مات المفضَّل، وخلف ابنه منصوراً. واستقل بملك أبيه بعد حين، وباع جميع الحصون، فباع ذا جِبلَة من الداعي الزُرَيْعي صاحب عدن بمائة ألف دينار، وحِصْن صَنْبَر، بعد ان كان حلف بالطلاق من زوجته أنه يستبقيه،

وطلّق زوجته الحرّة وتزوّجها الزريعي، وطال عمره. ملك ابن عشرين، وبقي في الملك ثمانين، وأخذ منه معقل علي مهدي.

صعدة: مملكتها تلو مملكة صنعاء، وهي في شرقيها، وفي هذه المملكة ثلاثة قواعد: صعدة وجبل قَطَابَة وحصن تلا؟ وحصون أُخرى، وتعرف كلها ببني الرسي، وقد تقدّم ذكر خبره. وأما حصن تلا فمنه كان ظهور الموطىء الذي أعاد امامة الزيدية لبني الرضا، بعد ان استولى عليها بنو سليمان فأوى الى جبل قطابة. ثم بايعوا لأحمد الموطىء سنة خمس وأربعين وستمائة، وكان فقيهاً عابداً، وحاصره نور الدين بن رسول في هذا الحصن سنة، جمر عليه عسكراً للحصار. ثم مات ابن رسول سنة ثمان وأربعين، واشتغل ابنه المظفر بحصار حصن الدمولة فتمكن الموطىء، وملك حصون اليمن، وزحف الى صعدة، وبايعه السليمانيون وإمامهم أحمد المتوكِّل كما مرّ في أخبار بني الرسي. وأما قطابة فهو جبل شاهق مشرف على صعدة الى ان كان ما ذكرناه.

حران ومسار: أما حَرّان فهو اقليم من بلاد هَمْدان، وحرّان بطن من بطونهم، كان منهم الصُلَيحيّ. وحصن مسار هو الذي ظهر فيه الصليحي، وهي من اقليم حران. قال البيهقي: بلادهم شرقية بجبال اليمن، وتفرّقوا في الاسلام، ولم يبق لهم قبيلة وفرقة إلّا في اليمن، وهو أعظم قبائل اليمن، وبهم قام الموطىء، وملكوا جملة من حصون الجبال، ولهم بها اقليم بكيل، واقليم

حاشد ، وهما ابنا جشم بن حيوان وأنوق بن همدان : قال ابن حزم : ومن بكيل وحاشد افترقت قبائل همدان انتهى . ومن همدان بنو الزريع اصحاب السلطنة والدعوة في عدن والجوة ، ومنهم بنو يام من قبائل همدان انتهى. ومن همدان بنو الزريع سبعة ، وهم الان في نهاية من التشيّع ببلادهم وأكثرهم زيدية .

بلاد خولان : قال البيهقي : هي شرقية من جبال اليمن ، ومتصلة ببلاد همدان ، وهي حصون خدد والتعكر وغيرهما . وهم اعظم قبائل اليمن مع همدان، ولهم بطون كثيرة. وافترقوا على بلاد الاسلام ، ولم يبق منهم وَبَرِيَّة الا باليمن.

مخلاف بني أصبح : هو بوادي سحول ، وذو أصبح الذي ينسبون اليه قد تقدّم ذكره في أنساب حمير من التبابعة والاقيال. ومخلاف يحصب مجاور له وهو أخو أصبح .

مخلاف بني وائل : مدينة هذا المخلاف شاحط ، وصاحبها أسعد بن وائل، وبنو وائل بطن من ذي الكلاع . وذو الكلاع من سبا تغلبوا على هذه البلاد عن مهلك الحسن بن سلامة ، حتى عادوا الى الطاعة . واختط مدينة الكدد على مخلاف سهام ، ومدينة المعقل على وادي دوال ، ومات سنة اثنتين وأربعمائة .

بلاد كندة : وهي من جبال اليمن مما يلي حضرموت ، وجبال الرمل ، وكان لهم بها ملوك وقاعدتهم دمّون ذكرها امرؤ القيس[1] في شعره .

(١) تطاول الليل علينا دمون . ودمون بلدة بحضرموت على ما جاء في الوسيط .

بلاد مذحج موالي جهات الجَنَد من الجبال ، وينزلها من مَذْحج عنس وزبيد ومراد . ومن عنس بافريقيـة فرقة وبرية مع ظواعن أهلها ، ومن زبيد بالحجاز بنو حرب بين مكـة والمدينة . وبنو زبيد الذين بالشام والجزيرة فهم من طيء وليسوا من هؤلاء .

بلاد بني نهـد في أجواف السَرَوات . وتبالة والسروات بين تَهامة والجبال ونجد من اليمن والحجاز كسوأة الفرس . وبنو نهد من قضاعة سكنوا اليمن جوار خَثعم وهم كالوحوش ، والعامة تسميهم السرو ، وأكثرهم أخلاط من جبلة وخثعم . ومن بلادهم تبالة يسكنهـا قوم من نهير وائل ، ولهم بها صولة ، وهي التي وليها الحجاج واستحقرها فتركها .

البلاد المضافة الى اليمن أوّلها التهامة . قال البيهقي : هو بلد منقطع بعمله ، والتحقيق انه من الحجـاز ، كما هي نجران من اليمن . وكذا قال ابن حوقل وهي دونهـا في المملكة ، وأرضها تسمى العروض ، لاعتراضها بين الحجاز والبحرين . وفي شرقيهـا البحرين ، وغربيها أطراف اليمن والحجـاز ، وجنوبها نجران ، وشمالها نجد من الحجاز . وفي أطرافها عشرون مرحلة ، وهي على أربعة أميال من مكة . وقاعدتهـا حَجَر « بالفتح » .

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الاكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الرابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثالث

٧

دار الكتاب اللبناني بيروت



القسم الثالث

المجلد الرابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

وبلد اليمامة كانت مقراً لملوك بني حنيفة. ثم اتخذ بنو حنيفة حَجَراً وبينهما يوم وليلة، وبظواهرها أحياء من بني يربوع من تميم، وأحياء من بني عجل. قال البكري: واسمها جوّ، وسميت باسم زرقاء اليمامة، سماها بذلك تُبّع الآخر، وهي في الاقليم الثاني مع مكة وبعدهما عن خط الاستواء [1] واحد، منازلها توضيح[2] وقرقرا. وقال الطبري: ان رمل عالج من اليمامة والشّحر، وهي من أرض وبار. وكانت اليمامة والطائف لبني مزان بن يعفر والسكسك، وغلبتهم عليها طَسْمٌ وجَديس. ثم غلبتهم بنو مزان آخراً وملكوا اليمامة. وطسم وجديس في تبعهم، وآخر ملوك بني طسم عمليق. ثم غلبت جديس. ومنهم باليمامة التي سميت مدينة جوّ بها، وأخبارها معروفة. ثم استولى على اليمامة بعد طسم وجديس بنو حنيفة، وكان منهم هودة بن علي

---

(١) كذا بياض بالأصل، ومقتضى السياق: «وبعدهما عن خط الاستواء واحد» أي أن المعنى مستقيم وليس مكان البياض شيء.

(٢) لعلها توضح التي وردت في قول امرىء القيس: فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها.

ملك اليمامة ، وتتوّج . ويقال انما كانت خرزات هودة بن علي ملك اليمامة ، على عهد النبوّة ، وأسر وأسلم وثبت عند الردّة . وكان منهم مُسَيْلِمَة وأخباره معروفة . قال ابن سعيد : وسألت عرب البحرين وبعض مذحج لمن اليمامة اليوم ؟ فقالوا لعرب من قيس عيلان ، وليس لبني حنيفة بها ذكر .

بلاد حضرموت . قال ابن حوقل : هي في شرق عدن بقرب البحر ، ومدينتها صغيرة ولها أعمال عريضة ، وبينها وبين عُمان من الجهة الأخرى رمال كثيرة تعرف بالاحقاف ، وكانت مواطن لعاد . وبها قبر هود عليه السلام ، وفي وَسَطِها جبل بشام ، وهي في الاقليم ، الاوّل . وبعدها عن خط الاستواء اثنتا عشرة درجة ، وهي معدودة من اليمن ، بلد نخل وشجر ومزارع . وأكثر أهلها يحكمون بأحكام علي وفاطمة ، ويبغضون عليا للتحكيم[١] .

وأكبر مدينة بها الآن قلعة بشام فيها خيل الملك ، وكانت لعاد مع الشّحْر وعُمان ، وغلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان . ويقال انّ الذي دل عاداً على جزيرة العرب هو رقيم بن إرَم ، كان سبق إليها مع بني هود فرجع الى عاد ، ودلهم عليها ، وعلى دخولها بالجوار فلما دخلوا غلبوا على من فيها . ثم غلبهم بنو يعرب ابن قحطان بعد ذلك ، وولي على البلاد فكانت ولاية ابنه

---

(١) ينبغي أن يكونوا من الخوارج .

حضرموت على هذه البلاد ، وبه سميت الشّحر من ممالك جزيرة العرب مثل الحجاز واليمن. وكان معقلاً عن حضرموت وعُمان ، والذي يسمى الشحر قصبته ، ولا زرع فيه ولا نخل ، إنما أموالهم الابل والمعز ، ومعاشهم من اللحوم والالبان ، ومن السمك الصغار ، ويعلفونها للدواب . وتسمى هذه البلاد أيضاً بلاد مَهْرَة ، وبها الابل المَهْرِيّة[1] ، وقد يضاف الشِّحْر الى عُمان ، وهو ملاصق لحضرموت ، وقيل هو بسائطها .

وفي هذه البلاد يوجد اللبان ، وفي ساحله العنبر الشحري وهو متصل في جهة الشرق . ومن غربيها ساحل البحر الهندي الذي عليه عَدَن ، وفي شرقيها بلاد عُمان وجنوبها بحر الهند مستطيلة عليه ، وشمالها حضرموت كأنها ساحل لها ، ويكونان معاً لملك واحد . وهي في الاقليم الاوّل ، وأشدّ حراً من حضرموت . وكانت في القديم لعاد ، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت أو من قُضاعة ، وهم كالوحوش في تلك الرمال ، ودينهم الخارِجيّة على رأي الاباضيّة منهم .

وأوّل من نزل بالشحر من القحطانية مالك بن حِمْيَر ، خرج على أخيه مالك وهو ملك بقصر غمدان فحاربه طويلاً ، ومات مالك فولي بعده ابنه قُضاعة بن مالك فلم يزل السكسك يحاربه الى ان

(١) وقد مدح المتنبي هذه الإبل.

قهره ، واقتصر قضاعة على بلاد مهرة . وملك بعده ابنه اطاب ، ثم مالك بن الحاف ، وانتقل الى عُمان وبها كان سلطانه . قال البيهقي : وملك مهرة ابن حيدان بن الحاف بلاد قضاعة ، وحارب عمه مالك بن الحاف صاحب عمان حتى غلبهم عليها ، وليس لهم اليوم في غير بلادهم ذكر . وببلاد الشِّحْر مدينة مِرْباط وضِفان على وزن نَزال . وضفان دار ملك التبابعة ، ومرباط بساحل الشحر ، وقد خربت هاتان المدينتان . وكان أحمد بن محمد بن محمود الحميري ، ولقبه الناخودة ، وكان تاجراً كثير المال يعبر الى صاحب مرباط بالتجارة . ثم استوزره ، ثم هلك فملك أحمد الناخودة . ثم خربها وخرب ضفان سنة تسع عشرة وستمائة ، وبنى على الساحل مدينة ضُفا بضم الضاد المعجمة وسماها الأَحْمَدِيَّة باسمه ، وخرب القديمة لانها لم يكن لها مرسى .

نجران : قال صاحب الكمائم : هي صقع منفرد عن اليمن ، وقال غيره هي من اليمن . قال البيهقي : مسافتها عشرون مرحلة وهي شرقيّ صنعاء وشماليها ، وتوالي الحجاز ، وفيها مدينتان : نجران وجرش ، متقاربتان في القدر والعادية غالبة عليها ، وسكانها كالاعراب وبها كعبة نجران بنيت على هيئة عمدان كعبة اليمن وكانت طائفة من العرب تحج اليها وتنهر[1] عندها ، وتسمى

---

(١) كذا. ولعلها: تنحر. وإن كانت «نهر» تعني سال الدم بقوة.

الدير . وبها قِسُّ بن ساعِدَة ، كان يتعبَّد فيها . ونزلها من القحطانية طائفة من جرُهم ، ثم غلبهم عليها حمير ، وصاروا ولاة التبابعة .

وكان كل ملك منهم يسمى الأفعى . وكان منهم افعى نجران ، واسمه القُلُمُّس بن عمرو بن هَمْدَان بن مالك بن شهاب بن زيد بن وائل بن حمير ، وكان كاهناً ، هو الذي حكم بين أولاد نزار لما أتوه حسبما هو مذكور . وكان والياً على نجران لبلقيس فبعثته الى سليمان عليه السلام ، وآمن وبث دين اليهودية في قومه وطال عمره . ويقال : انّ البحرين والمُشَلَّل كانتا له . قال البيهقي ثم نزل نجران بنو مذحِج ، واستولوا عليها . ومنهم الحرث بنو كعب .

وقال غيره : لما خربت اليمانية في سيل العرم مرّوا بنجران فحاربتهم مَذْحِج ومنها افترقوا . قال ابن حزم : ونزل في جوار مذحج بالصلح الحرث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الازد . ثم غلبوا عليها مذحجاً وصارت لهم رياستها . ودخلت النّصْرانِيَّةُ نجران من قيمون ، وخبره معروف في كتب السِيَر وانتهت رياسة بني الحرث فيها الى بني الرَّيان . ثم صارت الى بني عبد المدان . وكان يزيد منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم على يد خالد بن الوليد ، ووفد مع قومه ، ولم يذكره ابن عبد المؤمن ، وهو مستدرك عليه . وابن أخيه زياد

ابن عبد الرحمن بن عبد المدان خال السفاح، ولاه نجران واليامة، وخلّف ابنيه محمداً ويحيى. ودخلت المائة الرابعة والملك بها لبني أبي الجود بن عبد المدان، واتصل فيهم. وكان بينهم وبين الفاطميّين حروب. وربما يغلبونهم بعض الأحيان على نجران. وكان آخرهم عبد القيس الذي أخذ عليّ بن مهدي الملك من يده، ذكره عمارة وأثنى عليه. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

دولة بني حمدان

الخبر عن دولة بني حمدان المستبدين بالدعوة العباسية من العرب بالموصل والجزيرة والشام ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان بنو ثعلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار، ولهم محل في الكثرة والعدد، وكانت مواطنهم بالجزيرة في ديار ربيعة، وكانوا على دين النصرانية في الجاهلية، وصاغيتهم مع قيصر. وحاربوا المسلمين مع غسّان وهِرَقْل أيام الفتوحات في نصارى العرب يومئذ من غسان وإياد وقضاعة وزابِلَة وسائر نصارى العرب. ثم ارتحلوا مع هرقل الى بلاد الروم، ثم رجعوا الى بلادهم. وفرض عليهم عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه الجزية. فقالوا: يا أمير المؤمنين لا تُذِلّنا بين العرب باسم الجزية، واجعلها صدقةً مضاعفةً ففعل. وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس بن

هرير من بني مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب وكان من رهطه عمرو بن بسطام صاحب السند أيام بني أمية . ثم كان منهم بعد ذلك في الاسلام ثلاثة بيوت آل عمر بن الخطاب العدوي ، وآل هرون المغمر ، وآل حمدان بن حمدون بن الحرث ابن لُقمان بن أسد . ولم يذكر ابن حزم هؤلاء البيوت الثلاثة في بطون بني ثعلب في كتاب الجَمْهَرَة . ووقفت على حاشية في هذا الموضع من كتابه فيها ذكر هؤلاء الثلاثة كالاستلحاق عليه . وقال في بني حمدان : وقيل إنهم موالي بني أسد . ثم قال آخر الحاشية انه من خط المصنف يعني ابن حزم .

ولما فشا دين الخارجيّة بالجزيرة أيام مروان بن الحَكَم ، فرّق جموعه ، ومحا آثار تلك الدعوة . ثم ظهر في الجزيرة بعد حين أثر من تلك الدعوة . وخرج مُساوِرُ بن عبدالله بن مساور البَجَلِيّ من السرات أيام الفتنة بعد مقتل المتوكل ، واستولى على أكثر أعمال الموصل ، وجعل دار هجرته الحُدَيْثَة . وكان على الموصل يومئذ عُقْبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخُزاعيّ الذي ولّى المنصور جده محمداً على افريقية ، وعليه خرج مساور . ثم ولي على الموصل أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب الثعلبي سنة أربع وخمسين ، واستخلف عليه ابنه الحسن فسار الى مساور في جموع قومه ، وفيهم حمدون بن الحرث فهزموا الخوارج وفرّقوا جمعهم . ثم ولي أيام المهتدي عبد الله بن سليمان بن عِمْران الأَزْدي

فغلبه الخوارج، وملك مساور الموصل، ورجع الى الحديثة.

ثم انتقض أهل الموصل أيام المعتمد سنة تسع وخمسين، وأخرجوا العامل وهو ابن اساتكين الْهَيْثَم بن عبد الله بن المعتمد العَدْوِيّ من بني ثعلب فامتنعوا عليه، وولوا مكانه اسحق بن أيّوب من آل الخطّاب فزحف، ومعه حمدان بن حمدون وحاصرها مدّة. ثم كانت فتنة اسحق بن كِنْداجُق وانتقاضه على المعتمد، واجتمع لمدافعته عليّ بن داود صاحب الموصل، وحمدان بن حمدون، واسحق بن أيوب فهزمهم اسحق بن كنداجق، وافترقوا فاتبع اسحق بن أيوب الى نصيبين ثم الى آمد. واستجار فيها بعيسى بن الشيخ الشيبانيّ وبعث الى المُعِزّ موسى بن زرارة صاحب أَرْزِن فامتنع بأنجادهما.

ثم ولى المعتمد ابن كِنْداجُق على الموصل سنة سبع وستين فاجتمع لحربه اسحق بن أيوب، وعيسى بن الشيخ، وأبو العِزّ بن زُرارَة وحمدان بن حمدون في ربيعة وثعلب فهزمهم ابن كنداجق، وحاصره هو ولجأوا الى آمد عند عيسى بن الشيخ الشيباني، وحاصرهم بها، وتوالت عليهم الحروب. وهلك مساور الخارجي أثناء هذه الفتن في حربه مع العساكر سنة ثلاث وستين. واجتمع الخوارج بعده على هرون بن عبد الله البَجَلِي، واستولى على الموصل وكثر تابعه. وخرج عليه محمد بن خردان من أصحابه فغلبه على الموصل، فقصد حمدان بن حمدون مستنجداً به، فسار معه

وردّه الى الموصل ولحق محمد بالحديثة، ورجع أصحابه الى هرون. ثم سار هرون من الموصل الى محمد فأوقع به وقتله، وعاث في الاكراد الجلاليّة أصحابه، وغلب على القرى والرساتيق، وجعل يأخذ الزكاة والعشر. ثم زحف بنو شيبان لقتاله سنة اثنتين وسبعين فاستنجد بحمدان بن حمدون، وانهزم قبل وصوله إليه. ثم كانت الفتنة بين اسحق بن كنداجق ويوسف بن أبي الساج، وأخذ ابن أبي الساج بدعوة ابن طولون، وغلب على الجزيرة والموصل. ثم عاد وملكها لابن كنداجق وولّى عليها هرون بن سيما سنة تسع وسبعين ومائتين فطرده أهلها، واستنجد ببني شيبان فساروا معه الى الموصل، واستمدّ أهلها الخوارج وبني ثعلب فسار لامدادهم هرون الساري وحمدان فهزمهم بنو شيبان، وخاف أهل الموصل من ابن سيما فبعثوا الى بغداد، وولى عليهم المعتمد علي بن داود الأزدي.

ولما بلغ المعتضد ممالأة حمدان بن حمدون لهرون الساري، وما فعله بنو شيبان، وقد كان خرج لاصلاح الجزيرة، وأعطاه بنو شيبان رهنهم على الطاعة زحف الى حمدان وهزمه فلحق بماردين، وترك بها ابنه الحسين. وهرب فسار مع وصيف ونصر القسوري، ومروا بدير الزعفران وبه الحسين بن حمدان فاستأمن لهم، وبعثوا به الى المعتضد. وأمر بهدم القلعة، ولقي وصيف حمدان فهزمه، وعبر الى الجانب الغربي. ثم سار الى معسكر

المعتضد ، وكان اسحق بن أيوب الثعلبي قد سبق الى طاعة السلطان ، وهو في معسكره فقصد خيمته ملقياً بنفسه عليه فأحضره عند المعتضد فحبسه . ثم سار نصر القسوري في اتباع هرون فهزم الخوارج ، ولحق باذربيجان . واستأمن آخرون الى المعتضد ، ودخل هرون البرّية . ثم سار المعتضد سنة ثلاث وثمانين في طلب هرون ، وبعث في مقدّمته وصيفاً وسرح معه الحسين بن حمدان بن يكرين ، واشترط له اطلاق ابنه ان جاء بهرون فاتبعه وأسره وجاء به الى المعتضد فخلع عليه وعلى اخوته وطوّقه ، وفك القيود عن حمدان ووعده باطلاقه . ومات اسحق بن أيوب العَدَوِيّ وكان على ديار ربيعة فولى المعتضد مكانه عبدالله بن الهَيْثَم بن عبدالله بن المعتمد .

مبدأ الدولة وولاية أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل

ولما ولي المكتفي عقد لابي الهيجاء عبدالله بن حمدان على الموصل وأعمالها ، وكان الاكراد الهدبانيّة قد عاثوا في نواحيها ومقدمهم محمد بن سلال فقاتلهم وعبر وراءهم الى الجانب الشرقي ، وقاتلهم على الخازر ، وقتل مولاه سيما ورجع . ثم أمدّه الخليفة فسار في أثرهم سنة أربع وتسعين ، وقاتلهم على اذربيجان ، وهزم محمد بن سلال بأهله وولده ، واستباحهم ابن حمدان . ثم استأمن محمد وجاء الى الموصل ، واستأمن سائر الاكراد الحميديّة ،

واستقام أمر أبي الهيجاء . ثم كانت فتنة الخلع ببغداد سنة ست وتسعين ، وقتل الوزير العباس بن الحسن ، وخُلِعَ المقتدر ، وبويع عبدالله بن المعتز يوماً أو بعض يوم ، وعاد المقتدر كما مرّ ذلك كله في أخبار الدولة العباسية . وكان الحسين بن حمدان على ديار ربيعة ، وكان ممن تولى كِبَر هذه الفتنة مع القواد ، وباشر قتل الوزير مع من قتله فهرب . وطلبه المقتدر وبعث في طلبه القاسم ابن سيما وجماعة من القواد فلم يظفروا به ، فكتب الى أبي الهيجاء وهو على الموصل فسار مع القاسم . ولقيهم الحسين عند تكريت فانهزم واستأمن فأمّنه المقتدر ، وخلع عليه ، وولاه أعمال قمّ وقاشان . ثم ردّه بعد ذلك الى ديار ربيعة .

انتقاض أبي الهيجاء ثم الحسين بن حمدان

ولما كانت سنة تسع وتسعين خالف أبو الهيجاء بالموصل الى سنة اثنتين وثلثمائة ، وكان الحسين بن حمدان على ديار ربيعة كما قدّمناه ، فطالبه الوزير عيسى بن عيسى بحمل المال فدافعه فأمره بتسليم البلاد الى العمال فامتنع ، فجهز اليه الجيش فهزمهم . فكتب الى مؤنس العجلي ، وهو بمصر يقاتل عساكر العلوية ، بأن يسير الى قتال الحسين بعد فراغه من أمره ، فسار اليه سنة ثلاث وثلثمائة ، فارتحل بأهله الى أرمينية ، وترك البلاد . وبعث مؤنس العساكر في أثره فأدركوه ، وقاتلوه فهزموه ، وأسر هو وابنه

عبد الوهاب وأهله وأصحابه ، وعاد به الى بغداد فأدخل على جمل وقبض المقتدر يومئذ على أبي الهيجاء وجميع بني حمدان فحبسهم جميعاً . ثم أطلق أبا الهيجاء سنة خمس بعدها ، وقتل الحسين سنة ست ، وولى ابراهيم بن حمدان سنة سبع على ديار ربيعة ، وولى مكانه داود بن حمدان .

ولاية أبي الهيجاء ثانية على الموصل ثم مقتله

ثم ولى المقتدر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان على الموصل سنة أربع عشرة ، فبعث ابنه ناصر الدولة الحسين عليها ، وأقام هو ببغداد . ثم بلغه افساد العرب والاكراد في نواحيها ، وفي نواحي عمله الآخر بخراسان . فبعث الى أبيه ناصر الدولة فأوقع بالعرب في الجزيرة ، ونكل بهم . وجاءه في العساكر الى تكريت فخرج ورحل بهم الى شهرزور ، وأوقع بالاكراد الجلالية حتى استقاموا على الطاعة . ثم كان خلع المقتدر سنة سبع عشرة وثلثمائة بأخيه القاهر . ثم عاد ثاني يوم وأحيط بالقاهر في قصره فتذمم بأبي الهيجاء ، وكان عنده يومئذ ، وأطال المقام يحاول على النجاة به فلم يتمكن من ذلك . وانفض الناس على القاهر ، ومضى أبو الهيجاء يفتش عن بعض المنافق في القصر يتخلص منه فاتبعه جماعة وفتكوا به ، وقتلوه منتصف المحرم من السنة ، وولى المقتدر مولاه تحريراً على الموصل .

ولاية سعيد ونصر بني حمدان على الموصل

ثم أنّ أبا العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل وديار ربيعة ، وما بيد ناصر الدولة فولاه الراضي سنة ثلاث وعشرين ، وسار الى الموصل فخرج ناصر الدولة لتلقيه ، وخالفه أبو العلاء الى بيته ، وقعد ينتظره فأنفذ ناصر الدولة جماعة من غلمانه فقتلوه . وبلغ الخبر الى الراضي فأعظم ذلك ، وأمر الوزير ابن مقلة بالمسير الى الموصل فسار اليها . وارتحل ناصر الدولة ، واتبعه الوزير الى جبل السن ، ورجع عنه ، وأقام بالموصل . واحتال بعض أصحاب ابن حمدان ببغداد على ابن الوزير ، وبذل له عشرة آلاف دينار على أن يستحث أباه ففعل ، وكتب اليه بأمور أزعجته فاستعمل على الموصل من وثق به من أهل الدولة . ورجع الى بغداد في منتصف شوّال . ورجع ناصر الدولة الى الموصل فاستولى عليها ، وكتب الى الراضي في الصفح ، وأن يضمن البلاد فأجيب الى ذلك واستقرّ في ولايته .

مسير الراضي الى الموصل

وفي سنه سبع وعشرين تأخر ضمان البلاد من ناصر الدولة فغضب الراضي ، وسار ومدبّر دولته تحكم . وسار الى الموصل ، وتقدّم تحكم الى تكريت فخرج اليه ناصر الدولة فانهزم أصحابه ،

وسار الى نَصِيبِين، وأتبعه تحكم فلحق به. وكتب تحكم الى الراضي بالفتح فسار في السفن يريد الموصل. وكان ابن رائق مختفياً ببغداد منذ غلبه ابن البريدي على الدولة فظهر عند ذلك، واستولى على بغداد. وبلغ الخبر الى الراضي فأصعد من الماء الى البرّ، واستقدم تحكم من نصيبين، واستعاد ناصر الدولة ديار ربيعة وهو يعلم بخبر ابن رائق. وبعث في الصلح على تعجيل خمسمائة ألف فأجابه الى ذلك. وسار الراضي وتحكم الى بغداد، ولقيهم أبو جعفر محمد بن يحيى بن سريق رسولاً من ابن رائق في الصلح، على أن يولى ديار مضر: وهي حَرّان والرُها والرَّقة. وتضاف اليها قنسرين والعواصم فاجيب الى ذلك. وسار عن بغداد الى ولايته ودخل الراضي وتحكم بغداد ورجع ناصر الدولة بن حمدان الى الموصل.

مسير المتقي الى الموصل وولاية ناصر الدولة امارة الأمراء

كان ابن رائق بعد مسيره الى ديار مُضَر والعواصم سار الى الشام وملك دمشق من يد الأخشيد، ثم الرَملَة. ثم لقيه الاخشيد على عريش مِصرَ وهزمه، ورجع الى دِمَشقَ ثم اصطلحا على ان يجعلا الرملة تخماً بين الشام ومصر، وذلك سنة ثمان وعشرين. ثم توفي الراضي سنة تسع وعشرين، ووليَ المُتقى وقُتِلَ تَحكُمْ، وجاء البَريدِيُّ الى بغداد، وهرب الاتراكُ التَحكُمِيّة الى الموصل، وفيهم توزون وجحجح. ثم لحقوا بأبي بكر محمد بن رائق

واستحثّوه الى العراق. وغلب بعدهم على الخلافة الاتراك الدَّيْلَمِيَّة وجاء أبو الحسن البريدي من واسط فأقام ببغداد أربعة وعشرين يوماً أمير الامراء .

ثم شغب عليه الجند فرجع الى واسط ، وغلب كورتكين . ثم حجر المتقي ، وكتب الى ابن رائق يستدعيه فسار من دمشق في رمضان سنة تسع وعشرين ، واستخلف عليها ابا الحسن أحمد ابن علي بن حمدان ، على ان يحمل اليه مائة الف دينار ، وسار ابن رائق الى بغداد ، وغلب كورتكين والدَّيْلَمِيَّة ، وحبس كورتكين بدار الخلافة . ثم شغب عليه الجند ، وبعث أبو عبد الله البريدي أخاه أبا الحسن الى بغداد في العساكر فغلبوا عليها ، وهرب المتقي وابنه ابو منصور ، وزاد في المبرّة فنثر الدراهم على ابن الخليفة ، وبالغ في مبرّته حتى ركب للانصراف . وأمسك ابن رائق للحديث معه فأستدعاه المتقي ، وخلع عليه ، ولقّبه ناصر الدولة ، وجعله امير الامراء . وخلع على أخيه أبي الحسن ، ولقّبه سيف الدولة . وكان قتل ابن رائق ، لتسع بقين من رجب وولاية ناصر الدولة مستهل شعبان من سنه ثمانين . ثم سار الاخشيدي من مصر الى دمشق فملكها من يد عامل ابن رائق ، وسار ناصر الدولة مع المتقي الى بغداد .

أخبار بني حمدان ببغداد

ولما قتل ابن رائق ، وأبو الحسن البريدي على بغداد ، وقد سخطه العامة والخاصة فهرب جحجح الى المتقي ، وأجمع توزون وأصحابه الى الموصل ، واستحثوا المتقي وناصر الدولة فانجدوهم الى بغداد . وولى على الخراج والضياع بديار مضر ؛ وهي الرُّها وحَرّان والرَّقة أبا الحسن علي بن خَلَف بن طيـاب ، وكان عليها ابو الحسن علي أحمد بن مقاتل من قبل ابن رائق ، فقاتله ابن طياب وقتله . ولما قرب المتقي وناصر الدولة من بغداد هرب أبو الحسن ابن البريدي الى واسط بعد مقامه مائة يوم وعشرة أيام ، ودخل المتقي بغداد ومعه بنو حمدان ، وقلد توزون شرطة جانبي بغداد وذلك في شوّال من السنة . ثم سار بنو حمدان الى واسط فنزل ناصر الدولة بالمدائن ، وبعث أخاه سيف الدولة الى قتال البريدي وقد سار من واسط اليهم فقاتلوه تحت المـدائن ، ومعهم توزون وجحجح والاتراك فانهزموا أوّلاً . ثم أمدّهم ناصر الدولة بمن كان معه من المدائن فانهزم البريدي الى واسط ، وعـاد ناصر الدولة الى بغداد منتصف ذي الحجة وبـين يديه الأسرى من اصحاب البريدي .

وأقام سَيْفُ الدولة بموضع المعركة حتى اندملت جراحـه ، وذهب وهنه . ثم سار الى واسط فلحق البريدي بالبصرة ،

واستولى على واسط فأقام بها معتزمـاً على اتباع البريدي الى البصرة ، واستمد أخاه ناصر الدولة في المال فلم يمده ، وكان للاتراك عليه استطالة وخصوصاً توزون وجحجح . ثم جاء أبو عبد الله الكوفي بالمال من قبل ناصر الدولة ليفرّقه في الاتراك فاعترضه توزون وجحجح ، وأراد البطش به فأخفاه سيف الدولة عنهما ، وردّه الى أخيه .

ثم ثار الاتراك بسيف الدولة سلخ شعبان فهرب من معسكره الى بغداد ، ونهب سواده ، وقتل جماعة من أصحابه . وكان أبو عبد الله الكوفي لمـا وصل الى ناصر الدوله ، وأخبره خبر أخيه أراد ان يسير الى الموصل فركب المتقي اليه واستمهله ، وعاد الى قصره فاغذّ السير الى الموصل بعد ثلاثة عشر شهراً من امارته . وثار الديلم والاتراك ونهبوا داره . ولما هرب سيف الدولة من معسكره بواسط عاد الاتراك الى معسكرهم ، وولوا توزون أميراً وجحجح صاحب جيش ، ولحق سيف الدولة ببغداد منتصف رمضان بعد مسير أخيه ، وبلغه خبر توزون . ثم اختلف الاتراك وقبض توزون على جحجح ، وسمله وسار سيف الدولة ، ولحق باخيه بالموصل وولي إمارة الامراء ببغداد .

خبر عدل التحكمي بالرحبة

كان عَدْلٌ هذا مولى تَحكُم ، ثم صـار مع ابن رائق وأصعد

معه الى الموصل . ولما قتل ابن رائق صار في جملة ناصر الدولة بن حمدان فبعثه مع علي بن خلف بن طياب الى ديار مضر، فاستولى ابن طياب عليها، وقتل نائب ابن رائق . وكان بالرَّحَبَةِ من ديار مضر رجل من قبل ابن رائق يقال مُسافِر بن الحسين فامتنع بها، وجبي خراجها، واستولى على تلك الناحية فأرسل اليه ابن طياب عدلاً التحكمي[1] فاستولى عليها، وفرّ مسافر عنها . واجتمع التَحْكُمِيَّة الى عَدْلٍ، واستولى على طريق الفرات وبعض الخابور. ثم استنصر مسافر بجمع من بني نُمَيْر، وسار الى قرقيسيا وملكها وارتجعها عدل من يده .

ثم اعتزم عدل على ملك الخابور، وانتشر أهله ببني نمير فأعرض عدل عن ذلك حيناً حتى امنوا . ثم أسرى الى فسيح سمصاب وهي من اعظم قرى خابور فقاتلها، ونقب السور وملكها، ثم ملك غيرها . واقام في الخابور ستة أشهر، وجبى الاموال، وقوي جمعه واتسعت حاله . ثم طمع في ملك بني حمدان فسار يريد نَصيبين لغيبة سيف الدوله عن الموصل وبلاد الجزيرة، ونكب عن الرَحَبة وحَرَّان لانّ يأنس المؤنسي كان بها في عسكر، ومعه جمع من بني نمير فحاد عنها الى رأس عين، ومنها الى نصيبين، وبلغ الخبر الى أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فجمع وسار اليه، فلما التقى الجمعان استأمن من أصحاب عدل الى ابن

---

(١) كذا بالأصل، واسمه في الكامل البجكمي . ج ٦ ص ٢٨٩ .

حمدان ، ولم يبق معه الا القليل فقبض عليه وسمله ، وبعث به مع ابنه الى بغداد في آخر شعبان سنة احدى وثلاثين ومائتين[1] .

مسير المتقي الى الموصل وعوده

ولما انصرف ناصر الدولة وسيف الدولة عن المتقي من بغداد جاء تورون من واسط واستولى على الدولة ، ثم رجع الى واسط ووقعت بينه وبين ابن البريدي بالبصرة مواصلة وصهر استوحش لها المتقي . وكان بعض أصحاب تورون منافراً له فأكثر فيه السعاية عند المتقي والوزير ابن مقلة ، وخوفهما اتصال يده بابن البريدي . وقارن ذلك اتصال ابن شيرزاده بتورون ومسيره اليه بواسط ، فذكروا الخليفة بما فعل ابن البريدي معه في المرة الاخرى وخوّفوه عاقبة أمرهم ، فكتب الى ابن حمدان أن ينفذ اليه عسكراً يسير صحبته اليهم فأنفذه مع ابن عمه الحسين بن سعيد ابن حمدان ، ووصلوا الى بغداد سنة اثنتين وثلاثين وخرج المتقي معهم باهله وأعيان دولته ، ومعه الوزير ابن مقلة ، وانتهى الى تكريت فلقيه سيف الدولة هنالك .

وجاء ناصر الدولة فأصعد المتقي الى الموصل . ولما بلغ الخبر الى تورون سار نحو تكريت فلقيه سيف الدولة عندها فقاتله

---

(١) كذا بالأصل، وقد ذكرت هذه الأحداث في بقية كتب التاريخ بحوادث سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة كما في الكامل لابن الأثيرج ٦ ص ٢٨٩ وما بعدها.

ثلاثة أيام . ثم هزمه تورون ونهب سواده وسواد أخيه . وسار سيف الدولة الي الموصل وتورون في اتباعه فخرج ناصر الدولة والمتقي وجملته الى نصيبين، ثم الى الرقة ، ولحقهم سيف الدولة اليها . وملك تورون الموصل ، وبعث اليه المتقي يعاتبه على اتصاله بابن البريدي ، وأنه انما استوحش من ذلك فان آثر رضاه واصل ابن حمدان فأجاب تورون الى ذلك ، وعقد الضمان لناصر الدولة على ما بيده من البلاد لثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف وستمائة ألف . وعاد تورون الى بغداد وأقام المتقي بالرقة . ثم أحس من ابن حمدان ضجراً به ، وبلغ سيف الدولة أنّ محمد بن نيال الترجمان أغرى المتقي بسيف الدولة ، وهو الذي كان أفسد بين المتقي وتورون فقبض عليه سيف الدولة وقتله ، وارتاب المتقي بذلك فكتب الى تورون يستصلحه . وكتب الى الاخشيد محمد ابن طغج صاحب مصر يستقدمه ، فسار اليه الاخشيد . ولما وصل الى حلب ، وعليها من قبل سيف الدولة ابن عمهم أبوعبد الله سعيد بن حمدان فرحل عنها ، وتخلف عنه ابن مقاتل الذي كان بدمشق مع ابن رائق .

ولما وصل الاخشيد الى حلب لقيه ابن مقاتل فأكرمه واستعمله على خراج مصر. ثم سار الى المتقي بالرقة فلقيه منتصف ثلاث وثلاثين فبالغ المتقي في اكرامه، وبالغ هو في الادب معه، وحمل اليه الهدايا والى وزيره وحاشيته ، وسأله المسير الى مصر

او الشام فأبى فأشار عليه أن لا يرجع الى تورون فأبى . وأشار على ابن مقلة أن يسير معه الى مصر ليحكمه في دولته ، وخوّفه من تورون فلم يعمل ، وجاءهم رسل تورون في الصلح وأنهم استحلفوه للخليفة والوزير فانحدر المتقي الى بغداد اخر المحرم ، وعاد الاخشيد الى مصر . ولما وصل المتقي الى هيت لقيه تورون فقبل الارض ، ورأى أنه تحلل عن يمينه بتلك الطاعة . ثم وكل به وسمل المتقي ورجع الى بغداد فبايع للمستكفي . ولما ارتحل المتقي عن الرقة ولى عليها ناصر الدولة ابن عمه أبا عبدالله بن سعيد بن حمدان، وعلى طريق الفرات وديار مضر وقنسرين وجَنَد والعواصم وحمص . فلما وصل الى الرقة طمع أهلها فيه فقاتلهم ، وظفر بهم ورجع الى حلب ، وقد كان ولى على هذه البلاد قبله أبا بكر محمد بن عليّ بن مقاتل .

استيلاء سيف الدولة على حلب وحمص

ولما ارتحل المتقي من الرقة، وانصرف الاخشيد الى الشام بقي يأنس المؤنسي بحلب فقصده سيف الدولة، وملكها من يده . ثم سار الى حمص فلقيه بها كافور مولى الاخشيد فهزمه سيف الدولة ، وسار الى دمشق فامتنعوا عليه فرجع . وجاء الاخشيد من مصر الى الشام وسار في اتباع سيف الدولة فاصطفّا بقنسرين، ثم تحاجزوا ، ورجع سيف الدولة الى الجزيرة ، والاخشيد الى

دمشق . ثم سار سيف الدولة الى حلب فملكها وسارت عساكر الروم اليها فقاتلهم وظفر بهم . ثم بلغ ناصر الدولة بن حمدان ما فعله تورون من سمل المتقي وبيعة المستكفي فامتنع من حمل المال، وهرب اليه غلمان تورون فاستخدمهم ، ونقض الشرط في ذلك . وخرج تورون والمستكفي قاصدين الموصل، وتردّدت الرسل بينهما في الصلح فتم ذلك آخر سنة ثلاث وثلاثين . وعاد المستكفي وتورون الى بغداد، فتوفي تورون اثر عوده، وولى الامور بعده ابنه شيرزاده ، واستعمل على واسط قائداً ، وعلى تكريت آخر ، فأمّا الذي على واسط فكاتب معزّ الدولة ابن بويه ، واستقدمه فقدم بغداد، واستولى على الدولة فخلع المستكفي، وبايع للمطيع . وأمّا الذي على تكريت فسار الى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل، وسار معه وولاه عليها من قبله .

الفتنة بين ابن حمدان وابن بويه

ولما خلع معز الدولة بن بويه المستكفي عند استيلائه على بغداد امتعض ناصر الدولة بن حمدان لذلك، وسار من الموصل الى العراق . وبعث معزّ الدولة بن بويه قواده فالتقى الجمعان بعكبرا واقتتلوا ، وخرج معز الدولة مع المطيع إلى عكبرا ، وكان ابن شيرزاده[1] ببغداد وأقام بها ، ولحق بناصر الدولة بن حمدان .

---

(١) كذا بالأصل واسمه شيرزاد كما في الكامل ج ٦ ص ٣٢٤ .

وجاء بعساكره الى بغداد فنزلوا بالجانب الغربي ، وناصر الدولة بالجانب الشرقي، ووقع الغلاء في معسكر معزّ الدولة والخليفة لانقطاع الميرة . وبقي عسكر ابن حمدان في رخاء من العيش لاتصال الميرة من الموصل. واستعان ابن شيرزاده بالعامة والعيارين على حرب معزّ الدولة والديلم، وضاق الامر بمعز الدولة حتى اعتزم على الرجوع الى الاهواز .

ثم أمر أصحابه بالعبور من قطربال بأعلى دجلة ، وتسابق أصحاب ناصر الدولة الى مدافعتهم ومنعهم ، وبقي في خف من الناس فأجاز اليه شجعان الديلم من أقرب الاماكن فهزموه، وملك معز الدولة الجانب الشرقي ، وأعاد المطيع الى داره في محرم سنة خمس وثلاثين. ورجع ناصر الدولة الى عكبرا. وأرسل في الصلح فوقف الاتراك التورونية الذين معه على خبر رسالته فهموا بقتله، فأغذّ السير الى الموصل ومعه ابن شيرزاده ، وأحكم الصلح مع معز الدولة .

استيلاء سيف الدولة على دمشق

وفي سنة خمس وثلاثين وثلثمائة توفي الاخشيد أبو بكر محمد ابن طغج صاحب مصر والشام فنصب للامر بعده ابنه أبو القاسم أنوجور ، واستولى عليه كافور الاسود وخادم أبيه ، وسار بهما الى مصر . وجاء سيف الدولة الى دمشق فلكها وارتاب به أهلها

فاستدعوا كافوراً فجاءهم ، وخرج سيف الدولة الى حلب ، ثم أتبعوه فعبر الى الجزيرة وأقام أنوجور على حلب . ثم اتفقوا واصطلحوا ، وعاد أنوجور الى مصر ، وسيف الدولة الى حلب ، وأقام كافور بدمشق قليلًا. ثم عاد الى مصر واستعمل على دمشق بدراً الاخشيد ويعرف ببدير . ثم عزله بعد سنة وولى أبا المظفر طغج.

الفتنة بين ناصر الدولة ابن حمدان وبين تكين والأتراك

كان مع ناصر الدولة جماعة من الاتراك أصحاب تورون(١) فروا اليه كما قدمنا ، فلما وقعت المراسلة بينه وبين معز الدولة في الصلح ثاروا به ، وهرب منهم ، وعبر الى الجانب الغربي ونزل الموصل واستجار القرامطة فأجاروه، وبعثوا معه الى مأمنه ، وفي جملته ابن شيرزاد فقبض ناصر الدلة عليه، واجتمع الاتراك بعده فقدّموا عليهم تكين الشيرازي ، وقبضوا على من تخلّف من أصحاب ناصر الدولة، وأتبعوه الى الموصل فسار عنها الى نصيبين، ودخل الاتراك الموصل . وبعث ناصر الدولة الى معزّ الدولة يستصرخه فبعث اليه بالجيوش مع وزيره أبي جعفر الصيمري . وخرج الاتراك من الموصل في اتباع ناصر الدولة الى نصيبين فمضى الى سنجار ، ثم الى الحديثة، ثم الى السنّ ، وهم في اتباعه. وبقي هنالك العساكر فقاتلوا الاتراك وهزموهم ، وسيق قائدهم

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٦ ص ٢٢٣ : الأتراك التوزونية .

تكين الى ناصر الدولة فسمله لوقته، ثم حبسه وسار مع الصيمري الى الموصل فأعطاه ابن شيرزاد ، وارتحل به الى بغداد.

انتقاض جمان بالرحبة ومهلكه

كان جمان هذا من أصحاب تورون ، وسار الي ناصر الدولة ابن حمدان فلما كان في محاربة معزّ الدولة ببغداد ، استراب بمن معه من الديلم ، وجمعهم على جمان هذا ، وأخرجه الى الرَحَبَةِ والياً فعظم أمره . وانتقض سنة ست وثلاثين على ناصر الدولة ، وحدثته نفسه بالتغلب على ديار مضر فسار الى الرقّة وحاصرها سبعة عشر يوماً ، وانهزم عنها . ووثب أهل الرحبة بأصحابه وعماله فقتلوهم لسوء سيرتهم . وجاء من الرقة فأثخن فيهم، وبعث ناصر الدولة بن حمدان حاجبه باروح مع عسكر فاقتتلوا على الفرات ، وانهزم جمان فغرق في الفرات واستأمن أصحابه الى باروخ فأمنهم ورجع الى ناصر الدولة .

فتنة ناصر الدولة مع معز الدولة

ثم وقعت الفتنة بين ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة ابن بويه ، وسار اليه معز الدولة من بغداد سنة سبع وثلاثين فسار هو من الموصل الى نصيبين ، وملك معز الدولة الموصل فظلم الرعايا وأخذ اموالهم ، وأجمع الاستيلاء على بلاد ابن حمدان كلها

فجاءه الخبر بأنّ عساكر خراسان قصدت جرجان والريّ . وبعث أخوه ركن الدولة يستمدّه فصالح ناصر الدولة عن الموصل والجزيرة والشام على ثمانية آلاف ألف درهم كل سنة ، وعلى ان يخطب له ولاخويه عماد الدولة وركن الدولة ، وعاد الى بغداد في ذي الحجة آخر سبع وثلاثين .

غزوات سيف الدولة

كان أمر الثغور راجعاً الى سيف الدولة بن حمدان ، ووقع الفداء سنة خمس وثلاثين في الفين من الاسرى على يد نصر النملي ودخل الروم سنة اثنتين وثلاثين مدينة واسرغين ونهبوها وسبوها وأقاموا بها ثلاثاً وهم في ثمانين ألفاً مع الدُّمُسْتُق . ثم سار سيف الدولة سنة سبع وثلاثين غازياً الي بلاد الروم فقاتلوه وهزموه . ونزل الروم على مرعش فأخذوها وأوقعوا بأهل طرسوس . ثم دخل سنة ثمان وثلاثين ، وتوغل في بلاد الروم ، وفتح حصوناً كثيرة وغنم وسبا . ولما قفل أخذت الروم عليه المضايق وأثخنوا في المسلمين قتلًا وأسراً ، واستردوا ما غنموه . ونجا سيف الدولة في فل قليل . ثم ملك الروم سنة احدى وأربعين مدينة سروج واستباحوها .

ثم دخل سيف الدولة سنة ثلاث وأربعين الى بلاد الروم فأثخن فيها وغنم وقتل قسطنطين بن الدمستق فيمن قتل ، فجمع

الدمشق[1] عساكر الروم والروس وبلغار ، وقصد الثغور فسار اليه سيف الدولة بن حمدان ، والتقوا عند الحرث فانهزم الروم، واستباحهم المسلمون قتلًا وأسراً ، وأسر صهر الدمستق ، وبعض أسباطه وكثير من بطارقته، ورجع سيف الدولة بالظفر والغنيمة ثم دخل بلاد الروم النَصْرانِيَّة ثم رجع الى أذنة ، وأقام بها حتى جاءه نائبه على طرسوس فخلع عليه ، وعاد الى حلب . وامتعض الروم لذلك فرجعوا الى بلادهم .

ثم غزا الروم طرسوس والرُّها وعاثوا في نواحيها سبياً وأسراً ورجعوا . ثم غزا سيف الدولة بلاد الروم سنة ست وأربعين وأثخن فيها ، وفتح عدّة حصون وامتلأت أيدي عسكره من الغنائم والسُبيّ وانتهى الى أسروشنة ورجع ، وقد أخذت الروم عليه المضايق فقال له أهل طرسوس : ارجع معنا فان الدروب التي دخلت منها قد ملكها الروم عليك فلم يرجع اليهم ، وكان معجباً برأيه فظهر الروم عليه في الدرب ، واستردّوا ما أخذوا منهم ، ونجا في فل قليل يناهزون الثلثمائة . ثم دخل سنة خمسين قائد من موالي سيف الدولة الى بلاد الروم ، من ناحية ميافارقين فغنم وسبا ، وخرج سالماً .

---

(١) كذا بالأصل، وهي غلطة مطبعية واسمه: الدمستق، كما في كتب التاريخ كافة. وورد كذلك بهذا الاسم في بعض قصائد المتنبي بمدح سيف الدولة.

الفتنة بين ناصر الدولة ومعز الدولة بن بويه

قد تقدّم لنا ما وقع من الصلح بين ناصرِ الدَّوْلَةِ وبين مُعِزّ الدولة بن بُوَيْه، وطالبه في المال فانتقض. وسار اليه معز الدولة الى الموصل منتصف السنة وملكها، وفارقها ناصر الدولة الى نصيبين وحمل نوابه ومن يعرف وجوه المال وحمايته، وأنزلهم في قلاعه؛ مثل الزعفراني وكواشي، ودس الى العرب بقطع الميرة عن عسكر معز الدولة فضاقت عليهم الاقوات، فرحل معز الدولة الى نصيبين لما بها من الغلات السلطانِيَّةِ، واستخلف سبكتكين الحاجب الكبير على الموصل. وبلغه في طريقه ان أبا الرجاء وعبد الله ابني ناصر الدولة مقيمان بسنجار فقصدهما فهربا، وخلفا أثقالهما، وانتهب العسكر خيامها. ثم عادا الى معسكر معز الدولة وهم غازون فنالوا منهم، ورجعوا الى سنجار. وسار معز الدولة الى نصيبين ففارقها ناصر الدولة الى ميافارقين، واستأمن كثير من أصحابه الى معز الدولة فسار ناصر الدولة الى أخيه سيف الدولة بحلب، فقام بخدمته وباشرها بنفسه. وأرسل الى معز الدولة في الصلح بينه وبين أخيه، فامتنع معز الدولة من قبول ناصر الدولة لانتقاضه واخلافه، فضمن سيف الدولة البلاد بالفي ألف وتسعمائة الف درهم، وأطلق معز الدولة أسرى أصحابهم. وتم ذلك في

محرم سنة ثمان وأربعين ، ورجع معز الدولة الى العراق وناصر الدولة الى الموصل .

استيلاء الروم على عين زربة ثم على مدينة حلب

وفي المحرم من سنة احدى وخمسين نزل الدمستق في جموع الروم على عين زربة ، وملك الجبل المطل عليها ، وضيق عليها حصارها ، ونصب عليها المنجنيقات . وشرع في النقب فاستأمنوا ودخل المدينة . ثم ندم على تأمينهم لما رأى من اختلال احوالهم فنادى فيهم ان يخرجوا بجميع أهاليهم الى المسجد فمات منهم في الابواب بكض الزحام خلق ، ومات آخرون في الطرقات ، وقتل من وجدوا آخر النهار . واستولى الروم على أموالهم وامتعتهم وهدموا سور المدينة ، وفتحوا في نواحي عين زربة أربعة وخمسين حصناً . ورحل الدمستق بعد عشرين يوماً بنية العود ، وخلف جيشه بقيسارية . وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان ، واعترضه الدمستق في بعض مذاهبه فاوقع به ، وقتل أخاه وأعاد أهل البلد الخطبة لسيف الدولة ، والقى ابن الزيات نفسه في النهر فغرق .

ثم رجع الدمستق الى بلاد الثغور ، وأغذ السير الى مدينة حلب ، وأعجل سيف الدولة عن الاحتشاد فقاتله في خف من اصحابه فانهزم سيف الدولة ، واستلحم آل حمدان ، واستولى

الدمستق على ما في داره خارج حلب من خزائن الاموال والسلاح. وخرب الدار وحصر المدينة، وأحس أهل حلب مدافعته فتأخر الى جبل حيوش.

ثم انطلقت أيدي الدعّار بالبلد على النهب، وقاتلهم الناس على متاعهم، وخربت الاسوار لخلوها من الحامية فجاء الروم، ودخلوها عليهم. وبادر الاسرى الذين كانوا في حلب وأثخنوا في الناس، وسبي من البلد بضعة عشر ألفاً ما بين صبي وصبية. واحتمل الروم ما قدروا عليه، وأحرقوا الباقي. ولجأ المسلمون الى قصبة البلد فامتنعوا بها، وتقدّم ابن اخت الملك الى القلعة يحاصرها فرمي بحجر منجنيق فمات. وقتل الدمستق به من كان معه من أسرى المسلمين وكانوا ألفاً ومائتين.

وارتحل الدمستق عنهم، ولم يعرض لسواد حلب. وأمرهم بالعمارة على أنه يعود ابن عمه عن قريب فخيب الله ظنه. وأعاد سيف الدولة عين زربة، وأصلح أسوارها وغزا حاجبه مع أهل طرسوس الى بلاد الروم فأثخنوا فيها، ورجعوا فجاء الروم الى حصن سِبَة فملكوه وملكوا أيضاً حصن دَلوكة وثلاثة حصون مجاورة لهم. ثم سار نجا غلام سيف الدولة الى حصن زياد فلقيهم جمع من الروم فانهزم الروم، وأسر منهم خمسمائة رجل. وفي هذه السنـة أسر أبو فراس بن سعيد بن حمدان، وكان عاملاً على مَنْبِج. وفيها سار جيش من الروم في البحر الى جزيرة اقريطش، وبعث اليهم

المعزّ بالمـدد فاسر الروم وانهزم من بقي منهم . ثم ثار الروم في اثنتين وخمسين بعدها بملكهم فقتلوه ، وملّكوا غيره ، وصار ابن السُمَيْسِرَة دمستقاً .

انتقاض أهل حران

كان سيف الدولة قـد ولّى هِبَةَ الله ابن أخيه ناصر الدولة[1] غيرها من ديار مضر فساء أثره فيهم ، وطرح الامتعة على التجار ، وبالغ في الظلم فانتظروا به غيبته عند عمه سيف الدولة ، وثاروا بعماله ونوابه فطردوهم فسار هبة الله اليهم ، وحاصرهم شهرين ، وأفحش في القتل فيهم . ثم سار سيف الدولة فراجعوا الطاعة ، وداخلوا هبة الله ، وأفحش في القتل واستقاموا .

انتقاض هبة الله

وفي هذه السنة بعث سيف الدولة الصوائف الى بلاد الروم فدخل أهل طرسوس من درب ومولاه نجا من درب ، وأقام هو ببعض الدروب ، لانه كان أصابه الفالج قبل ذلك بسنتين فكان يُعاني منه شدّة اذا عاوده وجعه . توغّل أهل طرسوس في غزوتهم

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٧ ص ٦ : ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وثلاثمئة.
ذكر عصيان أهل حران : في هذه السنة في صفر امتنع أهـل حران عـلى صاحبها هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان، وعصوا عليه. وسبب ذلك أنه كان متقلداً لها ولغـيرها من ديـار مضر، من قبل عمه سيف الدولة فعسفهم نوابه وظلموهم.

وبلغوا قونية ، وعادوا فعاد سيف الدولة الى حلب ، واشتدّ وجعه فأرجف الناس بموته فوثب هبة الله ابن أخيه ، وقتل ابن دِنْجا النصراني من غلمان سيف الدولة . ولما تيقّن حياة عمه رحل الى حران وامتنع بها ، وبعث سيف الدولة غلامه فجاء الى حران في طلبه ، فلحق هبة الله بأبيه بالموصل ونزل نجا عـلى حرّان آخر شوّال من سنة اثنتين وخمسين ، وصادر أهلهـا عـلى ألف ألف درهم ، وأخذها منهم في خمسة أيـام بالضرب والنكال ، وباعوا فيها ذخائرهم حتى أملقوا ، وصاروا الى ميافارقين ونزلها شاغرة فتسلط العيارون على أهلها .

انتقاض نجا بميافارقين وأرمينية واستيلاء سيد الدولة عليها

ولما فعل نجا بأهل حران ما فعل ، واستولى على أموالهم فقوي بها وبطر ، وسار الى ميافارقين ، وقصد بلاد أرمينية . وكان قد استولى على أكثرها رجل من العراق يعرف بأبي الورد فغلبه نجا على ما ملك منها ، وأخذ قلاعه وبلاده فلك خلاط وملاذكرد وأخذ كثيراً من أموال أبي الورد وقتله ، ثم انتقض على سيف الدولـة . واتفق ان معزّ الدولة ابن بُوَيْه استولى عـلى الموصل ونصيبين فكاتبه نجـا يعده المساعدة عـلى بني حمدان . ثم صالحه ناصر الدولة ، ورجع الى بغداد فسار سيف الدولة الى نجا فهرب منه بين يديه ، واستولى عـلى جميع البلاد التي ملكها من أبي

الورد ، واستأمن اليه نجا وأخوه وأصحابه فأمنهم وأعاد نجا الى مرتبته . ثم وثب عليه غلمانه وقتلوه في داره بميافارقين في ربيع سنة ثلاث وخمسين .

مسير معز الدولة إلى الموصل وحروبه مع ناصر الدولة

كان الصلح قد استقرّ بين ناصر الدولة ومعزّ الدولة على ألف ألف درهم في كل سنة . ثم طلب ناصر الدولة دخول ولده أبي ثعلب المظفر [1] في اليمن على زيادة بذلها ، وامتنع سيف الدولة من ذلك ، وسار الى الموصل منتصف سنة ثلاث وخمسين . ولحق ناصر الدولة بنصيبين وملك معز الدولة الموصل ، وسار عنها في اتباع ناصر الدولة بعد أن استخلف على الموصل في الجباية والحرب فلم يثبت ناصر الدولة ، وفارق نصيبين وملكها معز الدولة . وخالفه أبو ثعلب الى الموصل ، وعاث في نواحيها ، وهزمه قوّاد معز الدولة بالموصل فسكنت نفس معز الدولة . وأقام ببرّ قَعيد يترقب أخباره ، وخالف ناصر الدولة الى الموصل فأوقع بأصحابه وقتلهم ، وأسر قواده واستولى على مخلفه من المال والسلاح . وحمل ذلك كله الى قلعة كواشي . وبلغ الخبر الى معزّ الدولة فلحق بالنوّاب ، وأعيا معز الدولة أمرهم . ثم أرسلوا اليه في

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٧ ص ٨: لولده أبي تغلب فضل الله الغضنفر.

الصلح فأجاب ، وعقد لناصر الدولة على الموصل وديار ربيعة ، وجميع أعماله بمقرّها المعلوم ، وعلى أن يطلق الاسرى الذين عنده من أصحاب معزّ الدولة ، ورجع معز الدولة الى بغداد .

حصار المصيصة وطرطوس واستيلاء الروم عليها

وفي سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة خرج الدمستق في جموع الروم فنازل المصيصة ، وشدّد حصارها ، وأحرق رساتيقها ، وبلغ الى نقب السور فدافعه أهلها أشد مدافعتهم . ثم رحل الى اذنة وطرسوس ، وطال عيثه في نواحيها ، وأكثر القتل في المسلمين ، وغلت الاسعار في البلاد ، وقلت الاقوات . وعاود سيف الدولة مرض فمنعه من النهوض اليهم ، وجاء من خُراسان خمسة آلاف رجل غزاة فبلغوا الى سيف الدولة ، فارتحل بسببهم للمدافعة فوجد الروم انصرفوا ففرّق هؤلاء الغزاة في الثغور من أجل الغلاء ، وكان الروم قد انصرفوا بعد خمسة عشر يوماً . وبعث الدمستق الى أهل المصيصة واذنة وطرسوس يتهدّدهم بالعود ، ويأمرهم بالرحيل من البلاد .

ثم عاد اليهم وحاصر طرسوس فقاتلهم أشدّ قتال ، وأسروا بطريقاً من بطارقته ، وسقط الدمستق الى أهل المصيصة ، ورجعوا الى بلادهم . ثم سار يعفور[1] ملك الروم من القسطنطينية سنة

(١) كذا، واسمه نقفور.

أربع وخمسين الى الثغور ، وبنى بقيسارية مدينة ونزلها ، وجهّز عليها العساكر وبعث أهل المصيصة وطرسوس في الصلح فامتنع ، وسار بنفسه الى المصيصة فدخلها عنوةً واستباحها ، ونقل أهلها الى بلاد الروم وكانوا نحواً من مائتي ألف. ثم سار الى طرسوس واستنزل أهلها على الامان ، وعلى أن يحملوا من أموالهم وسلاحهم ما قدروا عليه ، وبعث معهم حاميةً من الروم يبلغونهم انطاكية ، وأخذ في عمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة اليها . ثم عاد الى القُسْطَنْطِينيَّة ، وأراد الدمستق بن شمسيق[1] ان يقصد سيف الدولة في ميافارقين ، ومنعه الملك من ذلك .

انتقاض أهل انطاكية وحمص

ولما استولى الروم على طرسوس لحق الرشيق النعيمي[2] من قوّادهم وأولي الرأي فيهم بانطاكية في عدد وقوّة فاتصل به ابن أبي الأهوازي من الجباة بانطاكية ، وحسن له العصيان وأراه أنّ سيف الدولة بميافارقين عاجز عن العود الى الشام بما هو فيه من الزمانة ، وأعانه بما كان عنده من مال الجباة فأجمع رشيق الانتقاض ، وملك انطاكية وسار الى حلب وبها عرقوبة[3] وجاء

---

(١) كذا، والصحيح : شمشقيق، كما في الكامل ج ٦ ص ١١.
(٢) كذا، وفي ابن الأثيرج ٦ ص ١٤ : النشيمي.
(٣) كذا، وفي الكامل: قرعويه. وفي تجارب الأمم : قرغويه.

الخبر الى سيف الدولة بأنّ رشيقاً أجمع الانتقاض ، ونجا ابن الاهوازي الى انطاكية فأقام في امارتها رجلًا من الديلم اسمه وزير[1] ولقبه الامير ، وأوهم أنه علوي وتسمى هو بالاشاد[2] وأساء السيرة في أهل انطاكية ، وقصدهم عرقوبة من حلب فهزموه .

ثم جاء سيف الدولة من ميافارقين الى حلب ، وخرج الى انطاكية وقاتل وزيرا وابن الاهوازي أياماً . وجيء بهما اليه أسيرين فقتل وزيرا وحبس ابن الاهوازي أياماً وقتله ، وصلح أمر انطاكية . ثم ثار بحمص مروان القَرْمطِيّ كان من متابعة القرامطة ، وكان يتقلد السواحل لسيف الدولة ، فلما تمكن ثار بحمص فملكها وملك غيرها في غيبة سيف الدولة بميافارقين ، وبعث اليه عرقوبة مولاه بدراً بالعساكر فكانت بينهما عدّة حروب أصيب فيها مروان بسهم فأثبت ، وبقي أياماً يجود بنفسه والقتال بين أصحابه وبين بدر ، وأسر بدر في بعض تلك الحروب فقتله مروان ، وعاش بعده أياماً ، ثم مات وصلح أمرهم .

خروج الروم الى الثغور واستيلاؤهم على دارا

وفي سنة خمس وخمسين خرجت جموع الروم الى الثغور

(١) كذا واسمه دزير.

(٢) كذا، وفي الكامل: وتسمى هو بالأستاذ.

فحاصروا آمد ، ونالوا من أهلها قتلاً وأسراً فامتنعت عليهم فانصرفوا الى دارا قريباً من ميافارقين فأخذوها ، وهرب الناس الى نصيبين ، وسيف الدولة يومئذٍ بها فهمّ بالهروب ، وبعث عن العرب ليخرج معهم . ثم انصرف الروم ، وأقام هو بمكانه ، وساروا الى انطاكية فحاصروها مدّةً ، وعاثوا في جهاتها فامتنعت فعاد الروم الى طرسوس .

وفاة سيف الدولة ومحبس أخيه ناصر الدولة

وفي صفر من سنة خمس وخمسين توفي سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان بحلب ، وحمل الى ميافارقين فدفن بها وولي مكانه بعده ابنه أبو المعالي شريف . ثم في جمادى الاولى منها حبس ناصر الدولة أخوه بقلعة الموصل ، حبسه ابنه أبو ثعلب فضل الله الغضنفر . وكان كبير ولده ، وكان سبب ذلك أنه كبر وساءت أخلاقه ، وخالف أولاده وأصحابه في المصالح ، وضيق عليهم فضجروا منه ، ولما بلغهم معز الدولة بن بويه اعتزم أولاده على قصد العراق فنهاهم ناصر الدولة ، وقال لهم : اصبروا حتى ينفق بَختِيار ما خلّف أبوه معزّ الدولة من الذخيرة فتظفروا به ، وإلا استظهر عليكم وظفر بكم فلجوا في ذلك ، ووثب به أبو ثعلب بموافقة البطانة ، وحبسه بالقلعة ، ووكل بخدمته . وخالفه بعض اخوته في ذلك واضطرب أمره ،

واضطر الى مداراة بختيار بن معز الدولة ، وأرسل له في تجديد الضمان ليحتج به على اخوته فضمنه بألفي ألف درهم في كل سنة .

ولاية أبي المعالي بن سيد بحلب ومقتل أبي فراس

ولما مات سيف الدولة كما ذكرناه ، وليَ بعده ابنه أبو المعالي شريف ، وكان سيف الدولة قد ولّى أبا فِراس بن أبي العَلاء سعد ابن حمدان ، عندما خلّصه من الاسر الذي أسره الروم في مَنْبِج فاستفداه في الفداء الذي بينه وبين الروم ، سنة خمس وخمسين ، وولاه على حمص . فلما مـات سيف الدولة استوحش من أبي المعالي بعده ففارق حمص ، ونزل في صَدَد ، قرية في طرف البرية قريباً من حمص ، فجمع أبو المعـالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم ، وبعثهم مع عرقوبة في طلبه فجاء الى صدد ، واستأمن له أصحاب أبي فراس ، وكان في جملتهم فأمر به عرقوبة فقتل ، واحتمل رأسه الى أبي المعالي ، وكان أبو فراس خاله .

أخبار أبي ثعلب مع اخوته بالموصل

كان لناصر الدولة بن حمدان زوجة تسمى فاطمة بنت أحمد الكُرْدِيّة ، وهي ام أبي ثعلب ، وهي التي دبّرت مع ابنها أبي ثعلب على أبيه فلما حبس ناصر الدولة ، كاتب ابنه حمدان يستدعيه ليخلّصه مما هو فيه . وظفر أبو ثعلب بالكتاب فنقل

أباه الى قلعة كواشي ، واتصل ذلك بحمدان ، وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرَحَبَةِ الى الرَّقة فملكها . ولما اتصل به شأن الكتاب سار الى نصيبين ، وجمع الجموع ، وبعث الى اخوته في الافراج عن أبيهم فسار أبو ثعلب لحربه ، وانهزم حمدان قبل اللقاء للرقّة فحاصره أبو ثعلب أشهراً . ثم اصطلحا ، وعاد كل منهما الى مكانه . ثم مات ناصر الدولة في محبسه سنة ثمان وخمسين ، ودفن بالموصل . وبعث أبو ثعلب أخاه أبا البركات الى حمدان بالرحبة فافترق عنه أصحابه ، وقصد العراق مستجيراً ببختيار فدخل بغداد في شهر رمضان من سنته ؛ وحمل اليه الهدايا

وبعث بختيار الى أبي ثعلب النقيب أبا أحمد ، والد الشريف الرضي في الصلح مع أخيه حمدان فصالحه ، وعاد الى الرحبة منتصف سنة تسع وخمسين . وفارقه أبو البركات ، ثم استقدمه أبو ثعلب فامتنع من القدوم عليه فبعث اليه أخاه أبا البركات ثانياً ، في العساكر ، فخرج حمدان الى البريّة ، وترك الرَحَبَة فملكها أبو البركات ، واستعمل عليها . وسار الى الرقّة ، ثم الى عرابان . وخالفه حمدان الى الرحبة فكبسها ، وقتل أصحاب أبي ثعلب بها فرجع اليه أبو البركات ، وتقاتلا فضرب أبا البركات على رأسه فشجه ، ثم ألقاه الى الارض وأسره ومات من يومه . وحمل الى الموصل فدفن بها عند أبيه .

وجهز أبو ثعلب الى حمدان ، وقدّم أخاه أبا فِراس مُحمداً

الى نصيبين ، ثم عزله عنها لانه داخل حمدان ومالأه عليه فاستدعاه وقبض عليه ، وحبسه بقلعة ملاشي من بلاد الموصل فاستوحش أخوه ابراهيم والحسن ، ولحقا بأخيهما حمدان في شهر رمضان ، وساروا جميعاً الى سنجار . وسار أبو ثعلب من الموصل في أثرهم في شهر رمضان سنة ستين وثلثمائة فخاموا عن لقائه ، واستأمن اليه أخوه ابراهيم والحسن خديعة ومكراً فأمنهما ، ولم يعلم ، وتبعهما كثير من أصحاب حمدان . وعاد حمدان من سنجار الى عرابان ، وأطلع أبو ثعلب على خديعة أخويه فهربا منه . ثم استأمن الحسن ورجع اليه ، وكان حمدان أقام نائباً بالرحبة غلامه نجا فاستولى على أمواله ، وهرب بها الى حرّان وبها سلامة البرقعيدي من قبل أبي ثعلب ، فرجع حمدان الى الرحبة . وسار أبو ثعلب الى قرقيسيا ، وبعث العساكر الى الرحبة فعبروا الفرات ، واستولوا عليها ، ونجا حمدان بنفسه ، ولحق بسنجار مستجيراً به ، ومعه أخوه ابراهيم فاكرمهما ووصلهما ، وأقاما عنده . ورجع أبو ثعلب الى الموصل وذلك كله آخر سنة ستين وثلثمائة .

خروج الروم الى الجزيرة والشام

وفي سنة خمس وثمانين دخل ملك الروم الشام فسار في نواحيها ، ولم يجد من يدافعه فعاث في نواحي طرابلس ، وكان أهلها قد أخرجوا عاملهم الى عَرْقَة لسوء سيرته فنهب الروم أمواله

ثم حاصر الروم عَرْقَة فملكوها ونهبوها . ثم قصدوا حمص وقد انتقل أهلها عنها فأحرقوها ، ورجعوا الى بلاد السواحل ، وملكوا منها ثمانية عشر بلداً ، واستباحوا عامّة القرى ، وساروا في جميع نواحي الشام ولا مدافع لهم ، إلا أنّ بعض العرب كانوا يغيرون على أطرافهم . ثم رجع ملك الروم مجمعاً حصار حلب وانطاكية ، وبلغه استعدادهم فرحل عنهم الى بلاده ، ومعه من السبي مائة ألف رأس . وكان بحلب قرعوية مولى سيف الدولة فمانعهم ، وبعث ملك الروم سراياه الى الجزيرة فبلغوا كفرتوثا وعاثوا في نواحيها ، ولم يكن من أبي ثعلب مدافعة لهم .

استبداد قرعوية بحلب

كان قرعوية غلام سيف الدولة ، وهو الذي أخذ البيعة لابنه أبي المعالي بعد موته فلما كان سنة ثمان وخمسين انتقض على أبي المعالي ، وأخرجه من حلب ، واستبد بملكها.. وسار أبو المعالي الى حَرّان فمنعه أهلها فسار الى والدته بميافارقين ، وهي بنت سعيد ابن حمدان أخت أبي فراس . ولحق أصحابه بأبي ثعلب ، وبلغ أمّه بميافارقين وهي بنت سعيد بن حمدان أخت أبي فراس انه يريد القبض عليها فمنعته أياماً من الدخول ، حتى استوثقت لنفسها ، وأذنت له ولمن رضيته ، وأطلقت لهم الارزاق ، ومنعت الباقين وسار أبو المعالي لقتال قرعوية بحلب فامتنع عليه ، ثم لحق أبو

المعالي بحماة ، وأقام بها وبقيت الخطبة بحرّان له ولا والي عليهم من قبله فقدّموا عليهم من يحكم بينهم .

مسير أبي ثعلب من الموصل الى ميافارقين

ولما سمع أبو ثعلب بخروج أبي المعالي من ميافارقين الى حلب لقتال قرعوية ، سار اليها وامتنعت زوجة سيف الدولة منه ، واستقرّ الامر بينهما على أن تحمل اليه مائتي ألف درهم . ثم نمي اليها انه يحاول على ملك البلد فكبسته ليلاً ، ونالت من معسكره فبعث اليها يلاطفها فأعادت اليه بعض ما نهب ، وحملت اليه مائة ألف درهم ، وأطلقت الاسارى فرجع عنها .

استيلاء الروم على انطاكية ثم حلب وثم ماذكرد

وفي سنة تسع وخمسين خرج الروم الى انطاكية فمرّوا بحصن الوفاء بقربها ، وهم نصارى فحاصروهم ، واتفقوا على أن يرحلوا الى انطاكية ، فاذا نزل الروم عليها ثاروا من داخل .

وانتقل أهل الوفاء ، ونزلوا بجبل انطاكية . وجاء بعد شهرين أخو نقفور ملك الروم في أربعين ألفاً من جموع الروم ، ونازل انطاكية فأخلى له أهل الوفاء السور من ناحيتهم ، وملكوا البلد وسبوا منها عشرين ألفاً . ثم أنفذ ملك الروم جيشاً كثيفاً الى حلب وأبو المعالي بن سيف الدولة عليها يحاصرها ففارقها أبو المعالي ،

وقصد البَرِّيّة وملك الروم حلب . وتحصّن قرعوية وأهـل البلد بالقلعة فحاصروها مدّة . ثم ضربوا الهدنة بينهم عـلى مـال يحمله قرعوية ، وعـلى ان الروم اذا أرادوا الميرة من قرى الفرات لا يمنعونهم منها . ودخل في هذه الهدنـة حمص وكَفَرْطاب والمَعَرَّة وأفامية وَشَيزر ، وما بين ذلك من الحصون والقرى ، وأعطاهم رهنهم على ذلك الروم . وأفرج الروم عن حلب . وكان ملك الروم قد بعث جيشاً الى ملاذكرد من أعمال أرمينية فحاصروها ، وفتحوها عنوة . ورعب أهل الثغور منهم في كل ناحية .

مقتل نقفور ملك الروم

كان نقفور ملكاً بالقُسْطَنطينيَّة، وهي البلاد التي بيد بني عثمان لهذا العهد ، وكان من يليها يسمى الدُّمُستُق ، وكان نقفور هذا شديداً على المسلمين ، وهو الذي أخذ حلب أيام سيف الدولة . وملك طرسوس والمسينة وعين زربة . وكان قتل الملك قبله وتزوّج امرأته ، وكان له منها ابنان فكفلها نقفور وكان كثيراً ما يطرق بلاد المسلمين ويدوّخها في ثغور الشام والجزيرة ، حتى هابـه المسلمون وخـافوه على بلادهم . ثم أراد أن يَجُبَّ ربيبيه ليقطع نسلها ففرقت أمها من ذلـك ، وأرسلت الى الدمستق بن الشميشق وداخلته في قتـله . وكان شديد الخوف من نقفور . وهذا كان أبوه مسلماً من أهل طرسوس يعرف بابن العفـاش ،

تنصر ولحق بالقسطنطينية . ولم يزل يترقى في الأطوار الى أن نال من الملك ما ناله . وهذه غلطة ينبغي للعقلاء أن يتنزهوا عنها ، ولا ينال الملك من كان عريقاً في السوقة، وفقيداً [1] للعصابة بالكلية ، وبعيداً عن نسب أهل الدولة ، فقد تقدّم من ذلك في مقدّمة الكتاب ما فيه كفاية .

استيلاء أبي ثعلب على حران

وفي منتصف سنة تسع وخمسين ، سار أبو ثعلب الى حرّان وحاصرها نحواً من شهر ، ثم جنح أهلها الى مصالحته واضطربوا في ذلك ، ثم توافقوا عليه وخرجوا الى أبي ثعلب واعطوه الطاعة ودخل في اخوانه وأصحابه فصلى الجمعة ، ورجع الى معسكره . واستعمل عليهم سلامة البرقعيدي ، وكان من أكابر أصحاب بني حمدان . وبلغه الخبر بأن نُمَيراً عاثوا في بلاد الموصل ، وقتلوا العامل ببرقعيد فأسرع العود .

مصالحة قرعوية لأبي المعالي

قد تقدّم لنا استبداد قرعوية بحلب سنة ثمان وخمسين ، وخروج أبي المعالى بن سيف الدولة منها ، وانه لحق بأمه بميافارقين . ثم

(١) الفقيد : بمعنى المفقود في اللغة ويظهر من السياق أنه يقصد بها : الفاقد وقد كرر هذا المعنى أكثر من مرة ـ كما أشار إليه .

رجع لحصار قرعوية بحلب . ثم رجع الى حمص ونزل بها . ثم وقع الاتفاق بينه وبين قرعويه ، على أن يخطب له بحلب ، ويخطبان جميعاً للمعز العلوي صاحب مصر .

مسير الروم الى بلاد الجزيرة

وفي سنة احدى وستين سار الدمستق في جموع الروم الى الجزيرة فأغار على الرُّها ونواحيها . ثم تنقل في نواحي الجزيرة ، ثم بلغ نصيبين واستباحها ودوّخها . ثم سار في ديار بكر ففعل فيها مثل ذلك . ولم يكن لابي تغلب في مدافعتهم اكثر من حمل المال اليهم وسار جماعة من اهل تلك البلاد الى بغداد مستنفرين، وجلسوا الى الناس في المساجد والمشاهد يصفون ما جرى على المسلمين ، وخوّفوهم عاقبة أمرهم فتقدّمهم أهل بغداد الى دار الطائع الخليفة ، وأرادوا الهجوم عليه فأُغلقت دونهم الابواب فأعلنوا بشتمه . ولحق آخرون من اهل بغداد ببختيار وهو بنواحي الكوفة يستغيثونه من الروم فوعدهم بالجهاد ، وأرسل الى الحاجب سَبُكتكين يأمره بالتجهيز للغزو ، وأن يستنفر العامّة . وكتب الى أبي تغلب بن حمدان باعداد الميرة والعلوفات والتجهيز ، وأنه عازم على الغزو . ووقعت بسبب ذلك فتنة في بغداد من قبل اشتغال العامّة بذلك أدت الى القتل والنهب بين عصائب الفتيان والعيارين .

أسر الدمستق وموته

ولما فعل الدمستق في ديار مضر والجزيرة ما فعل ، قوي طمعه في فتح آمد فسار اليه أبو تغلب ، وقدّم أخاه أبا القاسم هبة الله واجتمعا على حرب الدمستق ، ولقياه في رمضان سنة اثنتين وستين . وكانت الجولة في مضيق لا تتحرّك فيه الخيل ، وكان الروم على غير أهبة فانهزموا . وأخذ الدمستق أسيراً فلم يزل محبوساً عند أبي تغلب الى أن مرض سنة ثلاث وستين ، وبالغ في علاجه وجمع له الاطباء فلم ينتفع بذلك ومات .

استيلاء بختيار بن معز الدولة على الموصل وما كان بينه وبين أبي تغلب

قد تقدّم لنا ما كان بين أبي تغلب وأخويه حمدان وابراهيم من الحروب ، وأنهما سارا الى بختيار بن معز الدولة صريخين فوعدهما بالنصرة ، وشغل عن ذلك بما كان فيه فابطأ عليهما أمره ، وهرب ابراهيم ، ورجع الى أخيه أبي تغلب فتحرّك عزم بختيار على قصد الموصل ، وأغراه وزيره ابن بقية لتقصيره في خطابه فسار ، ووصل الى الموصل في ربيع سنة ثلاث وستين ، ولحق أبو تغلب بسنجار وأخلى الموصل من الميرة ، ومن الدواوين . وخالف بختيار الى بغداد ، ولم يحدث فيها حدثاً من نهب ولا غيره ، وانما قاتل أهل بغداد فحدثت فيها الفتنة بسبب ذلك بين عامتها .

واضطرب أمرهم ، وخصوصاً الجانب الغربي . وسمع بختيار بذلك فبعث في أثره وزيره ابن بقية وسبكتكين ، فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين في الضاحية . وتأخر أبو ثعلب عن بغداد ، وحاربه يسيراً .

ثم داخله في الانتقاض واستيلاء سبكتكين على الأمر . ثم أقصر سبكتكين عن ذلك ، وخرج اليه ابن بقية ، وراسلوا أبا ثعلب في الصلح على مال يضمنه ويردّ على أخيه حمدان إقطاعه ما سوى ماردين ، وكتبوا بذلك الى بختيار . وارتحل أبو ثعلب الى الموصل ، وأشار ابن بقية على سبكتكين باللحاق ببختيار فتقاعد ثم سار . وارتحل بختيار عن الموصل بعد أن جهد منه أهل البلد بما نالهم من ظلمه وعسفه . وطلب منه أبو ثعلب الاذن في لقب سلطاني ، وأن يحطّ عنه من الضمان فأجابه وسار . ثم بلغه في طريقه أنّ أبا ثعلب نقض وقتل بعضاً من أصحاب بختيار ، عادوا الى الموصل لنقل أهاليهم فاستشاط بختيار ، واستدعى ابن بقية وسبكتكين في العساكر ، وعادوا جميعاً الى الموصل . وفارقها أبو ثعلب ، وبعث أصحابه بالاعتذار ، والحلف على انكار ما بلغه فقبل ، وبعث الشريف أبا أحمد الموسوي لاستحلافه . وتمّ الصلح ، ورجع بختيار الى بغداد فجهز ابنته الى أبي ثعلب ، وقد كان عقد له عليها من قبل .

عود أبي المعالي بن سيف الدولة الى حلب

قد تقدّم لنا أنّ قرعوية مولى أبيه سيف الدولة كان تغلّب عليه ، وأخرجه من حلب سنة سبع وخمسين وثلثمائة فسار الى والدته بميافارقين . ثم الى حماة فنزلها ، وكانت الروم قد أمنت حمص ، وكثر أهلها . وكان قرعوية قد استناب بحلب مولاه بكجور فقوي عليه وحبسه في قلعة حلب ، وملكها سنين فكتب أصحاب قرعوية الى أبي المعالي واستدعوه فسار ، وحاصرها أربعة أشهر ، وملكها وأصلح أحوالها ، وازدادت عمارتها حتى انتقل الى ولاية دمشق كما يذكر .

استيلاء عضد الدولة بن بويه على الموصل وسائر ملوك بني حمدان

ولما ملك عَضُد الدَّوْلة بن رُكْنِ الدولة بن بُوَيْه بغداد ، وهزم بختيارُ ابن عَمِّهِ معزّ الدولة ، سار بختيار في الفلّ الى الشام ، ومعه حمدان بن ناصر الدولة أخو أبي ثعلب فحسن له قصد الموصل على الشام ، وقد كان عضد الدولة عاهده أن لا يتعرّض لابي ثعلب لمودّة بينهما فنكث وقصدها .

ولما انتهى الى تكريت أتته رسل أبي ثعلب بالصلح ، وأن يسير اليه بنفسه وعساكره ، ويعيده على ملك بغداد على أن يسلم اليه أخاه حمدان فسلمه الى رسل أبي ثعلب فحبسه ، وسار

بختيار الى الحديثة ولقي أبا ثعلب ، وسار معه الى العراق في عشرين ألف مقاتل . وزحف نحوهما عضد الدولة ، والتقوا بنواحي تكريت في شوّال سنة ست وستين فهزمهما عضد الدولة ، وقتل بختيار ، ونجا أبو ثعلب الى الموصل فاتبعه عضد الدولة ، وملك الموصل في ذي القعدة ، وحمل معه الميرة والعلوفات للاقامة . وبثّ السرايا في طلب أبي ثعلب ومعه المَرْزُبان بن بختيار وأخواله أبو اسحق وظاهر ابنا معزّ الدولة ، ووالدتهم .

وسار لذلك أبو الوفاء ظاهر بن اسمعيل من أصحابه . وسار حاجبه أبو ظاهر طِغان الى جزيرة ابن عُمَر ، ولحق أبو ثعلب بنصيبين . ثم انتقل الى ميافارقين فأقام بها . وبلغه مسير أبي الوفاء اليه ففارقها الى تفليس . وجاء أبو الوفاء الى ميافارقين فامتنعت عليه فتركها ، وطلب أبا ثعلب فخرج من أرزن الروم الى الحسينية من أعمال الجزيرة ، وصعد الى قلعة كواشي وغيرها من قلاعه . ونقل منها ذخيرته ، وعاد فعاد أبو الوفاء الى ميافارقين وحاصرها ، واتصل بعضد الدولة مجيئه الى القلاع فسار اليه ، ولم يدركه ، واستأمن اليه كثير من أصحابه . وعاد الى الموصل وبعث قائده طغان الى تفليس فهرب منها أبو ثعلب واتصل بملكهم المعروف بورد الرومي ، وكان منازعاً لملكهم الاعظم في الملك فوصل ورد يده بيد أبي ثعلب ، وصاهره ليستعين به واتبعه في مسيره عسكر عضد الدولة ، وأدركوه فهزموهم وأثخن فيهم .

ونجا فلُّهم الى حصن زياد ، ويسمى خرت برت .

وأرسل الى ورد يستمدّه فاعتذر بما هو فيه ، ووعده بالنصر. ثم انهزم ورد أمام ملك الروم فأيس أبو ثعلب من نصره ، وعاد الى بلاد الاسلام ، ونزل بآمد حتى جاء خبر ميافارقين . وكان أبو الوفاء لما رجع من طلب أبي ثعلب حاصر ميافارقين ، والوالي عليها هزار مرد فضبط البلد ، ودافع أبا الوفاء ثلاثة أشهر . ثم مات وولى أبو ثعلب مكانه مؤنساً من موالي الحمدانية ، ودس أبو الوفاء الى بعض أعيان البلد فاستماله فبعث له في الناس رغبة. وشعر بذلك مؤنس فلم يطق مخالفتهم فانقاد واستأمن ، وملك أبو الوفاء البلد ، وكان في أيام حصاره قد افتتح سائر حصونه فاستولى على سائر ديار بكر وأمن أصحاب أبي ثعلب ، وأحسن اليهم ورجع الى الموصل . وبلغ الخبر الى ابي ثعلب منقلبه من دار الحرب فقصد الرَّحَبَة . وبعث الى عضد الدولة يستعطفه فشرط عليهَ المسير اليه فامتنع .

ثم استولى عضد الدولة على ديار مُضَر ، وكان عليها من قبل ابي ثعلب سلامة البرقعيدي من كبار اصحاب بني حمدان . وكان ابو المعالي ابن سيف الدولة بعث اليها جيشاً من حلب فحاربوها وامتنعت عليهم ، وبعث ابو المعالي الى عضد الدولة ، وعرض بنفسه عليه فبعث عضد الدولة النقيب ابا احمد الموسوي الى سلامة البرقعيدي ، وتسلمها بعد حروب . واخذ لنفسه منها الرقة ، وردّ

باقيها على سعد الدولة فصارت له . ثم استولى عضد الدولة على الرحبة ، وتفرّغ بعد ذلك لفتح قلاعه وحصونه . واستولى على جميع اعماله ، واستخلف ابا الوفاء على الموصل ، ورجع الى بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وستين . ثم بعث عضد الدولة جيشاً الى الاكراد الهكارية من اعمال الموصل فحاصروهم حتى استقاموا وسلموا قلاعهم ، ونزلوا الى الموصل فحال الثلج بينهم وبين بلادهم فقتلهم قائد الجيش ، وصلبهم على جانبي طريق الموصل .

مقتل أبي ثعلب بن حمدان

ولما أيس ابو ثعلب بن حمدان من اصلاح عضد الدولة ، والرجوع الى ملكه بالموصل سار الى الشام ، وكان على دمشق قسام داعية العزيز العَلَوي ، غلب عليها بعد افتكين ، وقد تقدّم ذلك ، وكيف ولي افتكين على دمشق . فخاف قسام من ابي ثعلب ، ومنعه من دخول البلد فأقام بظاهرها ، وكاتب العزيز ، وجاءه الخبر بأنه يستقدمه فرحل الى طَبَرِيّة بعد مناوشة حرب بينه وبين قسام . وجاء الفضل قائد العزيز لحصار قسام بدمشق ، ومر بأبي ثعلب ووعده عن العزيز بكل جميل . ثم حدثت الفتنة بين دغفل وقسام وأخرجهم ، وانتصروا بأبي ثعلب فنزل بجوارهم مخافة دغفل والفضل القائد الذي يحاصر دمشق . ثم ثار ابو ثعلب في بني عقيل الى الرملة في محرّم سنة تسع وتسعين فاستراب به الفضل

ودغفل وجمعوا لحربه ، ففرّ بنو عقيل عنه ، وبقي في سبعمائة من غلمانه وغلمان ابيه ، وولّى منهزماً فلحقه الطلب فوقف يقاتل ، فضرب واسر وحمل الى دغفل ، واراد الفضل حمله الى العزيز فخاف دغفل ان يصطنعه كما فعل بافتكين فقتله ، وبعث الفضل بالرأس الى مصر . وحمل بنو عقيل أخته جميلة ، وزوجته بنت سيف الدولة الى ابي المعالي بحلب فبعث بجميلة الى الموصل ، وبعث بها ابو الوفاء الى عضد الدولة ببغداد فاعتقلها .

وصول ورد المنازع لملك الروم الى ديار بكر مستجيرا

كان ملك الروم أرمانوس لما توفي خلف ولدين صغيرين ؛ وهما بَسيل وقُسْطَنْطين ، ونصب احدهما للمُلك ، وعاد حينئذ الدمشق يعفور[١] من بلاد الاسلام بعد ان عاث في نواحيها وبالغ في النكاية ، فاجتمع اليه الروم ، ونصبوه للنيابة عن ابني أرمانوس فداخلت امهما ابن الشميشق على الدمشقية ، وقبض على لاوون اخي دمشق ، وعلى ابنه ورديس بن لاوون واعتقلهما في بعض القلاع . وسار الى بلاد الشام واعظم فيها النكاية . ومرّ بطرابلس فحاصرها ، وكان لوالده الملك اخ خصِيّ وهو يومئذ وزير فوضع على ابن الشميشق من سقاه السُّم ، واحس به من نفسه فأغذ

(١) كذا، والصحيح : الدمستق نقفور.

السير الى القُسْطَنطينيّة فمات في طريقه . وكان ورد بن منير من عظماء البطارقة في الامر ، وصاهر أبا ثعلب بن حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور ، وقصد الروم ووالى عليهم الهزائم فخافه الملكان ، وأطلقا وَرْدِيس بن لاوون ، وبعثاه على الجيوش لقتال الورد فقاتله فانهزم ورد الى ديار بكر سنة تسع وستين وثلثمائة ، ونزل بظاهر ميافارقين ، وبعث أخاه الى عضد الدولة مستنصراً به.

وبعث ملكا الروم بالقسطنطينية الى عضد الدولة فاستمالاه فرجح جانبهما ، وأمر بالقبض على ورد وأصحابه فقبض عليه أبو علي التميمي عامل ديار بكر ، وعلى ولده وأخيه وأصحابه ، وأودعهم السجن بميافارقين ، ثم بعثهم الى بغداد فحبسوا بها الى أن أطلقهم بهاء الدولة ابن عضد الدولة سنة خمس وسبعين ، وشرط عليه اطلاق عدد من المسلمين ، واسلام سبعة من الُحصون برساتيقها ، وأن لا يتعرّض لبلاد المسلمين ما عاش . وجهزه فسار وملك في طريقه مَلَطْية وقوي بما فيه ، وصالحه ورديس بن لاوون على أن يكون قسطنطينية وجانب الشمال من الخليج له وحاصر قسطنطينية ، وبها الملكان ابنا أرمانوس ، وهما بسيل وقسطنطين في ملكها ، وأقرّا ورداً على ما بيده قليلاً . ثم مات وتقدّم بسيل في الملك ، ودام عليه ملكه ، وحارب البلغار خمساً وثلاثين سنة ، وظفر بهم وأجلاهم عن بلادهم وأسكنها الروم .

ولاية بكجور على دمشق

قد قدّمنا ولاية بكجور على حمص لابي المعالي بن سيف الدولة ، وأنه عمرها ، وكان أهل دمشق ينتقلون اليها لما نالهم من جورقسام ، وما وقع بها من الغلاء والوباء ، وكان بكجور يحمل الاقوات من حمص تقرّباً الي العزيز صاحب مصر ، وكاتبه في ولايتها فوعده بذلك . ثم استوحش من أبي المعالي سنة ثلاث وسبعين ، وأرسل الى العزيز يستنجز وعده في ولاية دمشق فمنع الوزير بن كلس من ولايته ريبة به ، وكان بدمشق من قبل العزيز القائد بُلُكِّين بعثه فمنع الوزير بعد قسام ، وساء أثر ابن كلس في الدولة ، واجتمع الكتاميون بمصر على التوثب بابن كلس ، ودعته الضرورة لاستقدام بلكين من دمشق فأمر العزيز باستقدامه ، وولى بكجور مكانه فدخلها في رجب سنة ثلاث وسبعين وأساء السيرة فيها ، وعاث في أصحاب الوزير بن كلس ، وأقام على ذلك ستاً .

وعجز أهل دمشق منه ، وجهزت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم ، وكوتب نزال والي طرابلس بمعاضدته فسار في العساكر ، وجمع بكجور عسكراً من العرب وغيرهم ، وخرج للقائه فهزمه منير واستأمن اليه بكجور على أن يرحل عن دمشق فأمنه ، ورحل الى الرقّة واستولى عليها ، وتسلم منير

دمشق، وأقام بكجور بالرقّة واستولى على الرَحَبَة وما يجاور الرقة وراسل بهاء الدولة ابن عضد الدولة بالطاعة وباد الكردي المتغلب على ديار بكر والموصل بالمسير اليه ، وأبا المعالي سعد الدولة صاحب حلب بالعود الى طاعته على أن يقطعه حمص ، فلم يجبه أحد الى شيء فأقام بالرقّة يراسل موالي سعد الدولة أبي المعالي ، ويستميلهم في الغدر به فأجابوه ، وأخبروه أن أبا المعالي مشغول بلذّاته فاستمدّ حينئذ العزيز ، فكتب الى نزال بطرابلس وغيره من ولاة الشام أن يمدّوه ويكونوا في تصرّفه .

ودسّ اليهم عيسى ابن نسطورس النصراني وزير العزيز في المباعدة عنه لعداوته مع ابن كلس الوزير قبله ، وتجديدها مع ابن منصور هذا فكتب نزال الى بكجور يواعده بذلك في يوم معلوم، وأخلفه وسار بكجور من الرقة، وبلغ خبر مسيره الى أبي المعالي فسار من حلب ، ومعه لؤلؤ الكبير مولى أبيه ، وكتب الى بكجور يستميله ويذكره الحقوق ، وأن يقطعه من الرقّة الى حمص فلم يقبل . وكتب ابو المعالي الى صاحب انطاكية يستمدّه فأمدّه بجيش الروم ، وكتب الى العرب الذين مع بكجور يرغّبهم في الاموال والاقطاع فوعدوه خذلان بكجور عند اللقاء .

فلما التقى العسكران ، وشغل الناس بالحرب ، عطف العرب على سواد بكجور فنهبوه ، ولحقوا بأبي المعالي فاستمات بكجور وحمل على موقف أبي المعالي يريده ، وقد أزاله لؤلؤ عن موقفه،

ووقف مكانه خشية عليه . وحمل ذلك فلما انتهى بكجور لحملته برز اليه لؤلؤ وضربه فأثبته . وأحاط به أصحابه فولى منهزماً . وجاء بعضهم الى أبي المعالي فشارطه على تسليمه اليه فقبل شرطه، وأحضره فقتله وسار الى الرقة وبها سلامة الرشقي مولى بكجور وأولاده وأبو الحسن علي بن الحسين المغربي وزيره فاستأمنوا اليه فأمنهم، ونزلوا عن الرقّة فلكها، واستكثر ما مع اولاد بكجور فقال له القاضي ابن ابي الحصين هو مالك، وبكجور لا يملك شيئاً، ولا حنث عليك . فاستصفى مالهم أجمع، وشفع فيهم العزيز فأساء عليه الردّ، وهرب الوزير المغربي الى مشهد عليّ .

خبر باد الكردي ومقتله على الموصل

كان من الاكراد الحميدية بنواحي الموصل، ومن رؤسائهم رجل يعرف، بباد وقيل باد لقب له، واسمه ابو عبد الله الحسين ابن ذوشتك، وقيل باد اسمه وكنيته ابو شجاع بن ذوشتك . وانما ابو عبد الله الحسين أخوه . وكان له بأس وشدة، وكان يخيف السابلة، ويبذل ما تجمع له من النهب في عشائره فكثرت جموعه . ثم سار الى مدينة أرمينية فملك مدينة أرجيش . ثم رجع الى ديار بكر فلما ملك عضد الدولة الموصل، حضر عنده في جملة الوفود وخافه على نفسه فعدا وأبعد في مذهبه، وبلغ عضد الدولة امره فطلبه فلم يظفر به . ولما هلك عضد الدولة سار باد

الى ديار بكر فملك آمد وميافارقين . ثم ملك نصيبين فجهز صمصام الدولة العساكر اليه مع الحاجب ابي القاسم سعيد بن محمد فلقيه على خابور الحُسَيْنِيَّة من بلاد كواشي فانهزم الحاجب وعساكره ، وقتل كثير من الديلم .

ولحق الحاجب سعيد بالموصل ، وباد في اتباعه . وثارت عامة الموصل بالحاجب لسوء سيرته فأخرجوه ، ودخل باد الموصل سنة ثلاث وسبعين ، وقوي امره وسما الى طلب بغداد . وأهمّ صمصام الدولة أمره ونظر مع وزيره ابن سعدان في توجيه العساكر اليه ، وأنفذ كبير القوّاد زياد بن شهراكونه . فتجهز لحربه ، وبالغوا في مدده وازاحة علله فلقيهم في صفر سنة أربع وسبعين . وانهزم باد وقتل كثير من أصحابه ، وأسر آخرون ، وطيف بهم في بغداد . واستولى الديلم على الموصل ، وارسل زياد القائد عسكراً الى نصيبين فاختلفوا على مقدّمهم . وكتب ابن سعدان وزير صمصام الدولة الى ابي المعالي بن حمدان صاحب حلب يومئذ بولاية ديار بكر ، وادخالها في عمله ، فسير اليه ابو المعالي عسكره الى ديار بكر فلم يكن لهم طاقة بأصحاب باد ، فحاصروا ميافارقين أياماً ، ورجعوا الى حلب .

وبعث سعد الحاجب من يتولى غدر باد فدخل عليه رجل في خيمته ، وضربه بالسيف على ساقه يظنها رأسه فنجا من الهلكة . ثم بعث باد الى زياد القائد ، وسعد الحاجب بالموصل

بطلب الصلح فأتمروا بينهم على ان تكون ديار بكر لباد ، والنصف من طور عبدين . فخلصت ديار بكر لباد من يومئذ ، وانحدر زياد القائد الى بغداد . وأقام سعد الحاجب بالموصل الى ان توفي سنة سبع وسبعين فطمع باد في الموصل ، وبعث اليها شرف الدولة ابن بويه أبا نصر خواشاده في العساكر ، فزحف اليه باد ، وتأخر المدد عن ابي نصر فبعث عن العرب من بني عقيل وبني نمير لمدافعة باد ، وأقطعهم البلاد . واستولى باد على طور عبدين آخر الجبال ولم يضجر ، وأرسل اخاه في عسكر لقتال العرب فقتل ، وانهزم عسكره ، واقام باد قبالة خواشاده حتى جاء الخبر بموت شرف الدولة بن بويه ، فزحف خواشاده الى الموصل ، وقامت العرب بالصحراء وباد بالجبال .

عود بني حمدان الى الموصل ومقتل باد

كان أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسن ابنا ناصر الدولة ابن حمدان قد لحقا بعد مهلك أخيهما أبي ثعلب بالعراق ، وكانا ببغداد ، واستقرّا في خدمة شرف الدولة بن عضد الدولة ، فلما تولى شرف الدولة وخواشاده في الموصل بعثهما اليها . ثم أنكر ذلك عليه أصحابه فكتب الى خواشاده عامل الموصل فمنعهما فكتب اليهما بالرجوع عنه فلم يجيبا ، واغذّا السير الى الموصل حتى نزلا بظاهرها . وثار أهل الموصل بالديلم والاتراك الذين عندهم

وخرجوا الى بني حمدان . وزحف الديلم لقتالهم فانهزموا ، وقتل منهم خلق ، وامتنع باقيهم بدار الامارة . وأراد أهل الموصل استلحامهم فمنعهم بنو حمدان، وأخرجوا خواشاده ومن معه على الامان الى بغداد ، وملكوا الموصل . وتسايل اليهم العرب من كل ناحية . وبلغ الخبر الى باد وهو بديار بكر بملك الموصل ، وجمع فاجتمع اليه الاكراد البشنوية أصحاب قلعة فسك ، وكان جمعهم كثيراً . واستمال أهل الموصل بكتبه فأجابه بعضهم ، فسار ونزل على الموصل ، وبعث أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان الى أبي عبد الله محمد بن المسيَّب أمير بني عقيل يستنصرانه . وشرط عليهما جزيرة ابن عمر ونصيبين فقبلا شرطه . وسار أبو عبد الله صريخاً ، وأقام أخوه أبو طاهر بالموصل ، وباد يحاصره . وزحف ابو الرواد في قومه مع ابي عبد الله بن حمدان ، وعبروا دجلة عند بدر ، وجاؤا الى باد من خلفه . وخرج ابو طاهر والحمدانيّة من أمامه ، والتحم القتال ، ونكب بباد فرسه فوقع طريحاً ، ولم يطق الركوب ، وجهض العدوّ عنه اصحابه فتركوه فقتله بعض العرب ، وحمل رأسه الى بني حمدان ورجعوا ظافرين الى الموصل ، وذلك سنة ثمانين .

مهلك أبي طاهر بن حمدان واستيلاء بني عقيل على الموصل

لما هلك باد طمع ابو طاهر وابو عبد الله ابنا حمدان في

استرجاع ديار بكر ، وكان ابو علي بن مروان الكردي ، وهو ابن أخت باد قد خلص من المعركة ، ولحق بحصن كيفا ، وبه اهل باد وماله ، وهو من أمنع المعاقل فتزوّج امرأة خاله واستولى على ماله وعلى الحصن . وسار في ديار بكر فملك ما كان لخاله فيها تليدا . وبينما هو يحاصر ميافارقين زحف اليه ابو طاهر وابو عبد الله ابنا حمدان يحاربانه فهزمهما ، وأسر عبد الله منهما . ثم اطلقه ولحق بأخيه أبي طاهر وهو يحاصر آمد فزحفا لقتال ابن مروان فهزمهما ، وأسر ابا عبد الله ثانية الى ان شفع فيه خليفة مصر فأطلقه ، واستعمله الخليفة على حلب الى ان هلك . وأمّا ابو طاهر فلحق بنصيبين في فلّ من اصحابه ، وبها ابو الدرداء محمد بن المسيَّب امير بني عقيل. وسار الى الموصل فملكها وأعمالها ، وبعث الى بهاء الدولة ان ينفذ اليه عاملًا من قبله فبعث اليهـا قائداً كان تصرفه عن ابي الدرداء ، ولم يكن له من الامر شيء الى ان استبدّ ابو الدرداء ، واستغنى عن العامل ، وانقرض ملك بني حمدان من الموصل والبقاء لله .

ملك سعد الدولة بن حمدان بحلب وولاية ابنه أبي الفضائل واستبداد لؤلؤ عليه

ولما هزم سعد الدولة مولاه بكجور ، وقتله حين سار اليه من الرقة ، رجع الى حلب فأصابه فالج وهلك سنة احدى وثمانين . وكان مولاه لؤلؤ كبير دولته فنصب ابنه أبا الفضائل ، وأخذ له

العهد على الاجناد ، وتراجعت اليهم العساكر . وبلغ الخبر ابا الحسن المغربي وهو بمشهد عليّ فسار الى العزيز بمصر ، وأغراه بملك حلب فبعث اليها قائده منجوتكين في العساكر وحاصرها . ثم ملك البلد ، واعتصم ابو الفضائل ولؤلؤ بالقلعة ، وبعث ابو الفضائل ولؤلؤ الى ملك الروم يستنجدانه ، وكان مشغولاً بقتال البلغار فأرسل الى نائبه بأنطاكية ان يسير اليهم ، فسار في خمسين ألفاً ، ونزل جسر الحديد على وادي العاصي فنفر اليه منجوتكين في عساكر المسلمين ، وهزم الروم الى انطاكية ، واتبعهم فنهب بلادها وقراها وأحرقها . ونزل أبو الفضائل ولؤلؤ من القلعة الى مدينة حلب فنقل ما فيها من الغلال ، وأحرق الباقي . وعاد منجوتكين الى حصارهم بحلب .

وبعث لؤلؤ الى ابي الحسن المغربي في الوساطة لهم في الصلح فصالحهم منجوتكين ، ورحل الى دمشق حجرا من الحرب وتعذر الاقوات . ولم يراجع العزيز في ذلك فغضب العزيز ، وكتب اليه يوبخه ويأمره بالعود لحصار حلب فعاد وأقام عليها ثلاثة عشر شهراً . فبعث ابو الفضائل ولؤلؤ مراسلة لملك الروم وحرّضوه على انطاكية ، وكان قد توسط بلاد البلغار فرجع عنها وأجفل في الحشد ، ورجع الى حلب . وبلغ الخبر الى منجوتكين فأجفل عنها بعد ان أحرق خيامه ، وهدم مبانيه ، وجاء ملك الروم . وخرج اليه ابو الفضائل ولؤلؤ فشكرا له ورجعا ، ورحل ملك الروم

الى الشام ففتح حمص وشيزر ونهبهما . وحاصر طرابلس فامتنعت عليه فأقام بها اربعين ليلة ، ثم رحل عائداً الى بلده .

انقراض بني حمدان بحلب واستيلاء بني كلاب عليها

ثم إنّ ابا نصر لؤلؤاً مولى سيف الدولة عزل ابا الفضائل مولاه بحلب ، وأخذ البلد منه ومحا دعوة العبّاسيّة ، وخطب للحاكم العلوي بمصر ، ولقبه مرتضى الدولة . ثم فسد حاله معه فطمع فيه بنو كِلاب بن ربيعة ، وأميرهم يومئذ صالح بن مرداس وتقبض لؤلؤ على جماعة منهم دخلوا الى حلب ، كان فيهم صالح فاعتقله مدّة وضيق عليه . ثم فرّ من محبسه ونجا الى أهله ، وزحف الى حلب ولؤلؤ فيها ، وكانت بينه وبينهم حروب هزمه صالح آخرها ، وأسره سنة ستين وأربعمائة . وخلص أخوه نجا الى حلب فحفظها ، وبعث الى صالح في فدية أخيه وشرط له ما شاء فأطلقه ، ورجع الى حلب واتهم مولاه فتحاً ، وكان نائبه على القلعة بالمداخلة في هزيمته فأجمع نكبته . ونمي اليه الخبر فكاتب الحاكم العلوي وأظهر دعوته ، وانتقض على لؤلؤ فأقطعه الحاكم صيدا وبيروت ، ولحق لؤلؤ بالروم في انطاكية فأقام عندهم . ولحق فتح بصيدا . واستعمل الحاكم على حلب من قبله ، وانقرض امر بني حمدان من الشام والجزيرة أجمع . وبقيت حلب في ملك العُبَيْدِيّين . ثم غلب عليها صالح بن مرداس الكِلابي ، وكانت بها دولة له

ولقومه ، وورثها عنه بنوه كما يذكر في أخبارهم .

دولة بني عقيل

الخبر عن دولة بني عقيل بالموصل وابتداء أمرهم بأبي الدرداء وتصاريف أحوالهم

كان بنو عقيل وبنو كِلاب وبنو نُمَيْر وبنو خَفاجة ، وكلّهم من عامر بن صَعْصَعَة وبنو طَيّ ، من كهلان قد انتشروا ما بين الجزيرة والشام في عُدْوَة الفُرات . وكانوا كالرعايا لبني حمدان يؤدون اليهم الاتاوات وينفرون معهم في الحروب . ثم استفحل أمرهم عند فشل دولة بني حمدان ، وساروا إلى ملك البلاد . ولما انهزم أبو طاهر بن حمدان أمام أبي علي بن مروان بديار بكر كما قدّمناه سنة ثمانين ، ولحق بنصيبين ، وقد استولى عليها أبو الدرداء محمد بن المسيَّب بن رافع بن المقلّد بن جعفر بن عمر ابن مهند ، أمير بني عقيل ابن كعب بن ربيعة بن عامر ، فقتل أبا طاهر وأصحابه ، وسار الى الموصل فملكها . وبعث الى بهاء الدولة بن بُوَيْه المستبِدّ على الخليفة بالعراق ، في أن يبعث عاملًا من قبله ، والحكم راجع لأبي الدرداء . وأقام على ذلك سنتين . وبعث بهاء الدولة سنة اثنتين وثمانين عساكره الى الموصل مع أبي جعفر الحجاج بن هُرْمُز فغلب عليها أبا الدرداء ، وملكها .

وزحف لحربه أبو الدرداء في قومه، ومن اجتمع اليه من العرب فكانت بينهم حروب ووقائع، وكان الظفر فيها للديلم.

مهلك أبي الدرداء وولاية أخيه المقلد

ثم مات أبو الدرداء سنة ست وثمانين وولي امارة بني عقيل مكانه أخوه علي بعد ان تطاول اليها اخوهما المقلد بن المسيب، وامتنع بنو عقيل لان علياً كان اسن منه فصرف المقلد وجهه الى ملك الموصل، واستمال الديلم الذين فيها مع أبي جعفر بن هرمز فمالوا اليه، وكتب الى بهاء الدولة ان يضمنه الموصل بألفي الف درهم كل سنة. ثم اظهر لاخيه علي وقومه ان بهاء الدولة قد ولاه واستمدهم فساروا معه، ونزلوا على الموصل، وخرج الى المقلد من كان استماله من الديلم واستأمن إليهم أبو جعفر قائد الديلم فأمنوه، وركب السفن الى بغداد، واتبعوه فلم يظفروا منه بشيء، وتملك المقلد ملك الموصل.

فتنة المقلد مع بهاء الدولة بن بويه

كان المقلد يتولى حماية غربي الفرات، وكان له ببغداد نائب فيه تهور وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة. وكان بهاء الدولة مشغولا بفتنة أخيه فكتب نائب المقلد اليه يشكو من أصحاب بهاء الدولة، فجاء في العساكر، واوقع بهم،

ومد يده الى جباية الاموال . وخرج نائب بهاء الدولة ببغداد ، وهو أبو علي بن اسمعيل عن ضمان القصر وغيره فغالط بهاء الدولة ، وانفذ ابا جعفر الحجاج بن هرمز للقبض على أبي علي بن اسمعيل ومصالحة المقلد بن المسيب ، فصالحه على أن يحمل الى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار ويخطب له ولابي جعفر بعده ، ويأخذ من البلاد رسم الحماية ، وان يخلع على المقلد الخلع السلطانية ، ويلقب حسام الدولة ، ويقطع الموصل والكوفة والقصر والجامعين وجلس له ولأبي جعفر القادر بالله فاستولى على البلاد ، وقصده الاعيان والاماثل ، وعظم قدره . وقبض ابو جعفر على ابي علي بن اسمعيل ثم هرب ولحق بمهذب الدولة .

القبض على علي بن المسيب

كان المقلد بن المسيب قد وقعت المشاجرة بين أصحابه وأصحاب أخيه في الموصل قبل مسيره الى العراق فلما عاد الى الموصل ، أجمع[1] الانتقام من اصحاب أخيه . ثم نوى أنه لا يمكنه ذلك مع اخيه فاعمل الحيلة في قبض اخيه ، واحضر عسكره من الديلم والاكراد . وورى بقصر دقوقا واستحلفهم على الطاعة . ثم نقب دار اخيه ، وكانت ملاصقة له . ودخل اليه فقبض عليه ، وحبسه وبعث زوجته وولديه قرواش وبدران الى تكريت . واستدعى

---

(١) بمعنى : عزم على .

رؤساء العرب وخلع عليهم، واقام فيهم العطاء فاجتمعت له زهاء الفي فارس، وخرجت زوجة أخيه بولديها الى اخيها الحسن بن المسيب، وكانت احياؤه قريباً من تكريت فاستجاش العرب على المقلد، وسار اليه في عشرة آلاف فخرج المقلد عن الموصل، واستشار الناس في محاربة اخيه. فاشار رافع بن محمد بن معز بالحرب، واشار اخوه غريب بن محمد بالموادعة، وصلة الرحم. وبينما هو في ذلك اذ جاءت أخته رميلة بنت المسيب شافعة في اخيها علي فاطلقه، ورد عليه ماله وتوادع الناس، وعاد المقلد الى الموصل، وتجهز لقتال علي بن مزيد الاسدي بواسط، لانه كان مغضباً لاخيه الحسن، فلما قصد الحلة خالفه علي الى الموصل فدخلها. وعاد اليه المقلد، وتقدمه اخوه الحسن مشفقاً عليه من كثرة جموع المقلد فاصلح ما بينهما، ودخل المقلد الى الموصل واخواه معه. ثم خاف علي فهرب. ثم وقع الصلح بينهما على ان يكون احدهما بالبلد. ثم هرب علي فقصده المقلد ومعه بنو خفاجة فهرب الى العراق، واتبعه المقلد فلم يدركه ورجع عنه. ثم سار المقلد الى بلد علي بن مزيد فدخله ثانية، ولحق ابن مزيد بمهذب الدولة صاحب البطيحة فأصلح ما بينهما.

استيلاء المقلد على دقوقا

ولما فرغ المقلد من شان اخويه وابن مزيد، وسار الى دقوقا

فملكها . وكانت لنصرانيين قد استعبدا اهلها وملكها من ايديهما جبريل ابن محمد من شجمان بغداد اعانه عليها مهذب الدولة صاحب البطيحة وكان مجاهداً يحب الغزو فملكها ، وقبض على النصرانيين وعدل في البلد . ثم ملكها المقلد من يده ، وملكها بعده محمد بن نحبان ، ثم بعده قرواش ابن المقلد . ثم انتقلت الى فخر الملك أبي غالب فعاد جبريل واستجاش بموشك بن حكويه من أمراء الاكراد . وغلب عليها عمال فخر الدولة . ثم جاء بدران بن المقلد فغلب جبريل وموشك عليها وملكها .

مقتل المقلد وولاية ابنه قراوش

كان للمقلد موال من الاتراك فهربوا منه ، واتبعهم فظفر بهم ، وقتل وقطع وأفحش في المثلة فخاف اخوانهم منه ، واغتنموا غفلته فقتلوه فيها بالانبار سنة احدى وسبعين . وكان قد عظم شانه ، وطمع في ملك بغداد . ولما قتل كان ولده الاكبر قراوش[1] غائباً وكانت أمواله بالانبار فخاف نائبه فيها عبدالله بن ابراهيم ابن شارويه بادرة عمه الحسن ، وراسل ابا منصور بن قراد وكان بالسِّنْدِيَّة ، وقاسمه في مخلف المقلد على ان يدافع الحسن ان قصده فأجابه الى ذلك ، وارسل عبدالله الى قرواش يستحثه فوصل ، ووفى لابن قراد بما عاهده عليه نائبه عبدالله ، واقام ابن قراد

(١) كذا بالأصل ، في الكامل ج ٧ ص ٢٠٦ : قرواش .

عنده . ثم ان الحسن بن المسيب جاء الى مشايخ بني عقيل شاكياً مما فعله قراوش وابن قراد عنده فسعوا بينهم في الصلح ، واتفق الحسن وقرواش على الغدر بابن قراد ، وان يسير احدهما الى الآخر متحاربين فاذا تلاقيا قبضا على ابن قراد ففعلا ذلك . فلما تراءى الجمعان نمي الخبر الى ابن قراد فهرب واتبعه قرواش والحسن ولم يدركاه ، ورجع قرواش الى بيوته فاخذها بما فيها من الاموال ، فوجه الاموال الى ان اخذها ابو جعفر الحجاج بن هرمز .

فتنة قراوش مع بهاء الدولة بن بويه

ولما كانت سنة اثنتين وتسعين بعث قراوش بن المقلد جمعاً من بني عقيل الى المدائن فحصروها فبعث أبو جعفر بن الحجاج بن هُرمُز نائب بهاء الدولة ببغداد عسكراً إليهم فدفعوهم عنها ، فاجتمعت عقيل وبنو أسد ، وأميرهم عليّ بن مزيد . وخرج أبو جعفر اليهم ، واستجاش بخفاجة ، وأحضرهم من الشام فانهزم واستبيح عسكره ، وقتل وأسر من الاتراك والديلم كثير . ثم جمع العساكر ثانياً ، ولقيهم بنواحي الكوفة فهزمهم ، وقتل وأسر ، وسار الى أحياء بني مزيد ، ونهب منها ما لا يقدر قدره . ثم سار قراوش الى الكوفة سنة سبع وتسعين وكانت لابي علي بن ثمال الخفاجي ، وكان غائباً عنها فدخل قراوش

الكوفة وصادرهم . ثم قتل أبو علي سنة تسع وتسعين ، وكان الحاكم صاحب مصر قد ولّاه الرَّحبَة فسار اليها . وخرج اليه عيسى بن خِلاط العَقيلي فقتله وملكها . ثم ملكها بعده غيره الى أن وليَ أمرها صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب .

قبض قراوش على وزرائه

كان معتمد الدولة قراوش بن المقلد قد استوزر أبا القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي ، وكان من خبره أنّ أباه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان فذهب عنه الى مصر وولي بها الاعمال . وولد ابنه أبا القاسم ، ونشأ هنالك . ثم قتله الحاكم فلحق أبو القاسم بحسان بن مُفَرّج بن الجرّاح الطائي بالشام ، وأغراه بالانتقاض والبيعة لابي الفتوح الحسن بن جعفر صاحب مكة ففعل ذلك . ولم يتم أمر أبي الفتوح ، ورجع الى مكة . ولحق أبو القاسم المغربي بالعراق ، واتصل بفخر الملك فارتاب به القادر لانتسابه الى العَلَوية فأبعده فخر الملك فقصد قراوش بالموصل فاستوزره . ثم قبض عليه سنة احدى عشرة وأربعمائة ، وصادره على مال زعم أنه ببغداد والكوفة فأحضره ، وترك سبيله فعاد الى بغداد ووزر لشرف الدولة بن بويه بعد وزيره مؤيد الملك الرجيحي ، وكان مداخلًا لعنبر الخادم الملقب بالاثير المستولي على الدولة يومئذ .

ثم سخطه الاتراك وسخطوا الابهر[1] فأشار عليه بالخروج عن بغداد ، فخرج الوزير وأبو القاسم معه الى السندية وبها قراوش فانزلهم ، وساروا الى اوانا . وبعث الاتراك الى الاثير عنبر بالاستعتاب فاستعتب ، ورجع وهرب ابو القاسم المغربي الى قراوش سنة خمس عشرة لعشرة أشهر من وزارته . ثم وقعت فتنة بالكوفة كان منشؤها من صهره ابن أبي طالب فارسل الخليفة الى قراوش في ابعاده عنه فابعده ، وسار الى ابن مروان الى ديار بكر ، وهنالك يذكر بقية خبره . ثم قبض معتمد الدولة قراوش على أبي القاسم سليمان بن فهر عامل الموصل له ولابيه ، وكان من خبره أنه كان يكتب في حداثته بين يدي أبي اسحق الصابي ، ثم اتصل بالمقلد بن المسيَّب ، وأصعد معه الى الموصل واقتنى بها الضياع . ثم استعمله قراوش على الجبابات فظلم أهلها وصادرهم فحبسه ، وطالبه بالمال فعجز وقتل .

حروب قراوش مع العرب وعساكر بغداد

وفي سنة احدى عشرة اجتمع العرب على فتن قراوش، وسار

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٣١٦ : في هذه السنة ـ خمس عشرة وأربعمائة ـ تأكدت الوحشة بين الأثير عنبر الخادم، ومعه الوزير ابن المغربي وبين الأتراك فاستأذن الأثير والوزير ابن المغربي الملك مشرف الدولة في الانتزاح إلى بلد يأمنان فيه على أنفسهما فقال: أنا أسير معكما فساروا جميعاً، ومعهم جماعة من مقدمي الديلم إلى السندية وبها قراوش فانزلهم، ثم ساروا كلهم إلى أوانا.

اليه دبيس بن علي بن مزيد الأَسَديِّ وغريب بن معن ، وجاءهم العسكر من بغداد فقاتلوه عند سُرَّمَنْ رَأى[1] ، ومعه رافع بن الحسين فانهزم ، ونهبت أثقاله وخزائنه ، وحصل في أسرهم ، وفتحوا تكريت عنوة من أعماله . ورجعت عساكر بغداد اليها . واستجار قراوش بغريب بن معن فأطلقه ، ولحق بسلطان بن الحسن من عُمّال أمير خفاجة ، واتبعه عسكر من الترك وقاتلهم غربي الفرات ، وانهزم هو وسلطان ، وعاث العسكر في أعماله فبعث الى بغداد بمراجعة الطاعة وقبل . ثم كانت الفتنة بينه وبين أبي أسد وخفاجه سنة سبع عشرة ، لانّ خفاجه تعرّضوا لاعماله بالسواد فسار اليهم من الموصل ، وأميرهم أبو الفتيان منيع بن حسّان فاستجاش بدبيس بن علي بن مزيد فجاءه في قومه بني أسد ، وعسكر من بغداد ، والتقوا بظاهر الكوفة ، وهو يومئذ لقراوش فخام قراوش عن لقائهم ، وأجفل ليلًا للأنبار . واتبعوه فرحل عنها الى حلله ، واستولى القوم على الانبار وملكوها . ثم فارقوها وافترقوا فاستعادها قراوش .

ثم كانت الحرب بينه وبين بني عقيل في هذه السنة ؛ وكان سببها أنّ الاثير عنبر الخادم حاكم دولة بني بويه انتقض عليه الجند ، وخافهم على نفسه فلحق بقراوش فجاء قراوش وأخذ له

---

(١) سر من رأى. ضد ساء من رأى وهكذا كانت بالأصل، وهي هنا اسم بلدة في العراق بضم السين، كما في معجم البلدان.

إقطاعه وأملاكه بالقيروان ، فجمع مجد الدولة بن قراد ورافع بن الحسين جمعاً كبيراً من بني عقيل ، وانضم اليهم بدران أخو قراوش وساروا لحربه . وقد اجتمع هو وغريب بن معن والاثير عنبر ، وأمدّهم ابن مروان فكانوا في ثلاثة عشر ألفاً ، والتقوا عند بلدهم فلما تصافوا والتحم القتال ، خرج بدران بن المقلّد الى أخيه قراوش فصالحه وسط المصاف ، وفعل ثوران بن قراد كذلك مع غريب بن معن فتوادعوا جميعاً واصطلحوا . وأعاد قراوش الى أخيه بدران مدينة الموصل .

ثم وقعت الحرب بين قراوش وبين خفاجه ثانياً ؛ وكان سببها أنّ منيع بن حسان أمير خفاجه وصاحب الكوفة سار الى الجامعين بلد دبيس ، ونهبها فخرج دبيس في طلبه الى الكوفة فقصد الانبار ، ونهبها هو وقومه فسار قراوش اليهم ومعه غريب بن معن[1] الانبار . ثم مضى في اتباعهم الى القصر فخالفوه الى الانبار ونهبوها وأحرقوها . واجتمع قراوش ودبيس في عشرة آلاف ، وخاموا عن لقاء خفاجه فلم يكن من قراوش إلّا بناء السور على الانبار . ثم سار منيع بن حَسّان الخفاجي الى الملك كليجار ، والتزم الطاعة ، وخطب له بالكوفة وأزال حكم بني عقيل

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٧ ص ٣٢٥ : وعلم أصحابه بذلك فتبعوه منهزمين فوصلوا إلى الأنبار.

عن سقي الفرات . ثم سار بدران بن المقلّد في جموع من العرب الى نصيبين ، وحاصرها وهي لنصير الدولة بن مروان فجهز لهم الجند ، وبعثهم اليها فقاتلوا بدران فانهزم أوّلاً . ثم عطف عليهم فانهزموا وأثخن فيهم ، وبلغه الخبر أنّ أخاه قراوش قد وصل الى الموصل فأجفل خوفاً منه .

استيلاء الغز على الموصل

كان هؤلاء الغز من شعوب الترك بمفازة بخارى ، وكثر فسادهم في جهاتها فأجاز اليهم محمود بن سبكتكين ، وهرب صاحب بخارى ، وحضر عنده أميرهم أرسلان بن سُلجوق فقبض عليه ، وحبسه بالهند ، ونهب أحياءهم وقتل كثيراً منهم فهربوا الى خراسان وأفسدوا ونهبوا فبعث اليهم العساكر فأثخنوا فيهم، وأجلوهم عن خراسان . ولحق كثير منهم باصبهان ، وقاتلوا صاحبها ، وذلك سنة عشرين وأربعمائة . ثم افترقوا فسارت طائفة منهم الى جبل بكجار عند خَوارِزم ، ولحقت طائفة اخرى بأذربيجان ، وأميرها يومئذ وهشوذان فأكرمهم ، ووصلهم ليكفوا عن فسادهم فلم يفعلوا . وكان مقدموهم أربعة : توقا و كوكناش ومنصور وداناً فدخلوا مراغة سنة تسع وعشرين ، ونهبوها وأثخنوا في الاكراد الهذبانيّة ، وسارت طائفة منهم الى الريّ فحاصروها ، وأميرها علاء الدين بن كاكَوَيْه ، واقتحموا عليه

البلد وأفحشوا في النهب والقتل ، وفعلوا كذلك في الكرخ وقَزوين .

ثم ساروا الى أرمينية ، وعاثوا في نواحيها وفي أكرادها . ثم عاثوا في الدينور سنة ثلاثين . ثم أوقع وهشوذان صاحب تبريز لجماعة منهم في بلده وكانوا ثلاثين ، ومقدّمهم فضعف الباقون ، وأكثر فيهم القتل . واجتمع الغز الذين بأرمينية ، وساروا نحو بلاد الاكراد الهكارية من أعمال الموصل فأثخنوا فيهم ، وعاثوا في البلاد . ثم كرّ عليهم الاكراد فنالوا منهم وافترقوا في الجبال وتمزقوا . وبلغهم مسير نيال أخي السلطان طغرلبك ، وهم في الري ، وكانوا شاردين منه فأجفلوا من الريّ ، وقصدوا ديار بكر والموصل سنة ثلاث وثلاثين . ونزلوا جزيرة ابن عُمَر ، ونهبوا باقردى وبازندى والحسنية . وغدر سليمان بن نصير الدولة بن مروان بأمير منهم ، وهو منصور بن عَزَغنيل فقبض عليه وحبسه ، وافترق أصحابه في كل جهة . وبعث نصير الدولة بن مروان عسكراً في اتباعهم ، وأمدّهم قراوش صاحب الموصل بعسكر آخر ؛ وانضم اليهم الاكراد البثنوية أصحاب فَنَك فأدركوهم فاستمات الغزّ وقاتلوهم . ثم تحاجزوا ، وتوجهت العرب الى العراق للمشتى ، وأخربت الغزّ ديار بكر ، ودخل قراوش الموصل ليدفعهم عنها لما بلغه أنّ طائفة منهم قصدوا بلده . فلما نزلوا برقعيد عزم على الاغارة عليهم فتقدّموا اليه فرجع الى مصانعتهم بالمال على ما شرطوه.

وبينما هو يجمع لهم المال وصلوا الى الموصل فخرج قراوش في عسكره ، وقاتلهم عامّة يومه . وعادوا للقتال من الغد فانهزمت العرب وأهل البلد ، وركب قراوش سفينة في الفرات ، وخلف جميع ماله . ودخل الغزّ البلد ونهبوا ما لا يحصى من المال والجوهر والحلى والاثاث . ونجا قراوش الى السند ، وبعث الى الملك جلال الدولة يستنجده ، والى دبيس بن عليّ بن مَزْيَد وأمراء العرب والاكراد يستمدّهم . وأفحش الغُزّ في أهل الموصل قتلاً ونهباً وعيثاً في الحرم . وصانع بعض الدروب والمحال منها عن أنفسهم بمال ضمنوه فكفوا عنهم ، وسلموا .

وفرضوا على أهل المدينة عشرين ألف دينار فقبضوها ؛ ثم فرضوا أربعة آلاف أخر وشرعوا في تحصيلها فثار بهم أهل الموصل ، وقتلوا من وجدوا منهم في البلد . ولما سمع اخوانهم اجتمعوا ودخلوا البلد عَنوةً منتصف سنة خمس وثلاثين ، ووضعوا السيف في الناس واستباحوها اثني عشر يوماً ، وانسدت الطرق من كثرة القتلى حتى واروهم جماعات في الحفائر . وطلبوا الخطبة للخليفة ثم لطغرلبك ، وطال مقامهم بالبلد فكتب الملك جلال الدولة بن بُوَيْه ، ونصير الدولة بن مروان الى السلطان طغرلبك يشكون منهم ، فكتب الى جلال الدولة معتذراً بأنهم كانوا عبيداً وخدماً لنا ، فأفسدوا في جهات الريّ فخافوا على أنفسهم وشردوا . ويعده بأنه يبعث العساكر اليهم ، وكتب الى نصير الدولة بن مروان

يقول له : بلغني أن عبيدنا قصدوا بلادك فصانعتهم بالمال ، وأنت صاحب ثغور ينبغي أن تعطي ما تستعين به على الجهاد ، ويعده انه يرسل من يدفعهم عن بلاده .

ثم سار دبيس بن مزيد الى قراوش مدداً ، واجتمعت اليه بنو عقيل ، وساروا من السنّ الى الموصل فتأخر الغُزّ الى تل أعفر ، وأرسلوا الى أصحابهم بديار بكر ومقدمهم ناصفلي وبوقا فوصلوا اليهم ، وتزاحفوا مع قراوش في رمضان سنة خمس وثلاثين فقاتلوهم الى الظهر ، وكشفوا العرب عن حللهم . ثم استماتت العرب فانهزمت الغز وأخذهم السيف . ونهب العرب أحياءهم ، وبعثوا برؤس القتلى الى بغداد ، واتبعهم قراوش الى نصيبين ورجع عنهم . وقصدوا ديار بكر فنهبوها . ثم أرزن الروم كذلك ، ثم اذربيجان ؛ ورجع قراوش الى الموصل .

استيلاء بدران بن المقلد على نصيبين

قد تقدّم لنا محاصرة بدران نصيبين ورحيله عنها من أخيه قراوش . ثم اصطلحا بعد ذلك واتفقا وتزوّج نصير الدولة ابنة قراوش فلم يعدل بينها وبين نسائه ، وشكت الى أبيها فبعث عنها . ثم هرب بعض عمال ابن مروان الى قراوش ، وأطمعه في الجزيرة فتعلل عليه قراوش بصداق ابنته ، وهو عشرون ألف دينار . وطلب الجزيرة ونصيبين لاخيه بدران فامتنع ابن مروان من

ذلك ، فبعث قراوش جيشاً لحصار الجزيرة وآخر مع أخيه بدران لحصار نصيبين . ثم جاء بنفسه وحاصرها مع أخيه ، وامتنعت عليه . وتسللت العرب والاكراد الى نصير الدولة بن مروان بميافارقين . وطلب منه نصيبين فسلّمها اليه ، وأعطى قراوش من صداق ابنته خمسة عشر ألف دينار . وكان ملك ابن مروان في دقوقا فزحف اليه أبو الشوك من امراء الاكراد فحاصره بها ، وأخذها من يده عنوة وعفا عن أصحابه . ثم توفي بدران سنة خمس وعشرين ، وجاء ابنه عمر الى قراوش فأقرّه على ولاية نصيبين ، وكان بنو نمير قد طمعوا فيها وحاصروه فسار اليهم ودافعهم عنها .

الفتنة بين قراوش وغريب بن معن

كانت تكريت لابي المسيّب رافع بن الحسين من بني عقيل فجمع غريب جمعاً من العرب والاكراد ، وأمدّه جلال الدولة بعسكر ، وسار الى تكريت فحاصرها . وكان رافع بن الحسين عند قراوش بالموصل فسار لنصره بالعساكر ، ولقيه غريب في نواحي تكريت فانهزم ، واتبعه قراوش ورافع ، ولم يتعرّضوا لحلّته وماله . ثم تراسلوا واصطلحوا .

فتنة قراوش وجلال الدولة وصلحهما

كان قراوش قد بعث عسكره سنة احدى وثلاثين لحصار

خميس بن ثَعْلَب بتكريت ، واستجار خميس بجلال الدولة فبعث اليه بالكفّ عنه فلم يفعل فسار بنفسه يحاصره ، وكتب الى الاتراك ببغداد يستفسدهم عن جلال الدولة . وسار جلال الدولة الى الأنبار ، فامتنعت عليه . وسار قراوش للقائه ، وأعوزت عساكر جلال الدولة الاقوات . ثم اختلفت عقيل على قراوش ، وبعث الى جلال الدولة بمعاودة الطاعة فتحالفا وعاد كل الى بلده .

مُلوكُ القِسْطَنْطِينِيَّة

أخبار ملوك القسطنطينية لهذه العصور

كان بَسيل وقُسطَنطين قد تزوّج أبوهما أمّهما في يوم عيد ، ركب الى الكنيسة فرآها في النظارة فشغف بها . وكان أبوها من أكابر الروم فخطبها منه ، وتزوّجها وولدت الولدين ومات أبوهما وهما صغيران . وتزوّجت بعده بمدّة نقفور ، ومَلَك وتصرّف ، وأراد أن يجبّ ولديها . وأغرت الدمستُق بقتله فقتله وتزوّجت به . وأقامت معه سنة ، ثم خافها وأخرجها بولديها الى دير بعيد فأقامت فيه سنة أخرى . ثم دسّت الى بعض الرهبان ليقتل الدمستُق فأقام بكنيسة الملك يَتَحيَّل لذلك ، حتى جاء الملك واستطعمه القربان في العيد من يده ، فدسّ له معه سماً

ومات . وجاءت هي قبل العيد بليالٍ الى القُسْطَنطينيّة فملك ولدها بَسيل واستبدّت عليه لصغره . فلما كبر سار لقتال البلغار في بلادهم ، وبلغه وهو هنالك وفاتها فأمر خادماً له بتدبير الامر في غيبته بالقسطنطينية . وأقام في قتال البلغار أربعين سنة .

ثم انهزم وعاد الى القسطنطينية ، وتجهز ثانية ، وعاد اليهم فظفر بهم ، وقتل ملكهم ، وملك بلادهم . ونقل أهلها الى بلاد الروم . قال ابن الاثير : وهؤلاء البلغار الذين ملك بلادهم بسيل غير الطائفة المسلمة منهم ، وهؤلاء أقرب من أولئك الى بـلاد الروم بشهرين ، وكلاهما بلغار انتهى . وكان بسيل عادلا حسن السيرة ، وملك على الروم نيفاً وسبعين سنة . ولـما مات ملك أخوه قسطنطين . ثم مات وخلّف بناتٍ ثلاثـاً فملكت الكبرى وتزوّجت بأرمانوس من بيت ملكهم ، وهو الذي ملك الرُّها من المسلمين . وكان له من قبـل الملك رجل يخدمـه من السوقة الصيارفة اسمه ميخاييل فاستخلصه ، وحكمه في دولته فمـالت زوجة أرمانوس اليه . وأعملا الحيلة في قتل الملك أرمانوس فقتلاه خنقاً ، وتزوّجته على كره من الروم . ثم عرض لميخاييل هذا مرض شوّه خلقته فعهد بالملك الى ابن أخيه واسمه ميخاييل، فملك بعده ، وقبض على أخواله واخوتهم ، وضرب الدنانير باسمه سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

ثم أحضر زوجته بنت الملك ، وحملها على الرهبانية والخروج

له عن الملك ، وضربها ونفاها الى جزيرة في البحر . ثم اعتزم على قتل البطرك للراحة من تحكّمه فأمره بالخروج الى الدير لعمل وليمة يحضرها عنده ، وأرسل جماعة من الروم وبلغار لقتله ، فبذل لهم البطرك مالا على الابقاء ، ورجع الى بيعته ، وحمل الروم على عزل ميخاييل فأرسل الى زوجته الملكة من الجزيرة التي نفاها اليها فلم تفعل ، وأقبلت على رهبانيّتها فخلعها البطرك من الملك. وملكت اختها الصغيرة بدرونة ، وأقاموا من خدم أبيها من يدبر ملكها ، وخلعوا ميخاييل ، وقاتل أشياعه أشياع بدرونة فظفر بهم أشياع بدرونة ونهبوهم ، وفزع الروم الى التماس ملك يدبّرهم ، وقارعوا بين المرشحين فخرجت القرعة على قسطنطين فملّكوه ، وتزوّجته الملكة الكبرى ، ونزلت لها الصغيرة عن الملك سنة أربع وثلاثين . ثم خرج خارجيّ من الروم اسمه ميناس ، وكثر جمعه ، وبلغ عشرين ألفاً . وجهز قسطنطين اليه العساكر فقتلوه ، وسيق رأسه اليه ، وافترق أصحابه . ثم ورد على القسطنطينية سنة خمس وثلاثين مراكب للروم ، ووقعت منها محاورات نكرها الروم فحاربوهم ، وكانوا قد فارقوا مراكبهم الى البرّ فأحرقوها وقتلوا الباقين .

الوحشة بين قراوش والأكراد

كان للاكراد عدّة حُصون تجاور الموصل ، فنها للحميديّة

قلعة العَقْر وما اليها ، وصاحبها أبو الحسن بن عكشان. وللهَذْبانيَّة قلعة أَرْبِل وأعمالها ، وصاحبها أبو الحسن بن موشك ، ونازعه أخوهِ أبو علي بن اربل فأخذها منه باعانة ابن عكشان ، وأسر أخاه أبا الحسن . وكان قراوش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل مشغولين بالعراق فنكرا ذلك لمّا بلغهما ، ورجعا الى الموصل فطلب قراوش من الحميدي والهدباني النجدة على نصير الدولة بن مروان ، فجاء الحميدي بنفسه . وبعث الهدباني أخاه ، وأصلح قراوش ونصير الدولة . ثم قبض على عكشان وصالحه على اطلاق أبي الحسن بن موشك ، وامتنع أخوه أبو علي ، وكان عكشان عوناً عليه فأجاب ورهن في ذلك ولده . ثم أرسل أبا علي في ذلك الامر ، وحضر بالموصل ليسلم اربل الى أخيه أبي الحسن ، وسلم قراوش اليه قلاعه . وخرج ابن عكشان وأبو علي ليسلما اربل الى أبي الحسن بن موشك فغدرا به ، وقبضا على اصحابه ، وهرب هو الى الموصل وتأكّدت الوحشة بينهما وبين قراوش .

خلع قراوش بأخيه أبي كامل ثم عوده

ثم وقعت الفتنة بين معتمد الدولة وقراوش وأخيه زعيم الدولة أبي كامل ، وكان سببها انّ قريشاً ابن أخيهما بدران فتن عمه أبا كامل ، وجمع عليه الجموع ، وأعانه عمه الآخر . واستمدّ قراوش بنصير الدولة بن مروان فبعث اليه بابنه سليمان . وأمدّه

الحسن بن عكشان[1] وغيرهما من الاكراد وساروا الى معلابا فنهبوها وأحرقوها . ثم اقتتلوا في المحرم سنة احدى وأربعين يوماً وثانياً ، ووقفت الاكراد ناحية عن المصاف ، ولم يغشوا المجال . وتسلل عن قراوش بعض جموعه من العرب الى أخيه ، وبلغه أنّ شيعة أخيه أبي كامل بالانبار ، وثبوا فيها وملكوها فضعف أمره ، وأحس من نفسه الظهور عليه . ولم يبرح فركب أخوه أبو كامل ، وقصد حلته فركب قراوش للقائه ، وجاء به أبو كامل لحلته . ثم بعث به الى الموصل ووكل به ، وملك أبو كامل الموصل ، واشتطّ عليه العرب فخاف العجز والفضيحة ان يراجعوا طاعة أخيه فسبقهم اليها ، وأعاده الى ملكه ، وبايعه على الطاعة . ورجع قراوش الى ملكه . وكان أبو كامل قد أحدث الفتنة بين البساسيري كافل الخلافة ببغداد ، وملك الامراء بها لما فعله بنو عقيل في عراق العجم من التعرّض لاقطاعه فسار اليهم البساسيري ، وجمع أبو كامل بني عقيل ، ولقيه فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم تحاجزوا فلما رجع قراوش الى ملكه نزع جماعة من أهل الانبار الى البساسيري شاكرين شاكين سيرة قراوش ، وطلبوا أن يبعث معهم عسكراً وعاملاً الى بلدهم ففعل ذلك ، وملكها من يد قراوش وأظهر فيهم العدل .

---

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ٥٠ : أبو الحسن بن عيسكان الحميدي ؛ وغيرهما من الأكراد، وساروا إلى معلتابا.

خلع قراوش ثانية واعتقاله

كان قراوش لما أطاعه أخوه أبو كامل بقي معه كالوزير يتصرّف ، إلّا أنّ قراوش أنف من ذلك ، وأعمل الحيلة في التخلص منه فخرج من الموصل سائراً الى بغداد . وشقّ ذلك على أخيه أبي كامل فأرسل اليه أعيان قومه ليردّوه طوعاً أو كرهاً فلاطفوه أوّلاً ، وشعر منهم بالدخيلة فأجاب الى العود ؛ وشرط سكنى دار الامارة . فلما جاء الى أبي كامل قام بمبرته واكرامه ، ووكل به من يمنعه[1] التصرّف .

وفاة أبي كامل وولاية قريش بن بدران

لما ملك قريش بن بدران وحبس عمه بقلعة الجراحيّة ارتحل يطلب العراق سنة أربع وأربعين فانتقض عليه أخوه المقلّد ، وسار الى نور الدولة دبيس بن مزيد فنهب قريش حلله ، وعاد الى الموصل . واختلف العرب عليه ، ونهب عمال الملك الرحيم ما كان لقريش بنواحي العراق . ثم استمال قريش العرب عليه ، ونهب عمال الملك الرحيم ما كان لقريش بن المسيَّب صاحب الحظيرة مخالفاً عليه . وبعث قريش بعض أصحابه فلقيهم ، وأوقع بهم فسار اليه قريش ، ولقيه فهزمه واتبعه الى حلل بلاد ابن غريب ونهبها ،

---

(١) كذا . ولعلها : يمنعه كما يقتضيه السياق . ولا معنى ليمعن هنا .

ودخل العراق . وبعث الى عمال الملك الرحيم بالطاعة ، وضمان ما كان عليه في أعماله فأجابوه الى ذلك لشغل الملك الرحيم بخوزستان فاستقرّ أمره وقوي .

وفاة قراوش : وفي سنة أربع وأربعين هذه توفي معتمد الدولة أبو منيع قراوش بن المقلّد بمحبسه في قلعة الجراحيَّة ، وحمل الي الموصل ، ودفن بها ببلد نينوى شرقيها ، وكان من رجال العرب .

استيلاء قريش على الأنبار

وفي سنة ست وأربعين زحف قريش بن بدران من الموصل ففتح مدينة الانبار ، وملكها من يد عمال البساسيري . وسار البساسيري الي الانبار فاستعادها .

حرب قريش بن بدران والبساسيري ثم اتفاقهما وخطبة قريش لصاحب مصر

كان قريش بن بدران قد بعث بطاعته الى طغرلبك وهو بالري ، وخطب له بجميع أعماله ، وقبض على الملك الرحيم . وكان قريش معه فنهب معسكره واختفى ، وسمع به السلطان فأمّنه ، ووصل اليه فأكرمه وردّه الى عمله . وكان البساسيري قد فارق الملك الرحيم عند مسيره من واسط الى بغداد ، ومسير طغرلبك من حُلوان . وقصد نور الدولة دبيس بن مزيد للمصاهرة

بينهما . وكان سبب مفارقة البساسيري للملك الرحيم كتاب القائم له بابعاده لاطلاعه على كتابه الى خليفة مصر ، فلما وصل قريش ابن بدران الى بغداد ، وعظم استيلاء السلطان طغرلبك على الدولة ، بعث جيشاً ، وزحف البساسيري للقائم ومعه نور الدولة دبيس فالتقوا بسنجار ، فانهزم قريش وقطلمش وأصحابهما ، وقتل كثير منهم . وعاث أهل سنجار فيهم ، وسار بهم الى الموصل ، وخطب بها للمستنصر خليفة مصر ، وقد كانوا بعثوا اليه بطاعتهم من قبل فبعث اليهم بالخلع ولقريش جملتهم .

استيلاء طغرلبك على الموصل وولاية أخيه نيال عليها ومعاودة قريش الطاعة

كان السلطان طغرلبك لما طال مقامه ببغداد ، ساء أثر عساكره في الرعايا ، فبعث القائم وزيره رئيس الرؤساء أن يحضر عميد الملك الكندري وزير طغرلبك ويعظه في ذلك ، ويهدده برحيل القائم عن بغداد فبلغه خلال ذلك شأن الموصل ، فرحل اليها ، وحاصر تكريت ففتحها ، وقبل من صاحبها نصر بن عيسى من بني عقيل ما لا بدّ له منه . ورحل عنه فمات نصر ، وولي بعده أبو الغنائم بن البحلبان[1] فأصلح حاله مع رئيس الرؤساء ، ورحل السلطان من البواريح[2] ، وكان في انتظار أخيه ياقوتي

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ٧٨ : المحلبان .
(٢) كذا، وفي الكامل : البوازيج .

ابن تنكير[1] . ثم توجه السلطان الى نصيبين ، وبعث هزارسب الى البرّية لقتال العرب ، وفيهم قريش ودبيس وأصحاب حَرّان والرّقة من نُمَيْر فأوقع بهم ، ونال منهم ، وأسر جماعة فقتلهم .

وعاد الى السلطـان طغرلبك ، فبعث اليه قريش ودبيس بطاعتهما ، وان يتوسط لهما عند السلطان فعفا السلطـان عنهما ، وقال للبساسيري : ردهما الى الخليفة فيرى مـا عندهما . فرحل البساسيري عند ذلك الى الرَّحَبَة ، وتبعه أتراك بغداد ، ومقبل ابن المقلّد ، وجماعة من بني عقيل . وبعث السلطان الى قريش ودبيس هزارسب بن تنكير ليقضي ما عندهما ويحضرهما ، وكان ذلك بطلبهما . ثم خافا على أنفسهما فبعث قريش أبا السيد هبة الله ابن جعفر ، ودبيس ابنه بهاء الدولة منصوراً فقبلهـما السلطان ، وكتب لهما بأعمالهما . وكان لقريش من الاعمال : الموصل ونصيبين وتَكْريت وأوانا ونهر بَيْطَر وهيت والأنبار وبادَرونا ونهر الملك . ثم قصد السلطان ديار بـكر ، ووصل اليه أخوه ابراهيم نيال ، وأرسل هزارسب الى قريش ودبيس يحذرهما منه . وسار لسنجار لاجل واقعته مع قريش ودبيس فبعث العساكر اليها واستباحوها وقتل أميرها علي بن مرجا[2] وخلق كثير من أهلها رجالاً ونساء ،

---

(١) كذا، وفي الكامل: فأتاه أخوه ياقوتي في العساكر، فسار بهم إلى الموصل، واقطع مدينة بلد لهزارسب بن بنكير.

(٢) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ٧٩: وقتل أميرها مجلى بن مرجا.

وشفع ابراهيم نيال في الباقين فكف عنهم ، وأقطع سنجار والموصل وتلك الاعمال كلها لاخيه ابراهيم نيال ، وعاد الى بغداد فدخلها في ذي القعدة سنة تسع وأربعين .

مفارقه نيال الموصل وما كان لقريش فيها
وفي بغداد مع البساسيري وحبسهما القائم

وفي سنة خمسين وأربعمائة خرج ابراهيم نيال[1] من الموصل الى بلاد الروم ، فخشي طغرلبك أن يكون منتقضاً ، وبادر بكتابه وكتاب الخليفة اليه ، فرجع وخرج الوزير الكندري للقائه . وخالفه البساسيري وقريش الى الموصل فلكها ، وحاصر القلعة حتى استأمن أهلها على يد ابن موسك وصاحب اربد فأمناهم ، وهدما القلعة . وسار السلطان طغرلبك من وقته الى الموصل ففارقها ، واتبعهما الى نصيبين ففارقه أخوه نيال في رمضان سنة خمسين . وسار السلطان طغرلبك في اثره ، وحاصره بهمذان ، وجاء البساسيري الى بغداد . وكان هزارسب بواسط ، ودبيس ببغداد قد استدعاه الخليفة للدفاع فسئم المقام ، ورجع الى بلده . وجاء البساسيري وقريش ووزير بني بويه أبو الحسن بن عبدالرحيم ونزلوا بجوانب بغداد ، ونزل عميد العراق بالعسكر قبالة البساسيري ، ورئيس الرؤساء وزير الخليفة قبالة الآخرين .

(١) كذا، واسمه في الكامل: ينال، كما تقدم.

وخطب البساسيري للمستنصر صاحب مصر بجوامع بغداد ، وأذّن بحيّ على خير العمل . ثم استعجل رئيس الرؤساء الحرب فاستجده القوم ، ثم كروا عليه فهزموه واقتحموا حريم الخلافة ، وملكوا القصور بما فيها ، وركب الخليفة فوجد عميد العراق قد استأمن الى قريش بن بدران فاستأمن هو كذلك ، وأمنهما قريش وأعادهما ، وعذله البساسيري في الانفراد بذلك دونه ، وقد تعاهدا على خلاف ذلك فاستعتب له بالوزير رئيس الرؤساء ، ودفعه اليه . وأقام الخليفة والعميد عنده فقتل البساسيري الوزير ابن عبد الرحيم ، وبعث قريش بالخليفة القائم مع ابن عمه مهارش بن نجلي[1] الى حديثة عانة فأنزله بها مع أهله وحرمه وحاشيته ، حتى اذا فرغ السلطان طغرلبك من أمر أخيه نيال ، وقتله ، ورجع الى بغداد بعث البساسيري وقريش في اعادة القائم الى داره فامتنع ، وأجفل عن بغداد في ذي القعدة سنة احدى وخمسين .

وشمل النهب مدينة بغداد وضواحيها من بني شيبان وغيرهم وبعث السلطان طغرلبك الامام ابا بكر محمد بن فورك الى قريش ابن بدران يشكره على فعله بالخليفة وبابنة اخيه زوجة الخليفة ارسلان خاتون ، وانه بعث ابن فورك لاحضارهما وكتب قريش الى مهارش ابن عمه بأن يلحق به هو والخليفة في البرية فأبى ، وسار الخليفة الى العراق ، وجعل طريقه على الري ومرّ

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ٨٥: مهارش بن المجلى.

بدر ابن مهلهل فخدم القائم ، وخرج السلطان للقاء الخليفة ، وقدم اليه الاموال والالات ، وعرضه ارباب الوظائف ، ولقيه بالنهروان ، وجاء معه إلى قصره كما تقدم في أخباره . وبعث السلطان خبارتكين الطغرائي في العساكر لاتباع البساسيري والعرب ، وجاء الى الكوفة ، واستصحب سرايا ابن منيع ببني خفاجة . وسار السلطان في اثرهم ، وصبحت السرية البساسيري في حلة دبيس بن يزيد فنهبوها ، وفرّ دبيس ، وقاتل البساسيري وأصحابه فقتل في المعركة .

وفاة قريش بن بدران وولاية ابنه مسلم

ثم توفي قريش بن بدران سنة ثلاث وخمسين ودفن بنصيبين ، وجاء فخر الدولة أبو نصر محمد ابن محمد بن جهير من دارا وجمع بني عقيل على ابنه ابي المكارم مسلم بن قريش فولوه عليهم ، واستقام أمره ، وأقطعه السلطان سنة ثمان وخمسين الانبار وهيت وحريم والسن والبواريح ، ووصل الى بغداد فركب الوزير بن جهير في المركب للقائه . ثم سار سنة ستين واربعمائة الى الرحبة فقاتل بها بني كلاب وهم في طاعة المستنصر العلوي فهزمهم واخذ اسلابهم ، وبعث بأشلائهم ، وعليها سمات العلوية فطيف بها منكسة ببغداد .

استيلاء مسلم بن قريش على حلب

وفي سنة اثنتين وسبعين سار شرف الدولة مسلم بن قريش

صاحب الموصل الى مدينة حلب فحاصرها، ثم أفرج عنها فحاصرها تُتُش بن البارسلان ، وقد كان ملك الشام سنة احدى وسبعين قبلها فأقام عليها اياما. ثم افرج عنها وملك بزاغة والبيرة ، وبعث اهل حلب الى مسلم بن قريش بأن يمكنوه من بلدهم ، ورئيسها يومئذ ابن الحسين العباسي فلما قرب منهم امتنعوا من ذلك فترصدلهم بعض التركمان ، وهو صاحب حصن بنواحيها . واقام كذلك اياما حتى صادف ابن الحسين يتصيد في ضيعته فأسره ، وبعث بـه الى مسلم بن قريش فأطلقـه على ان يسلموا له البلد فلما عاد الى البلد تمّ له ذلك ، وسلم له البلـد فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة ، واستنزل منها سابغا ووثابا ابني محمد بن مرداس ، وبعث ابنه ابراهيم ، وهو ابن عمة السلطان ، إلى السلطان يخبره بملك حلب وسأل ان يقدر عليه ضمانه فأجابه السلطان الى ذلك، وأقطع ابنه محمداً مدينة بالس . ثم سار مسلم الى حَرّان وأخذها من بني وثاب النُّمَيريّين وأطاعـه صاحب الرُها ونقـش السكة باسمه .

حصار مسلم بن قريش دمشق وعصيان أهل حران عليه

وفي سنة ست وسبعين سار شرف الدولة الى دمشق فحاصرها وصاحبها تُتُش فخرج في عسكره ، وهزم مسلم بن قريش فارتحل عنهاراجعاً الى بلاده . وقد كان استمد اهل مصر فلم يمدوه .

وبلغه الخبر بأن اهل حران نقضوا الطاعة وان ابن عطيّة وقاضيها ابن حلية عازمان على تسليم البلد للترك فبادر الى حران، وصالح في طريقه ابن ملاعب صاحب حمص واعطاه سليمة ورفسة[1] ، وحاصر حران وخرب اسوارها واقتحمها عنوة وقتل القاضي وابنه .

حرب ابن جهير مع مسلم بن قريش واستيلاؤه على الموصل ثم عودها اليه

كان فخر الدولة ابو نصر محمد بن احمد بن جُهَيْر من اهل الموصل ، واتصل بخدمة بني المقلد . ثم استوحش من قُرَيش بن بدران ، واستجار ببعض رؤساء بني عقيل فاجاروه منه . ومضى الى حلب فاستوزره معز الدولة ابو ثمال بن صالح . ثم فارقه الى نصير الدولة بن مروان بديار بكر فاستوزره . ولما عزل القائم وزيره ابا الفتح محمد بن منصور بن دارس استدعاه للوزارة فتحيل في المسير الى بغداد ، واتبعه ابن مروان فلم يدركه . ولما وصل الى بغداد استوزره القائم سنة اربع وخمسين ، وطغرلبك يومئذ هو السلطان المستبد على الخلفاء . واستمرت وزارته ، وتخللها العزل في بعض المرات الى ان مات القائم ، وولي المقتدي ،

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ١٢٣ : في هذه السنة عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش وأطاعوا قاضيهم ابن حلبة وأرادوا هم وابن عطير النميري تسليم البلد إلى جبق أمير التركمان، وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر، فعاد إلى حران، وصالح ابن ملاعب صاحب حمص وأعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير إلى حران.

وصارت السلطنة الى ملك شاه فعزله المقتدي سنة احدى وسبعين ، بشكوى نظام الملك الى الخليفة به وسؤاله عزله فعزله . وسار ابنه عميد الدولة إلى نظام الملك باصفهان واستصلحه ، وشفع فيه إلى المقتدي فاعاد ابنه عميد الدولة . ثم عزله سنة ست وسبعين فبعث السلطان ملك شاه ونظام الملك الي المقتدي بتخلية سبيل بني جهير اليه فوفدوا عليه باصفهان ، ولقوا منه مبرة وتكرمة .

وعقد السلطان ملكشاه لفخر الدولة علي ديار بكر ، وبعث معه العساكر ، وامره ان ياخذ البلاد من ابن مروان ، وان يخطب لنفسه بعد السلطان ، وينقش اسمه على السكة كذلك فسار لذلك ، وتوسط ديار بكر . ثم اردفه السلطان سنة سبع وسبعين بالعساكر مع الامير ارتق جد الملوك بماردين لهذا العهد ، وكان ابن مروان عندما احس بمسير العساكر اليه ، بعث الى شرف الدولة مسلم بن قريش يستنجده علي ان يعطيه آمد من اعماله فجاء الى آمد ، وفخر الدولة بنواحيها ، وقد ارتاب من اجتماع العرب على نصرة ابن مروان ففتر عزمه عن لقائهم . وسارت عساكر الترك الذين معه فصبحوا العرب في احيائهم فانهزموا وغنموا اموالهم ومواشيهم ، ونجا شرف الدولة الى آمد ، وحاصره فخر الدولة فيمن معه من العساكر .

وبعث مسلم بن قريش الى الامير ارتق يغضي عنه في الخروج من آمد على مال بذله له فأغضى له وخرج الى الرقة وسار احمد

ابن جهير الى ميافارقين بلد ابن مروان لحصارها ففارقه بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة الى العراق ، وسار ابن جهير الي خلاط وكان السلطان ملك شاه لما بلغه انحصارمسلم بن قريش بآمد بعث عميد الدولة أقسنقر جد الملك العادل محمود في عساكر الترك ، ولقيهم الامير ارتق في طريقهم سائراً الى العراق فعاد معهم وجاؤا الى الموصل فملكوها . وسار السلطان في عساكره الى بلاد مسلم بن قريش وانتهى الى البواريح وقد خاص مسلم بن قريش من الحصار بآمد ، ووصل الى الرحبة وقد ملكت عليه الموصل ، وذهبت امواله فراسل مؤيد الملك بن نظام الملك فتوسل به فتقبل وسيلته وأذن له في الوصول الى السلطان بعد ان اعطاه من العهد ما رضي به . وسار مسلم بن قريش من الرحبة فأحضره مؤيد الملك عند السلطان ، وقدم هدية فاخرة من الخيل وغيرها ، ومن جملتها فرسه الذي نجا عليه ، وكان لا يجارى فوقع من السلطان موقعاً وصالحه واقره على بلاده فرجع الى الموصل ، وعاد السلطان الى ما كان بسبيله .

مقتل مسلم بن قريش وولاية ابنه ابراهيم

قد قدمنا ذكر قطلمش قريب السلطان طغرلبك ، وكان سار الى بلاد الروم فملكها واستولى على قونية واقصر اي ، ومات فملك مكانه ابنه سليمان ، وسار الى انطاكية سنة سبع وسبعين واربعمائة

وأخذها من يد الروم كما نذكر في اخباره . وكان لشرف الدولة مسلم بن قريش بانطاكيه جزية يؤديها اليه صاحبها القردروس(١) من زعماء الروم ، فلما ملكها سليمان ابن قطلمش بعث اليه يطالبه بتلك الجزية ، ويخوفه معصية السلطان فاجابه بأني على طاعة السلطان ، وامري فيها غير خفي ، واما الجزية فكانت مضروبة على قوم كفار يعطونها عن رؤسهم ، وقد ادال الله منهم بالمسلمين ولا جزية عليهم فسار شرف الدولة، ونهب جهات انطاكية . وسار سليمان فنهب جهات حلب ، وشكت عليه الرعايا فرد عليهم . ثم جمع شرف الدولة جموع العرب وجموع التركمان مع اميرهم جُقّ ، وسار الى انطاكية فسار سليمان للقائه ، والتقيا في أعمال انطاكية في صفر سنة ثمان وسبعين .

ولما التقوا مال الامير جق بمن معه من التركمان الى سليمان فاختل مصاف مسلم بن قريش ، وانهزمت العرب عنه ، وثبت فقتل في أربعمائة من اصحابه، وكان ملكه قد اتسع من نهر عيسى وجميع ما كان لابيه وعمه قرواش من البلاد . وكانت اعماله في غاية الخصب والامن ، وكان حسن السياسة كثير العدل . ولما قتل مسلم اجتمع بنو عقيل واخرجوا اخاه ابراهيم من محبسه ، بعد ان مكث فيه سنين مقيداً حتى افسد القيد مشيته فاطلقوه ، وولوه على أنفسهم مكان اخيه مسلم . ولما قتل مسلم سار سليمان

(١) كذا، وصوابها: الكسندروس.

ابن قطلمش الى انطاكية وحاصرها شهرين فامتنعت عليه، ورجع. وفي سنة تسع وسبعين بعدها بعث عميد العراق عسكراً الى الانبار فملكها من يد بني عقيل. وفيها أقطع السلطان ملك شاه مدينة الرحبة واعمالها وحران وسروج والرقة والخابور لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش، وزوجه باخته خاتون زليخة فتسلم جميع هذه البلاد، وامتنع محمد بن المشاطر من تسليم حران فأكرهه السلطان على تسليمها.

نكبة ابراهيم وتنازع محمد وعلي ابني مسلم بعده على ملك الموصل ثم استيلاء علي عليها

لم يزل ابراهيم بن قريش ملكاً بالموصل واميراً على قومه بني عقيل، حتى استدعاه السلطان ملك شاه سنة اثنتين وثمانين فلما حضر اعتقله، وبعث فخر الدولة بن جُهَيْر على البلاد فملك الموصل وغيرها، وأقطع السلطان عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجاً لمسلم بن قريش ولها منه ابنه علي، وتزوجت بعده بأخيه ابراهيم فلما مات ملك شاه ارتحلت صفية الى الموصل ومعها ابنها علي بن مسلم، وجاءه أخوه محمد بن مسلم وتنازعا في ملك الموصل وانقسمت العرب عليهما. واقتتلوا على الموصل فانهزم محمد وملك عليّ، ودخل الموصل وانتزعها من يد ابن جهير.

عود ابراهيم الى ملك الموصل ومقتله

ولما مات ملك شاه واستبدت تركان خاتون بعده بالامور ، واطلقت ابراهيم من الاعتقال فبادر الى الموصل ، فلما قاربها سمع ان علي بن اخيه مسلم قد ملكها ومعه امه صفية عمة ملك شاه فبعث اليها ، وتلطف بها فدفعت اليه ملك الموصل فدخلها وكان تتش صاحب الشام اخو ملك شاه قد طمع في ملك العراق ، واجتمع اليه الامراء بالشام وجاء أقسنقر صاحب حلب ، وسار الى نصيبين فملكها ، وبعث الى ابراهيم أن يخطب له ويسهل طريقه الى بغداد فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش ، ومعه اقسنقر ، وجموع الترك . وخرج ابراهيم للقائه في ثلاثين الفاً . والتقى الفريقان بالمغيم فانهزم ابراهيم ، وقتل وغنم الترك حللهم ، وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفا من الفضيحة ، واستولى تتش على الموصل .

ولاية علي بن مسلم على الموصل ثم استيلاء كربوقا وانتزاعه اياها من يده وانقراض أمر بني المسيب من الموصل

ولما قتل ابراهيم ، وملك تتش الموصل ولّى عليها علي بن أخيه مسلم بن قريش فدخلها مع امه صفية عند ملك شاه ، واستقرت هي واعمالها في ولايته . وسار تتش الى ديار بكر فملكها ، ثم الى اذربيجان فاستولى عليها . وزحف اليه بركيارق

وابن أخيه ملك شاه ، وتقاتلا فانهزم تتش ، وقام بمكانه ابنه رضوان ، وملك حلب . وامره السلطان بركيارق باطلاق كربوقا فاطلقه . واجتمعت عليه رجال ، وجاء الى حران فملكها ، وكاتبه محمد بن مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه توران بن وهيب وابو الهيجاء الكردي يستنصرونه على علي بن مسلم بن قريش بالموصل فسار اليهم وقبض على محمد بن مسلم وسار به الى نصيبين فملكها . ثم سار الى الموصل فامتنعت عليه ورجع الى مدينة بَلَد . وقتل بها محمد بن مسلم غريقاً ، وعاد الى حصار الموصل. واستنجد علي بن مسلم بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه منجداً له . وبعث كربوقا اليه عسكراً مع أخيه التوتناش فرده مهزوما الى الجزيرة فتمسك بطاعة كربوقا ، وجاء مدداً له على حصار الموصل . واشتد الحصار بعلي بن مسلم فخرج من الموصل ، ولحق بصدقة بن مزيد بالحلة، وملك كربوقا بلد الموصل بعد حصار تسعة اشهر . وانقرض ملك بني المسيب من الموصل واعمالها واستولى عليها ملوك الغز من السلجوقية أمراؤهم ، والبقاء لله وحده .

دولة بني صالح

الخبر عن دولة بني صالح بن مرداس بحلب وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان ابتداء امر صالح بن مِرداس مُلكَ الرَحَبَـةِ ، وهو من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ومجالاتهم بضواحي حلب . وقال ابن حزم، انه من ولد عمرو بن كلاب ، وكانت مدينة الرحبة لابي علي بن ثمال الخفاجي، فقتله عيسى بن خلاط العقيلي وملكهامن يده ، وبقيت له مدة . ثم اخذها منه بدران بن المقلد . وزحف لؤلؤ الساري نائب الحاكم بدمشق فلك الرقة ، ثم الرحبة من يد بدران ، وعاد الى دمشق . وكان رئيس الرحبة ابن محلكان فاستبد بها . وبعث الى صالح بن مرداس يستعين به على أمر فأقام عنده مدة ، ثم فسدما بينهما ، وقاتله صالح . ثم اصطلحا ، وزوجه ابن محلكان ابنته ودخل البلد . ثم انتقل ابن محلكان الى عانه باهله وماله بعد ان اطاعوه وأخذ رهنهم. ثم نقضوا وأخذوا ماله،وسار إليهم ابن محلكان مع صالح فوضع عليه صالح من قتله ؛ وسار الى الرحبه فملكها واستولى على أموال ابن محلكان واقام دعوة العلويين بمصر .

ابتداء أمر صالح في ملك حلب

قد قدمنا أن لؤلؤاً مولى ابي المعالي بن سيف الدوله استبد

بحلب على ابنه ابي الفضائل ، واخذ البلد منه ومحا دعوة العبّاسية وخطب للحاكم العلوي بمصر . ثم فسد حاله معه ، وطمع صالح ابن مرداس في ملك حلب . وذكرنا هنالك ما كان بين صالح ولؤلؤ من الحروب ، وأنه كان له مولى اسمه فتح وضعه في قلعة حلب حافظاً لها فاستوحش وانتقض على لؤلؤ بمالأة صالح بن مرداس ، وبايع للحاكم على أن يقطعه صيدا او بيروت ، وسوّغه ما كان في حلب من الاموال . ولحق لؤلؤ بانطاكية ، واقام عند الروم . وخرج فتح بحرم لؤلؤ وامه وتركهن في منبج . وترك حلب وقلعتها الى نواب الحاكم ، وتداولت في ايديهم حتى وليها بعض بني حمدان من قبل الحاكم يعرف بعزيز الملك ، اصطنعه الحاكم ، وولاه حلب . ثم عصى على ابنه الظاهر ، وكانت عمته بنت الملك مدبرة لدولته فوضعت على عزيز الملك من قتله . وولوا على حلب عبدالله بن علي بن جعفر الكتامي ، ويعرف بابن شعبان الكتامي وعلى القلعة صفي الدولة موصوفاً الخادم .

استيلاء صالح بن مرداس على حلب

ولما ضعف امر العبيديين بمصر من بعد المائة الرابعة وانقرض أمر بني حمدان من الشام والجزيرة ، تطاولت العرب الى الاستيلاء على البلاد فاستولى بنو عقيل على الجزيرة ، واجتمع عرب الشام فتقاسموا البلاد ، على ان يكون لحسان بن مفرج بن دغفل وقومه

طيىء من الرملة الى مصر ، ولصالح بن مرداس وقومه بني كلاب من حلب الى عانة ولحسان ابن عليان وقومه [(١)] دمشق واعمالها . وكان العامل على هذه البلاد من قبل الظاهر خليفة مصر أنوشتكين الى عسقلان ، وملكها ونهبها حسان . وسار صالح بن مرداس الى حلب فلكها من يد ابن شعبان ، وسلم له اهل البلد ودخلها . وصعد ابن شعبان الى القلعة فحصرهم صالح بالقلعة حتى جهدهم الحصار ، واستأمنوا وملك القلعة ، وذلك سنة اربع وعشرين وأربعمائة ، واتسع ملكه ما بين بعلبك وعانة .

مقتل صالح وولاية ابنه أبي كامل

ولم يزل صالح مالكاً لحلب الى سنة عشرين فجهز الظاهر العساكر من مصر الى الشام لقتال صالح وحسان ، وعليهم انوشتكين الدريدي فسار لذلك ولقيهما على الاردن بطبرية، وقاتلهما فانهزما ، وقتل صالح وولده الاصغر ، ونجا ولده الاكبر ابو كامل نصر بن صالح الى حلب ، وكان يلقب شبل الدولة . ولما وقعت هذه الواقعة طمع الروم أهل انطاكية في حلب فزحفوا اليها في عدد كثير .

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٧ ص ٢٦١ : فاجتمع حسان أمير بني طيء وصالح بن مرداس أمير بني كلاب وسنان بن عليان وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ومن الرملة إلى مصر لحسان ودمشق لسنان. فسار حسان إلى الرملة فحصرها وبها أنوشتكين فسار عنها إلى عسقلان. واستولى عليها حسان ونهبها وقتل أهلها. وذلك سنة أربع عشرة وأربعمائة أيام الظاهر لإعزاز دين الله خليفة مصر.

مسير الروم الى حلب وهزيمتهم

ثم سار ملك الروم الى حلب في ثلثمائة ألف مقاتل ، ونزل قريباً من حلب ومعه ابن الدوقس من أكابر الروم ، وكان منافراً له فخالفه وفارقه في عشرة آلاف مقاتل ونمي اليه انه يروم الفتك به ، وانه دس عليه فكر راجعاً ، وقبض على ابن الدوقس واضطرب الروم واتبعهم العرب واهل السواد الارمن ، ونهبوا اثقال الملك اربعمائة حمل ، وهلك اكثر عسكره عطشاً . ثم أشرف بعض العرب على معسكره فهربوا وتركوا سوادهم وأموالهم ، وأكرم الله المسلمين بالفتح .

مقتل نصر بن صالح واستيلاء الوزيري على حلب

وفي سنة تسع وعشرين زحف الوزيري[1] من مصر في العساكر الى حلب ، وخليفتهم يومئذ المستنصر ، وبرز اليه نصر فالتقوا عند حماة ، وانهزم نصر وقتل . وملك الوزيري حلب في رمضان من هذه السنة .

مهلك الوزيري وولاية ثمال بن صالح

ولما ملك الوزيري حلب واستولى على الشام عظم امره ، واستكثر من الاتراك في الجند ونمي عنه الى المستنصر بمصر ،

(١) كذا ، واسمه في الكامل : الدزبري .

ووزيره الجرجاي[1] انه يروم الخلاف فدس الجرجاي الى جانب الوزيري والجند بدمشق في الثورة به ، وكشف لهم عن سوء راي المستنصر فثاروا به ، وعجز عن مدافعتهم فاحتمل اثقاله ، وسار الى حلب ، ثم الى حماة فمنع من دخولها فكاتب صاحب كفرطاب فسار اليه وتبعه الى حلب ودخلها وتوفي سنة ثلاث وثلاثين . ولما توفي فسد امر الشام وانحل النظام وتزايد طمع العرب . وكان معز الدولة ثمال بن صالح بالرحبة منذ مهلك ابيه واخيه فقصد حلب ، وحاصرها فملك المدينة ، وامتنع اصحاب الوزيري بالقلعة . واستمدوا اهل مصر وشغل الوالي بدمشق بعد الوزيري ، وهو الحسين بن حمدان لحرب حسان بن مفرج صاحب فلسطين فاستأمن أصحاب الوزيري الى ثمال بن صالح بعد حصاره اياها حولا فامنهم ، وملكها في صفر سنة اربع وثلاثين . فلم يزل مملكاً عليها الى ان زحفت اليه العساكر من مصر مع ابي عبيدالله بن ناصر الدولة بن حمدان . وبلغت جموعهم خمسة آلاف مقاتل فخرج اليهم ثمال ، وقاتلهم واحسن دفاعهم ، وأصابهم سيل كاد يذهب بهم فافرجوا عن حلب ، وعادوا الى مصر . ثم عادت العساكر ثانية من مصر سنة احدى واربعين مع رفق الخادم فقاتلهم ثمال وهزمهم ، واسر الخادم رفقا ، ومات عنده .

---

(١) كذا، واسمه في الكامل: الجرجراي كما تقدّم.

رغبة ثمال عن حلب ورجوعها لصاحب مصر وولاية ابن ملهم عليها

لم تزل العساكر تتردد من مصر الى حلب ، وتضيّق عليها حتى سئم ثمال بن صالح امارتها ، وعجز عن القيام بها فبعث إلى المستنصر بمصر وصالحه على أن ينزل له عن حلب فبعث عليها مكين الدولة أبا علي الحسن بن ملهم فتسلمها آخر سنة تسع وأربعين . وسار ثمال الى مصر ، ولحق أخوه عطيه بن صالح بالرحبة ، واستولى ابن ملهم عليها .

ثورة أهل حلب بابن ملهم وولاية محمود بن نصر بن صالح

وأقام ابن ملهم بحلب سنتين او نحوها ، ثم بلغه عن اهل حلب انهم كاتبوا محمد بن نصر بن صالح فقبض عليه ، فثار به أهل حلب ، وحصروه بالقلعة ، وبعثوا الى محمود فجاء منتصف اثنتين وخمسين ، وحاصره معهم بالقلعة . واجتمت معه جموع العرب ، واستمد ابن ملهم المستنصر فكتب الى ابي محمد الحسن ابن الحسين بن حمدان انيسير اليه في العساكر ، فسار الى حلب واجفل محمود عنها . ونزل ابن ملهم الى البلد ، ودخلها ناصر الدولة ونهبتها عساكره وابن ملهم . ثم تواقع محمود وناصر الدولة بظاهر حلب ، فانهزم ناصر الدولة بن حمدان واسر فرجع به محمود الى البلد وملكها ، وملك القلعة في شعبان من هذه السنة واطلق احمد بن حمدان وابن ملهم فعاد الى مصر .

رجوع ثمال بن صالح الى ملك حلب وفرار محمود بن نصر عنها

لما هزم محمود بن حمدان ، واخذ القلعة من يد ابن ملهم . وكان معز الدولة ثمال بن صالح بمصر منذ سلمها للمستنصر سنة تسع واربعين فسرحه المستنصر الآن واذن له في ملك حلب من ابن أخيه فحاصره في ذي الحجة من سنة اثنتين وخمسين . واستنجد محمود بخاله منيع بن شبيب بن وثاب النميري صاحب حران فامده بنفسه ، وجاء لنصره فافرج ثمال عن حلب ، وسار الى البرية في محرم سنة ثلاث وخمسين . ثم عاد منيع الى حران ، وملك ثمال حلب في ربيع سنة ثلاث وخمسين ، وغزا بلاد الروم فظفر وغنم .

وفاة ثمال وولاية أخيه عطية

ثم توفي ثمال بحلب قريباً من استيلائه ، وذلك في ذي القعدة سنة اربع وخمسين ، وعهد بحلب لاخيه عطية بن صالح ، وكان بالرحبة من لدن مسير ثمال الى مصر فسار وملكها .

عود محمود الى حلب وملكه اياها من يد عطية

ولما ملك عطية حلب ، وكان ذلك عند استيلاء السلجوقيه على ممالك العراق والشام ، وافتراقهم على العمالات . ونزل به قوم منهم فاستخدمهم وقوي بهم . ثم خشي اصحابه غائلتهم

فأشاروا بقتلهم ، فسلط اهل البلد عليهم فقتلوا منهم جماعة ، ونجا الباقون فقصدوا محمود بن نصر بحران فاستنهضوه لملك حلب . وجاءهم فحاصرها وملكها في رمضان سنة خمس وخمسين ، واستقام أمره . ولحق عطية عمه بالرقة ، فملكها الى ان اخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وستين ، فسار الى بلد الروم سنة خمس وستين ، واستقام أمر محمود بن نصر في حلب . وبعث الترك الذين جاؤا في خدمته مع أميرهم ابن خان سنة ستين الى بعض قلاع الروم فحاصروها وملكها . وسار محمود الى طرابلس فحاصرها ، وصالحوه على مال فأفرج عنهم . ثم سار اليه السلطان ألبأرسلان بعد فراغه من حصار ديار بكر وآمد والرُّها ، ولم يظفر بشيء منها كما نذكر في أخبارهم .

وجاء الى حلب وحاصرها ، وبها محمود بن نصر . وجاءت رسالة الخليفة القائم بالرجوع الى الدعوة العبّاسيّة فأعادها ، وسأل من الرسول ازهر أبو الفراس طراد الزيني أن يعفيه السلطان من الحضور عنده فأبى السلطان من ذلك ، واشتدّ الحصار على محمود وأضربهم حجارة المجانيق فخرج ليلًا ، ومعه والدته منيعة بنت وثاب متطارحين على السلطان ، فخلع على محمود في حلب آخر ثمان وستين ، وعهد لابنه شبيب الى الترك الذين ملكوا أباه وهم بالحاضر ، وقد بلغه عنهم العيث والفساد فلما دنا من حللهم تلقوه فلم يجبهم ، وقاتلهم وأصيب بسهم في تلك الجولة ومات .

مهلك نصر بن محمود وولاية أخيه سابق

ولما هلك نصر ملك أخوه سابق . قال ابن الاثير : وهو الذي أوصى له أبوه بالملك فلم ينفذ عهده لصغره ، فلما ولي استدعى أحمد شاه مقدم التركمان الذين قتلوا أباه فخلع عليه ، وأحسن اليه ، وبقي فيها ملكا .

استيلاء مسلم بن قريش على حلب من يد سابق وانقراض دولة بني صالح بن مرداس

ولما كانت سنة اثنتين وسبعين زحف تُتُش بعد أن ملك دِمَشق إلى حلب فحاصرها أياماً ، ووجل أهل حلب من ولاية الترك فبعثوا الى مسلم بن قريش ليملكوه . ثم بدا لهم في أمره ، ورجع من طريقه ، وكان مقدّمهم يعرف بابن الحسين العبّاسي ، وخرج ولده متصيداً في ضيعة له فأرسل له بعض أهل القلاع بنواحي حلب من التركمان ، وأسره وأرسله الى مسلم بن قريش فعاهده على تمكينه من البلد ، وعاد الى أبيه فسلم البلد الى مسلم ابن قريش ، وملكها سنة ثلاث وسبعين . ولحق سابق بن محمود وأخوه وثاب الى القلعة ، واستنزلهما بعد أيام على الأمان واستولى على نواحيها . وبعث الى السلطان ملك شاه بالفتح ، وان يضمن البلد على العادة فأجابه الى ذلك ، وصارت في ولاية مسلم بن قريش إلى ان ملكها السلطان من بعده .

استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية اقسنقر عليها

قد تقدّم لنا أنّ مسلم بن قريش قتله سليمان بن قطلمش كما مرّ في أخبار مسلم ، فلما قتله أرسل اليه ابن الحسين العبّاسي مقدّم أهل حلب يطلب تسليمها اليه . وكان تتش أيضاً قد حاصرها ، وضيق عليها يطلب ملكها فوعد كلّا منهما . ونُمي الخبر الى تتش فسار الى حلب وجاءه سليمان بن قطلمش فاقتتلا ، وقتل سليمان سنة تسع وسبعين ، وبعث برأسه الى ابن الحسين فكتب انه يشاور السلطان ملك شاه في ذلك فغضب تتش وحاصره ، وداخله بعض أهل البلد فغدر به ، وأدخله ليلًا فملك تتش مدينة حلب ، وشفع الامير أرتق بن اكسك من امراء تتش في ابن الحثيثي ، وامتنع بالقلعة سالم بن مالك بن بدران بن المقلد فحاصره تتش . وكان ابن الحثيثي قد كاتب السلطان ملك شاه ، واستدعاه لملك حلب عندما خاف من أخيه تاج الدولة تتش ، فسار اليها من اصفهان سنة تسع وأربعين ، ومرّ بالموصل . ثم تسلم حرّان من يد ابن الشاطر ، وأقطعها لمحمد بن قريش .

ثم سار الى الرّها فملكها من يد الروم ، وكانوا اشتروها من ابن عطية ، وسار الى قلعة جعفر فملكها وقتل من بها من بني قشير ، وأخذ صاحبها جعفراً شيخاً أعمى وولدين له ، وكانوا يفسدون السابلة ويرجعون اليها . ثم سار الى منبج فملكها ، وسار

الى حلب وأخوه تتش يحاصر القلعة سبعة عشر يوماً من حصارها ، وعاد الى دمشق ، وملك السلطان مدينة حلب ، وقاتل القلعة ساعة من نهار رشقاً بالسهام ، فاذعن سالم بن مالك بن بدران بالطاعة والنزول عنها على ان يقطعه قلعة جعفر ، فاقطعها له السلطان فلم تزل بيده ويد بنيه الى ان ملكها منهم نور الدين الشهيد . وبعث نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر بالطاعة ، وولي على حلب قسيم الدولة اقسنقر جد العادل نور الدين الشهيد ، وارتحل عائداً الى العراق ، وسأله أهل حلب ان يعفيهم من ابن الحثيثي فاستصلحه ، وأرسله الى ديار بكر فنزلها الى ان توفي على حال شديدة من الفقر والاملاق ، والله مالك الامور لا ربّ غيره .

دولة بني مزيد

الخبر عن دولة بني مزيد ملوك الحلة وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان بنو مزيد هؤلاء من بني أسد ، وكانت محلاتهم من بغداد الى البصرة الى نجد ، وهي معروفة . وكانت لهم النُّعمانيّة ، وكانت بنو دبيس من عشائرهم في نواحي خوزستان في جزائر معروفة بهم . وكان كبير بني مزيد أبو الحسن علي بن مزيد

وأخوه أبو الغنائم. وسار أبو الغنائم الى بني دبيس فأقام عندهم، وفرّ فلم يدركوه، ولحق بناحية أبي الحسن فسار اليهم أبو الحسن، واستمدّ عميد الجيوش فأمدّه بعسكر من الديلم في البحر، ولقيهم فانهزم أبو الحسن، وقتل أبو الغنائم، وذلك سنة احدى وأربعمائة. فلما كانت سنة خمس جمع أبو الحسن، وسار اليهم لادراك الثار بأخيه. وجمع بني دبيس وهم مُضَر وحَسَّان ونَبْهان وطِراد فاجتمع اليهم العرب، ومن في نواحِيهم من الاكراد الشاهجان والحادانية، وتزاحفوا. ثم انهزم بنو دبيس، وقتل حسان ونبهان، واستولى أبو الحسن بن مزيد على أموالهم وحللهم. ولحق الفلّ منهم بالجزيرة، وقلده فخر الدولة أمر الجزيرة الدبيسية واستثنى منها الطيب وقرقوب. وأقام أبو الحسن هناك. ثم جمع مضر بن دبيس جمعاً وكبسه فنجا في فلّ يسير، ولحق ببلد النيل منهزماً، واستولى مضر على أمواله وعلى الجزيرة وملكها.

وفاة علي بن مزيد وولاية ابنه دبيس

ثم توفي أبو الحسن بن مزيد سنة ثمان، وقام بالامر مكانه ابنه نور الدولة أبو الأغَرّ دبيس، وقد كان أبوه عهد لاخيه في حياته، وخلع عليه سلطان الدولة، وأذن في ولايته. فلما ولي بعد أبيه نزع أخوه المقلد الى بني عقيل فأقام بينهم، وكانت بسبب ذلك بين دبيس وقراوش: أميري بني عقيل، فتن وحروب.

وجمع دبيس عليه بني خَفاجة ، وملك الأنبار من يده سنة سبع عشرة . ثم انتقض خفاجه على دبيس ، وأميرهم منيع بن حسّان، وسار الى الجامعين فنهبها ، وملك الكوفة . وصار أمر دبيس وقراوش الى الوفاق ، واستوى الامر على ذلك ، ومنعت خفاجه بني عقيل من سقي الفرات .

استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة الدبيسية

كانت الجزيرة الدبيسية قد استقرّت لطراد بن دبيس ، وكان منصور بن الحسين من شعوب بني أسد تغلب عليها ، وأخرج طراد بن دبيس عنها سنة ثمان عشرة . ثم مات طراد فسار ابنه أبو الحسن الى جلال الدولة ببغداد ، وكان منصور بن الحسين قد خطب للملك أبي كليجار ، وقطع الخطبة لجلال الدولة فسأل منه عليّ بن طراد أن يبعث معه عسكراً ليخرج منصوراً من الجزيرة فأنفذ معه العسكر ، وسار الى واسط . ثم أغذّ السير ، وكان منصور جمع للقائه ، وأعانه بعض امراء الترك ، وهو أبو صالح كركبر . وكان قد هرب من جلال الدولة الى أبي كليجار فأعان منصوراً على شأنه ، ولقوا عليّ بن طراد فهزموه ، وقتلوه وجماعة من الترك الذين بعثهم جلال الدولة لنصرته . واستقرّ ملك الجزيرة الدبيسيّة لمنصور بن الحسين .

فتنة دبيس مع جلال الدولة وحروبه مع قومه

كان المقلّد أخو دبيس بن مزيد قد لحق ببني عقيل كما ذكرناه ، وكانت بينه وبين نور الدولة دبيس عداوة فسار الى منيع بن حسان أمير خفاجه ، واجتمعا على قتال دبيس وعلى خلافة جلال الدين ، وخطب لابي كليجار واستقدمه للعراق فجاء الى واسط ، وبها ابن جلال الدولة ففارقها ، وقصد النُّعمانيّة ففجر عليه البثوق من بلده . وأرسل أبو كليجار الى قراوش صاحب الموصل ، والاثير عنبر الخادم ان ينحدروا الى العراق فانحدروا الى الكحيل . ومات بها الاثير عنبر ، وجمع جلال الدولة عساكره واستنجد أبا الشوك صاحب بلاد الاكراد فانجده ، وانحدر الى واسط ، وأقام بها ، وتتابعت الامطار والاوحال فسار جلال الدولة الى الاهواز بلد أبي كليجار لينهبها . وبعث أبو كليجار اليه بأنّ عساكر محمود بن سبكتكين قد قصدت العراق ليردّه عن الاهواز فلم يلتفت الى ذلك ، وسار ونهب الاهواز ، وبلغ الخبر الى أبي كليجار فسار الى مدافعته ، وتخلف عنه دبيس خوفاً على حلله من خفاجة .

والتقى أبو كليجار وجلال الدولة فانهزم أبو كليجار ، وقتل من أصحابه كثير . واستولى جلال الدولة على واسط ، وأعاد اليها ابنه عبد العزيز كما كان . ولما فارق دبيس أبا كليجار وجد

جماعة من عشيرته قد خالفوا عليه ، وعاثوا في نواحي الجامعين فقاتلهم وظفر بهم ، وأسر منهم جماعة ، منهم أبو عبد الله الحسين ابن عمه[1] أبي الغنائم ، وشبيب وسرايا ووهب بنو عمه حماد بن مزيد ، وحبسهم بالجوسق . ثم جمع المقلّد أخوه جموعاً من العرب، واستمدّ جلال الدولة فأمدّه بعسكر ، وقصدوا دبيس فانهزم وأسر جماعة من أصحابه ، ونزل المعتقلون بالجوسق فنهبوا حلله . ولحق دبيس بالشريد منهزماً فسار به الى مجد الدولة ، وضمن عنه المال المقرّر في ولايته فأجيب الى ذلك ، وخلع عليه ، واستقام حاله . وذهب المقلّد مع جماعة من خفاجة فنهبوا مطير اباد والنيل أقبح نهب ، وعاثوا في منازلها ، ولم تكن الحلة بنيت يومئذ . وعبر المقلد دجلة الى أبي الشوك فأقام عنده حتى أصلح أمره .

الفتنة بين دبيس وأخيه ثابت

كان أبو قوام ثابت بن علي بن مزيد متصلاً بالبساسيري سنة أربع وعشرين ، وتزحزح لهم دبيس عن البلاد ، وملك ثابت النيل وأعمال دبيس . وبعث دبيس طائفة من أصحابه لقتال ثابت

---

(١) العبارة من حيث التركيب مضطربة . فإذا كان أبو الغنائم بدلاً من أبي عبد الله فينبغي أن يكون الاسم مرفوعاً . وإذا كان معطوفاً عليه وقد سقط حرف العطف فينبغي أن يكون مرفوعاً أيضاً . والعبارة التي بعدها: «ووهب بنو عمه» غامضة أيضاً . والعبارة المستقيمة ينبغي أن تصبح هكذا: منهم أبو عبد الله الحسين وهو ابن عمة أبو الغنائم ، ومنهم ، شبيب وسرايا ووهب أبناء عمه حماد بن مزيد .

فانهزموا فسار دبيس عن البلاد ، وتركها لثابت حتى رجع البساسيري الى بغداد فسار في جموع بني أسد وخفاجه ، ومعه أبو كامل منصور بن قراد وتركوا حللهم بين حصني خفان وجرى. وساروا جريدة ، ولقيهم ثابت عند جرجرا فاقتتلوا ملياً . ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يعود دبيس الى أعماله ، ويُقطِع أخاه ثابتاً بعض تلك الاعمال ، وتحالفوا على ذلك ، وافترقوا . وجاء البساسيري منجدا لثابت فبلغه الخبر بالنعمانية فرجع .

الفتنة بين دبيس وعسكر واسط

كان الملك الرحيم قد أقطع دبيس بن مزيد سنة احدى وأربعين حماية نهر الصِلّة ونهر الفضل ، وهي من اقطاع جند واسط فسخطوا ذلك ، واجتمعوا وبعثوا اليه بالتهديد فراجعهم الى حكم الملك الرحيم ، فغضبوا وزحفوا اليه فلقيهم وأكمن لهم فهزمهم وأثخن فيهم ، وغنم أموالهم ودوابهم ، ورجعوا الى واسط يستنجدون جند بغداد ، ويرغبون من البساسيري في المدافعة عنهم ويعطوه[1] نهر الصلة ونهر الفضل .

(١) كذا، والفعل بحسب الظاهر مرفوع. ولا معنى لحذف النون. والعبارة الصحيحة: على أن يعطوه. الخ .

ايقاع دبيس بخفاجه

وفي سنة ست وأربعين قصد بنو خفاجة الجامعين من أعمال دبيس فعاثوا فيها من غربي الفرات ، وكان دبيس في شرقيه فاستنجد البساسيري فجاء بنفسه ، وعبر دبيس الفرات معه ، وقاتل خفاجة وأجلاهم عن الجامعين فسلكوا البرية ، ورجع عنهم . ثم عادوا للفساد فعاد اليهم فدخلوا البرية فاتبعهم الى خفان فأوقع بهم ، وأثخن فيهم . وحاصر خفان ثم اقتحمه ، وأخرجهم ورجع الى بغداد ومعه اسارى من خفاجة فصلبوا . ثم سار الى جرى فحاصرها ، ووضع عليهم سبعة آلاف دينار فالتزموها وأمنهم .

حرب دبيس مع الغز وخطبته للعلوي صاحب مصر ومعاودته الطاعة

ولما انقرض أمر بني بويه ، وغلب عليهم الغز ، وصارت الدولة للسلطان طغرلبك سلطان السلجوقية ، وجاء السلطان طغرلبك الى بغداد ، واستولى على الخليفة ، وخُطب له على منابر الاسلام ، وقبض على الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه حسبما ذلك كله مذكور في أخبارهم ؛ وكان البساسيري قد فارق الملك الرحيم قبل مسيره من واسط الى بغداد للقاء طغرلبك مجمعاً على الخلاف على الغز مع قطلمش ابن عم طغرلبك ، جد الملوك ببلاد الروم أولاد قليج ارسلان ، ومعه متمم الدولة أبو الفتح عمر ؛ وسار

معهم قريش بن بدران صاحب الموصل فلقيهم دبيس والبساسيري على سنجار ، وهزمهم ورجع قريش الى دبيس جريحاً فخلع عليه ، وسار معهم وذهب بهم الى الموصل . وخرج دبيس وقريش والبساسيري الى البرية ومعهم جماعة من بني نُمَير أصحاب حَرّان والرّقة ، واتبعهم عساكر السلطان مع هزارسب من امراء السلجوقية فأوقع بهم ، ورجع بالغنائم والاسرى . وأرسل دبيس وقريش الى هزارسب ان يستعطف بهم السلطان ففعل . وبعث دبيس ابنه بهاء الدولة مع وافد قريش فأكرمها السلطان طغرلبك .

ثم انتقض عليه أخوه نيال بهمذان فسار لحربه . وترك بغداد ، وخالفه البساسيري اليها. وبعث الخليفة القائم عن دبيس ليقيم عنده ببغداد فاعتذر بأنّ العرب لا تقيم . وطلب الخليفة في الخروج اليه حتى يجتمع عليه هو وهزارسب ، ويدافعوا عن بغداد . وجاء البساسيري ودخل بغداد ومعه قريش بن بدران فلكها سنة خمسين ، وخطب فيها للعلويّين واستذم الخليفة القائم بقريش بن بدران فأذمّه ، وبعثه الى عانة عند مهاوش العَقيلي من بني عمه . وفعل البساسيري وجموعه في بغداد الافاعيل ، وأطاعه دبيس بن علي بن مزيد ، وصدقة بن منصور بن الحسين صاحب الجزيرة الدبيسية ، وكان ولي بعد أبيه ، وقد تقدّم ذكر هذا كله .

ثم رجع السلطان من هَمَذان بعد قتل أخيه ، وقضى أشغاله

فاجفل البساسيري وأصحابه من بغداد ، ولحق ببلاد دبيس . وفارقه صدقة بن منصور الى هزارسب بواسط . وأعاد طغرلبك الخليفة الى داره ، وسار السلطان في اتباعه ، وفي مقدّمته خمارتكين الطغرائي في ألفي فارس ، ومعه سرايا بن منيع الخفاجي فصبحت المقدّمة دبيس بن مزيد والبساسيري ، فهرب دبيس ، ووقف البساسيري فقتل ، وذلك سنة احدى وخمسين . ورجع السلطان الى بغداد ، ثم انحدر الى واسط . وجاء هزارسب بن تنكين فأصلح عنده حال دبيس بن مزيد ، وصدقة بن منصور بن الحسين ، وحضرا عند السلطان وجاءا في ركابه الى بغداد فخلع عليهما وردهما الى عمالتهما .

وفاة دبيس وامارة ابنه منصور

ولم يزل دبيس على أعماله الى ان توفي سنة اربع وسبعين لسبع وخمسين سنة من امارته ، وكان ممدوحاً. ورثاه الشعراء بعد وفاته بأكثر مما مدحوه في حياته . ولما مات ولي في أعماله وعلى بني أسد ابنه أبو كامل منصور ، ولقّب بهاء الدولة . وسار الى السلطان ملك شاه فأقرّه على أعماله ، وعاد في صفر سنة خمس وسبعين فاحسن السيرة .

وفاة منصور بن دبيس وولاية ابنه صدقة

ثم توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علي بن

مزيد صاحب الحلة والنيل وغيرهما في ربيع الاول سنة تسع وسبعين ، فأرسل الخليفة نقيب العلويين أبا الغنائم الى ابنه سيف الدولة صدقة يعزيه . وسار صدقة الى السلطان ملك شاه فخلع عليه وولاه مكان أبيه .

انتقاض صدقة بن منصور بن دبيس على السلطان بركيارق

وكان السلطان بركيارق قد خرج عليه أخوه محمود بن ملك شاه ينازعه في الملك ، وكانت بينهما عدّة وقعات ، ولم يزل صدقة ابن منصور على طاعته ويحضر حروبه تارةً بنفسه ، وتارةً يبعث اليه العساكر مع ابنه الى سنة أربع وتسعين ، فبعث اليه وزير السلطان بركيارق وهو الأغرّ أبو المحاسن الدهستاني يطلبه فيما تخلف عنده من المال ، وهو ألف ألف دينار ، ويتهدّده عليه فقطع صدقة الخطبة لبركيارق ، وعاد الى بغداد في هذه السنة منهزماً أمام أخويه محمد وسنجر ، فبعث الامير أيازمن أكبر أصحابه ، وطرد نائب السلطان عن الكوفة واستضافها اليه .

استيلاء صدقة على واسط وهيت

كان السلطان محمد في سنة ست وتسعين مستولياً على بغداد والخطبة بها ، وشحنته فيها أبو الغازي بن ارتق ، وصدقة بن دبيس على طاعته ومظاهرته . ثم ظهر في هذه السنة بركيارق على محمد ،

وحاصره بأصفهان فامتنع عليه فأفرج عنه الى همذان، وبعث كمستكين القصيري شحنة الي بغداد فاستدعى أبو الغازي أخاه سقمان بن أرتق من حصن كيفا يستعين به في مدافعة كمستكين. وجاء كمستكين الى بغداد، وخطب بها لبركيارق، وخرج أبو الغازي وسقمان الى دجيل فأقاما به بجرى[1]. وجاء صدقة بن مزيد الى صرصر بعد أن جاءه رسول الخليفة في طاعة ابلغازي وسقمان فعادا، وعاثت عساكرهما في نواحي دجيل، وتقدّما الى بغداد، وبعث معهما صدقة ابنه دبيساً فخيّموا بالرملة، وقاتلهم العامّة، وكثر الهرج. وبعث الخليفة الى صدقة يعظم عليه الامر فأشار باخراج كمستكين القيصري من بغداد لتصلح الاحوال، فأخرج الى النهروان في ربيع سنة ست وتسعين. وعاد صدقة الى الحلة، وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد، ولحق القيصري بواسط، وخطب بها لمحمد فسار اليه صدقة وأخرجه. وجاء ابلغازي، واتبعوا القيصري، واستأمن الى صدقة فأكرمه، وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط، وبعده لصدقة وابلغازي. وولّى كل واحد منهما ولده على واسط، وذهب ابلغازي الى بغداد،

---

(١) كذا بالأصل، والعبارة غير مستقيمة. وفي الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٤١٥ : ولما وصل سيف الدولة إلى صرصر أرسل إلى إيلغازي وسقمان، وكان «بحربي» يعرفهما أنه قد أتى لنصرتهما، فعادا ونبها دجيلاً.

وعاد صدقة الى الحلة ، وأرسل ابنه منصوراً مع ابلغازي الى المستنصر ليستظهر رضاه فرضي عنه.

ثم استولى صدقة على هيت ، وكان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة توران بن تهيبة ، وكان مقيماً في جماعة من بني عقيل عند صدقة. ثم تشاجرا. ومال بنو عقيل الى صدقة، وحجّ عقب ذلك ، ورجع فوكل به صدقة. وبعث ابنه دبيس ليتسلم هيت فمنعه نائب توران بها ، وهو محمد بن رافع بن رفاع بن منيعة بن مالك بن المقلّد . فلما أخذ صدقة واسطاً سار الى هيت ، وبها منصور بن كثير نائباً عن عمه توران فلقي صدقة ، وحاربه. ثم انتقض جماعة من أهل البلد ، وفتحوا لصدقة فلكها ، وخلع على منصور وأصحابه ، وعاد الى الحلة. واستخلف على هيت ابن عمه ثابت بن كامل . ثم اصطلح السلطان محمد وبركيارق ، وسار صدقة في شوّال الى واسط فملكها ، وأخرج الترك الذين كانوا بها. وأحضر مهذّب الدولة بن أبي الخير فضمنه البلد لثلاثة أشهر بقيت من السنة بخمسين ألف دينار ، وعاد الى الحلة .

استيلاء صدقة بن مزيد على البصرة

كانت البصرة منذ سنين في ولاية اسمعيل بن ارسلان جق من السّلجُوقيّة ، أقام فيها عشر سنين ، وعظم تمكنه للخلاف الواقع بين بركيارق ومحمد . وكان يظهر طاعة صدقة وموافقته ، فلما

صفا الامر لمحمد رغب اليه صدقة في ابقائه فابقاه. وبعث السلطان محمد عاملًا على خاصة البصرة فمنعه اسمعيل، فأمر السلطان صدقة بأخذ البصرة منه. وأظهر منكبرس الخلاف فشغلوا عن البصرة، وبعث اليه صدقة بتسليم الشرطة الى مُهَذّب الدولة بن أبي الخير فمنع من ذلك فسار صدقة اليه، وحصّن اسمعيل القلاع التي استجدّها حوالي البصرة، واعتقل وجوه البلد من العبّاسيّين والعلويّين والقاضي والمدرّس والأعيان، وحاصرها صدقة. وخرج اسمعيل لقتاله، وخالفه طائفة من أصحاب صَدَقة إلى مكان آخر من البلد فاقتحموها، وانهزم اسمعيل الى قلعة الجزيرة فامتنع بها، ونهبت البلد.

وانحدر المهذّب بن أبي الخير في السفن فأخذ القلعة التي كانت لاسمعيل بمطارا. ثم استأمن اسمعيل الى صدقة فأمّنه. وجاء صدقة فأمّن أهل البصرة، ورتب عندهم شِحْنَة، وعاد الى الحلّة منتصف تسع وتسعين وأربعمائة لستة عشر يوماً من مقامه بالبصرة. وسار اسمعيل نحو فارس فطرقه المرض في رام هُرْمُز، ومات. وكان صدقة قد استعمل على البصرة مملوك جدّه دبيس واسمه اليونشاش، ورتب معه مائة وعشرين فارساً فاجتمعت ربيعة والمتقن[1]،

(١) كذا، وهي كلمة محرفة. وفي الكامل ج ٨ ص ٢٣٤: فاجتمعت ربيعة والمنتفق كان انضم إليهما من العرب وقصدوا البصرة في جمع كثير. وقد تكون رواية ابن الأثير أصح وكلمة «المنتفق» لا تزال تطلق إلى الآن على مدينة الناصرية وعشائرها. وهي مدينة في جنوب العراق بين الديوانية والبصرة.

وقصدوا البصرة فدخلوها بالسيف وأسروا اليونشاش ، وأقاموا بها شهراً ينهبون ويُخَرِّبون ، وبعث صدقة عسكراً فوصل بعد خروجهم من البلد فانتزع السلطان البصرة من صدقة ، وبعث اليها شحنة وعميداً ، واستقام أمرها .

استيلاء صدقة على تكريت

كانت تكريت لبني معن من بني عقيل ، وكانت الى آخر سبع وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن معن ، فلما مات وليها ابن أخيه أبو منعة بن ثعلب بن حماد ، ووجد بها خمسمائة ألف دينار . وتوفي سنة خمس وثلاثين ، ووليها ابنه أبو غشام الى سنة أربع وأربعين فوثب عليه أخوه عيسى فحبسه ، وملك القلعة والاموال . فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وأربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه ، ومات عيسى اثر ذلك . وخافت زوجته من عود أخيه أبي غشام الى الملك فقتلته في محبسه . وولت على القلعة أبا الغنائم ابن المجلبان فسلمها الى أصحاب طغرلبك ، وسارت هي الى الموصل فقتلها ابن أبي غشام بأبيه . وأخذ مسلم ابن قريش مالها . وولى طغرلبك على قلعة تكريت أبا العباس الرازي فمات لستة أشهر ، فولي عليها المُهَرَّباط ، وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن غِشام من بلد الثغر فأقام بها احدى وعشرين سنة ،

ومات فوليها ابنه سنتين ، وأخذتها من تركمان خاتون وولت عليها كوهرايين الشحنة .

ثم مات ملك شاه فملكها قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب، فلما قتل صارت للامير كستكين الجاندار ، فولّى عليها رجلًا يعرف بأبي نصر المصارع . ثم عادت الى كوهرايين اقطاعاً . ثم أخذها منه محمد الملك الباسلاني فولي عليها لقا بن هزارسب الديلمي ، وأقام بها اثنتي عشرة سنة فظلم أهلها ، وأساء السيرة . فلما أجاز به سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين وأربعمائة لنهبها . وكان كيقباذ ينهبها ليلًا ، وسقمان ينهبها نهاراً . فلما استقرّ السلطان محمد بعد أخيه بركيارق أقطعها للامير اقسنقر البَرْسَقي شِحْنَة بغداد فسار اليها ، وحصرها مدّة تزيد على سبعة أشهر ، حتى ضاق على كيقباذ الامر فراسل صدقة بن مزيد ليسلّمها اليه ، فسار إليها في صفر من هذه السنة ، وتسلمها منه . وانحدر البرسقي ولم يملكها . ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام ، وكان عمره ستين سنة ، واستناب صدقة بها ورام بن أبي قريش بن ورام وكان كيقباذ ينسب الى الباطنية .

الخلف بين صدقة وصاحب البطيحة

قد كنا قدّمنا أنّ السلطان محمداً أقطع صدقة بن مزيد مدينة واسط فضمنها صدقة لمهذب الدولة بن أبي الخير ، وولّى في أعمالها

أولاده فبذروا الاموال ، وطالبه صدقة عند انقضاء السنة بالمال وحبسه . وسعى في خلاصه بدران بن صدقة ، وكان صهراً لمهذب الدولة ، وأعاده الى البطيحة . وضمن حماد والمختم محمد والد مهذب الدولة ، كانا أخوين ، وهما ابنا أبي الخير . وكانت لهما رياسة قومهما . وهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيِّد المظفر والد حماد مقامه . وهلك المختم محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه ، ونازعا ابراهيم صاحب البطيحة حتى غلبه مهذب الدولة ، وقبض عليه ، وسلمه الى كوهرايين فحمله الى اصفهان فهلك في الطريق. وعظم أمر مهذب الدولة وصيَّر كوهرايين أمير البطيحة ، وصارت جماعته لحكمه . وكان حماد شاباً ، وكان مهذب الدولة يداريه بجهده ، وهو يضمر نقضه . فلما مات كوهرايين انتقض حماد عن مهذب الدولة وأظهر ما في نفسه ، واجتهد مهذب الدولة في استصلاحه فلم يقدر . وجمع ابنه القيسر[1] وقصد حماداً فهرب الى صدقة بالحلة ، وبعث معه مدداً من العسكر . وحشد مهذب الدولة ، وسار في العساكر براً وبحراً . وأكمن حماد لهم وأصحابه واستطردوا بين أيديهم . ثم خرجت عليهم الكمائن فانهزموا . وأرسل حماد يستمد صدقة فبعث اليه مقدّم جيشه ، وجمعوا السفن. وكان مهذب الدولة جواداً فبعث الى مقدّم الجيش بالانعامات

(١) كذا، واسمه في الكامل: النفيس.

والصلات فمال اليه، وأشار عليه أن يبعث ابن[1] النفيس الى صدقة فرضي عنه وأصلح بينه وبين حماد ابن عمه، وذلك آخر المائة الخامسة.

مقتل صدقة وولاية ابنه دبيس

كان صدقة بن منصور بن مزيد شيعة للسلطان محمد بن ملك شاه على أخيه بركيارق، ومن أعظم أنصاره. ولما هلك بركيارق واستبدّ السلطان محمد بالملك رعى وسائله في ذلك، وأقطعه واسطاً وأذن له في ملك البصرة، وأنزله منزل المصافاة حتى كان يجير عليه. وسخط مرّة على سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوة فلجأ اليه مستجيراً به فأجاره، وطلبه السلطان فمنعه. وكان العميد أبو جعفر يستبدله السلطان لكثرة السعاية، ويغريه به وينكر دالته وتبسّطه فتعين[2] السلطان وسار الي العراق، وأرسل الى

(١) كذا، ومقتضى السياق: أن يبعث ابنه النفيس. وفي الكامل ج ٨ ص ٢٤٤: النفيس ابن مهذب الدولة.

(٢) كذا. والسياق يقتضي أن تكون: فتغير. كما أن العبارة التي قبلها: «وكان العميد الخ...» غير واضحة. وفي الكامل ج ٨ ص ٢٤٦: وظهر منه أمور أنكرها السلطان فتوجه إلى العراق ليتلافى هذا الأمر فلما سمع صدقة استشار أصحابه في الذي يفعله فأشار عليه ابنه دبيس بأن ينفذه إلى السلطان ومعه الأموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان. وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمحاربة وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال في القول فمال صدقة إلى قوله وجمع العساكر واجتمع إليه عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل.

صدقة فاستشار صدقة أصحابه ، فأشار ابنه دبيس بملاطفته واستعطافه بالهدايا ، وأشار سعيد بن حميد صاحب جيشه بالمحاربة فجنح الى رأيه ، واستطال في الخطاب ، وجمع الجند وأفاض فيهم العطاء ، واعترضهم فكانوا عشرين ألف فارس ، وثلاثين ألف راجل . وبعث اليه المستظهر مع عليّ بن طراد الزينبي نقيب النقباء يعظه في المخالفة ، ويحضُّه على لقاء السلطان فاعتذر بالخوف منه .

ثم بعث اليه السلطان قاضي القضاة أبا سعيد الهروي ليؤمّنه ويستنفره لجهاد الفرنج في جملته فامتنع ؛ ووصل السلطان الى بغداد في ربيع من سنة احدى وخمسمائة ، ومعه وزيره أحمد بن نظام الملك ، فقدّم البرسقي شحنة بغداد في جماعة من الامراء فنزلوا بصَرْصَر مسلحة لقلة عسكر السلطان . وانه انما جاء في ألفي فارس للاصلاح والاستئلاف ، فلما تبين له لجاج صدقة أرسل الى الامراء بأصفهان بأن يستجيشوا ويقدموا فكتب صدقة الى الخليفة بالمقاربة وموافقة السلطان . ثم رجع صدقة عن رأيه وقال : اذا رحل السلطان عن بغداد مددته بالاموال والرجال لجهاده . وأمّا الآن وعساكره متصلة فلا وفاق عندي ، وقد أرسل الى جاولى سكاو ، وصاحب الموصل ، وايلغازي بن أرتق صاحب ماردين بالانتقاض على السلطان . وأيس السلطان من استقامته .

ووصل اليه ببغداد قراوش شرف الدولة وكروباوي بن خراسان التركماني وأبو عمران فضل بن ربيعة بن خادم بن الجرج الطائي، وكان آباؤه أصحاب البلقاء وبيت المقدس، ومنهم حسّان ابن مفرج، وطرده كفرتكين أتابك دمشق لما كان عليه من الاجلاب تارة مع الفرنج وتارة مع أهل مصر. فلجأ الى صدقة وقبله وأكرمه وأجزل له العطاء سبعة آلاف دينار. فلما كانت هذه الحادثة رغب عن صدقة وسار في طلائعه فهرب الى السلطان فخلع عليه وعلى أصحابه، وسوّغه دار صدقة عن الهروب. وأذن له فعبر من الانبار، وكان آخر العهد به.

ثم أنفذ السلطان في جمادى الاولى الى واسط الامير محمد بن بوقا التركماني فملكها، وأخرج منها أصحاب صدقة، وأنفذ خيله الى بلد قوسان من أعمال صدقة فنهبه، وأقام أياماً حتى بعث صدقة ابن عمه ثابت بن سلطان في عسكر فخرج منها الامير محمد وملكها ثابت، وأقاموا على دجلة. وخرج ثابت لقتالهم فهزموه واقتحموا البلد. ومنعهم الامير محمد من النهب ونادى بالامان. وأمر السلطان الامير محمداً بنهب بلاد صدقة فسار اليها، وأقطع مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقي.

ثم سار السلطان من بغداد آخر رجب، ولقيه صدقة، واشتدّ القتال وتخاذلت عنه عَبادة وخَفاجه. ورفع صوته بالابتهال بالناشرة بالعرب، ورغب الاكراد بالمواعد. ثم غشيه الترك فحمل عليهم

وهو ينادي : أنا ملك العرب ، أنا صدقة ، فأصابه سهم أثبته ، وتعلق به غلام تركي يسمى برغش فجذبه الى الارض . فقال يا برغش ارفق فقتله وحمل رأسه الى السلطان فأنفذه الى بغداد ، وأمر بدفن شلوه . وقتل من أصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون ، ومن بني شيبان نحو مائة ، وأسر ابنه دبيس ، ونجا ابنه بدران الى الحلّة ، ومنها الى البطيحة عند صهره مهذب الدولة . وأسر سرجان بن كيخسرو المستجير بصدقة على السلطان ، وسعيد بن حميد العمدي صاحب الجيش .

وكان مقتل صدقة لاحدى وعشرين سنة من امارته وهو الذي بنى الحلة بالعراق . وكان قد عظم شأنه وعلا قدره بين الملوك ، وكان جواداً حليماً صدوقاً عادلاً في رعيته . وكان يقرأ ولا يكتب ، وكانت له خزانة كتب منسوبة الخط ألوف مجلدات ، ورجع السلطان الى بغداد من دون الحلة ، وأرسل أماناً لزوج صدقة فجاءت الى بغداد . وأمر السلطان الامراء بتلقيها ، وأطلق لها ولدها دبيساً ، واعتذر لها من قتل صدقة . واستحلف دبيساً على الطاعة ، وأن لا يحدث حدثاً . وأقام في ظله وأقطعه السلطان اقطاعاً كثيراً . ولم يزل دبيس مقيماً عند السلطان محمد الى أن توفي ، وملك ابنه محمود سنة احدى عشرة فرغب دبيس من السلطان محمود أن يسرحه الى بلده فسرحه ، وعاد اليها فلكها واجتمع عليه خلق كثير من العرب والاكراد واستقام أمره .

خبر دبيس مع البرسقي ومع الملك مسعود

لما توفي الخليفة المستظهر سنة اثنتي عشرة، وبويع ابنه المسترشد خاف ابنه الآخر من غائلة أخيه، وانحدر في البحر الى المدائن، وسار منها الى الحِلّة فأبى أن يكرهه فتلطف عليّ بن طراد لاخي الخليفة فأجاب، وتكفل دبيس بما يطالبه. وبينما هو في خلال ذلك برز البرسقي من بغداد مجلباً على دبيس الجموع، وسار أخو الخليفة الى واسط فملكها في صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقوي أمره وكثرت جموعه فبعث الخليفة الى دبيس في شأنه، وأنه خرج عن جواره فلقي أمره بالطاعة، وبعث اليه وهو بواسط عسكراً من قبله فتلقاه وقبض عليه، وبعثه الى أخيه المسترشد.

وكان مسعود أخو السلطان محمد بالموصل، ومعه أتابكه حيوس بك فاعتزما على قصد العراق لغيبة السلطان محمود عنه، فسار لذلك ومعه وزيره فخر الملك أبو علي بن عمّار صاحب طرابلس، وقسيم الدولة زنكي بن أقْسَنْقَر أبو المعالي أبو الملك العادل، وكروباوي بن خراسان التركماني صاحب البواريج، وأبو الهيجاء صاحب اربل، وصاحب سنجار فلما قاربوا بغداد خاف البرسقي شأنهم. وبعث اليه الملك مسعود وحيوس بك أنهم انما جاؤا نجدة على دبيس.

وكان البرسقي انما ارتاب من حيوس بك فصالحهم ، ودخل مسعود بغداد ، ونزل دار المملكة . وجاء منكبرس في العساكر فسار البرسقي عن بغداد لمحاربته ودفاعه فمال الى النُّعمانيَّة ، وعبر دجلة . واجتمع مع دبيس بن صدقة . وكان دبيس قد صانع مسعوداً وصاحبه بالهدايا والالطاف مدافعة عن نفسه ، فلما لقيه منكبرس اعتضد به ، وسار الملك مسعود والبرسقي وحيوس بك الى المدائن للقائهما . ثم خاموا عن لقائهما لكثرة جموعهما ، ونكبوا عن المدائن وعبروا نهر صرصر ، وأكثروا النهب في تلك النواحي من الطائفتين . وبعث اليهم المسترشد بالموعظة ، ويأمرهم بالموادعة والمصالحة فأجابوا الى ذلك . ثم بلغهم أنّ دبيساً ومنكبرس قد بعثا العساكر مع منصور أخي دبيس ، وحسين بن أوزبك ربيب منكبرس ليخالفوهم الى بغداد فخلوها من الحامية ، فأغذّ البرسقي السير الى بغداد ، وترك ابنه عز الدين مسعود على العسكر ، وصحبه عماد الدّين زنكي بن أقسنقر . وانتهى الى ديالي ، ومنع العسكر من العبور .

ثم جاءه الخبر ليومين بصلح الفريقين كما أشار الخليفة ففتر نشاطه ، وعبر الى الجانب الغربي من بغداد . وجاء في أثره منصور أخو دبيس ، وحسين ربيب منكبرس فنزلا في الجانب الشرقي من بغداد . وأغار البرسقي على نَعَم الملك مسعود فأخذها ، وعاد فخيّم بجانب آخر من بغداد ، وخيّم مسعود وحيوس بك من

جانب آخر ، ودبيس ومنكبرس من جانب ومعهما عز الدولة بن البرسقي منفرداً عن أبيه . وكان حيوس بك قد بعث الى السلطان محمود بطلب الزيادة له وللملك مسعود فجاء كتاب مع رسوله يذكر بنّ السلطان كان أقطعهم اذربيجان ، حتى اذا بلغه مسيرهم الى بغداد تثاقل عن ذلك ، وقد جهز العساكر الى الموصل . ووقع الكتاب بيد منكبرس فبعث الى حيوس بك ، وضمن له اصلاح الحال . وكان يؤثر مصلحته اذ كان متزوّجاً بأمّه فتمّ الصلح ، وافترق عن البرسقي أصحابه ، وبطل ما كان يحدّث به نفسه من الاستبداد بالعراق . وصار مع الملك مسعود ، واستقرّ منكبرس شحنة ببغداد ، ورجع دبيس الى الحلة .

فتنة دبيس مع السلطان محمود واجلاؤه عن بغداد ثم معاودته الطاعة

كان دبيس بن صدقة كثيراً ما يكاتب حيوس بك أتابك الملك مسعود ، ويغريه بطلب السلطنة ، ويعده بالمساعدة ليحصل له بذلك علوّ اليد ، كما كان لابيه مع بركيارق ومحمد ابني ملك شاه . وكان قسيم الدولة البرسقي شحنة بغداد قد سار للملك مسعود ، وأقطعه مَراغة مع الرّحبة . وكانت بينه وبين دبيس عداوة مستحكمة فأغراهم دبيس بالقبض عليه ، ففارقهم البرسقي الى السلطان محمود فأكرمه . ثم اتصل الاستاذ أبو اسمعيل الحسين ابن عليّ الاصفهاني الطغرائي بالملك مسعود ، وكان ولده أبو المؤيد

محمد يكاتب الطغرائي عن الملك مسعود. فلما وصل أبوه عزل أبا عليّ بن عمار صاحب طرابلس واستوزره. وحسن لهم ما أشار به دبيس فعزموا عليه.

ونمي الخبر الى السلطان محمود فكاتبهم بالوعيد فأظهروا أمرهم وخطبوا للملك مسعود بالسلطَنة، وضربوا له النوب الخمس. وبلغهم أن عسَاكر محمود متفرّقة فأغذوا السير لمحاربته، والتقوا عند عقبة استراباد في ربيع سنة أربع عشرة، وأبلى البرسقي، وكان في مقدّمته. ثم انهزم مسعود، وأسر[1] كثير من أصحابه وجيء بالوزير أبي اسمعيل الطغرائي فأمر بقتله لسنة من ولايته، وكان حسن الكتابة والشعر، وله تصانيف في صنعة الكيمياء. وسار مسعود يطلب الموصل بعد أن استأمن البرسقي، وأدركه فرده الى أخيه، وعفا عنه وعطف عليه. ولحق حيوس بك بالموصل. ثم بلغه فعل السلطان محمود، ومعه ألف سفينة لعبوره فبادر دبيس لطلب الامان، بعد أن أرسل حرمه الى البطيحة. وسار بأمواله عن الحلة وأمر بنهبها. ولحق بأيلغازي بن أرتق بماردين، ووصل السلطان الى الحلة فوجدها خاوية على عروشها فرجع عنها.

وأرسل دبيس أخاه منصوراً من قلعة صفد في عسكر الى العراق فمرّ بالحلة والكوفة، وانحدر الى البصرة، وبعث الى

(١) كذا. والسياق يقتضي «وفرّ» الخ.

برتقش الزكوي في صلاح حالهما مع السلطان محمود فقبض على منصور أخي دبيس وولده، وحبسهما ببعض القلاع حذاء الكرخ. ثم أذن دبيس لجماعة من أصحابه بالمسير الى أقطاعهم بواسط فمنعهم أتراك واسط، فبعث اليهم عسكراً مع مهلهل بن أبي العسكر، وأمر مظفر بن أبي الخير فساعده، واستمدّ أهل واسط البرسقي فأمدّهم بعسكر. وسار مهلهل للقائهم قبل مجيء المظفر فهزم وأخذ أسيراً في جماعة من أصحابه.

وأصعد المظفر من البطيحة ينهب ويفسد، حتى قارب واسط. وسمع بالهزيمة فأسرع منحدراً. ووقع على كتاب بخط دبيس الى مهلهل يأمره بالقبض على مظفر بن أبي الخير ومطالبته بالاموال فبعثوا به الى المظفر. وسار معهم وبلغ دبيساً أنّ السلطان كحل أخاه فلبس السواد، ونهب البلاد، وأخذ للمسترشد بنهر الملك، وأجفل الناس الى بغداد. وسار عسكر واسط الى النعمانية فأوقعوا بمن هنالك من عساكر دبيس، وأجلوهم عنها. وكان دبيس قد أسر في واقعة البرسقي عفيفاً خادم الخليفة فأطلقه، وحمله الى المسترشد عقاباً ووعيداً على كحل أخيه فغضب الخليفة، وتقدّم الى البرسقي بالخروج لحرب دبيس، وخرج بنفسه في رمضان سنة عشرة. وأتاه سليمان بن مهارش من الحديثة في جماعة من بني عقيل، وقريش بن مسلم صاحب الموصل في كافة بني عقيل.

وأمر المسترشد باستنفار الجند كافة، وفرّق فيهم الاموال

والسلاح ، وجاء دبيساً ما لم يكن يحتسبه فرجع الى الاستعطاف وبرز الخليفه آخر ذي الحجة ، وعبر دجلة ، وهو في أكمل زيّه ، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ، ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء عليّ بن طراد ، وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل . وبلغ البرسقي مسير المسترشد فعاد الى خدمته ، ونزل معه بالحديثة . ثم سار الى الموصل على سبيل التعبية ، والبرسقي في المقدمة ، وعبى دبيس أصحابه صفاً واحداً . وجعل الرجالة بين يدي الخيالة. وقد كان وعد أصحابه بنهب بغداد ، وسبي حريمها فالتقى الفريقان فانهزم عسكر دبيس ، وأسر جماعة من أصحابه فقتلوا صبراً وسبيت حرمه ، ورجع المسترشد الى بغداد يوم عاشوراء من سنة سبع عشرة .

ونجا دبيس وعبر الفرات ، وقصد غزنة من عرب نجد مستنصراً بهم فأبوا عليه ، فسار الى المنتفق وحالفهم على أخذ البصرة فدخلوا ونهبوا أهلها ، وقتل مقدّم عسكرها . وبعث المسترشد الى البرسقي بالعتاب على اهمال أمر البصرة ، فتجهز البرسقي للانحدار اليها ففارقها دبيس ، ولحق بقلعة جعبر . وصار مع الفرنج وأطمعهم في حلب ، وسار معهم لحصارها سنة ثمان عشرة فامتنعت عليهم فعادوا عنها ، ولحق هو بالملك طغرلبك بن السلطان محمد فأغراه بالمسير الى العراق كما نذكر .

مسير دبيس الى الملك طغرل

لما سار دبيس من الشام الى الملك طغرل باذربيجان تلقاه بالمبرة والتكرمة ، وأنظمه في خواصه ووزرائه . وأغراه دبيس بالعراق ، وضمن له ملكه فسار معه لذلك ، وانتهوا الى دقوقا في عساكر كثيرة . وكتب مجاهد الدين بهروز صاحب تكريت الى المسترشد بالخبر فتجهز لمدافعتهم ، وجمع العساكر فبلغوا اثني عشر ألف فارس ، وبرز من بغداد في صفر سنة تسع عشرة ، وفي مقدمته برتقش الزكوي ونزل الخالص . وانتهى الى طغرل خروج المسترشد فعدل الى طريق خراسان ونزل جلولاء ، وتفرّق أصحابه للنهب . وبرز اليه الوزير جلال الدين بن صدقة في عسكر كبير فنزل الدسكرة ، ولحقه المسترشد ، وكان معه . ورحل طغرل ودبيس الى الهارونية . ثم سارا الى تامرا ليقطعا جسر النهروان فحفظ دبيس المعابر ، وتقدّم طغرل الى بغداد وتملكها ونهبها .

ثم رحل دبيس من تامرا ، وأقام طغرل لحمّى أصابته ، وحالت بينهما الامطار والسيول . ثم أخذ دبيس ثقلاً جاء للخليفة فيه ملبوس وطعام كثير ، وكان لحقه الجوع والتعب والبرد فأخذ من ذلك الملبوس ولبسه ، وأكل من الطعام كثيراً . واستقبل الشمس فأخذه النوم ورقد . وأمّا الخليفة لما بلغه الخبر بأخذ الثقل رجع الى بغداد ، ففي حال سيره عثر على دبيس وهو نائم فوقف وأيقظه

فحل عينيه ورأى الخليفة فبادر بتقبيل الأرض على العادة ، وسأل العفو فرق له الخليفة ، وثناه الوزير بن صدقة عن ذلك ، ووقف دبيس ازاء عسكر برتقش يحادثهم . ثم مدّوا الجسر آخر النهار للعبور فتسلل دبيس عنهم ، ولحق بالملك طغرل ، وسار معه الى عمه الملك سنجر ، وعاثوا في اعمال همذان ، واتبعهم السلطان محمود فلم يظفر بهم .

مسير دبيس الى السلطان سنجر

لما أيس طغرل من ملك العراق عندما سار اليه مع دبيس عاد منه ، وسار هو ودبيس الى السلطان سنجر ، وهو يومئذ صاحب خراسان ، والمتقدّم على بني ملك شاه فشكا اليه طغرل ودبيس من المسترشد ، وبرتقش الشحنة ، ووعدهم النصفة منهم . ثم داخله دبيس واطمعه في ملك العراق . وخيل له أن المسترشد والسلطان محمود متفقان على مباعدته ، ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب[1] حتى حرك حفيظته لذلك ، وسار الى العراق سنة اثنتين وعشرين فوصل الى الريّ ، واستدعى السلطان محموداً من همذان يختبر ما خيل له دبيس ، فجاء محمود مبادراً وأكذب دبيساً فيما خيل . وأمر السلطان سنجر العساكر بتلقي السلطان محمود ، وأجلسه معه على التخت . وأقام عنده الى آخر سنة اثنتين وعشرين

(١) هذا مثل سائد، يقال لمن يبالغ في القول بغية الإقناع .

ثم عاد الى خراسان ، وأوصاه باعادة دبيس الى بلده فرجع السلطان محمود الى همذان ، ودبيس معه . ثم سار الى بغداد في محرم سنة ثلاث وعشرين ، وأنزل دبيس بداره ، واسترضى له الخليفة فرضي عنه ، وامتنع من ولايته ، وبذل دبيس مائة ألف دينار لذلك فلم يقبله ، وعاد السلطان محمود الى همذان منتصف السنة .

فتنة دبيس مع محمود وأسره

كانت زوجة السلطان محمود وهي ابنة عمه سنجر تعين بأمر دبيس ، فماتت عند رحيل السلطان الى همذان فانحل أمره . ثم مرض السلطان فأخذ دبيس ابنه الصغير ، وقصد العراق فجمع المسترشد لمدافعته . وكان بهروز شحنة بغداد بالحلة فهرب عنها ، وملكها دبيس في رمضان سنة ثلاث وعشرين . وبلغ الخبر الى السلطان محمود فأحضر الامير ابن قزل والاحمديلي ، وكانا ضمنا دبيس فطالبها بالضمان ، فسار الاحمديلي في أثره . وجاء السلطان الى العراق فبعث اليه دبيس بهدايا عظيمة كان فيها مائتا الف دينار ، وثلثمائة فرس بسروج مثقلة بالذهب . ثم جاء الى البصرة ونهبها وأخذ ما في بيوت الاموال .

وبعث السلطان في أثره العساكر فدخل البرية ، وجاءه عند مفارقته البصرة قاصداً من صرصر يستدعيه ، وكان صاحبها خصيا فتوفي في هذه السنة ، وخلف سرية له فاستولت على القلعة ،

وأرادت أن تتم أمرها برجل له قوّة ونجدة فوصف لها دبيس ، وحاله في العراق وكثرة عشيرته ، فكتبت تستدعيه لتتزوّج به ، وتملكه القلعة بما فيها فلحقه الكتاب بعد مفارقته البصرة . وقفل من العراق الى الشام ومعه الادلاء ، ومرّ بدمشق فحبسه واليها عنده ، وبعث فيه عماد الدين زنكي ، وكان عدوّه . وكان عنده ابن تاج الملوك مأسوراً في واقعة كانت بينهما فطلب أن يبعث اليه دبيس ، ويفادي به ابنه والامراء الذين معه ففعل ذلك تاج الملوك ، وحصل دبيس في يد زنكي ، وقد أيقن بالهلاك فاطلقه زنكي ، وحمل له الاموال والدواب والسلاح وخزائن الامتعة كما يفعل مع أكابر الملوك . وبلغ المسترشد خبره فبعث سديد الدين ابن الانبار يطلبه من تاج الملوك فسار لذلك من جزيرة ابن عمر ، وبلغه في طريقه أنه بعثه الى زنكي وأنه فاته القصد منه .

مسير دبيس الى بغداد مع زنكي وانهزامهما

لما توفي السلطان محمود سنة خمس وعشرين ، وولي بعده داود ، ونازعه عمومته مسعود وسلجوق ؛ ثم استقرّت السلطنة لمسعود ، وكان أخوهما طغرل عند عمه سنجر بخراسان ، وكان كبير بيت أهل السلجوقية ، وله الحكم على ملوكهم فنكر على السلطان محمود لقتاله سلجوق وطغرل ، وسار به الى العراق ، وانتهى الى همذان . وبعث الى عماد الدين زنكي فولاه شحنة بغداد ، والى

دبيس بن صدقة وهو عند زنكي فأقطعه الحلة . وتجهز السلطان محمود لقتال سنجر وطغرل ، واستدعى الخليفة للحضور معه فخرج من بغداد وعاجلهم ، ورجع المسترشد الى بغداد ، وقد سمع بوصول زنكي ودبيس اليها ، ولقيهم بالعباسية فهزمهم ، وقتل من عسكرهم ودخل بغداد . وسار دبيس الى بلاد الحلة ، وكانت بيد أقبال المسترشد فبعث اليها بالمدد فهزموا دبيساً ، ونجا من المعركة . ثم جمع جمعاً وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وابن أبي الخير صاحب البطيحة ، وملكها الى سنة سبع وعشرين فبعث اقبال الخادم ، وبرتقش الشحنة العساكر الى دبيس فلقيهم في عسكر واسط ، وانهزم ، وسار الى السلطان مسعود فأقام عنده .

مقتل دبيس وولاية ابنه صدقة

لم يزل دبيس مقيماً عند السلطان مسعود الى أن حدثت الفتنة بينه وبين المسترشد ، ومات أخوه طغرل كما هو مذكور في أخبارهم . وسار مسعود الى همذان بعد موت أخيه طغرل فملكها ، وفارقه جماعة من أعيان أمرائه ، ومعهم دبيس بن صدقة مستوحشين منه . واستأمنوا للخليفة فحذر من دبيس ، ولم يقبلهم فضوا الى خوزستان ، واتفقوا مع برسق بن برسق . ثم تدارك الخليفة رأيه ، وبعث الى الامراء الذين مع دبيس بالامان ، وكانوا

لما ردّهم الخليفة بسبب دبيس أجمعوا القبض عليه، وخدمة الخليفة به . وشعر بهم وهرب الى السلطان مسعود . وبرز الخليفة من بغداد في رجب من سنة تسع وعشرين لقتال مسعود ، وكتب اليه أكثر أهل الاعمال بالطاعة .

وأرسل اليه داود بن السلطان محمود من اذربيجان بأن يقصد المسترشد الدينور ليحضر داود حربه فأبى ، وسار على التعبية حتى بلغ واعرج[1] فالتقوا هنالك . وانهزمت عساكر المسترشد ، وأخذ أسيراً ومعه وزيره شرف الدين عليّ بن طراد ، وقاضي القضاة ، وابن الانباري وجماعة من أعيان الدولة . وغنم ما في عسكره ؛ وعاد السلطان الى بغداد . وبعث الامير بكاية شحنة الى بغداد ، وكثر العويل والبكاء والضجيج ببغداد على الخليفة . وجعل الخليفة في خيمة ، ووكل به ، وراسله السلطان مسعود في الصلح ، وشرط عليه مالاً يؤدّيه ، ولا يجمع العساكر ولا يخرج من داره ما بقي ، وانعقد ذلك بينهما . وبينما هما في ذلك وصل رسول السلطان سنجر فركب السلطان مسعود للقائه ، وافترق المتوكلون بالمسترشد فدخل عليه خيمته آخر ذي القعدة من سنة تسع وعشرين جماعة الباطنية ، وقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه .

ولما قتل المسترشد اتهم السلطان مسعود أن دبيس بن صدقة

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ٣٤٨ : حتى بلغ «ما يمرج».

دس اولئك النفر عليه فأمر بقتله، وقصده غلام فوقف على رأسه عند باب خيمته ، وهو ينكث الارض باصبعه فأطار رأسه وهو لا يشعر . وبلغ الخبر الى ابنه صدقة وهو بالحلة فاجتمعت اليه عساكر أبيه ومماليكه ، واستأمن اليه الامير قطلغ تكين، وأمر السلطان مسعود الشحنة بك أَبَه[1] بمعاجلته ، وأخذ الحلة من يده ، الى أن قدم السلطان بغداد سنة احدى وثلاثين فقصده صدقة ، وأصلح حاله معه ولزم بابه .

مقتل صدقة وولاية ابنه محمد

ولما قتل المسترشد ولي ابنه الراشد باشارة السلطان مسعود ، ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان مسعود، وأغراه بها عماد الدين زنكي صاحب الموصل ، ومعه الراشد . وبايع السلطان مسعود للمقتفي سنة ثلاثين ، وخلع الراشد ففارق الموصل، وسار الامراء الذين كانوا مع داود الى السلطان مسعود ، ورضي عنهم . ورجع الى همذان وأذن للعساكر في العود الى بلادهم ، وتمسك بصدقة ابن دبيس ، وزوّجه ابنته . وسار الراشد من الموصل الى أذْرَبيجان قاصداً الملك ، واجتمع اليه صاحب فارس وخوزُستان وجماعة الامراء فسار اليهم السلطان مسعود وهزمهم ، وأخذه صاحب فارس الامير منكبرس فقتله صبراً . وتسلل صاحب خوزستان وعبد

(١) في الكامل: بك ابه المحمودي .

الرحمن طغايرك صاحب خلخال الى السلطان مسعود وهو في خف من الناس فحملوا عليه وهزموه ، وقبضوا على جماعة من الامراء الذين معه فقتله منكبرس : فيهم صدقة بن دبيس ، وعنبر بن أبي العسكر . وذهب داود الى همذان فملكها ، واستقال السلطان مسعود من عثرته ، وولى على الحلة محمد بن دبيس ، وجعل معه مهلهل بن أبي العسكر أخا نمير بريرة ، واستقام أمره بالحلة ، وكان من شأن الراشد والسلجوقية ما نذكره في أخبارهم .

تغلب علي بن دبيس على الحلة وملكه اياها من أخيه محمد

ثم خرج على السلطان مسعود سنة ست وأربعين بوزابة صاحب فارس وخوزستان وبايع للسلطان محمد ابن السلطان محمود ، وسار معهم عباس صاحب الريّ وملكوا كثيراً من البلاد فسار السلطان مسعود اليهم من بغداد ، واستخلف بها الامير مهلهل ابن أبي العسكر ونظر الخادم ، وأشار مهلهل على السلطان مسعود عند رحيله من بغداد أن يحبس عليّ بن دبيس بقلعة تكريت . ونمي اليه الخبر فهرب في نفر قليل ، ومضى الى بني أسد فجمعهم فسار الى الحلة ، فبرز اليه محمداً أخوه فهزمه عليّ ، وملك الحلة ، واستهان السلطان أمره أوّلاً فاستفحل وضم اليه جمعاً من غلمانه وغلمان أبيه وأهل بيته وعساكرهم ، وكثر جمعهم فسار اليه مهلهل فيمن معه في بغداد من العسكر ، وضربوا عليه مصافاً

وكسرهم ، وعادوا منهزمين الى بغداد . وكان أهلها يتعصبون لعليّ بن دبيس فكانوا يعيطون اذا ركب مهلهل أو بعض أصحابه يا علي كله ، فكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب ، ويد عليّ فوق كل يد في أوضاع الامراء بالحلة[1] وتصرّف فيها . وصار شِحْنة بغداد ومن فيها على وجل منه ، ووضع الخليفة الحامية على الاسوار ، وأرسل الى عليّ يحضه على الاستقامة فأجاب بالآمال والطاعة فسكن الناس .

أخذ السلطان الحلة من يد علي وعوده اليها

كان عليّ بن دبيس كثير العسف بالرعية والظلم لهم ، وارتفعت شكوى الرعية به الى السلطان مسعود سنة اثنتين وأربعين فأشكاهم ، وأقطع الحلة سلاركرد فسار اليها من هَمَذان . وجمع عسكراً من بغداد وقصد الحِلّة ، واحتاط على أهل عليّ ، وأقام بالحِلّة في مماليكه وأصحابه . ورجعت عنه العساكر ؛ ولحق عليّ ابن دبيس بالتقشكنجر[2] ، وكان في اقطاعة باللحف متجنيا على السلطان مسعود فاستنجده عليّ فأنجده ، وسار معه الى واسط ،

---

(١) العبارة لا تخلو من نقص. وتبدو وكأنها تتمة لعياطهم. ولكن ما بعدها يعطي أن هناك فعلاً محذوفاً من قبيل: «وصارت» أو ما أشبه. وفي الكامل ج ٩ ص ١١ : ومدّ عليّ يده في إقطاع الأمراء بالحلة وتصرف فيها.

(٢) كذا، وفي الكامل ج ٥ ص ١٧ : ولحق عليّ بن دبيس «بالبقش كون».

وسار معها الطرنطاي[1] صاحب واسط فانتزعوا الحلة من سلار كرد، ورجع الى بغداد آخر اثنتين وأربعين واستولى عليّ على الحلة .

نكبة علي بن دبيس

ثم انتقض على السلطان مسعود سنة أربع وأربعين جماعة من الامراء : منهم التقشكنجر والطرنطاي وعليّ بن دبيس، وبايعوا ملك شاه ابن السلطان محمود ، وساروا به الى العراق ، وراسلوا المقتفي في الخطبة له فامتنع ، وجمع العساكر وحصن بغداد . وأرسل الى السلطان مسعود بالخبر فشُغِل عنهم بلقاء عمّه السلطان سنجر، كان سار اليه بالريّ . ولما علم التقشكنجر بذلك نهب النهروان وقبض على عليّ بن دبيس ، وهرب الطرنطاي الى النُعْمانية . ثم وصل السلطان مسعود الى بغداد فرحل التقشكنجر من النهروان، وأطلق عليّ بن دبيس فسار الى السلطان مسعود فلقيه ببغداد ، واستعطفه فرضي عنه .

وفاة علي بن دبيس وانقراض بني مزيد

ثم توفي عليّ بن دبيس صاحب الحِلّة عليلاً بسعد اباد ، واتهم طبيبه محمد بن صالح بالادهان فيه فمات بعده بقليل . ثم مات السلطان مسعود آخر ملوك السلجوقيّة الاعاظم ، وبويع ملك شاه ابن أخيه محمود بعهده . واستبد المُقتفي على ملوك السلجوقية

(٣) كذا، واسمه في الكامل : الطرنطاوي .

بعده. وبعث السلطان ملك شاه سلار كرد الى الحلة فملكها ، ولحق به مسعود بلال شحنة بغداد ، هرب منها عند موت السلطان مسعود، وأظهر لسلار كرد الوفاق. ثم قبض عليه وغرّقه ، واستبدّ بالحِلّة ، وبعث المقتفي اليه العساكر مع الوزير عون الدين بن هُبَيرة فبرز مسعود بلال للقائهم ، فانهزم وعاد الى الحلة فمنعه أهلها من الدخول ، فسار الى تكريت ، وملك ابن هبيرة الحلة ، وبعث العساكر الى الكوفة وواسط فملكوها . ثم جاءت عساكر السلطان ملك شاه الى واسط ، وخرجت منها عساكر المقتفي الى واسط فملكها ، ثم الى الحلة كذلك . ثم عاد الى بغداد آخر ذي القعدة سنة سبع وأربعين .

ثم قبض الامراء على ملك شاه سنة ثمان وأربعين ، وبايعوا لاخيه محمد ، وطلب الخطبة من المقتفي فمنع منها ، فسار السلطان محمد بن محمود الى العراق سنة احدى وخمسين . واضطرب الناس ببغداد ، واهتم المقتفي بالاحتشاد ، وجاءته عساكر واسط . وبعث السلطان مهلهل بن أبي العسكر الى الحلة فملكها ، وحاصر السلطان محمد بغداد سنة اثنتين وخمسين ، وامتنعت عليه فرجع وتوفي المقتفي سنة خمس وخمسين ، وبويع ابنه المُسْتَنْجِد ، واستبدّ بأمره كما كان أبوه . ومنع خطبة السلجوقية من بغداد ، وكان في نفسه شيء من بني أسد لاجلابهم على بغداد مع مهلهل بن أبي العسكر ، أيام حصار السلطان محمد لها فأمر بردن بن قماج بقتالهم

واجلائهم ، وكانوا منتشرين في البطائح ، ولا يقدر عليهم ، وجمع عساكره وبعث عن ابن معروف مقدّم المنتفق من أرض البصرة فجاءه في جمع كبير ، وحاصرهم حتى انحسر الماء عنهم . وأبطأ أمرهم على المستنجد ، فبعث الى بردن يعاتبه وينسبه الى موافقتهم في التشيع فجهد هو وابن معروف في قتالهم ، وسدّ مسالكهم في الماء ، واستسلموا فقتل منهم أربعة آلاف ، ونودي عليهم بالجلاء من الحلة فافترقوا في البلاد ، ولم يبق منهم بالعراق من يُعرَف ، وسلِّمت بطائحهم وبلادهم الى ابن معروف والمتقي وانقرضت دولة بني مزيد والبقاء لله .

مُلوكُ العجمِ القائمينَ بالدّعوةِ العَباسيّة

الخبر عن ملوك العجم القائمين بالدعوة العباسية في ممالك الاسلام والمستبدين على الخلفاء ونبدأ منهم أولا بدولة ابن طولون بمصر وبداية أمرهم ومصاير أحوالهم

قد تقدّم لنا عند ذكر الفتوحات فتح مصر على يد عمرو بن العاص ، سنة عشرين من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه باذنه ، وولاه عليها ، وافتتح ما وراءها في المغرب الى طرابلس وودان وغدامس حسبما ذلك مذكور هنالك . وأقام

عمرو في ولايتها أيام عمر كلّها . وولى عثمان عـلى الصعيد عبدالله ابن أبي سرح ، وأفردها بالولاية ، وكان يعدو على عمرو فغضب عمرو ، وأبى من الرجوع الى ولاية مصر ، فضمها عثمان لعبدالله ابن أبي سرح وولاه عليها . وكانت في أيامه غزوة الصواري ، جاءت مراكب الروم من القُسْطَنْطِينيّة في ألف مركب ، ونزلوا بسواحل الاسكندرية . وانتقض أهل القرى ، ورغب أهل الاسكندرية من عثمان أن يمدّهم بعمرو بن العاص فبعثه ، وزحف اليهم في العرب ومعـه المقوقس في القبط ؛ وخرجوا من البحر ومعهم من انتقض من أهل القرى ففتح الله على المسلمين ، وهزموا الروم الى الاسكندرية .

وأمضى عمرو في قتلهم ، وردّ على أهل القرى ما غنم المسلمون منهم ، وعذرهم بالاكراه ، ورجع الى المدينة . وأقام عبدالله في ولايتهم وغزا افريقية وافتتحها . ثم غزا بلد النوبة ، ووضع عليهم الجزية المعروفة الباقية على الايام ، وذلك سنة احدى وثلاثين . ثم كان من بعد ذلك يبعث معاوية بن خديج فيفتح ويثخن الى ان استملك فتح افريقية . ووفد عـلى عثمان آخر أيامه عندمـا اهتاجت الفتنة ، وكثر الطعن عليه من جماعة جند مصر يتعللون بالشكوى من ابن أبي سرح مع وفد من الجند شاكين من عمالهم بالامصار . وعزله عثمان يسترضيهم بـه فكانت قضية الكتـاب المنسوب الى مروان ، وحصارهم عثمان بداره .

وخرج عبدالله من مصر مدداً لعثمان فخالفه محمد بن أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة الى مصر ، وانتزى بها . ورجع عبدالله من طريقه فمنعه الدخول فسار الى عسقلان ، وأقام بها حتى قتل عثمان. ثم سار الى الرملة وكانت من مهاته فأقام بها هرباً من الفتنة ، حتى مات ولم يبايع علياً ولا معاوية . ثم قتل عمرو بن العاص محمد بن أبي حذيفة ، وفي كيفية قتله اياه اضطراب. ثم ولى علي على مصر قيس بن سعد بن عبادة ، وكان ناصحاً له شديداً على عدوّه ، واستماله معاوية فأساء في الردّ عليه. وأشاع معاوية خلاف ذلك عنه فعزله عليّ من أجل ذلك ، وولى بعد ذلك الاشتر النخعي ، واسمه مالك بن الحَرْث بن يَغوث بن سَلَمة بن ربيعة بن الحَرْث بن خُزَيْمَة بن سعد بن مالك بن النخع . وسار اليها فمات بالقلزم قريباً منها سنة سبع وثلاثين ، فولى عليّ مكانه محمد بن أبي بكر ، وكان نشأ في حجره .

ثم بعث معاوية الى عمرو بن العاص ، وهو بفِلَسطين قد اعتزل الناس بعد مقتل عثمان ، واستماله ، واجتمع معه على قتال عليّ وولاه مصر فسار اليها بعد انقضاء أمر صفين وأمر الحكمين . وطلب معاوية الخلافة ، وقد اضطرب الأمر على محمد ابن أبي بكر ، وخرج عليه معاوية بن خديج السكوني مع جماعة من العثمانية بنواحي مصر فكاتب عمرو العثمانية ، وسرّح الكتائب الى مصر ، وفي مقدّمتها معاوية بن خديج فهزموا عساكر محمد ،

وافترق عنه أصحابه وقتل كما هو معروف في أخباره ، ودخل عمرو بن العاص الفسطاط ، وملك مصر الى سنة ثلاث وأربعين فتوفي ، وملك مكانه ابنه عبد الله . ثم عزله معاوية وولى أخاه عُتبة بن أبي سفيان ، وتوفي سنة أربع وأربعين ، وولى مكانه عُقْبَة بن عامر الجُهَنِي ، ثم عزله سنة سبع وأربعين وولي مكانه معاوية بن خديج .

ثم اقتطع عنه افريقية سنة خمسين ، وولى عليها عقبة بن نافع ثم جمع مصر وافريقية لمسلمة بن مخلد الأنصاري ، فبعث مسلمة على افريقية مولاه أبا المهاجر ، وأساء عزل عقبة كما هو معروف . ثم مات معاوية ، وولى ابنه يزيد ، واضطربت الامور ، وبويع عبدالله بن الزبير بمكة وانتشرت دعوته في الممالك الاسلامية ، فبعث على مصر عبد الرحمن بن جحدم القرشي ، وهو عبد الرحمن ابن عقبة بن اياس بن الحرث بن عبد بن أسد بن جحدم الفِهْري ، ثم بويع مروان ، وانتقض ابن الزبير ، وسار مروان الى مصر فأخرج منها عبد الرحمن بن جحدم ، وولى عليها عمر بن سعيد الأشدَق . ثم بعثه للقاء مصعب بالشام ، وولّى مكانه على مصر ابنه عبد العزيز بن مروان . ثم هلك سنة خمس ، وكان مروان قد مات فولي مكانه ابنه عبدالله بن عبد الملك ، ثم عزله الوليد سنة تسع وثمانين ، وولى عليها مُرّة بن شريك بن مُرثِد بن الحرث العبسي ، ومات سنة خمس وتسعين فولّى الوليد مكانه عبد الملك

ابن رفاعة سنة تسع وتسعين ، وكان قد استخلفه عند موته . ويقال بل ولي قبله أسامة بن زيد التنوخي .

ثم عزل عمر بن عبد العزيز عبد الملك بن رفاعة سنة تسع وتسعين ، وولي مكانه أيوب بن شُرَحْبيل بن أكرم بن أَبْرَهة بن الصبّاح الأَصْبَحيّ . ثم عزله يزيد بن عبد الملك ، وولي مكانه بِشر بن صَفوان ، وأقرّه يزيد ، ثم عزله هشام بن عبد الملك وولى عبد الملك ابن رفاعة ، وتوفي بعد خمس عشرة ليلة ، واستخلف أخاه الوليد بن رفاعة . وأقرّه هشام فأقام سبعة أشهر ، ثم عزله وولى حنظلة بن صفوان في المحرم سنة أربع وعشرين ، وأقرّه هشام . ثم استعفى مروان بن محمد حين ولي فأعفاه ، وولى مكانه حسان بن عتامة بن عبد الرحمن السجيني ، وكان بالشام فاستخلف حمير بن نعيم الحصري بمصر . ثم قدم ، ورفض ولايتها فولى مكانه حفص بن الوليد لستة عشر يوماً من ولايته . وبقي حفص شهرين ، ثم ولى مروان الحَوْثَرَة بن سهل بن العَجْلان الباهلي في محرّم سنة ثمان وعشرين . ثم صرف عنها في رجب سنة احدى وثلاثين ، وولي المغيرة بن عبد الله بن مسعود الفزاري .

ثم مات في جمادى سنة ست وثلاثين ، واستخلف ابنه الوليد وولى مروان بن عبد الملك موسى بن نصير فأمر باتخاذ المنابر في الكُوَر ، وانما كانوا يخطبون على العصي . ثم قدم مروان بن محمد الى مصر ، وكان فيها مهلكه كما هو معروف . ثم جاءت الدولة

العباسية فولى السفاح على مصر عمه صالح بن عليّ سنة أربع وثلاثين ومائة، وبقيت في ولايته يستخلف عليها فاستخلف أوّلا محصن بن فاني الكِنديّ ثمانية أشهر، ثم أبا عون عبد الملك بن يزيد مولى مناه ثمانية أشهر. وولى داود بن يزيد بن حاتم بن قُبَيْصَة في محرم سنة أربع وسبعين. ثم عزله في محرّم سنة خمس وسبعين لسنة من ولايته، وأعاد اليها موسى بن عيسى. ثم صرفه في ربيع سنة ست وسبعين وولى ابن عمه ابراهيم بن صالح، وتوفي لثلاثة أشهر من ولايته، وقام بالامر بعده ابنه صالح فولى الرشيد عبد الله بن المُسَيَّب بن زهير الضبي في رمضان سنة ست وسبعين.

ثم عزله بعد الحول، وولى هَرْثَمَة بن أَعْيُن: ثم أمره بالمسير الى افريقية لثلاثة أشهر من ولايته سلخ ثمان وسبعين، وولى أخاه عبيد الله بن المسيب. ثم أعاد موسى بن عيسى في رمضان سنة تسع وسبعين فاستخلف ابنه يحيى. ثم صرف موسى في منتصف سنه ثمانين لعشرة أشهر من ولايته، واعيد عبيد الله بن المهدي. ثم صرفه في رمضان سنة احدى وثمانين، وأعيد اسمعيل بن صالح ابن عليّ من العمومة فاستخلف، ثم صرف في منتصف اثنتين وثمانين وأعيد لعشرة أشهر من ولايته. وولي الليث بن الفضل من أهل اسبورد فوليها أربع سنين ونصفا وعزل.

ثم ولي الرشيد من قرابته احمد بن اسمعيل بن علي منتصف

سبع وثمانين فبقي عليها سنتين وشهرين . ثم ولى مكانه عبد الله ابن محمد بن الامام ابراهيم بن محمد ويعرف بابن زينب ، وصرفه عنها آخر شعبان من سنة تسعين لسنة وشهرين من ولايته. وولى حاتم بن هَرْثَمَة بن أَعْيُن فقدم في شوّال سنة أربع وتسعين ، ثم صرفه الامير منتصف خمس وتسعين لسنة وثلاثة أشهر من ولايته ، وولى جابر بن الاشعث بن يحيى بن النُّعمان الطائي منتصف خمس وتسعين فأخرجه الجند منها سنة ست وتسعين ، لسنة من ولايته . ثم ولى المأمون عليها عباد بن محمد بن حَيّان الباخيّ مولى كِنْدَة ، ويكنّى أبا نصر . ثم عزله لسنة ونصف من ولايته في صفر سنة ثمان وتسعين ، وولى المطّلب بن عبد الله بن مالك بن الهَيْثَم الخزاعي وقدمها من مكة في منتصف ربيع الاوّل . ثم صرفه في شوّال لثمانية أشهر من ولايته ، وولى من عمومته العبّاس بن موسى بن عيسى فبعث عليها ابنه عبد الله ، ومعه الامام محمد بن ادريس الشافعيّ رضي الله تعالى عنه فأقام عليها شهرين ونصفاً ، فقتله الجند يوم النحر سنة ثمان وتسعين ، وولوا عليهم المُطّلب بن عبد الله . ثم جرت بينه وبين السدّي وبين الحكم بن يوسف مولى بني ضُبّة من أهل بلخ ، من قوم يقال لهم الزطّ ، وجرت بينه وبين أهل المطلب حروب ، وخرج هارباً الى مكة بعد سنة وثمانية أشهر من ولايتها . ووليها السري باجماع الجند في رمضان سنة مائتين . ثم وثب به الجند بعد ستة أشهر ، وولوا سليمان بن غالب

ابن جبريل بن يحيى بن قرة العجلي في ربيع الاول سنة احدى عشرة .

وولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مولى خُزاعَة فأقام عشرة . ثم ولى المأمون عليها أخاه أبا اسحق الملقب في خلافته بالمعتصم فأقرّ عيسى الجلودي ، وبعده عمير بن الوليد التميمي في صفر سنة أربع عشرة . ثم قتل بعد شهرين ، واستخلف ابنه محمد بن عمير شهراً ، ثم أعاد عيسى الجلودي . ثم جاء أبو اسحق المعتصم الى الفِسْطاط ، وعاد الى الشام ، واستخلف عَبْدَوَيْه بن جَبَلة في المحرّم فاتح[1] خمس عشرة فأقام سنة ، وولى عيسى بن منصور بن موسى الخراساني الرافعي مولى بني نصر بن معاوية .

ثم قدم المأمون مصر لسنة من ولايته فسخط علي عيسى بن منصور ، وعمر المقياس وجسراً آخر بالفسطاط ، وولى كَنْدَر بن عبدالله بن نصر الصَّفَدي ، ويكنى أبا مالك ، ورجع الى العراق . ومات كندر في ربيع سنة تسع عشرة ومائتين ، واستخلف ابنه المظفر . ولما صارت الخلافة للمعتصم ولّى على مصر مولاه أَشناس ، ويكنّى أبا جعفر في رجب سنه ثمان عشرة فاستخلف عليها موسى ابن أبي العبّاس ثابت من بني حنيفة من أهل الشاش في رمضان سنة تسع عشرة ومائتين ، واستخلف ابنه المظفر فأقام مستخلفاً

(١) كذا بالأصل ، بمعنى : أول سنة خمس عشرة . وهي عامية ، والصحيح : فاتحة سنة خمس عشرة . وفي القاموس : فاتحة كل شيء أوله .

لاشناس أربع سنين ونصفاً . ثم عزله بعد سنتين ، واستخلف مالك ابن كيد بن عبد الله الصفدي فقدم في ربيع سنة أربع وعشرين. ثم عزله بعد سنتين واستخلف عليّ بن يحيى الأرمني ، وقدم في ربيع سنة ست وعشرين . ثم عزله بعد سنتين وثمانية أشهر ، واستخلف عيسى بن منصور الذي كان مستخلفاً للمعتصم أيام المأمون ، وسخطه المأمون عند قدومه مصر فقدم عيسى في محرّم سنة تسع وعشرين .

ثم مات اشناس بعد الثلاثين ، وقد استخلف على مصر اتياخ مولى المعتصم ، وأقيم اتياخ مكان اشناس فأقرّ الواثق اتياخ على مصر ، فأقرّ اتياخ عيسى بن منصور في ربيع سنة ست وثلاثين فبقي أربعة أشهر . ثم استخلف اتياخ هرثمة بن النَّضْر الجَبَلي فقدم منتصف سنة ثلاث وثلاثين ، وأقام سنة ، ثم مات سنة أربع وثلاثين . وقام بأمره ابنه حاتم رضي الله تعالى عنه فاستخلف اتياخ عليّ بن يحيى الأرمني في رمضان سنة أربع وثلاثين . ثم صرف اتياخ عن ولاية مصر في محرم سنة خمس وثلاثين بعد وفاة المعتصم .

وولى المتوكل على مصر ابنه المستنصر فاستخلف عليها اسحق ابن يحيى بن معاذ الختلي ، وقدم في ذي القعدة من سنته . وفي أيامه أخرج ولد عليّ من مصر الى العراق . ثم صرف في ذي القعدة من سنة ست وثلاثين ، واستخلف المستنصر عليها عبد الرحمن

ابن يحيى بن منصور بن طلحة وريق ، وهو ابن عم طاهر بن الحسين ، وقدم في ذي القعدة سنة ست وثلاثين . ثم صرفه واستخلف عنبسة بن اسحق بن عبس بن عبسة من أهل هَراة . ويكنى أبا حاتم في صفر سنة ثمان وثلاثين . وفي ولايته كبس الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين .

واستخلف يزيد بن عبد الله بن دينار من مواليهم ، ويكنى أبا خالد . وفي أيامه منع العلويون من ركوب الخيل واقتناء العبيد . ثم ولي المستنصر الخلافة في شوّال سنة سبع وأربعين فأقرّ يزيد على ولاية مصر . ثم صرف عنها في ربيع سنة ثلاث وخمسين لعشر سنين من ولايته . وولّى المعتز مكانه مزاحم بن خاقان بن عزطوج التركي في ربيع سنة أربع وخمسين ، وعهد الى أزجور بن أولغ طرخان التركي فأقام خمسة أشهر ، وخرج حاجاً في رمضان سنة أربع وخمسين . وولي أحمد بن طولون، واستفحل بها أمره ، وكانت له ولبنيه بها دولة كما نذكر الآن أخبارها .

دولة أحمد بن طولون

الخبر عن دولة أحمد بن طولون بمصر وبنيه ومواليه بني طغج وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم

قال ابن سعيد ، ونقله من كتاب ابن الداية في أخبار بني

طولون : كان طولون أبو أحمد من الطغز، غزوهم التتر . حمله نوح ابن أسد عامل بخارى الى المأمون في وظيفته من المال والرقيق والبراذين . وولد له أحمد سنة عشرين ومائتين من جارية اسمها ناسم . وتوفي طولون سنة أربعين ومائتين ، وكفله رفقاء أبيه بدار الملك ، حتى ثبتت مرتبته ، وتصرّف في خدمة السلطان ، وانتشر له ذكر عند الاولياء فاق به على أهل طبقته . وشاع بين الترك صونه ودينه وأمانته على الاسرار والاموال والفروج . وكان يستصغر عقول الاتراك ، ويرى أنهم ليسوا بأهل للرتب . وكان يحب الجهاد . وطلب من محمد بن أحمد بن خاقان أن يسأل من عبد الله الوزير أن يكتب لهما بأرزاقهما الى الثغر ، ويقيما هنالك مجاهدين . وسار الى طرسوس ، وأعجبه ما عليه أهل الحق من تغيير المنكر واقامة الحق فأنس ، وعكف على طلب الحديث . ثم رجع الى بغداد ، وقد امتلأ علماً وديناً وسياسة . ولما تنكر الاتراك للمُستَعين ، وبايعوا المُعتزّ ، وآل أمر المُستَعين الى الخلع والتغريب الى واسط ، وكلوا به أحمد بن طولون فأحسن عشرته ، ووسع عليه ، وألزمه أحمد بن محمد الواسطي يومه . وكان حسن العشرة فكِه المجالسة . ولما اعتزموا على قتله بعثوا الى أحمد بن طولون أن يمضي ذلك فتفادى منه ، فبعثوا سعيداً الحاجب فسمله ثم قتله . ودفنه ابن طولون ، وعظم محله بذلك عند أهل الدولة . انتهى كلام ابن سعيد .

وقال ابن عبد الظاهر : وقفت على سيرة للاخشيد قديمة عليها خط الفرغاني ، وفيها أنّ أحمد هو ابن النج من الاتراك ، كان طولون صديق أبيه ومن طبقته . فلما مات النج رباه طولون وكفله ، فلما بلغ من الحداثة مشى مع الحشوية وغزا وتنقّلت به الاحوال الى أن صار معدوداً في الثقات . وولي مصر واستقرّ بها . قال صدر الدين بن عبد الظاهر : ولم أر ذلك لغيره من المؤرّخين انتهى .

ولما وقع اضطراب الترك ببغداد ، وقتل المستعين وولي المعتز ، واستبدّ عليه الاتراك وزعيمهم يومئذ باك باك ، وولاه المعتز مصر ، ونظر فيمن يستخلفه عليها فوقع اختياره على أحمد بن طولون فبعثه عليها ، وسار معه أحمد بن محمد الواسطي ، ويعقوب بن اسحق ، ودخلها في رمضان سنة أربع وخمسين ، وعلى الخوارج بها أحمد بن المدبر ، وعلى البريد سفير مولى قبيحة فأهدى له ابن المدبر ، ثم استوحش منه وكاتب المعتز بأنّ ابن طولون يروم العصيان ، وكاتب صاحب البريد بمثل ذلك فسطا بسفير صاحب البريد ومات من غده .

ثم قتل المعتز وولي المهتدى فقتل باك باك ، ورتب مكانه يارجوج ، وولاه مصر . وكانت بينه وبين أحمد بن طولون مودّة أكيدة فاستخلفه على مصر ، وأطلق يده على الاسكندرية والصعيد بعد أن كان مقتصراً على مصر فقط . وجعل اليه الخراج

فسقطت رتبة ابن المدبر . ثم أعاده المعتمد فلم ينهض الى مساماة ابن طولون ولا منازعته . ثم كتب اليه المعتمد بضبط عيسى بن شيخ الشيباني ، وكان يتقلّد فِلَسطين والاردنّ ، وتغلب على دمشق وطمع في مصر ومنع الحمل . واعترض حمل ابن المدبر ، وكان خمسة وسبعين حملاً من الذهب فأخذها فكتب اليه المعتمد يومئذ بولاية أعماله فادّعى العجز ، وأنكر مال الحمل ونزع السواد ، وأنفذ أتاجور من الحضرة في العساكر الى دمشق سنة سبع وخمسين .

ثم خرج أحمد بن طولون الى الإسكندرية ومعه أخوه موسى وكان يتجنى عليه ، ويرى أنه لم يوف بحقه . وظهر ذلك منه في خطابه فأوقع به ونفاه ، وحبس كاتبه اسحق بن يعقوب ، واتهمه بأنه أفضى بسرّه الى أخيه . وخرج أخوه حاجاً . وسار من هنالك الى العراق ، ووصف أخاه بالجميل فحظي بذلك عند الموفق . واستفحل أمر أحمد ، واستكثر من الجند وخافه أتاجور بالشام . وكتب الموفق يغريه بشأنه ، وأنه يخشى على الشام منه . ثم كتب الموفّق الى ابن طولون بالشخوص الى العراق لتدبير أمر السلطان ، وأن يستخلف على مصر فشعر ابن طولون بالمكيدة في ذلك ، فبعث كاتبه أحمد بن محمد الواسطي الى يارجوج والى الوزير وحمل اليهما الاموال والهدايا . وكان يارجوج متمكناً في الدولة فسعى في أمره ، وأعفاه من الشخوص وأطلق ولده وحرمه

واشتدّت وطأة ابن طولون ، وخافه أحمد بن المدبر فكتب الى أخيه ابراهيم أن يتلطف له في الانصراف عن مصر فورد الكتاب بتقليده خراج دمشق وفلسطين والاردن . وصانع ابن طولون بضياعه التي ملكها ، وسار الى عمله بمصر ، وشيعه ابن طولون ورضي عنه . وذلك سنة ثمان وخمسين . وولى الوزير على الخراج من قبله . وتقدّم لابن طولون باستحثاثه فتتابع حمل الاموال الى المعتمد . ثم كتب ابن طولون بأن تكون جباية الخراج له فأسعف بذلك . وأنفذ المعتمد نفيساً الخادم بتقليده خراج مصر وضريبتها وخراج الشام . وبعث اليه نفيس الخادم ، ومعه صالح بن أحمد ابن حنبل قاضي الثغور ، ومحمد بن أحمد الجزوعي قاضي واسط شاهدين باعفائه ما زاد على الرسم من المال والطراز . ومات يارجوج في رمضان سنة تسع وخمسين ، وكان صاحب مصر ، ومن أقطاعه . ويدعى له قبل ابن طولون فلما مات استقل أحمد بمصر .

فتنة ابن طولون مع الموفق

لما استأمن الزّنج وتغلبوا على نواحي البصرة ، وهزموا العساكر ، بعث المعتمد الى الموفّق ، وكان المهتدي نفاه الى مكة فعهد له المعتمد بعد ابنه المفوّض ، وقسم ممالك الاسلام بينهما . وجعل الشرق للموفق ودفعه لحرب الزنج ، وجعل الغرب للمفوّض ،

واستخلف عليه موسى بن بغا ، واستكتب موسى بن عبيد الله ابن سليمان بن وهب . وأودع كتاب عهدهما في الكعبة . وسار الموفق لحرب الزنج ، واضطرب الشرق ، وقعد الولاة عن الحمل . وشكا الموفق الحاجة الى المال . وكان ابن طولون يبعث الاموال الى المعتمد يصطنعه بذلك ، فأنفذ الموفق نحريراً خادم المتوكل الى أحمد بن طولون يستحثه لحمل الاموال والطراز والرقيق والخيل ، ودس اليه أن يعتقله . واطلع على الكتب ، وقتل بعض القوّاد ، وعاقب آخرين . وبعث مع نحرير ألفي ألف ومائتي ألف دينار ورقيقاً وطرزاً . وجمع الرسم وبعث معه من أسلمه الى ثقة اتاجور صاحب الشام .

ولما فعل ابن طولون بنحرير ما فعل ، كتب الموفق الى موسى بن بغا بصرف أحمد بن طولون عن مصر ، وتقليدها أتاجور فكتب الى أتاجور بتقليدها فعجز عن مناهضة أحمد ، فسار موسى ابن بغا ليسلم اليه مصر ، وبلغ الرقّة . واستحث أحمد في الاموال فتهيأ أحمد لحربه ، وحصن الجزيرة معقلاً لحربه وذخيرته . وأقام موسى بالرقة عشرة أشهر ، واضطرب عليه الجند وشغبوا وطالبوه بالارزاق ، واختفى كاتبه موسى بن عبيد الله بن وهب فرجع وتوفي سنة أربع وستين . ثم كتب الموفق الى ابن طولون باستقلال ما حمله من المال ، وعنفه وهدّده فأساء ابن طولون جوابه ، وانّ العمل لجعفر بن المعتمد ليس لك فأحفظ ذلك الموفق ، وسأل

من المعتمد أن يولي على الثغور من يحفظها ، وأنّ ابن طولون لا يؤمن عليها لقلة اهتمامه بأمرها فبعث محمد بن هرون التغلبي عامل الموصل ، وركب السفن فألقته الريح بشاطىء دجلة فقتله الخوارج أصحاب مساو الساري .

ولاية أحمد بن طولون على الثغور

وكانت أمهات الثغور يومئذ انطاكية وطرسوس والمصيصَة ومَلَطْيَة ، وكان على انطاكية محمد بن عليّ بن يحيى الارمني ، وعلى طرسوس سيما الطويل واليه أمر الثغور . وجاء في بعض أيامه الى انطاكيه فمنعه الارمني من الدخول فدس الى أهل البلد بقتله . فقتلوه ، وأحفظ ذلك الموفق فولّى على الثغور أرجون بن أولغ طرخان التركي ، وأمره بالقبض على سيما الطويل فقام بالثغور ، وأساء التصرّف ، وحبس الارزاق عن أهلها . وكانت قلعة لؤلؤة من قلاع طرسوس في نحر العدوّ ، وأهمّ أهل طرسوس أمرها فبعثوا الى حاميتها خمسة آلاف دينار رزقاً من عندهم فأخذها أرجون لنفسه ، وضاعت حاميتها وافترقوا . وكتب الموفق الى أحمد بن طولون بتقليد الثغور ، وأن يبعث عليها من قبله فبعث من قبله طحشى بن بكروان ، وحسنت حالهم وطلب منه ملك الروم الهدنة . واستأذن في ذلك ابن طولون فمنعه ، وقال : انما

حملهم على ذلك تخريبكم لقلاعهم وحصونهم فيكون في الصلح راحة لهم فحاش لله منه ، وأمره برمّ الثغور وأرزاق الغزاة .

استيلاء أحمد بن طولون على الشام

قد تقدّم لنا ولاية أناجور على دمشق سنة سبع وخمسين، وما وقع بينه وبين أحمد بن طولون . ثم توفي أناجور في شعبان سنة أربع وستين ، ونصب ابنه عليّ مكانه . وقام يدبر أمره أحمد ابن بغا وعبيد الله بن يحيى بن وهب . وسار الى الشام موريا بمشارفة الثغور واستخلف ابنه العباس على مصر ، وضم اليه أحمد بن محمد الواسطي وعسكر في مينة الاصبع . وكتب الى علي بن أناجور باقامة الميرة للعساكر فأجاب الآمال . وسار ابن طولون الى الرملة ، وبها محمد بن أبي رافع من قبل أناجور ، ومدبر دولته أحمد بن[1] هنالك منذ نفاه المهتدي فأكرمه . ثم سار عن دمشق ، واستخلف عليها أحمد بن دوغياش ، ورحل الى حمص وبها أكبر قوّاد أناجور فشكت الرعية منه فعزله ، وولى يمتا التركي . ثم سار الى انطاكية ، وقد امتنع بها سيما الطويل بعد أن كتب بالطاعة ، وأن ينصرف عنه فأبى وحاصرها وشدّ حصارها .

---

(١) كذا بياض بالأصل، ولم نهتد إلى هذا الاسم في المراجع التي بين أيدينا.

وضجر أهلها من سيما فداخل بعضهم أحمد بن طولون، ودلوه على بعض المسارب فدخلها منه في فاتحة خمس وستين، وقتل سيما الطويل وقبض على أمرائه وكاتبه. ثم سار الى طرسوس فملكها، ودخلها في خلق كثير، وشرع في الدخول الى بلاد الروم للغزو. وبينما هو يروم ذلك جاءه الخبر بانتقاض ابنه العباس الذي استخلفه بمصر فرجع، وبعث عسكراً الى الرقّة وعسكراً الى حرّان، وكانت لمحمد بن أتاشر فأخرجوه عنها وهزموه. وبلغ الخبر الى أخيه موسى فسار الى حَرّان وكان شجاعاً. وكان مقدّم العسكر بحران ابن جيعونة فأهمه أمرهم فقال له أبو الاغرّ من العرب: أنا آتيك بموسى. واختار عشرين فارساً من الشجعان، وسار الى معسكر موسى فأكمن بعضهم، ودخل بالباقين بعض الخيام فعقدت، واهتاج العسكر، وهرب أبو الاغرّ واتبعوه فخرج عليهم الكمين فهزموهم وأسر موسى، وجاء به أبو الاغرّ الى جيعونة، قائد ابن طولون فاعتقله وعاد الى مصر سنة ست وستين.

الخبر عن انتقاض العباس بن أحمد بن طولون على أبيه

لما رحل أحمد بن طولون الى الشام، واستخلف ابنه العباس، وكان أحمد بن الواسطي محكما في الدولة. وكان للعباس بطانة يدارسونه الادب والنحو، وأراد أن يولي بعضهم الوظائف، ولم يكونوا يصلحون لها فمنع الواسطي من ذلك خشية الخلل في

الاعمال فحمل هؤلاء البطانة عليه عند العباس ، وأغروه به . وكتب هو الى أحمد يشكوهم فأجابه بمداراة الامور الى حين وصوله . وكان محمد بن رجاء كاتب أحمد مداخلاً لابنه العباس فكان يبعث اليه بكتب الواسطي يتنزل له فاطلع على جواب أبيه عن كتبه بالمداراة فازداد خوفاً ، وحمل ما كان هنالك من المال والسلاح ، وهو ألف ألف دينار . وتسلف من التجار مائتي ألف أخرى ، واحتمل أحمد بن محمد الواسطي وأيمن الاسود مقيدين ، وسار الى برقة .

ورجع أحمد الى مصر ، وبعث له جماعة فيهم القاضي أبو بَكْرَة بَكَّار بن قُتَيْبَة ، والصابوني القاضي ، وزياد المُرّي مولى أَشْهَب فتلطَّفوا به بالموعظة حتى لان . ثم منعه بطانته وخوّفوه فقال لبكار : ناشدتك الله هل تأمنه عليّ ؟ فقال هو قد حلف ، وأنا لا أعلم فضى على ريبته . ورجع القوم الى أبيه . وسار هو الى افريقية يطلب ملكها ، وسهل عليه أصحابه أمر ابراهيم بن أحمد بن الاغلب صاحبها . وكتب اليه بأنّ المعتمد قلّده افريقية ، وأنه أقرّه عليها . وانتهى الى مدينة لَبْلَة فخرج عليه عامل ابن الاغلب فقبض عليه ، ونهب البلد وقتل أهله ، وفضح نساءهم فاستغاثوا بالياس بن منصور كبير نَفوسَة ورئيس الأَباضِيَّة ، وقد كان خاطبه يتهدّده على الطاعة .

وبلغ الخبر الى ابن الاغلب فبعث العساكر مع خادمه بلاغ ،

وكتب الى محمد بن قَهْرَب عامل طرابلس بأن يظاهر معه على قتال العباس فسار ابن قهرب وناوشه القتال من غير مسارعة. ثم صحبهم الياس في اثني عشر ألفاً من قومه . وجاء بلاغ الخادم من خلفه فأجفل ، واستبيح أمواله وذخائره ، وقتل أكثر من كان معه ، وأفلت بحاشيته . وانطلق أيمن الاسود من القيد ، ورجع الى مصر . وجاء العباس الى برقة مهزوماً . وكان قد أطلق أحمد الواسطي بعد أن ضمن حزب برقة احضاره ، فلما رجع أعاده الى محبسه فهرب من الحبس ، ولحق بالفِسْطاط. ووجد أحمد بن طولون قد سار الى الاسكندرية عازماً على الرحيل الي برقة فهوّن أمره ، ومنعه من الرحيل بنفسه. وخرج طبارجى وأحمد الواسطي فجاؤا به مقيداً على بغل ، وذلك سنة سبع وستين . وقبض على كاتبه محمد بن رجاء ، وحبسه لما كان يطلع ابنه العباس على كتبه . ثم ضرب ابنه وهو باكٍ عليه وحبسه .

خروج الصوفي والعمري بمصر

كان أبو عبد الرحمن العمري بمصر ، وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر، مقيماً بالقاصية من الصعيد ؛ وكان البجاة يغيرون في تلك الاعمال ويعيثون فيها . وجاؤا يوم عيد فنهبوا وقتلوا فخرج هذا العمري غضباً لله ، وأكمن لهم في طريقهم ففتك بهم ، وسار في بلادهم حتى أعطوه الجزية ، واشتدّت

شوكته. وزحف العلوي للقائه فهزمه العمري، وذلك سنة ستين. وكان من خبر هذا العلوي أنه ظهر بالصعيد سنة سبع وخمسين، وذكر أنّ اسمه ابراهيم بن محمد بن يحيي بن عبد الله بن محمد بن علي ابن أبي طالب، ويعرف بالصوفي. فملك مدينة اسنا ونهبها، وعاث في تلك الناحية. وبعث اليه ابن طولون جيشاً فهزمهم، وأسر مقدّم الجيش فقطعه فأعاد اليه جيشاً آخر، وانهزم الى الواحات. ثم عاد الى الصعيد سنة تسع وخمسين، وسار الى الاشمونين. ثم سار للقاء العمري وانهزم الى اسوان، وعاث في جهاتها. وبعث اليه ابن طولون العسكر فهرب الى عيذاب، وعبر البحر الى مكة فقبض عليه الوالي بمكة، وبعث به الى ابن طولون فحبسه مدّة. ثم أطلقه ومات بالمدينة. ثم بعث ابن طولون العسكر الى العمري فلقي قائدهم وقال: اني لم أخرج بالفساد، ولا يؤذى مسلم ولا ذمي[1]، وانما خرجت للجهاد فشاور أميرك فيّ فأبى، وناجزه الحرب فانهزم العسكر، ورجعوا الى ابن طولون فأخبروه بشأنه فقال: هلّا كنتم شاورتموني فيه؟ فقد نصره الله عليكم ببغيكم. ثم وثب عليه بعد مدّة غلامان له فقتلاه وجاءا برأسه الى أحمد بن طولون فقتلهما.

---

(١) كذا. والسياق يقتضي ولم أؤذ مسلماً ولا ذمياً.

انتقاض برقة

وفي سنة احدى وستين وثب أهل برقة بعاملهم محمد بن فرج الفرغاني فأخرجوه، ونقضوا طاعة ابن طولون فبعث اليهم العساكر مع غلامه لؤلؤ، وأمره بالملاينة فحاصرهم أياماً وهو يلين لهم حتى طمعوا فيه، ونالوا من عسكره فبعث الى أحمد بخبره فأمره بالاشتداد فشدّ حصارهم، ونصب عليهم المجانيق فاستأمنوا، ودخل البلد، وقبض على جماعة من أعيانهم فضربهم وقطعهم، ورجع الى مصر واستعمل عليهم مولى من مواليه، وذلك قبل خلاف العباس على أبيه.

انتقاض لؤلؤ على ابن طولون

كان ابن طولون قد ولى مولاه لؤلؤا على حلب وحمص وقنسرين وديار مُضَر من الجزيرة، وأنزله الرقة، وكان يتصرف عن أمره. ومتى وقع في مخالفته عاقب ابن سليمان كاتب لؤلؤ فسقط لؤلؤ في المال، وقطع الحمل عن أحمد بن طولون. وخاف الكاتب مغبة ذلك فحمل لؤلؤا على الخلاف، وأرسل الى الموفق بعد أن شرط على المعتمد شروطاً أجابه الموفق اليها. وسار الى الرّقة وبها ابن صفوان العقيلي فحاربه، وملكها منه، وسلمها الى أحمد بن مالك بن طوق. وسار الى الموفق فوصل اليه بمكانه من

حصار صاحب الزّنج وأقبل عليه ، واستعان به في تلك الحروب وولاه على الموصل . ثم قبض عليه سنة ثلاث وسبعين وصادره على أربعمائة ألف دينار فافتقر وعاد الى مصر آخر أيام هرون بن خمارويه فقيراً فريداً .

مسير المعتمد الى ابن طولون وعوده عنه من الشام

كان ابن طولون يداخل المعتمد في السرّ ويكاتبه ، ويشكو اليه المعتمد ما هو فيه من الحجر والتضييق عليه من أخيه الموفق والموفق بسبب ذلك ينافر ابن طولون ويسعى في ازالته عن مصر. ولما وقع خلاف لؤلؤ على ابن طولون خاطب المعتمد ، وخوّفه الموفق واستدعاه الى مصر . وأنّ الجيوش عنده لقتال الفرنج فأجابه المعتمد الى ذلك ، وأراد لقاءه بجميع عساكره فمنعه أهل الرأي من أصحابه ، وأشاروا عليه بالعدول عن المعتمد جملة ، وأنّ أمره يؤل معه الى أكثر من أمر الموفق ، من أجل بطانته التي يؤثرها على كل أحد . واتصلت الاخبار بأنّ الموفق شارف القبض على صاحب الزنج فبعث ابن طولون بعض عساكره الى الرّقّة لانتظار المعتمد ، واغتنم المعتمد غيبة الموفق وسار في جمادى سنة ثمان وستين ، ومعه جماعة من قوّاده فقبض عليهم وقيدهم .

وقد كان ساعد بن مخلد وزير الموفق خاطبه في ذلك عن الموفق فأظهر طاعتهم حين صاروا الى عمله ، وسار معهم الى أوّل

عمل أحمد بن طولون فلم يرحل معهم حين رحلوا[1] . ثم جاس معهم بين يدي المعتمد وعذلهم في المسير الى ابن طولون ، ودخولهم تحت حكمه وحجره . ثم قام بهم عند المعتمد ليناظرهم في خلوة فلما دخلوا خيمته قبض عليهم . ثم رجع الى المعتمد فعذله في الخروج عن دار خلافته ، وفراق أخيه وهو في قتال عدوّه . ثم رجع بالمعتمد والذين معه حتى أدخلهم سَرَّ مَنْ رَأى . وبلغ الخبر الى ابن طولون فقطع خطبة الموفق ومحا اسمه من الطرز فتقدّم الموفق الى المعتمد بلعن ابن طولون في دار العامّة فأمر بلعنه على المنابر ، وعزله عن مصر [2] وفوّض اليه من باب الشماسية الى افريقية ، وبعث الى مكة بلعنه في المواسم فوقعت بين أصحاب ابن طولون ، وعامل مكة حرب ، ووصل عسكر الموفق مع جعفر الباعردي فانهزم فيها أصحاب ابن طولون وسلبوا ، وأمر جعفر المصريين وقرأوا الكتاب في المسجد بلعن ابن طولون .

اضطراب الثغور ووصول أحمد بن طولون اليها ووفاته

كان عامل أحمد بن طولون على الثغور طلخشى بن بلذدان ،

---

(١) العبارة لا تخلو من غموض. ويظهر من مجموع العبارة أن وزير الموفق لم يكن موافقاً على ما قام به المعتمد سراً، فوافقهم ظاهراً حتى إذا حانت الفرصة كشف ما في نفسه.

(٢) كذا بياض بالأصل، وفي تاريخ المختصر في أخبار البشر لأبي الغداء م ١ ج ٢ ص ٥٣: وإنما أمر المعتمد بذلك مكرهاً، لأن هواه كان مع ابن طولون.

واسمه خَلَف ، وكان نازلاً بطرسوس . وكان مـا زيار[1] الخادم مولى فتح بن خاقان معه بطرسوس ، وارتاب به طلخشي فحبسه فوثب جماعة من أهل طرسوس ، واستقدموا مـازيار من يده وواوه . وهرب خلف ، وتركوا الدعاء لابن طولون من مصر ، وانتهى الى أذنَة وكاتب مازيار واستماله فامتنع ، واعتصم بطرسوس فرجع ابن طولون الى حِمْص ثم الى دمشق فأقام بها . ثم رجع وحاصره في فصل الشتاء بعد أن بعث اليه يدعوه[2] وانساح على معسكر أحمد وخيمه ، وكادوا يهلكون فتأخر ابن طولون الى أذنة ، وخرج أهل طرسوس فنهبوا العسكر . وطال مقام أحمد بأذنة في طلب البرد[3] .

ثم ثار الى المصيصة فأقام بها ومرض هنـاك . ثم تماسك الى انطاكية فاشتدّ وجعه ونهاه الطبيب عن كثرة الغذاء فتناوله سراً فكثر عليه الاختلاف ، لانّ أصل علته هَيضَة من لبن الجواميس . وثقل عليه الركوب فحملوه على العجلة فبلغ الفرمار ، وركب من ساحل الفِسْطاط الى داره ، وحضره طبيبه فسهّل عليـه الامر ، وأشار بالحمية فلم يداوم عليها . وكثر الاسهال ، وحميت كبده من

---

(١) كذا، وفي الكامل ج ٦ ص ٥٥ : بازمار الخادم . وفي الطبري والنجوم الزاهرة : يازمان .

(٢) كذا، وفي الكامل ج ٦ ص ٥٦ : وراسله يستميله فلم يلتفت إلى رسالته .

(٣) كذا، والعبارة غير مستقيمة، وفي الكامل : «وكـان الزمـان شتاء» ومقتضى السيـاق هنا : وطال مقام أحمد بأذنه بسبب البرد .

سوء الفكر فساءت أفعاله . وضرب بكار بن قتيبة القاضي ، وأقامه للناس في الميدان ، وخرق سواده وأوقع بابن هرثمة ، وأخذ ماله وحبسه . وقتل سعيد بن نوفل مضروباً بالسياط .

ثم جمع أولياءه وغلمانه وعهد الى ابنه أبي الجيش خمارويه ، وأوصاهم بانظاره وحسن النظر فسكنوا الى ذلك لخوفهم من ابنه أبي العباس المعتقل . ثم مات سنة ست وسبعين ومائتين لست وعشرين سنة من امارته . وكان حازماً سائساً ، وبنى جامعه بمصر ؛ وأنفق فيه مائة وعشرين ألف دينار . وبنى قلعة يافا ، وكان يميل الى مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه . وخلف من المال عشرة آلاف ألف دينار ، ومن الموالي سبعة آلاف ، ومن الغلمان أربعة آلاف ومن الخيل المرتبطة مائة ، ومن الدواب لركابه مائتين وثلاثين . وكان خراج مصر لايامه مع ما ينضاف اليها من ضياع الأمراء لحضرة السلطان أربعة آلاف ألف دينار ، وثلثمائة ألف دينار ، وعلى المارستان وأوقافه ستين ألف دينار ، وعلى حصن الجزيرة ، والجزيرة ـ وهي المسماة لهذا العهد بقلعة الروضة ـ ثمانين ألف دينار . وخربت بعد موته ، وجددها الصالح نجم الدين ابن أيوب . ثم خربت ثانية ، ولم يبق منها الا اطلال داثرة ، وكان يتصدق في كل شهر بألف دينار ، ويجري على المسجونين خمسمائة دينار في كل شهر ، وكانت نفقة مطابخه وعلوفته ألف دينار في كل يوم .

ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون

ولما توفي أحمد بن طولون اجتمع أهل الدولة وخواص الأولياء وكبيرهم أحمد بن محمد الواسطي والغالب على الدولة الحسن بن مهاجر ، فاتفقوا على بيعة ابنه أبي الجيش خمارويه ، وأحضروا ابنه العباس من محبسه وغزاه الواسطي وهم يبكون . ثم قال : بايع لاخيك فأبى فقام طبارجي وسعد الآيس من الموالي ، وسحبوه الى حجرة في القصر فاعتقلوه بها ، وأخرج من الغد ميتاً وأخرجوا أحمد الى مدفنه ، وصلى عليه ابنه أبو الجيش ، وواراه ورجع الى القصر مقيماً لامر سلطانه .

مسير خمارويه الى الشام وواقعته مع ابن الموفق

ولما توفي أحمد بن طولون كان اسحق بن كنداج عاملاً على الجزيرة والموصل ، وابن أبي الساج على الكوفة ، وقد ملك الرَّحبة من يد أحمد بن مالك فطمعا في ملك الشام ، واستأذنا الموفق فأذن لهما ووعدهما بالمدد . وسار اسحق الى الرَّقّة والثغور والعواصم فملكها من يد ابن دَعّاس عامل ابن طولون . واستولى اسحق على على حِمْصَ وحَلَب وأنطاكِية ، ثم على دمشق . وبعث خمارويه العساكر الى الشام فملكوا دِمَشق وهرب العامل الذي انتقض بها ثم سار العسكر الى شيزر فأقام عليها قبالة اسحق وابن أبي الساج،

وهما ينتظران المدد من العراق . ثم هجم الشتاء فتفرّق عسكر خمارويه في دور شَيْزَر ، ووصل العسكر من العراق مع أبي العباس أحمد بن الموفق الذي صارت اليه الخلافة ، ولقّب المعتضد فكبسوا عسكر خمارويه في دورشيزر ، وفتكوا فيهم . ونجا الفلّ الى دمشق ، والمعتضد في اتباعهم فارتحلوا عنها ، وملكها المعتضد في شعبان سنة احدى وسبعين .

ولحق عسكر خَمَارَوَيْه بالرَّمْلَة فأقاموا بها ، وكتبوا الى خمارويه بالخبر ، وسار المعتضد نحوهم من دمشق . وبلغه وصول خمارويه ، وكثرة عساكره فهمّ بالعود ، ومعه أصحاب خمارويه الذين خالفوا عليه ، ولحقوا به . وكان ابن كنداج وابن أبي الساج متوحشين من المعتضد لسوء معاملته لهما . والتقى العسكران على الماء الذي عليه الطواحين بالرملة فولى خمارويه منهزماً مع عصابة معه ليس لهم دربة بالحرب . ومضى الى مصر بعد أن أكمن مولاه سعداً الآيس[1] في عسكر . وجاء المعتضد فملك خيام خمارويه وسواده ، وهو يظنّ الظفر فخرج سعد الآيس من كمينه ، وقصد الخيام وظنّ المعتضد أن خمارويه قد رجع فركب وانهزم لا يلوي على شيء . وجاء الى دمشق فمنعوه الدخول فمضى الى طرسوس ، ولما افتقد سعد الآيس خمارويه نصب أخاه أبا العشائر لقيادة

---

(١) كذا، واسمه في الكامل ج ٦ ص ٥٨٠ : سعيد الأيسر.

العساكر، ووضع العطاء، ووصلت البشائر الى مصر فسرّ خمارويه بالظفر، وخجل من الهزيمة، وأكثر الصدقة وأكرم الاسرى وأطلقهم. وسارت عساكره الى الشام فارتجعوه كله من أصحابه فأخرجوهم، ولحقوا بالعراق. وغزا بالصائفة هذه السنة مازيار صاحب الثغر، وغنم وعاد، ثم غزا كذلك سنة ثلاث وسبعين.

فتنة ابن كنداج وابن أبي الساج والخطبة لابن طولون بالجزيرة

كان ابن أبي الساج عاملاً على قنسرين، واسحق على الجزيرة والموصل فتنافسوا في الاعمال، واستظهر ابن أبي الساج بخمارويه، وخطب له باعماله، وبعث ابنه رهينة اليه فسار في عساكره بعد أن بعث اليه الاموال وانتهى الى السنّ، وعبر ابن أبي الساج الفرات ولقي اسحق بن كنداج على الرّقّة فهزمه، وجاز خمارويه من بعده فعبر الفرات الى الرافقيّة. ونجا اسحق الى ماردين، وحصره ابن أبي الساج. ثم خرج وسار الى الموصل فصدّه ابن أبي الساج عنها، وهزمه فعاد الى ماردين. واستولى ابن أبي الساج على الجزيرة والموصل، وخطب في أعمالها لخمارويه، ثم لنفسه بعده. وبعث العساكر مع غلامه فتح لجباية نواحي الموصل فأوقع بالشراة اليَعقوبيّة، ومكر بهم. وعلم أصحابهم بما فعل معهم فجاؤا اليه، وهزموه واستلحموا أصحابه. ونجا ابن أبي الساج في فلّ قليل.

ثم انتقض ابن أبي الساج على خمارويه سنة خمس وسبعين،

وذلك أنّ اسحق بن كنداج سار الى خمارويه بمصر ، وصار في جملته فانتقض ابن أبي الساج . وسار خمارويه اليه فلقيه على دمشق في المحرم فانهزم ابن أبي الساج ، واستبيح معسكره . وكان وضع بحمص خزائنه فبعث خمارويه عسكراً الى حمص فمنعوه من دخولها ، واستولوا على خزائنه . ومضى ابن أبي الساج الى حلب ، ثم الى الرقة ، وخمارويه في اتباعه . ثم فارق الرقة الى الموصل ، وعبر خمارويه الفرات واحتلّ مدينة بلد ، وأقام بها وسار ابن أبي الساج الى الحُدَيْثَة .

وبعث خمارويه عساكره وقوّاده مع اسحق بن كنداج في طلب ابن ابي الساج فعبر دجلة ، وأقام بتكريت واسحق في عشرين ألفاً ، وابن أبي الساج في ألفين ، وأقاموا يترامون في العُدوتين . ثم جمع ابن كنداج السفن ليمدّ الجسر للعبور فخالفهم ابن أبي الساج الى الموصل ونزل بظاهرها فرحلوا في اتباعه فسار لقتالهم ، فانهزم اسحق الى الرَّقة ، وتبعه ابن أبي الساج . وكتب الى الموفق يستأذنه في عبور الفرات الى الشام ، وأعمال خمارويه فأجابه بالتربص وانتظار المدد . ولما انهزم اسحق سار الى خمارويه ، وبعث معه العسكر ، ورجع فنزل على حدّ الفرات من أرض الشام ، وابن أبي الساج قبالته على حدود الرَّقة فعبرت طائفة من عسكر ابن كنداج لم يشعروا بهم ، وأوقعوا بجمع من عسكر ابن أبي الساج فلما رأى أن لا مانع لهم من العبور ، سار الى

الرقة الى بغداد ، وقدم على الموفق سنة ست وسبعين فأقام عنده الى أن ولاه اذربيجان في سنته واستولى ابن كنداج على ديار ربيعة وديار مضر ، وأقام الخطبة فيها لخمارويه .

عود طرسوس الى أيالة خمارويه

قد كنا قدّمنا أن مازيار الخادم ثار بطرسوس سنة سبعين ، وحاصره أحمد بن طولون فامتنع عليه فلما ولي خمارويه ، وفرغ من شواغله أنفذ الى مازيار سنة سبع وسبعين ثلاثين الف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف ، واصطنعه فرجع الى طاعته وخطب له بالثغور. ثم دخل بالصائفة سنة ثمان وسبعين وحاصروا أسكند فأصابه منها حجر منجنيق رثه ، ورجع الى طرسوس فمات فيها . وقام بأمر طرسوس ابن عجيف . وكتب الى خمارويه فأقرّه على ولايتها . ثم عزله واستعمل مكانه محمد ابن عمه موسى بن طولون . وكان من خبره أنّ أباه موسى لما ملك أحمد أخوه مصر تبسط عليه بدلالة القرابة وذوي الأرحام فلم يحتمله له أحمد ورده عليه ، وكسر جاهه فانحرف موسى وسخط دولته .

ثم خاطبه في بعض مجالسه بما لا يحتمله السلطان فضربه ، ونفاه الى طرسوس. وبعث اليه بمال يتزوّده فأبى من قبوله ، وسار الى العراق . ورجع الى طرسوس فأقام بها الى أن مات ، وترك ابنه محمداً . وولاه خمارويه وبعث الى أميرهم راغب فأكرمه خمارويه

وأنس به ، وطالت إقامته عنده . وشاع بطرسوس أن خمارويه حبسه فاستعظم النـاس ذلك ، وثاروا بأميرهم محمد بن موسى وسجنوه رهينة في راغب . وبلغ الخبر الى خمارويه فسرّحه الى طرسوس فلما وصلها أطلقوا أميرهم محمد بن موسى ، وقد سخطهم فسار عنهم الى بيت المقدس. وعاد ابن عجيف الى ولايته بدعوة خمارويه . وغزا سنة ثمانين بالصائفة ، ودخل معه بدر الحمـامي فظفروا وغنموا ورجعوا . ثم دخل بالصائفة سنة احدى وثمانين من طرسوس طُغج بن جف الفرغاني من قبل خمارويه في عساكره طرابزون وفتح مكودية .

صهر المعتضد مع خمارويه

ولما ولي المعتضد الخلافة بعث الى خمارويه خاطباً قطر الندى ابنته ، وكانت أكمل نساء عصرها في الجمال والآداب . وكان متولي خطبتها أمينه الخصيّ ابن عبد الله بن الجصـاص فزوّجه خمارويه بها ، وبعثها مع ابن الجصاص ، وبعث معها من الهدايا ما لا يوصف . وقدمت سنة تسع وسبعين فدخل بهـا ، وتمتع بجمالها وآدابها ، وتمكن سلطـانه في مصر والشام والجزيرة الى أن هلك .

مقتل خمارويه وولاية ابنه جيش

كان خمارويه قد سار سنة اثنتين وثمانين الى دمشق فأقام بها

أياماً ، وسعى اليه بعض أهل بيته بأنّ جواريه يتخذون الخصيان يفترشوهنّ ، وأراد استعلام ذلك من بعضهنّ فكتب الى نائبه بمصر أن يقرّر بعضهنّ فلما وصله الكتاب ، قرّر بعض الجواري وضربهنّ . وخاف الخصيان ، ورجع خمارويه من الشام ، وبات في مخدعه فأتاه بعضهم وذبحه على فراشه في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين . وهرب الذين تولوا ذلك فاجتمع القوّاد صبيحة ذلك اليوم ، وأجلسوا ابنه جيش بن خمارويه على كرسي سلطانه ، وأفيض العطاء فيهم ، وسيق الخدم الذين تولوا قتل خمارويه فقتل منهم نيف وعشرون .

مقتل جيش بن خمارويه وولاية أخيه هرون

ولما ولي جيش كان صبياً غرّا فعكف على لذاته ، وقرّب الاحداث والسفلة ، وتنكر لكبار الدولة ، وبسط فيهم القول ؛ وصرّح لهم بالوعيد فأجمعوا على خلعه . وكان طغج بن جف مولى أبيه من كبار الدولة ، وكان عاملاً لهم على دمشق فانتقض وخلع طاعته . وسار آخرون من القوّاد الى بغداد ، منهم اسحق بن كنداج وخاقان المعلجي ، وبدر بن جف أبو طغج ، وقدموا على المعتضد فخلع عليهم ، وأقام سائر القوّاد بمصر على انتقاضهم وقتل قائداً منهم . ثم وثبوا بجيش فقتلوه ونهبوا داره ، ونهبوا مصر وحرقوه ، وبايعوا لاخيه هرون وذلك لتسعة أشهر من ولايته.

فتنة طرسوس وانتقاضها

فد تقدّم لنا أن راغبا مولي الموفق نزل طرسوس للجهاد فأقام بها ، ثم غلب عليها بعد ابن عجيف . ولما ولي هرون بن خمارويه سنة ثلاث وثمانين ترك الدعاء له ، ودعا لبدر مولى المعتضد ، وقطع طرسوس والثغور من عمالة بني طولون . ثم بعث هرون بن خمارويه الى المعتضد أن يقاطعه على أعماله بمصر والشام بأربعمائة ألف وخمسين ألف دينار ، ويسلِّم قنسرين والعواصم ، وهي الثغور للمعتضد فأجابه الى ذلك . وسار من آمد ، وكان قد ملكها من يد محمد بن أحمد ابن الشيخ فاستخلف ابنه المكتفي عليها . وسار سنة ست وثمانين فتسلم قنسرين والثغور من يد أصحاب هرون ، وجعلها مع الجزيرة في ولاية ابنه المكتفي .

ولاية طغج بن جف على دمشق

ولما ولي هرون بعد أخيه جيش على ما ولي عليه من اختلاف القوّاد وقوّة أيديهم ، خشي أهل الدولة من افتراق الكلمة ففوّضوا أمرها الى أبي جعفر بن ايام . كان مقدّماً عند أحمد وخمارويه فأصلح ما استطاع ، وبقي يرتق الفتق ، ويجبر الصدع . ثم نظر الى الجند الذين كانوا خالفوا بدمشق مع طغج بن جف فبعث اليهم بدراً الحمامي والحسين بن أحمد الماردانی فأصلحا مورد الشام

وأفردا طغج بن جف بولاية دمشق ، واستعملا في سائر الاعمال ، ورجعا الى مصر ، والامور مضطربة والقوّاد طوائف لا ينقـاد منهم أحد الى أحد الى أن وقع ما نذكر .

زحف القرامطة الى دمشق

قد تقدّم لنا ابتداء أمر القرامطة ، ومـا كان منهم بالعراق والشام ، وأنّ ذكرويه بن مهداويه داعية القرامطة لما هزم بسواد الكوفة ، وأفنى أصحابه القتـل لحق ببني القليص بن كلب بن وبرة في السماوة فبايعوه ، ولقّبوه الشيخ ، وسموه يحيى ، وكنوه أبا القاسم . وزعم أنه محمد بن عبدالله بن المكتوم بن اسمعيل الامام فلقبوه المدّثر ، وزعم أنه المشار اليه في القرآن . ولقب غلاماً من أهله المطوّق . وسار من حمص الى حماة ومعرّة النعمان الى بعلبك ثم الى سلميه فقتـل جميع من فيهـا حتى النساء والصبيـان والبهائم، ونهب سائر القرى من كل النواحي. وعجز طغج بن جف وسائر جيشه وصاحبه هرون عن دفاعهم .

وتوجه أهـل الشام ومصر الى المكتفي مستغيثين فسار الى أهل الشام سنة تسعين ، ومرّ بالموصل ، وقدم بين يديه أبا الاغر من بني حمدان في عشرة آلاف رجل . ونزل قريباً من حلب ، وكبسه القرمطي صاحب الشامة فقتل منهم جماعة ، ونجا ابو الأغر الى حلب في فلّ من أصحابه . وحاصره القرمطي ، ثم أفرج عنه ،

وانتهى المكتفي الى الرقة . وبعث محمد ابن سليمان الكاتب في العساكر ، ومعه الحسين من بني حمدان ، وبنو شيبان فناهضه في المحرم سنة احدى وتسعين على حماة ، وانهزم القرامطة . وأخذ صاحب الشامة أسيراً فبعث به الى الرقة ، وبين يديه المدّثر والمطوّق وتقدّم المكتفي الى بغداد ، ولحقه محمد بن سليمان بهم فأمر المكتفي بضربهم وقطعهم ، وضرب أعناقهم وحسم دائهم ، حتى ظهر منهم من ظهر بالبحرين .

استيلاء المكتفي على الشام ومصر وقتل هرون وشيبان ابني خمارويه وانقراض دولة بني طولون

ونبدأ أوّلاً بخبر محمد بن سليمان المتولي بتحويل دولة بني طولون ، كان أصله من ديار مضر من الرقّة اصطنعه أحمد بن طولون وخدّمه في مصر . ثم تنكر له وعامله في جاهه وأقاربه بما أحفظه ، وخشي على نفسه فلحق ببغداد ، ولقي بها مبرّة وتكرمة . واستخدمه الخلفاء وجعلوه كاتباً للجيش فما زال يغريهم بملك مصر الى أن ولي هرون بن خمارويه ، وفشلت دولة بني طولون بالشام . وعاث القرامطة في نواحيه ؛ وعجز هرون عن مدافعتهم ، ووصل صريخ أهل الشام الى المكتفي فقام لدفع ضررهم عن المسلمين ، ودفع محمد بن سليمان لذلك وهو يومئذ من أعظم قوّاده فسار في العساكر في مقدمته . ثم أمره المكتفي

باتباع القرامطة . وأقام بالرقّة فسار حتى لقيهم وقاتلهم حتى هزمهم واستلحمهم ، ودفع عن الشام ضررهم ، ورجع بالقرمطي صاحب الشامة وأصحابه أسرى الى المكتفي بالرقة فرجع الى بغداد ، وقتلهم هنالك ، وشفى نفسه ونفس المسلمين منهم .

وكان محمد بن سليمان لما تخلف عن المكتفي عند وصوله الى بغداد فامره بالعود ، وبعث معه جماعة من القواد وأمدّه بالاموال وبعث دميانة غلام مازيار في الاسطول وأمره بالمسير الى سواحل مصر ودخول نهر النيل ، والقطع عن أهل مصر ففعل وضيق عليهم . وسار محمد بن سليمان والعساكر ، واستولى على الشام وما وراءه فلما قارب مصر كاتب القوّاد يستميلهم فجاء اليه بدر الحمامي ، وكان رئيسهم فكسر ذلك من شوكتهم . وتتابع اليه القواد مستأمنين فبرز هرون لقتالهم فيمن معه من العساكر . وأقام قبالتهم ، واضطرب عسكره في بعض الايام من فتنة وقعت بينهم .

واقتتلوا فركب هرون ليسكنهم فأصابته حربة من بعض المغاربة ، كان فيها حتفه فقام عمه شيبان بن أحمد بن طولون بعده بالامر ، وبذل الاموال للجند من غير حسبان ولا تقدير ، ثم أباح نهب ما بقي منه يصطنعهم بذلك فنهبوه في ساعة واحدة ، وتشوّف الى جمع المال فعجز عنه واضطرب ، وفسد تدبيره ، وتسايل الى محمد بن سليمان جنده ، وفاوض أعيان دولته في أمره

فاتفقوا على الاستئمان الى محمد بن سليمان فبعث اليه مستأمناً فسار اليه . ثم تبعه قواده وأصحابه فركب محمد الى مصر ، واستولى عليها ، وقيد بني طولون وحبسهم ، وكانوا سبعة عشر رجلاً . وكتب بالفتح فأمره المكتفي باشخاص بني طولون جميعاً من مصر والشام الى بغداد فبعث بهم . ثم أمر باحراق القطائع التي بناها أحمد بن طولون على شرقي مصر ، وكانت ميلاً في ميل فأحرقت ونهب الفسطاط .

ولاية عيسى النوشزي على مصر وثورة الخليجي

ولما اعتزم محمد بن سليمان على الرجوع الى بغداد وكان المكتفي قد ولاه على مصر فولّى المكتفي عيسى بن محمد النوشزي ، وقدم في منتصف سنة اثنتين وتسعين . ثم ثار بنواحي مصر ابراهيم الخليجي ، وكان من قواد بني طولون ، وتخلف عن محمد بن سليمان . وكتب الى المكتفي عيسى النوشزي بالخبر . وكثرت جموع الخليجي ، وزحف الى مصر فخرج النوشزي هارباً الى الاسكندرية وملك الخليجي مصر ، وبعث المكتفي العساكر مع فاتك مولى أبيه المعتضد وبدر الحمامي ، وعلى مقدّمتهم أحمد بن كيغلغ في جماعة من القواد ، ولقيهم الخليجي على العريش في صفر سنة ثلاث وتسعين فهزمهم . ثم تراجعوا وزحفوا اليه وكانت بينهم حروب فني فيها أكثر أصحاب الخليجي ، وانهزم الباقون فظفر عسكر

بغداد ، ونجا الخليجي الى الفسطاط واختفى بـه . ودخل قواد المكتفي المدينة وأخذوا الخليجي وحبسوه .

وكان المكتفي عندما بلغته هزيمة ابن كيغلغ ، وسار ابن كيغلغ في ربيع ، - وبرز المكتفي من ورائهم يسير الى مصر - فجاءه كتاب فاتك بالخبر ، وبحبس الخليجي فكتب المكتفي بحمله ومن معه الى بغداد . وبرز من تكريت فبعث فاتك بهم ، وحبسوا ببغداد . ورجع عيسى النوشزى الى مصر في منتصف ثلاث وتسعين فلم يزل والياً عليها الى ان توفي في شعبان سنة سبع وتسعين لخمس سنين من ولايته وشهرين ، وقام بأمره ابنه محمد . وولّى المقتدر على مصر أبا منصورتكين الخَزَري فقدمها آخر شوّال من سنة سبع وتسعين ، وأقام والياً عليها .

واستفحلت دولة العَـلَوِيّين بالمغرب . وجهّز عُبَيدالله المهدي العساكر مع ابنه أبي القاسم سنة احدى وثلثمائة ، فملك برقة في ذي الحجة آخرها . ثم سار الى مصر وملك الاسكندرية والفيوم، وبلغ الخبر الى المقتدر فقلّد ابنه أبا العباس مصر والمغرب ، وعمره يومئذ أربع سنين . وهو الذي ولي الخلافة بعد ذلك ولقب الراضي ولما قلده مصر استخلف له عليها مؤنساً الخادم، وبعثه في العساكر الى مصر ، وحاربهم فهزمهم . ورجعوا الى المغرب فأعاد عبيدالله العساكر سنة اثنتين مع قائده حامسة الكتامي . وجاء في الاسطول فملك الاسكندرية ، وسار منها الى مصر . وجاء مؤنس الخادم

في العساكر فقاتله وهزمه . ثم كانت بينهم وقعات ، وانهزم أصحاب المهدي آخراً في منتصف اثنتين وثلثمائة . وقتل منهم نحواً من سبعة آلاف ، ورجعوا الى المغرب فقتل المهدي حامسة ، وعاد مؤنس الى بغداد .

ولاية ذكاء الأعور

لم يزل تكين الخزري والياً على مصر استخلافاً الى أن صرف آخر اثنتين وثلثمائة ، فولّى المقتدر مكانه أبا الحسن ذكاء الاعور، وقدم منتصف صفر من سنة ثلاث فلم يزل والياً عليها الى أن توفي سنة سبع لاربع سنين من ولايته .

ولاية تكين الخزري ثانية

لما صرف المقتدر ذكاء ولّى مكانه أبا منصور تكين الخزري ولاية ثانية ، فقدم في شعبان سنة سبع ، وكان عبيدالله المهدي قد جهز العساكر مع ابنه أبي القاسم ، ووصل الى الاسكندرية في ربيع من سنة سبع وملكها . ثم سار الى مصر ، وملك الجزيرة والاشمونين من الصعيد وما اليه ، وكتب أهل مكة بطاعته . وبعث المقتدر من بغداد مؤنساً الخادم في العساكر فواقع أبا القاسم عدة وقعات، وجاء الاسطول من افريقية الى الاسكندرية في ثمانين مركباً مدداً لأبي القاسم ، وعليه سليمان بن الخادم ،

ويعقوب الكتامي فسار اليهم في اسطول طرسوس في خمسة وعشرين مركباً ، وفيها النفط والمدد ، وعليها ابو اليمن فالتقت العساكر في الأساطيل في مرسى رشيد . فظفر اسطول طرسوس باسطول افريقية ، وأسر كثير منهم . وقتل بعضهم ، واطلق البعض . وأسر سليمان الخادم فهلك في محبسه بمصر ، وأسر يعقوب الكتامي وحمل الى بغداد فهرب منها الى افريقية . واتصل الحرب بين أبي القاسم ومؤنس ، وكان الظفر لمؤنس ، ووقع الغلاء والوباء في عسكر أبي القاسم ففني كثير منهم بالموت . ووقع الموتان في الخيل فعاد العسكر الى المغرب، واتبعهم عساكر مصر حتى أبعدوا فرجعوا عنهم . ووصل أبو القاسم الى القَيْرَوان منتصف السنة . ورجع مؤنس الى بغداد، وقدم تكين الى مصر كما مرّ ، ولم يزل والياً عليها الى أن صرف في ربيع من سنة تسع .

ولاية أحمد بن كيغلغ

ولاه المقتدر بعد هلال بن بدر فقدم في جمادى ، وصرف لخمسة أشهر من ولايته . وأعيد تكين المرّة الثالثة فقدم في عاشوراء سنة ثلاث عشرة ، وأقام والياً عليها تسع سنين الى أن توفي في منتصف ربيع الاوّل سنة احدى وعشرين . وفي أيامه جدّد المقتدر عهده لابنه أبي العباس على بلاد المغرب ومصر والشام واستخلف له مؤنساً ، وذلك سنة ثمان عشرة . وقال ابن الاثير :

وفي سنة احدى وعشرين توفي تكين الخزري بمصر فولي عليها مكانه ابنه محمد ، وبعث له القاهر بالخلع ، وثار به الجند فظفر بهم انتهى .

ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية

ولاه القاهر في شوّال سنة احدى وعشرين بعد أن كان ولى محمد بن طغج ، وهو عامل دمشق ، وصرفه لشهر من ولايته قبل ان يتسلم العمل ، وردّه الى أحمد بن كيغلغ كما قلناه . فقدم مصر في رجب سنة اثنتين وعشرين . ثم عزل آخر رمضان من سنة ثلاث وعشرين وولي الراضي الخليفة بأن يدعى على المنبر باسمه ويزاد في ألقابه الاخشيد فقام بولاية مصر أحسن قيام ثم انتزع الشام من يده كما يذكر .

استيلاء ابن رائق على الشام من يد الأخشيد

كان محمد بن رائق أمير الامراء ببغداد ، وقد مرّ ذكره . ثم نازعه مولاه تحكم وولى مكانه سنة ست وعشرين . وهرب ابن رائق ثم استتر ببغداد ، واستولى عليها ؛ ورجع الخليفة من تكريت بعد أن كان قدم تحكم . ثم كتب إليه واستردّه ، وقد عقد الصلح مع ناصر الدولة بن حمدان من قبل أن يسمع بخبر ابن رائق . ثم عادوا جميعاً إلى بغداد وراسلهم ابن رائق مع أبي جعفر

محمد بن يحيى بن شيرزاد في الصلح فاجيب وقلّده الراضي طريق الفرات وديار مضر التي هي حَرّان والرُها وما جاورها وجند قِنّسرين والعواصم فسار إليها واستقرّ بها . ثم طمحت نفسه سنة ثمان وعشرين الى ملك الشام فسار إلى مدينة حمص فملكها ، وكان على دمشق بدر بن عبد الله مولى الأخشيد ويلقب بتدبير فملكها ابن رائق من يده ، وسار الى الرملة يريد مصر . وبرز الاخشيد من مصر فالتقوا بالعريش ، وأكمّن له الاخشيد ؛ ثم التقيا فانهزم الاخشيد اولاً ، وملك أصحاب ابن رائق سواده ، ونزلوا في خيامهم . ثم خرج عليهم كمين الاخشيد فانهزموا ونجا ابن رائق إلى دمشق في فلّ من أصحابه ، فبعث إليه الاخشيد أخاه أبا نصير بن طُغج في العسكر فبرز إليهم ابن رائق وهزمهم ، وقتل أبو نصر في المعركة فبعث ابن رائق شلوه إلى مصر مع ابنه مزاحم ابن محمد بن رائق وكتب إليه بالعزاء والاعتذار ، وان مزاحماً في فدائه فخلع عليه وردّه إلى أبيه . وتم الصلح بينهما على أن تكون الشام لابن رائق ، ومصر للأخشيد ، والتخم بينهما للرملة . وحمل الاخشيد عنها مائة وأربعين ألفاً كل سنة وخرج الشام عن حكم الاخشيد وبقي في عمالة ابن رائق إلى أن قتل تحكم والبريدي . وعاد ابن رائق من الشام إلى بغداد فاستدعاه المتقي وصار أمير الامراء بها ، فاستخلف على الشام أبا الحسن علي ابن أحمد بن مقاتل . ولما وصل إلى بغداد قاتله كورتكين القائم بالدولة فظفر

به وحبسه وقاتل عنه أصحابه من الديلم . وزحف إليهم البريدي من واسط سنة ثلاثين فانهزم المتقي وابن رائق وسار إلى الموصل. وكان المتقي قد استنجد ناصر الدولة بن حمدان فبعث إليه أخاه سيف الدولة ولقيه المتقي بتكريت ، ورجع معه الى الموصل وقتل ناصر الدولة بن حمدان محمد بن رائق ، وولي امارة الامراء للمتقي . فلما سمع الاخشيد بمقتل ابن رائق سار الى دمشق ، ثم استولى يوسف بعد ذلك عليها سنه اثنتين وثلاثين . وولي ناصر الدولة بن حمدان في ربيع سنة اثنتين وثلاثين على أعمال ابن رائق كلها : وهي طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين ، والعواصم وحمص أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل ، وانفذه إليها من الموصل في جماعة من القواد . ثم ولى بعده في رجب ابن عمّه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان على تلك الاعمال ؛ وامتنع أهل الكوفة من طاعته فظفر بهم وملكها . وسار الى حلب ، وكان المتقي قد سار الى الموصل سنة إحدى وثلاثين مغاضباً لأمير الامراء تورون فأقام بالموصل عند بني حمدان . ثم سار الى الرقّة فأقام بها ، وكتب إلى الاخشيد يشكو إليه ويستقدمه فأتاها النصر . ومرّ بحلب فخرج عنها الحسين بن سعيد بن حمدان وتخلف عنه أبو بكر بن مقاتل للقاء الاخشيد فأكرمه ، واستعمله على خراج مصر . وولّى على حلب يأنس المؤنسي . وسار الاخشيد من حلب الى الرقّة في محرم سنة ثلاث وثلاثين وأهدى له ولوزيره

الحسين بن مقله وحاشيته ، وأشار عليه بالمسير إلى مصر والشام ليقوم بخدمته فأبى فخوّفه من تورون ، وأن يلزم الرقة . وكان قد أنفذ رسله الى تورون في الصلح وجاؤه بالاجابة فلم يعرّج على شيء من إشارته . وسار إلى بغداد ، وانصرف الاخشيد الى مصر وكان سيف الدولة بالرقّة معهم فسار إلى حلب وملكها ، ثم سار الى حمص . وبعث الاخشيد عساكره إليها مع كافور مولاه فلقيهم سيف الدولة إلى قنسرين ، والتقيا هنالك وتحاربا . ثم افترقا على منعة وعاد الاخشيد إلى دمشق ، وسيف الدولة الى حلب ؛ وذلك سنة ثلاث وثلاثين . وسارت الروم الى حلب وقاتلم سيف الدولة فظفر بهم .

وفاة الأخشيد وولاية ابنه أنوجور
واستبداد كافور عليه واستيلاء سيف الدولة على دمشق

ثم توفي الاخشيد أبو بكر بن طغج بدمشق سنة أربع وثلاثين وقيل خمس ، وولي مكانه أبو القاسم أنوجور وكان صغيراً فاستبدّ عليه كافور ، وسار من دمشق الى مصر فخالفه سيف الدولة فسار إلى حلب ، وزحف أنوجور في العساكر إليه فعبر سيف الدولة الى الجزيرة ، وحاصر أنوجور حلب أياماً . ثم وقع الصلح بينهما ، وعاد سيف الدولة الى حلب وأنوجور الى مصر ، ومضى كافور الى دمشق ، وولى عليها بدراً الاخشيدي

المعروف بتدبير فرجع الى مصر فأقام بدربها سنة ، ثم عزل عنها وولي أبو المظفر طغج وقبض على تدبير .

وفاة أنوجور ووفاة أخيه علي واستبداد كافور عليه

ثم علت سن أبي القاسم أنوجور ورام الاستبداد بأمره وإزالة كافور فشعر به وقتله فيما قيل مسموماً سنة[1] ونصب أخاه عليه للأمر في كفالته ، وتحت استبداده الى أن هلك .

وفاة يعلى بن الأخشيد وولاية كافور

ثم توفي علي بن الاخشيد سنة خمس وخمسين . فأعلن كافور بالاستبداد بالأمر دون بني الاخشيد ، وركب بالمظلة . وكتب له المطيع بعهده على مصر والشام والحرمين وكناه العالي بالله فلم يقبل الكنية ، واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات ، وكان من أعاظم الملوك جواداً ممدوحاً سيوساً كثير الخشية لله والخوف منه . وكان يداري المعز صاحب المغرب ويهاديه ، وصاحب بغداد وصاحب اليمن ، وكان يجلس للمظالم في كل سبت الى أن هلك .

(١) ذكر ابن الأثير حادث قتله في حوادث سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

وفاة كافور وولاية أحمد بن علي بن الأخشيد

ثم توفي كافور منتصف سبع وخمسين لعشرة سنين وثلاثة أشهر من استبداده ، منها سنتان وأربعة أشهر مستقلًا من قبل المطيع ، وكان أسود شديد السواد ، واشتراه الاخشيد بثمانية عشر ديناراً . ولما هلك اجتمع أهل الدولة وولوا أحمد بن علي بن الاخشيد وكنيته أبو الفوارس ، وقام بتدبير أمره الحسن بن عمه عبدالله بن طغج ، وعلى العساكر شمول مولى جدّه ، وعلى الاموال جعفر بن الفضل ، واستوزر كاتبه جابر الرياحي . ثم أطلق ابن الفرات بشفاعة ابن مسلم الشريف ، وفوّض أمر مصر الى ابن الرياحي .

مسير جوهر الى مصر وانقراض دولة بني طغج

ولما فرغ المعز لدين الله من شواغل المغرب بعث قائده جوهر الصقلي الكاتب الى مصر ، وجهزه في العساكر ، وأزاح عللها ، وسار جوهر من القيروان الى مصر ومرّ ببرْقَة ، وبها أفلح مولى المعزّ فلقيه وترّجل له فلك الاسكندرية ، ثم الجيزة . ثم أجاز الى مصر وحاصرها ، وبها أحمد بن علي بن الاخشيد وأهل دولته . ثم افتتحها سنة ثمان وخمسين وقتل أبا الفوارس ، وبعث بضائعهم وأموالهم الى القيروان صحبة الوفد من مشيخة مصر وقضاتها

وعلمائها . وانقرضت دولة بني طغج ، وأذن سنة تسع وخمسين في جامع ابن طولون بحيّ على خير العمل . وتحوّلت الدعوة بمصر للعلوية واختطّ جوهر مدينة القاهرة في موضع العسكر ، وسير جعفر بن فلاح الكتامي الى الشام فغلب القرامطة عليه كما تقدّم ذلك في أخبارهم .

الخبر عن دولة بني مروان بديار بكر بعد بني حمدان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان حق هذه الدولة أن نصل ذكرها بدولة بني حمدان كما فعلنا في دولة بني المقلد بالموصل ، وبني صالح بن مرداس بحلب ؛ لانّ هذه الدول الثلاث انما نشأت وتفرّعت عن دولتهم ؛ إلا أنّ بني مروان هؤلاء ليسوا من العرب ، وانما هم من الاكراد فأخرنا دولتهم حتى ننسقها مع العجم . ثم أخرناها عن دولة بني طولون ، لانّ دولة بني طولون متقدّمة عنها في الزمن بكثير . فلنشرع الآن في الخبر عن دولة بني مروان . وقد كان تقدّم لنا خبر باد الكردي واسمه الحسين بن دوشك ، وكنيته أبو عبد الله ، وقيل كنيته أبو شجاع ، وانه خال أبي علي بن مروان الكردي وأنه تغلب على الموصل وعلى ديار بكر ، ونازع فيها الديلم . ثم غلبوه عليها وأقام بجبال الاكراد . ثم مات عضد الدولة وشرف الدولة . ثم جاء أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسن الى الموصل

فلكاها . ثم حدثت الفتنة بينها وبين الديلم ، وطمع باد في ملك الموصل ، وهو بديار بكر فسار الى الموصل فغلبه ابنا ناصر الدولة ، وقتل في المعركة ، وقد مرّ الخبر عن ذلك كله . فلما قتل خلص ابن أخته أبو علي بن مروان من المعركة ، ولحق بحصن كيفا ، وبه أهل باد ، وذخيرته ، وهو من أمنع المعاقل فتحيل في دخوله بأنّ خاله أرسله ، واستولى عليه ، وتزوّج امرأة خاله . ثم سار في ديار بكر فملك جميع ما كان لخاله باد . وزحف اليه ابنا حمدان وهو يحاصر ميافارقين فهزمها . ثم رجعا اليه وهو يحاصر آمد فهزمها ثانياً ، وانقرض أمرهما من الموصل ، وملك أبو علي ابن مروان ديار بكر وضبطها ، واستطال عليه أهل ميافارقين وكان شيخها أبو الاصغر فتركهم يوم العيد حتى أصحروا وكبسهم بالصحراء ، وأخذ أبا الاصغر فألقاه من السور ، ونهب الاكراد عامّة البلد ، وأغلق أبو علي الابواب دونهم ، ومنعهم من الدخول فذهبوا كل مذهب ، وذلك كله سنة ثمانين وثلثمائة .

مقتل أبي علي بن مروان وولاية أخيه أبي منصور

كان أبو علي بن مروان قد تزوّج بنت سعد الدولة بن سيف الدولة ، وزفت اليه من حلب وأراد البناء بها بآمد فخاف شيخها أن يفعل به وبهم ما فعل في ميافارقين فحذر أصحابه منه ، وأشار عليهم أن ينثروا الدنانير والدراهم اذا دخل ، ويقصدوا بها وجهه

فيضربوه فكان كذلك. ثم أغفله وضرب رأسه، واختلط أصحابه فرمى برأسه اليهم وكر الاكراد راجعين الى ميافارقين فاستراب بهم مستحفظها أن يملكوها عليه، ومنعهم من الدخول. ثم وصل مهد الدولة أبو منصور بن مروان أخو أبي علي الى ميافارقين فأمكنه المستحفظ من الدخول فملكه، ولم يكن له فيه إلّا السكة والخطبة، ونازعه أخوه أبو نصر فأقام بها مضيقاً عليه فغلبه أبو منصور، وبعثه الى قلعة اسعرد فأقام بها مضيقاً عليه. وأمّا آمد فتغلب عليها عبد الله شيخهم أياماً، وزوّج ابنته من ابن دمنة الذي تولى قتل أبي علي بن مروان فقتله ابن دمنة، وملك آمد، وبنى لنفسه قصراً ملاصقاً للسور. وأصلح أمره مع مهد الدولة بالطاعة. وهادى ملك الروم، وصاحب مصر وغيرهما من الملوك، وانتشر ذكره.

مقتل مهد الدولة بن مروان وولاية أخيه أبي نصر

ثم انّ مهد الدولة[1] أقام بميافارقين، وكان قائده شروة متحكماً في دولته. وكان له مولى قد ولاه الشرطة. وكان مهد الدولة يبغضه، ويهم بقتله مرارا، ثم يتركه من أجل شروة فاستفسد مولاه شروة على مهد الدولة لحضوره. فلما حضر عنده

(١) كذا، واسمه في الكامل ج ٧ ص ٢٩٨: مهذب الدولة.

قتله ، وذلك سنة اثنتين وأربعمائة . ثم خرج على أصحابه وقرابته يقبض عليهم كأنه[1] بأمر مهد الدولة . ثم مضى الى ميافارقين ففتحوا له يظنونه مهد الدولة فملكها ، وكتب الى اصحاب القلاع يستدعيهم على لسان مهد الدولة ، وفيهم خواجا أبو القاسم صاحب أرزن الروم فسار الى ميافارقين ، ولم يسلم القلعة لأحد . وسمع في طريقه بقتل مهد الدوله فرجع من الطريق الى أرزن الروم ، وأحضر أبا نصر بن مروان من اسعرد ، وجاء به الى أبيهم مروان . وكان قد أضر ، ولزم قبر ابنه أبي علي بارزن هو وزوجته فأحضره خواجا عنده ، واستحلفه عند أبيه وقبر أخيه ، وملك أرزن. وبعث شروة من ميافارقين الى اسعرد عن أبي نصر ابن مروان ففاته الى أرزن ، فأيقن بانتقاض أمره . ثم ملك أبو نصر سائر ديار بكر ، ولقب نصير الدولة ، ودامت أيامه ، وأحسن السيرة ، وقصده العلماء من سائر الآفاق وكثروا عنده . وكان ممن قصده أبو عبد الله الكازروني ، وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر ، وقصده الشعراء ومدحوه وأجزل جوائزهم . وأقامت الثغور معه آمنة ، والرعية في أحسن ملكة الى أن توفي .

---

(١) كذا، ولعلها زائدة.

استيلاء نصير الدولة بن مروان على الرها

كانت مدينة الرها بيد عُطَير ، وكاتبوا أبا نصر بن مروان أن يملكوه فبعث نائبه بآمد ويسمى زنك فملكها ، واستشفع عطير بصالح بن مِرداس صاحب حلب الى ابن مروان فأعطاه نصف البلد ، ودخل الى نصير الدولة بميافارقين فأكرمه ومضى الى الرُّها فأقام بها مع زنك . وحضر بعض الايام مع زنك في صنيع ، وحضر ابن النائب الذي قتله فحمله زنك على الاخذ بثاره فاتبعه لما خرج ، ونادى بالثار ، واستنفر أهل السوق فقتلوه في ثلاثة نفر . وكمن له بنو نُمَير خارج البلد ، وبعثوا من يغير منهم عليها فخرج زنك في العسكر . ولما جاوز الكمين خرجوا عليه وقاتلوه ، وأصابه حجر فمات من ذلك فاتح ثمان عشرة ، وخلصت الرها لنصير الدولة . ثم شفع صالح بن مرداس في ابن عطير وابن شبل فردّ إليهما البلد ، إلى أن باعه ابن عطير من الروم كما يأتي .

حصار بدران بن مقلد نصيبين

كانت نصيبين لنصير الدولة بن نصر بن مروان فسار اليها بدران بن المقلّد في جموع بني عقيل ، وحاصرها فظهر على العساكر الذين بها ، وأمدّهم نصير الدولة بعسكر آخر فبعث بدران من اعترضهم في طريقهم ، وهزمهم فاحتفل ابن مروان في الاحتشاد ،

وبعث العساكر الى نصيبين فخرجوا عليه فهزموه أوّلاً . ثم كر عليهم ففتك فيهم ، وأقام يقاتلهم حتى سمع بأنّ أخاه قرواش وصل الى الموصل فخشي منه وارتحل عنها .

دخول الغز إلى ديار بكر

هؤلاء الغُزّ من طوائف الترك ، وهم الشعب الذين منهم السُّلجوقيّة ، وقد تقدّم لنا كيف أجازوا الى خُراسان لما قبض محمد بن سَبَكْتَكين على أرْسلان بن سُلْجُق منهم فحبسه ، وما ظهر من فسادهم في خراسان ، وكيف أوقع بهم مسعود بن سبكتكين من بعد أبيه محمود ففروا في البرّية يريدون أذربيجان واللحاق بمن تقدم منهم هنالك ، ويسمُّون العِراقيَّة بعد أن عاثوا في همذان وقزوين وأرمينية . وعاث الآخرون في أذرَبيجان ، وقتل وهشوذان صاحب تبريز منهم جماعه . ثم عاثوا في الاكراد واستباحوهم . ثم جاءهم الخبر بأن نيال ابراهيم أخا السلطان طغرلبك سار الى الريّ فأجفلوا منها سنة ثلاث وثلاثين ، ووصلوا اذربيجان واتصلت الاخبار بأن نيال في أثرهم فأجفلوا ثانياً خوفاً منه ، لانهم كانوا له ولاخوته رعيّة .

ولما أجفلوا سلك بهم الدليل في الجبال على الزوزن ، وأسهلوا الى جزيرة ابن عمر فسار بعضهم الى ديار بكر ، ونهبوا قزوين ويازيدي والحسنية ، وبقي آخرون بالجانب الشرقي من الجزيرة ،

وسار آخرون الى الموصل . وكان سليمان بن نصير الدولة قيّماً بها فراسلهم في الصلح على أن يسير معهم الى الشام فقبلوا . ثم صنع سليمان صنيعاً ودعا اليه ابن غزعلي، وقبض عليه وحبسه . وأجفل الغزّ في كل ناحيـة، واتبعهم عساكر نصير الدولة، وقرواش والاكراد البشنوية . ثم قصدت العرب العراق للمشتى، وعاد الغز الى جزيرة ابن عمر فحصروها، وخربوا ديار بكر نهباً وقتلاً . وصانعهم نصير الدولة باطلاق منصور بن غزعلي الذي حبسه سليمان فلم يكف اطلاقه من فسادهم، وساروا الى نصيبين وسنجـار والخابور، ودخل قرواش الموصل كما نبهنا، واتبعه طائفة منهم فكان من خبره معهم ما قدّمناه في أخباره .

مسير الروم الى بلد ابن مروان ثم فتح الرها

ولما كانت الدعوة العلوية قد انتشرت في الشام والجزيرة، وكان سبب ذلك أنّ وثابا النميري صاحب حرّان والرّقّة يخطب لهم فلما ولي الوزيري للعلويين على الشام بعث الى ابن مروان بالتهديد، وأنه يسير الى بلاده فاستمدّ ابن مروان قرواش صاحب الموصل، وشبيب بن وثاب صاحب الرقة، ودعاهما الى الموافقة، وقطع الدعوة العَلَوِيّة فأجابوه، وخطبوا للقائم وقطعوا الخطبـة للمستنصر، وذلك سنة ثلاثين فقام الوزيري في ركائبه وتهدّدهم وأعاد ابن وثاب خطبة العلوية بحرّان في ذي الحجة آخر السنة .

مقتل سليمان بن نصير الدولة

كان نصير الدولة قد ولى ابنه سليمان ، ويكنى أبا حرب الامور ، وكان يجاوره في الجزيرة بشرموشك بن المحلي زعيم الاكراد في حصون له هنالك منيعة ، ووقعت بينهما منافرة . ثم استماله سليمان ومكر به . وكان الامير أبو طاهر البشنوي صاحب قلعة فنك وغيرها ، وهو ابن أخت نصير الدولة ، وكان صديقاً لسليمان فكان مما استماله به موشك أن زوّجه بابنة أبي طاهر فاطمأنّ موشك الى سليمان ، وسار الى غزو الروم بارمينية . وأمدّه نصير الدولة بن مروان بالعساكر والهدايا ، وقد كان خطب له من قبل ذلك ، وأطاعه فشفع عنده في موشك فقتله سليمان ، وقال لطغرلبك انه مات . وشكر له أبو طاهر حيث كان صهره واتخذها ذريعة الى قتله فخافه سليمان ، وتبرأ اليه مما وقع فأظهر القبول ، وطلب الاجتماع ، ونزل من حصنه فنك لذلك . وخرج سليمان اليه في قِلّة من أصحابه فقتله عُبَيْد الله وأدرك من ثار أبيه. وبلغ الخبر الى نصير الدولة فبادر بابنه نصير ، وبعث معه العساكر لحماية الجزيرة . وسمع قريش بن بدران صاحب الموصل فطمع في ملك جزيرة ابن عمر فسار اليها ، واستمال الاكراد الحسنية والبشنوية ، واجتمعوا على قتال نصير بن مروان فأحسن المدافعة

عن بلده ، وقاتلهم وجرح قريش جراحاً عديدة ، ورجع الى الموصل وأقام نصير بن مروان بالجزيرة والاكراد على خلافه .

مسير طغرلبك الى ديار بكر

ولما انصرف طغرلبك من الموصل وملكها ، وفرّ قريش عنها . ثم عاود الطاعة وذلك سنة ثمان وأربعين ، فسار طغرلبك بعدها الى ديار بكر ، وحاصر جزيرة ابن عمر . وكان ابن مروان في خدمته وهداياه مترادفة عليه في مسيره الى الموصل وعوده . فبعث اليه بالمال مفاداة عن الجزيرة ، ويذكر ما هو بصدده من الجهاد وحماية الثغر فأفرج عنه طغرلبك ، وسار الى سنجار كما ذكرناه في أخبار قريش .

وفاة نصير الدولة بن مروان وولاية ابنه نصر

وفي سنة ثلاث وخمسين توفي نصير الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر ، وكان لقبه القادر بالله . ومات لاثنتين وخمسين سنة من ولايته . وكان قد عظم استيلاؤه ، وتوفرت أمواله ، وحسن في عمارة الثغور وضبطها اثره[1]. وكان يهادي السلطان طغرلبك بالهدايا العظيمة ، ومنها حبل الياقوت

(١) في هذه العبارة تأخير في كلمة «أثره» والأصح : وحسن أثره في عمارة الثغور وضبطها .

الذي كان لبني بويه ، اشتراه من أبي منصور بن جلال الدولة ، وأرسل معه مائة ألف دينار فحسنت حاله عنده ، وكان يناغي[1] عظماء الملوك في الترف فيشتري الجارية بخمسمائة دينار وأكثر . واجتمع عنده منهن للافتراش والاستخدام أزيد من ألف. واقتنى من الاواني والآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار. وجمع في عصمته بنات الملوك ، وأرسل طباخين الى الديار المصرية ، وأنفق عليهم جملة حتى تعلموا الطبخ هنالك. ووفد عليه أبو القاسم ابن المغربي من أهل الدولة العلوية بمصر ، وفخر الدولة بن جهير من الدولة العباسية فأقبل عليهما واستوزرهما . ووفد عليه الشعراء فوصلهم ، وقصده العلماء فحمدوا عنده مقامهم ولما توفي في[2] كان الظفر فيها لنصر واستقرّ بميافارقين ، ومضى أخوه سعيد الى آمد فملكها ، واستقرّ الحال بينهما على ذلك .

وفاة نصير الدولة وولاية ابنه منصور

ثم توفي نظام الدين نصر بن نصير الدولة في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين ، وولي ابنه منصور ، ودبر دولته ابن الانباري ، ولم يزل في ملكه الى أن قدم ابن جهير ، وملك البلاد من يده.

---

(١) كذا، ولعلها: يضاهي.

(٢) كذا بياض بالأصل، ولم نعثر على مكان وفاته في المراجع التي لدينا. وأما سنة وفاته فهي: سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة كما تقدم.

مسير ابن جهير الى ديار بكر

كان فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير من أهل الموصل ، واستخدم لجارية قرواش ، ثم لاخيه بركة ، وسار عنه بالعوائد الى ملك الروم . ثم استخدم لقريش بن بدران ، وأراد حبسه فاستجار ببعض بني عقيل ، ومضى الى حلب فوزر لمعز الدولة أبي ثُمال بن صالح . ثم مضى الى عَطِيَّة ولحق منها بنصير الدولة بن مروان ، واستوزره وأصلح حال دولته . ولما توفي سنة ثلاث وخمسين دبّر أمر ابنه نصر القائم بعده . ثم هرب الى بغداد سنة أربع وخمسين ، استدعي منها للوزارة فوزر بعد محمد بن منصور بن دؤاد . ثم تداول العزل والولاية مرات هو وابنه عميد الملك ، واستخدم لنظام الملك والسلطان طغرلبك . وكان شفع عند الخليفة فلما عزل ابنه آخراً بعث عنه السلطان ونظام الملك ، وعن ابنه وجميع أقاربه ، وسار اليه بأصفهان ولقاه مبرةً وتكريماً . وبعثه في العساكر لفتح ديار بكر ، وأخذها من يد بني مروان ، وأعطاه الآلات ، وأذن له أن يخطب لنفسه بعد السلطان ، وينقش اسمه على السكة فسار لذلك سنة ست وسبعين .

استيلاء ابن جهير على آمد

قد ذكرنا مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر الى ديار

بكر، ثم أمدّه السلطان سنة سبع وسبعين بأرتق بن أكسك في العساكر. واستنجد نصر بن مروان شرف الدولة مسلم بن قريش على أن يعطيه آمد فأنجده، وسار لمظاهرته فأقصر فخر الدولة بن جهير عن حربهم عصبة للعرب. وخالفه أرتق، وسار في الترك اليهم وهزمهم، ولحق مسلم بآمد وحاصره بها فبذل المال لارتق. وخلص من أمره، ولحق بالرقة وسار ابن جهير الى ميافارقين فرجع عنه منصور بن مزيد، وابنه صدقة ومن معهما من العرب. وساز فخر الدولة المعروف بالقرم فنزل عليها، وشدّد حصارها، ونزل يوماً بعض الحامية من السور، وأخلى. مكانه فوقف فيه بعض العامّة، ونادى بشعار السلطان، واتبعه سائر الحامية بالسور. وبعثوا الى زعيم الرؤساء ابن جهير فركب اليهم، وملك البلد. وذلك سنة ثمان وسبعين. ونصب[1] أهل البلد بيوت النصارى الذين كانوا يستخدمون لبني مروان في الجبايات، وانتقموا منهم، والله أعلم.

استيلاء ابن جهير على ميافارقين وجزيرة ابن عمر وانقراض دولة بني مروان

كان فخر الدولة بن جُهَير لما بعث ابنه الى آمد سار هو الى ميافارقين، وأقام على حصارها منذ سنة سبع وسبعين. وجاءه

---

(١) كذا بالأصل. ولعلها: ونهب، كما يقتضي السياق.

سعد الدولة وكوهرايين مدداً ، واشتدّ الحصار ، وانثلم السور في بعض الايام فنادى أهلها بشعار ملك شاه. ودخل فخر الدولة ، وملك البلد ، واستولى على أموال بني مروان وذخائرهم، وبعثها الى السلطان ملك شاه مع ابنه زعيم الرؤساء فوصل اصفهان في شوّال سنة ثمان وسبعين . وسار فخر الدولة وكوهرايين الى بغداد ، وكان قد بعث عسكراً لحصار جزيرة ابن عمر فحصروها، وثار بها أهل بيت من أعيانها يعرفون ببني رهان ، وفتحوا باباً صغيراً للبلد كان منفذاً للرجالة ، وأدخلوا العسكر منه ، وملكوه بدعوة السلطان ملك شاه . وانقرضت دولة بني مروان ، ولحق منصور بن نظام الدين نصر بن نصير الدولة بالجزيرة ، وأقام في ايالة الغز . ثم قبض عليه جكرمش وحبسه بدار يهودي فمات بها سنة تسع وثمانين ، والبقاء لله وحده .

دولة بني الصفّار

الخبر عن دولة بني الصفار ملوك سجستان المتغلبين على خراسان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان أهل هذه الدولة قوماً اجتمعوا بنواحي سجستان ، ونسبوا[1] لقتال الخوارج الشّراة بتلك الناحية عندما اضطربت

(١) كذا. والسياق يقتضي: نصبوا أو انتدبوا.

الدولة ببغداد لقتل المتوكل ، وسموّ أنفسهم المتطوّعة ، وكان اجتماعهم على صالح بن نصر الكناني ، ويقال له صالح المتطوّعي ، وصحبه جماعة منهم : درهم بن الحسن ، ويعقوب بن الليث الصفار ، وغلبوا على سجستان وملكوها . ثم سار اليهم طاهر بن عبد الله أمير خراسان ، وغلبهم عليها وأخرجهم منها . ثم هلك صالح اثر ذلك ، وقام بأمره في المتطوّعة درهم بن الحسن فكثر أتباعه . وكان يعقوب بن الليث قائده ، وكان درهم مضعفاً فتحيّل صاحب خُراسان عليه حتى ظفر به ، وبعثه الى بغداد فحبس بها ، واجتمع المتطوّعة على يعقوب بن الليث قائده ، وكان درهم يكاتب المعتزّ يسأله ولايتها ، وأن يقلده حرب الخوارج فكتب له بذلك ، وأحسن الغناء في حرب الشراة ، وتجاوزه الى سائر أبواب الأمر بالمعزوف والنهي عن المنكر . ثم سار من سجستان الى خراسان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وعلى الانبار ابن أوس فجمع لمحاربة يعقوب ، وسار اليهم في التعبية فاقتتلوا ، وانهزم ابن أوْس ، وملك يعقوب هَراة وبوشَنْج ، وعظم أمره ، وهابه صاحب خراسان وغيرها من الاطراف .

استيلاء يعقوب الصفار على كرمان ثم على فارس وعودها

كان على فارس علي بن الحسن بن شبل ، وكتب الى المعتز يطلب كرمان ، ويذكر عجز ابن طاهر عنها . وكان قد أبطأ عن حرب

الخوارج فكتب له المعتز بولاية كرمان، وكتب ليعقوب الصفّار أيضاً بولايتها بقصد التضريب بينهما لتتمحّص طاعتهما أو طاعة أحدهما. فأرسل علي بن الحسين من فارس على كرمان طوق بن المفلس من أصحابه فسبق اليها يعقوب وملكها. وجاء يعقوب فأقام قريباً منها شهرين يترقب خروج طوق اليه، ثم ارتحل الى سجستان؛ ووضع طوق أوزار الحرب، وأقبل على اللهو، واتصل ذلك بيعقوب في طريقه فكرّ راجعاً، وأغذّ السير، ودخل كرمان، وحبس طوقاً. وبلغ الخبر الى علي بن الحسين، وهو على شيراز فجمع عسكره ونزل مضيق شيراز.

وأقبل يعقوب حتى نزل قبالته، والمضيق متوعّر بين جبل ونهر ضيّق المسلك بينهما فاقتحم يعقوب النهر بأصحابه، وأجاز الى علي بن الحسين وأصحابه فانهزموا. وأخذ علي بن الحسين أسيراً، واستولى على سواده، ودخل شيراز وملكها، وجبى الخراج، وذلك سنة خمس وخمسين. وقيل قد وقع بينهما بعد عبور النهر حروب شديدة، وانهزم آخرها عليّ، وكان عسكره نحواً من خمسة عشر ألفاً من الموالي والاكراد فرجعوا منهزمين الى شيراز آخر يومهم، وازدحموا في الابواب، وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف. ثم افترقوا في نواحي فارس، وانتهبوا الاموال. ولما دخل يعقوب شيراز، وملك فارس امتحن علياً وأخذ منه ألف بدرة ومن الفرش والسلاح والآلة ما لا يحصى، وكتب للخليفة

بطاعته ، وأهدى هديّة جليلة منها عشرة بازات بيض ، وباز أبلق صيني ، ومائة نافجة من المسك ، وغير ذلك من الطرف ، ورجع الى سجستان ومعه علي ، وطوق في اعتقاله ، ولما فارق فارس بعث المعتز عماله اليها .

ولاية يعقوب الصفار على بلخ وهراة

ولما انصرف يعقوب عن فارس ، ولى عليها المعتز من قبله والخلفاء بعده ، وليها الحرث بن سيما فوثب به محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي من رجال العرب ، وأحمد بن الليث من الاكراد الذين بنواحيها فقتلاه ، واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين ، وأظهر دعوة المعتمد . وبعث عليها المعتمد الحسين بن الفياض فسار اليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين ، وكتب اليه المعتمد بالنكير على ذلك . وبعث اليه الموفق بولاية بَلخ طخارستان فملكها ، وخرب المباني التي بناها داود بن العباس بظاهر بلخ ، وتسمى باساديانج . ثم سار الى كابل ، واستولى عليها ، وقبض على رتبيل ، وبعث بالاصنام التي أخذها من كابل ، وملك البلاد الى المعتمد . وأهدى اليه هدية جليلة المقدار ، وعاد الى بست معتزماً على العود الى سجستان فاحفظه بعض قواده بالرحيل قبله فغضب ، وأقام منه الى سجستان . ثم سار الى خراسان ، وملك هَراة . ثم الى بوشنج فملكها ، وقبض على

عاملها الحسين بن علي بن طاهر الكبير ، وكان كبير بيتهم . وشفع له فيه محمد بن طاهر صاحب خراسان فأبى من اسعافه ، وبقي في قلبه وولى على هراة وبوشنج وباذغيس ورجع الى سجستان .

استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بني طاهر

كان بسجستان عبد الله السنجري ينازع يعقوب بن الليث ، فلما قوي يعقوب واستفحل سار عبد الله الى خراسان ، وطمع في ملكها ، وحاصر محمد بن طاهر في كرسي ولايته نيسابور . ثم تردّد الفقهاء بينهم في الصلح حتى تم بينهما ، وولاه محمد الطَبَسين وقِهِسْتان . ثم بعث يعقوب الى محمد في طلبه فأجاره ، وأحفظ ذلك يعقوب فسار الى محمد بنيسابور ، فخام محمد عن لقائه . ونزل يعقوب بظاهر نيسابور ، وخرج اليه قرابة محمد وعمومته وأهل بيته ، ودخل نيسابور واستعمل عليها وذلك سنة تسع وخمسين ، وكتب الى المعتمد بأنّ أهل خراسان استدعوه لعجز ابن طاهر وتفريطه في أمره . وغلبه العلوي على طَبَرِسْتان فكتب اليه المعتمد بالنكير والاقتصار على ما بيده ، وإلّا سلك به سبيل المخالفين . وقيل في ملكه نيسابور غير ذلك ، وهو انّ محمد بن طاهر لما أصاب دولته العجز والادبار كاتب بعض قرابته يعقوب ابن الليث الصفار . واستدعوه فكتب يعقوب الى محمد بن طاهر

بجيشه الى ناحيته مورياً بقصد الحسن بن زيد في طبرستان . وأنّ المعتمد أمره بذلك ، وأنه لا يعرض لشيء من أمر خُراسان . وبعث بعض قواده عيناً عليه ، وعـ ـه على الاهمال والعجز ، وقبض على جميع أهل بيته نحواً من مائة وستين رجلاً . وحملهم جميعاً الى سِجِسْتان ، وذلك لاحدى عشرة سنة من ولاية محمد . واستولى يعقوب على خراسان، وهرب منازعه عبد الله السنجري الى الحسين بن يزيد صاحب طَبَرْستان ، وقد كان ملكها من لدن سنة احدى وخمسين فأجاره الحسين. وسار اليه يعقوب سنة ستين وحاربه فانهزم الحسين الى أرض الديلم، واعتصم بجبال طبرستان . وملك يعقوب سارِيَة وآمد ، ورجع في طلب السنجري الى الري ، وتهدد العامل على دفعه اليه فبعث به وقتله يعقوب .

استيلاء الصفار على فارس

قد تقدّم لنا تغلب محمد بن واصل على فارس سنة ست وخمسين ، ومسير الصفّار اليه سنة سبع ، ورجوعه عنها ، وانه أعاضه عنها ببَلْخ وطَخارِسْتان . ثم انّ المعتمد أضاف فارس الى موسى بن بغا مع الاهواز والبصرة والبَحْرَيْن واليَمامَة ، وما بيده من الاعمال ، فولّى موسى على فارس من قبله عبد الرحمن بن مُفلِح ، وبعثه الى الاهواز ، وأمدّه بطاشتمر . وزحفوا الى ابن واصل ، وسار لحرب موسى بن بغا بواسط فولى على الاهواز مكانه أبا الساج

وأمره بمحاربة الزّنج فبعث صهره عبد الرحمن لذلك ، فلقيه علي ابن أياز قائد الزنج، وهزمه وقتل. وملك الزنج الأهواز وعاثوا فيها ، وأديــل من أبي الساج بإبراهيم بن سيما ، وسار لحرب ابن واصل، واضطربت الناحية على موسى بن بغا فاستعفى من ولايتها ، وأعفاه المعتمد . وطمع يعقوب الصفار في ملك فارس فسار من سجستان ممدا، ورجع ابن واصل من الاهواز اليه ، وترك محاربة ابن سيما، وأغذّ السير ليفجأه على بغتة ففطن له الصفار، وسار اليهم وقد أعيوا وتعبوا من شدّة السير والعطش. ولمـا تراءى الجمعان ، تخاذل أصحاب ابن واصل وانهزموا من غير قتال، وغنم الصفّار في معسكره ، وما كانوا أصابوا لابن مفلح. واستولى على بلاد فارس ، ورتب بهـا العمال ، وأوقع بأهل ذمّ لاعانتهم ابن واصل ، وطمع في الاستيلاء على الاهواز وغيرها .

حروب الصفار مع الموفق

ولما ملك الصفار خراسان من يد ابن طاهر ، وقبض عليه ، وملك فارس من يد ابن واصل. وكان المعتمد نهاه عن تلك فلم ينته ، صرح المعتمد بأنه لم يوله ولا فعل ما فعل باذنه ، وأحضر حاجّ خُراسان وطَبَرِسْتان والريّ ، وخاطبهم بذلك فسار الصفار الى

الاهواز سنة اثنتين[1] أصحابه الذين أسروا بخراسان فأبى إلا العزم على الوصول الى الخليفة ولقائه . وبعث حاجبه درهماً يطلب ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والريّ وجارس والشرطة ببغداد ، فولاه المعتمد ذلك كله مضافاً الى سِجِسْتان وكَرْمان . وأعاد حاجبه بذلك ، ومعه عمرو بن سيما فكتب يقول لا بدّ من الحضور بباب المعتمد ، وارتحل من عسكر مكرم جائياً . وخرج أبو الساج من الاهواز لتلقيه لدخول الاهواز في أعماله فأكرمه ، ووصله . وسار الى بغداد ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزعفرانية ، ووافاه مسرور البَلْخِيّ من مكانه من مواجهة الزنج . وجاء يعقوب الى واسط فملكها ، ثم سار منها الى دير العاقول .

وبعث المعتمد أخاه الموفق لمحاربته ، وعلى ميمنته موسى بن بغا ، وعلى ميسرته موسى البلخي فقاتله منتصف رجب ، وانهزمت ميسرة الموفق ، وقتل فيها ابراهيم بن سيما وغيره من القواد . ثم تزاحفوا واشتدّت الحرب ، وجاء للموفق محمد بن أوس والدراني مدداً من المعتمد . وفشل أصحاب الصفّار ، ولما رأوا مدد الخليفة انهزموا وخرج الصفار ، واتبعهم أصحاب الموفق ، وغنموا من

---

(١) كذا بياض بالأصل ، وقد ذكر ابن الأثير هذه الحادثة في حوادث سنة اثنتين وستين ومائتين ؛ ج ٦ ص ٨ قال : فعاد الرسل من عند يعقوب يقولون : أنه لا يرضيه ما كتب به إليه دون أن يسير إلى باب المعتمد .

عسكره نحواً من عشرة آلاف من الظهر ومن الاموال والمسك ما يؤد حمله.

وكان محمد بن طاهر معتقلًا في العسكر منذ قبض عليه بخراسان فتخلّص ذلك اليوم. وجاء الى الموفق وخلع عليه، وولاه الشرطة ببغداد. وسار الصفار الى خوزستان فنزل جنديسابور، وراسله صاحب الزنج على الرجوع، ويعده المساعدة فكتب له: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة. وكان ابن واصل قد خالف الصفار الى فارس وملكها فكتب اليه المعتمد بولايتها، وبعث اليه الصفار جيشاً مع عمر بن السري من قواده فأخرجه عنها، وولّى على الاهواز محمد بن عبيد الله بن هزارمرد الكردي. ثم رجع المعتمد الى سامرا والموفق الى واسط، واعتزم الموفق على اتباع الصفار فقعد به المرض عن ذلك. وعاد الى بغداد ومعه مسرور البلخي، وأقطعه ما لابي الساج من الضياع والمنازل، وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد.

انتقاض الخجستاني بخراسان على يعقوب الصفار وقيامه بدعوة بني طاهر

كان من أصحاب محمد بن طاهر ورجالاته أحمد بن عبدالله بن خُجِسْتان، وكان متولياً على[1]   وهي من جبال سراة وأعمال باذغيس. فلما

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٦ ص ١٠: كان أحمد بن عبد الله الخجستاني من خجستان ـ وهي من جبال هراة من أعمال باذغيس ـ وكان من أصحاب محمد بن طاهر.

استولى الصفار على نيسابور وخراسان انضمّ أحمد هذا الى أخيه علي بن الليث ، وكان شركب الجمال قد تغلّب على مرو ونواحيها سنة تسع وخمسين، وتغلب على نيسابور سنة ثلاث وستين وأخرج منها الحسين بن طاهر . وكان لشركب ثلاثة من الولد ابراهيم وهو أكبرهم ، وأبو حفص يعمر ، وأبو طلحة منصور . وكان ابراهيم قد أبلى في واقعة المغار مع الحسن بن زيد بجرجان فقدّمه الصفار ، وحسده أحمد الخُجِستاني فخوفه عادية الصفار ، وزيّن له الهرب . وكان يعمر أخوه محاصراً لبعض بلاد بلخ فاتفق ابراهيم وأحمد الخجستاني في الخروج الى يعمر ، وسبقه ابراهيم الى الموعد ولم يلقه فسار الى سرخس .

ولما عاد الصفار الى سجستان سنة احدى وستين ، ولى على هَراة أخاه عمرو بن الليث فاستخلف عليها طاهر بن حفص الباذغيسي . وجاء الخجستاني الى علي بن الليث ، وزين له أن يقيم بخراسان نائباً عنه في أموره وأقطاعه ، فطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له . فلما ارتحلوا عن خراسان جمع أحمد الخجستاني وأخرج علي بن الليث من بلده سنة احدى وستين ، وملك تونس وأعاد دعوة بني طاهر ، وملك نيسابور سنة اثنتين وستين . واستقدم رافع بن هرثمة من رجالات بني طاهر فجعله صاحب جيشه ، وسار الى هراة فملكها من يد طاهر بن حفص . وقتله ثم قتل يعمر بن شركب ، واستولى على بلاد خراسان ، ومحا منها دعوة

يعقوب بن الليث . ثم جاء الحسن بن طاهر أخو محمد باصفهان ليخطب له فأبى فخطب له أبو طلحة بن شركب بنيسابور . وانتقض الخجستاني ، واضطربت خراسان فتنة . وزحف اليها الحسن بن زيد فقاتلوه وهزموه . ثم ملك نيسابور من يد عمرو ابن الليث ، وترك الخطبة لمحمد بن طاهر ، وخطب للمعتمد ولنفسه من بعده كما هو مشروح في أخبار الخجستاني .

استيلاء الصفار على الأهواز

قد تقدّم لنا استيلاء الصفار على فارس بعد خراسان . ثم سار منها الى الاهواز ، وكان أحمد بن لسوقة قائد مسرور البلخي على الاهواز قد نزل تستر فرحل عنها ، ونزل يعقوب جند يسابور ، وفرّت عساكر السلطان من تلك النواحي . وبعث يعقوب بالخضر ابن العين الى الاهواز ، وعلي بن أبان والزنج يحاصرونها فتأخروا عنها الى نهر السِدْرَة . ودخل الخضر الاهواز وملكها بدعوة الصفار . وكان عسكره وعسكر الزنج يغير بعضهم على بعض . ثم أوقع الزنج بعسكره ، ولحق الخضر بعسكر مكرم ، واستخرج ابن أبان ما كان في الاهواز ، ورجع الى نهر السدرة . وبعث يعقوب الامداد الى الخضر ، وأمره بالكف عن قتال الزنج والمقام بالاهواز فوادع الزنج ، وشحن الاهواز بالاقوات وأقام .

وفاة يعقوب الصفار وولاية عمرو أخيه

ثم توفي يعقوب الصفار في شوّال سنة خمس وستين بعد أن افتتح الزنج ، وقتل ملكها ، وأسلم أهلها على يده . وكانت مملكة واسعة الحدود . وافتتح زابلستان ، وهي غزنة وأعمالها . وكان المعتمد قد استماله وولاه على سجستان والسند . ثم تغلب على كرمان وخراسان وفارس ، وولاه المعتمد على جميعها . ولما مات قام مكانه أخوه عمرو بن الليث ، وكتب الى المعتمد بطاعته فولاه الموفق من قبل اعمال أخيه ، وهي خراسان واصفهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد . وبعث اليه بالخلع ، فولّى عمرو بن الليث على الشرطة ببغداد وسر من رأى من قبله عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر . وخلع عليه الموفق وعمرو بن الليث . وولّى على اصفهان من قبله أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف . وولى على طريق مكة والحرمين محمد بن أبي الساج .

مسير عمرو بن الليث الى خراسان لقتال الخجستاني

قد تقدّم ذكر الخجستاني وتغلبه على نيسابور وهَراة بدعوة بني طاهر سنة اثنتين وستين، فلما توفي يعقوب سار عمرو الى خراسان سنة خمس وستين، واستولى على هراة. وسار الخجستاني بنيسابور فقاتله فانهزم عمرو ، ورجع الى هراة . وكان الفقهاء بنيسابور

يشيعون لعمرو لولاية الخليفة إياه فأوقع الخجستاني الفتنة بينهم بالميل الى بعضهم ، وتكرمتهم عن بعض ليشغلهم بها . ثم سار الى هراة سنة سبع وستين ، وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر بشيء فتركه وخالفه الي سجستان . ووثب أهل نيسابور بنائبه عليهم ، وأمدّهم عمرو بن الليث بجنده فقبضوا على نائب الخجستاني ، وأقاموا بها . ورجع الخجستاني من سجستان فأخرجهم وملكها . وكان أبو منصور طلحة بن شركب محاصراً لبلخ من قبل ابن طاهر . وكاتبه عمرو بن الليث واستقدمه ، وأعطاه أموالا واستخلفه على خراسان ، ورجع الى سجستان . وبقي أبو طلحة بخراسان ، والخجستاني يقاتله الى أن قتل الخجستاني سنة ثمان وستين ، قتله بعض مواليه كما مرّ في أخباره مع رافع بخراسان .

كان رافع بن هرثمة من قواد بني طاهر بخراسان فلما ملكها يعقوب سار اليه ، واستقرّ في منزله بتامين من قرى باذغيس . فلما قتل الخجستاني اجتمع الجيش على رافع ، وهو بهراة فأقرّوه عليهم . وكان أبو طلحة بن شركب قد سار من جَرْجان الى نيسابور فسار اليه رافع وحاصرها . وخرج عنها أبو طلحة الى مرو ، وخطب بها وبهراة لمحمد بن طاهر ، وولى على هراة من قبله . ثم زحف اليه عمرو بن الليث فغلبه عليها ، وولى عليها محمد ابن سهل بن هاشم . ورجع وبعث أبو طلحة الى اسمعيل بن أحمد

يستنجده فأنجده بعسكر سار بهم الى مرو ، وأخرج منها محمد بن سهل ، وخطب لعمرو بن الليث ، وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين . ثم عزل المعتمد عمرو بن الليث عن سائر أعمال خراسان وقلّدها الموفق محمد بن طاهر ، وهو مقيم ببغداد ، فاستخلف محمد عليها رافع بن هرثمة وأقرّ نصر بن محمد أحمد الساماني على ما وراء النهر ، فسار رافع الى اسمعيل يستنجده على أبي طلحة فجاءه في أربعة آلاف مدداً. واستقدم رافع أيضاً علي بن الحسين المروروذي ، وساروا جميعاً الى أبي طلحة وهو بمرو سنة اثنتين وسبعين ، وغلبوه عليها ولحق بهراة ، وعاد اسمعيل الى خوارزم فجبى أموالها ورجع الى نيسابور .

حروب عمرو مع عساكر المعتمد ومع الموفق

ولما عزل المعتمد عمرو بن الليث عن خراسان أمر بلعنه على المنابر ، وأعلم حاج خراسان بذلك ، وقلّد محمد بن طاهر أعمالها فاستخلف عليها رافع بن الليث ، وكتب المعتمد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بعزله عن أصفهان والري . وبعث اليه العساكر لقتاله سنة احدى وسبعين فزحف اليه عمرو في خمسة عشر ألفاً من المقاتلة فهزمه أحمد بن عبد العزيز والعساكر واستباحوا معسكره ، ودفعوه عن اصفهان والري . وكان المعتمد لما عزله ولعنه بعث صاعد بن مخلد في العساكر الى فارس لقتال عمرو بن

الليث واخراجه من فارس ، فسار لذلك ولم يظفر . ورجع سنة اثنتين وسبعين .

ثم سار الموفق سنة أربع وسبعين الى فارس لحرب عمرو بن الليث فسير عمرو قائده عباس بن اسحق الى شيراز ، وابنه محمد ابن عمرو الى أرّجان ، وبعث على مقدمته أبا طلحة بن شركب صاحب جيشه ، فاستأمن أبو طلحة الى الموفق . وفتّ ذلك في عضد عمرو ، وخام عن لقائه . وسار الموفق الى شيراز، وارتاب بأبي طلحة فقبض عليه . وملك الموفق فارس ، وعاد عمرو الى كرمان فسار الموفق في طلبه ، فلحق بسجستان على المفازة . وتوفي ابنه محمد بن عمرو بها . وامتنعت كرمان وسجستان على الموفق فعاد الى بغداد .

وارتاب عمرو بن الليث باخيه علي فحبسه بكرمان ، وحبس معه ابنه المعدل والليث فهربوا من محبسهم ، ولحقوا برافع بن الليث عندما ملك طَبَرِسْتان وجَرْجان من محمد بن زيد العلوي سنة سبع وسبعين فأقاموا عنده ، وهلك علي بن الليث وبقي ولداه عنده . ثم رضي المعتمد عن عمرو بن الليث ، وولاه الشرطة ببغداد ، وكتب اسمه على الاعلام والترسة سنة ست وسبعين . واستخلف في الشرطة عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر . ثم سخطه لسنة ، ومحا اسمه من الاعلام .

ولاية عمرو بن الليث على خراسان ثانيا ومقتل رافع بن الليث

ثم سخط المعتمد رافع بن الليث لامتناعه من تخلية قرى السلطان بالري ، بعد أن أمره بذلك ، فكتب الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بمحاربة رافع واخراجه عن الري . وكتب الى عمرو بن الليث بولاية خراسان . وحارب أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين فقاتل أخويه عمر وبكراً ابني عبد العزيز فهزمهما الى اصفهان ، وأقام بالري باقي سنته . ثم سار الي اصفهان فملكها سنة احدى وثمانين ، وعاد الى جرجان . ووافى عمرو بن الليث خراسان والياً عليها بجموعه . وتورط رافع بن الليث ، ورجع الى مصالحة محمد بن زيد ، على أن يعيد اليه طبرستان فصالح محمد بن زيد ، وخطب له بطبرستان سنة اثنتين وثمانين ، على أن يمدّه بأربعة آلاف من الديلم .

وسار عن طبرستان الى نيسابور سنة ثلاث وثمانين فحاربه عمرو وهزمه الى ابيورد ، وأخذ منه المعدل والليث ابني أخيه . ثم أراد رافع المسير الى هراة فأخذ عليه عمرو الطريق لسرخس ، وسرب رافع في المضايق ، ونكب عن جمهور الطريق فدخل نيسابور ، وحاصره فيها عمرو بن الليث . ثم برز للقائه ، واستأمن بعض قواد رافع الى عمرو فانهزم رافع وأصحابه ، وبعث الى محمد

ابن وهب[1] يستمدّه كما شرط له . وكان عمرو قد حذر محمد بن زيد من امداده فأقصر عن ذلك ، وتفرّق عن رافع أصحابه وغلمانه . وكانوا أربعة آلاف غلام . وفارقه محمد بن هرون الى أحمد بن اسمعيل بن سامان ببخارى ، وخرج رافع منهزماً الى خوارزم في فلّ من العسكر ، وحمل بقية المال والآلة ، وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين . فلما رآه صاحب خوارزم أبو سعيد الفرغاني في قلة من العسكر غدر به وقتله في أوّل شوّال ، وحمل رأسه الى عمرو بن الليث بنيسابور فأنفذه عمرو الى بغداد فكتب اليه المعتضد بولاية الري مضافة الى خراسان ، وأنفذ له الالوية والخلع سنة أربع وثمانين .

استيلاء بني سامان على خراسان وهزيمة عمرو بن الليث وحبسه ثم مقتله

لما بعث عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة الى المعتضد ، طلب ولاية ما وراء النهر فولاه وبعث اليه بالخلع واللواء فسرح عمرو الجيوش من نيسابور ، مع قائده محمد بن بشير وغيره من قواده لمحاربة اسمعيل بن أحمد ، وانتهوا الى آمد فعبر اسمعيل جيحون ، وهزمهم وقتل محمد بن بشير وغيره من قواده . ورجع الفلّ الى عمرو بنيسابور . وعاد اسمعيل الى بخارى وتجهّز للسير

(١) كان الشرط على محمد بن زيد كما تقدم فيما بعد. وفي الطبري ج ١١ ص ٣٤٨: محمد بن زيد الطالبي.

الى اسمعيل ، وسار الى بلخ ، وبعث اليه اسمعيل انك قد حزت الدنيا العريضة فاتركني في هذا الثغر فأبى . وعبر اسمعيل ، وأخذ عليه الجهات فصار محصوراً . وندم وطلب المحاجزة فأبى اسمعيل ، وقاتله فانهزم عمرو ونكب عن طريق العسكر الى مضيق ينفرد فيه . وتوارى في أجمة فوحلت به دابته ، ولم يتفطن له أصحابه فأخذ أسيراً ، وبعث به اسمعيل الى المعتضد بعد أن خيره فاختار المسير اليه ، ووصل الى بغداد سنة ثمان وثمانين وأدخل على جمل وحبس . وبعث المعتضد الى اسمعيل بولايته خراسان الى أن توفي المعتضد . وجاء المكتفي الى بغداد . وكان في نفسه اصطناعه . وكره ذلك الوزير القاسم بن عبيد الله فوضع عليه من قتله سنة تسع وثمانين .

ولاية طاهر بن محمد بن عمرو على سجستان وكرمان ثم على فارس

ولما أسر عمرو سار الى محبسه ، قام مكانه بسجستان وكرمان حافده طاهر بن محمد بن عمرو ، وهو الذي مات أبوه محمد بمفازة سجستان عندما هرب عمرو أمام الموفق من فارس . ثم سار طاهر الى فارس ، وسار اليها في الجيوش سنة ثمان وثمانين . واعترضه بدر فعاد طاهر الى سجستان ، وملك بدر فارس وجبى أموالها . ثم بعث طاهر بن محمد سنة تسع وثمانين يطلب المقاطعة على فارس بمال يحمله . وكان المعتضد قد توفي فعقد له المكتفي

عليها . وتشاغل طاهر بالصيد واللهو ، ومضى الى سجستان فغلب على الامر بفارس الليث ابن عمه علي بن الليث ، وسيكرى مولى جدّه عمرو ، وكان معهما أبو قابوس قائد طاهر فلحق بالخليفة المكتفي ، وكتب طاهر ردّه بما جباه من المال ، ويحتسب له من جملته فلم يجب الى ذلك .

استيلاء الليث على فارس ثم مقتله واستيلاء سيكري

ولما تغلب سيكري على فارس لحق الليث بن علي بطاهر ابن عمه ، وزحف طاهر الى فارس فهزمه السيكري وأسره ، وبعث به وبأخيه يعقوب الى المقتدر سنة سبع وتسعين . وضمن فارس بالحمل الذي كان قرّره فولاه على فارس . ثم زحف اليه الليث بن علي بن الليث فملك فارس[1] الليث للقائهم ، وجاءه الخبر بأنّ الحسين بن حمدان سار من قمّ مدداً لمؤنس فركب لاعتراضه ، وتاه الدليل عن الطريق فأصبح على معسكر مؤنس فثاروا ، واقتتلوا وانهزم عسكر الليث وأخذ أسيراً . وأشار أصحاب مؤنس بأن يقبض على سيكري معه ، ويملك بلاد فارس ، ويقرّه

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٦ ص ١٣٦ : في هذه السنة سار الليث بن علي بن الليث من سجستان إلى فارس في جيش وأخذها واستولى عليها، وهرب سيكري عنها إلى أرجان فلما بلغ الخبر المقتدر جهز مؤنساً الخادم وسيره إلى فارس معونة لسيكري، فاجتمعا بارجان، وبلغ خبر اجتماعهما الليث فسار إليهما.

الخليفة فوعدهم بذلك ، ودس الى سيكري بأن يهرب الى شيراز . وأصبح يلوم أصحابه على ظهور الخبر من جهتهم ، وعاد بالليث الى بغداد ، واستولى سيكري على فارس ، واستبدّ كاتبه عبد الرحمن بن جعفر على أموره فسعى فيه أصحابه عند سيكري حتى قبض عليه ، وحملوه على العصيان فمنع الحمل ، فكتب هو من محبسه الى الوزير ابن الفرات يعرفه بأمرهم . وكتب ابن الفرات الى مؤنس ، وهو بواسط يأمره بالعود الى فارس ، ويعاتبه حيث لم يقبض على سيكري فسار مؤنس الى الاهواز ، وراسله سيكري وهاداه . وعلم ابن الفرات بميل مؤنس اليه فأنفذ وصيفاً وجماعة من القواد ، ومعهم محمد بن جعفر ، وأمرهم بالتعويل عليه في فتح فارس . وكتب الى مؤنس باستصحاب الليث الى بغداد ففعل ، وسار محمد بن جعفر الى فارس ودافع سيكري على شيراز فهزمه ، وحاصره بها وحاربه ثانية فهزمه ، ونهب أمواله ودخل سيكري مفازة خراسان فظفرت به جيوش خراسان وأسروه ، وبعثوا به الى بغداد ، وولي على فارس فتح خادم الافشين .

انقراض ملك بني الليث من سجستان وكرمان

وفي سنة ثمان وتسعين توفي فتح صاحب فارس فولى المقتدر مكانه عبد الله بن ابراهيم المسمعي ، وأضاف اليه كرمان من أعمال بني الليث . وسار أحمد بن اسمعيل بن سامان الى الري

فبعث منها جيوشه الى سجستان سنة ثمان وتسعين مع جماعة من قواده ، وعليهم الحسن بن علي المروروذي . وكانت سجستان لما أسر طاهر سنة سبع وتسعين ولي بها بعده الليث بن علي بن الليث . فلما أسر الليث كما تقدّم ولي بعده أخوه المعدل بن علي ابن الليث . فلما بلغه مسير هذه العساكر اليه من قبل أحمد بن اسمعيل ، بعث أخاه أبا علي بن الليث محمد بن على بن الليث الى بست والرخج ليجبيهما ، ويبعث منهما الى سجستان بالميرة فسار اليه أحمد بن اسمعيل بن سامان ، وعلى سجستان أبو صالح منصور بن عمه اسحق بن أحمد بن سامان مسير سيكري من فارس الى سجستان في المفازة ، فبعث اليه جيشاً فأخذه ، وكتب الامير أحمد الى المقتدر بالخبر وبالفتح فأمره بحمل سيكري والليث فبعث الى بغداد وحبسهما .

ثورة أهل سجستان بأصحاب ابن سامان ودعوتهم الى بني عمرو ابن الليث بن الصفار ثم عودهم الى طاعة أحمد بن اسمعيل بن سلمان

كان محمد بن هرمز ، ويعرف بالمولى الصندلي خارجياً ، وهو من أهل سجستان . خرج أيام بني سامان وأقام ببخارى ، وسخط بعض الاعيان بها فسار الى سجيستان ، واستمال جماعة من الخوارج رئيسهم ابن الحفار فخرجوا ، وقبضوا على منصور بن اسحق عاملهم من بني سامان وحبسوه ، وولوا عليهم عمرو بن يعقوب

ابن محمد بن الليث وخطبوا له فبعث أحمد بن اسمعيل الجيوش ثانياً مع الحسين بن علي سنة ثلثمائة ، وحاصرها ستة أشهر. ومات الصندلي فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار وابن الحفار الى الحسين ابن علي ، وخرج منصور بن اسحق من محبسه . واستعمل أحمد ابن اسمعيل على سجستان سيمجور الدواني ، ورجع الحسين بالجيوش الي الامير أحمد ، ومعه يعقوب وابن الحفار في ذي الحجة سنة ثلثمائة .

استيلاء خلف بن أحمد بن علي على سجستان ثم انتقاضهم عليه

كان خلف بن أحمد من ذرية عمرو بن الليث الصفار ، وهو بسطة يرسمه بانوا[1] ، ولما فشل أمر بني سامان استولى على سجستان ، وكان من أهل العلم ويجالسهم . ثم حج سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، واستخلف على أعماله طاهر بن الحسين من أصحابه ، فلما عاد من الحج انتقض عليه طاهر بن الحسين فسار خلف الى بخارى مستجيشاً بالامير منصور بن سامان ، فبعث معه العساكر ، وملك سجستان ، وكثرت أمواله وجنوده . وقطع ما كان يحمله

---

(١) كذا بالأصل، كلمات غير مفهومة. وفي الكامل ج ٧ ص ١٤: وفي هذه السنة عصى أهل سجستان على أميرهم خلف بن أحمد، وكان خلف هو صاحب سجستان حينئذ، وكان عالماً حياً لأهل العلم.

الى بخارى فسارت العساكر اليه ، ومقدمهم[1] وحاصروا خلف ابن أحمد في حصن أوال من أمنع الحصون وأعلاها . ولما اشتدّ به الحصار ، وفنيت الاموال والآلات كتب الى نوح بن منصور صاحب بخارى بأن يستأمنه ، ويرجع الى دفع الحمل فكتب نوح ابن منصور الى أبي الحسن بن سيمجور عامله على خراسان ، وقد عزل[2] بالمسير الى حصار خلف، فسار من قِهِسْتان الى سِجِسْتان ، وحاصر خلف ، وكانت بينهما مودّة فأشار عليه سيمجور بتسليم حصن أرَكْ للحسن لتتفرق الجيوش عنه الى بخارى ، ويرجع هو الى شأنه مع صاحبه فقبل خلف مشورته . ودخل سيمجور الى حصن أرَكْ وخطب فيه للامير نوح . ثم سلمه للحسن بن طاهر وانصرف الى بخارى وكان هذا أول وهن دخل على بني سامان من سوء طاعة أصحابهم .

استيلاء خلف بن أحمد على كرمان ثم انتزاع الديلم لها

ولما استفحل أمر خلف بسجستان حدّث نفسه بملك كرمان ، وكانت في أيدي بني بويه وملكهم يومئذ عضد الدولة فلما وهن

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل: فجهزت العساكر إليه، وجعل مقدمها الحسين بن طاهر بن الحسين المذكور. فساروا إلى سجستان، وحصروا خلف بن أحمد بحصن أرك، وهو من أمنع الحصون.

(٢) لا معنى لكلمة «عزل» هنا، ومقتضى السياق: وقد عزم على المسير.

أمرهم ، ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة ابني عضد الدولة ، جهز العساكر الى كرمان وعليهم عمرو ابنه وقائدهم يومئذ تمرتاش من الديلم . فلما قاربها عمرو هرب تمرتاش الى بردشير ، وحمل ما أمكنه ، وغنم عمرو الباقي ، وملك كرمان ، وجبى الاموال . وكان صمصام الدولة صاحب فارس فبعث العساكر الى تمرتاش مع أبي جعفر ، وأمره بالقبض عليه لاتهامه بالميل الى أخيه بهاء الدولة فسار وقبض عليه ، وحمله الى شيراز . وسار بالعساكر الى عمرو بن خلف فقاتله عمرو بدار زين . وانهزم الديلم وعادوا على طريق جيرفت ، وبعث صمصام الدولة عسكراً آخر مع العباس ابن أحمد من أصحابه فلقوا عمرو بن خلف بالسيرجان في المحرم سنة اثنتين وثمانين فهزموه . وعاد الى أبيه بسجستان مهزوماً ووبخه ثم قتله .

ثم عزل صمصام الدولة العباس عن كرمان فأشاع خلف بأنّ أستاذ هرمز سمَّه ، واستنفر الناس لغزو كرمان ، وبعثهم مع ابنه طاهر فانتهوا الى برماشير ، وملكوها من الديلم . ولحق الديلم بجيرفت ، واجتمعوا بها ، وبعثوا بها[1] الى بردشير حامية من العسكر ، وهو أصل بلاد كرمان ومصرها فحصرها طاهر ثلاثة

---

(١) كذا . والظاهر أن «بها» زائدة . وقد تكررت هذه العبارة بالنص ـ ولكن بدون بها ـ في نهاية المقطع .

أشهر ، وضيق على أهلها ، وكتبوا الى أستاذ هرمز يستمدّونه قبل أن يغلبهم عليها طاهر فخاطر بنفسه ، وركب اليهم المضايق والاوعار حتى دخلها . وعاد طاهر الى سجستان ، واستنفر الناس لغزو الديلم بجيرفت ، واجتمعوا بها وبعثوا الى بردشير حامية من العسكر ، وهو أصل بلاد كرمان ، وذلك سنة أربع وثمانين .

استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها ومقتله

كان طاهر بن خلف من العقوق لابيه على عظيم وانتقض عليه، وجرت بينهما وقائع كان الظفر بها لخلف ففارق طاهر سجستان وسار الى كرمان وبها الديلم عسكر بهاء الدولة فصعد الى جبالها، واحتمى بقوم هنالك كانوا عصاة، ونزل على جيرفت فملكها ولقيه الديلم فهزمهم، واستولى على الكثير مما بأيديهم فبعث بهاء الدولة عسكراً مع أبي جعفر بن أستاذ هرمز فغلب طاهراً على كرمان فعاد الى سجستان وقاتل أباه فهزمه وملك البلاد. وامتنع أبوه خلف ببعض حصونه وكان الناس قد سئموا منه لسوء سيرته فرجع الى مخادعة ابنه فتواعدا اللقاء تحت القلعة وأكمن له بالقرب كميناً فلما لقيه خرج الكمين واستمكن منه أبوه خلف فقتله أبوه .

استيلاء محمود بن سبكتكين على سجستان ومحو اثار بني الصفار منها

كان خلف بن أحمد قد بعث ابنه طاهراً الى قهستان فملكها ثم

الى بوشنج كذلك . وكانت هي وهراة لبغراجق عم محمود ، وكان محمود مشتغلًا بالفتنة مع قواد بني سامان ، فلما فرغ منها استأذنه عمه في اخراج طاهر بن خلف فأذن له . وسار اليه سنة تسعين وثلثمائة ولقيه بنواحي بوشنج فهزمه ، ولج في طلبه فكرّ عليه طاهر ، وقتله فساء ذلك محموداً ، وجمع عساكره وسار الى خلف بن أحمد ، وحاصره بحصن اصبهيل ، وضيق عليه حتى بذل له أموالاً جليلة ، وأعطاه الرهن عليها فأفرج عنه . ثم عهد خلف بملكه الى ابنه ، وعكف على العبادة والعلم خوفاً من محمود بن سبكتكين ، فلما استولى طاهر على الملك عق أباه وكان من أمره ما تقدّم .

ولما قتل طاهر تغيرت نيات عساكره ، وساءت فيه ظنونهم، واستدعوا محمود بن سبكتكين وملكوه مدينتهم. وقعد خلف في حصنه وهو حصن الطاق له سبعة أسوار محكمة ، وعليها خندق عتيق له جسر يرفع ويحط عند الحاجة فحاصره محمود سنة ثلاث وتسعين ، وطمّ الخندق بالاعواد والتراب في يوم واحد ، وزحف لقتاله بالفيول . وتقدّم عظيمها فاقتلع باب الحصن بنابه وألقاه ، وملك محمود السور الاوّل . ودفع عنه أصحاب خلف الى السور الثاني ، ثم الى الثالث كذلك فخرج خلف واستأمن ، وحضر عنده محمود وخيره في المقام حيث شاء من البلاد فاختار الجوزجان ، وأقام بها أربع سنين . ثم نقل عنه الخوض في الفتنة، وأنه راسل

ايلكخان يغريه بمحمود فنقله الى جردين، وحبسه هنالك الى أن هلك سنة تسع وتسعين وورثه ابنه أبو حفص . ولما ملك محمود سجستان ، واستنزل خلف من حصن الطاق ولى على سجستان أحمد الفتحي من قواد أبيه . ثم انتقض أهل سجستان فسار اليهم محمود سنة ثلاث وتسعين في ذي الحجة ، وحصرهم في حصن أوّل واقتحمه عليهم عَنْوَةً ، وقتل أكثرهم وسبى باقيهم حتى خلت سجستان منهم ، وصفا ملكها له فاقطعها أخاه نصراً مضافة الى نيسابور ، وانقرض ملك بني الصفار وذويهم من سجستان والبقاء لله وحده .

دولة بني سامان

الخبر عن دولة بني سامان ملوك ما وراء النهر المقيمين بها الدولة العباسية وأولية ذلك ومصائره

أصل بني سامان هؤلاء من العجم ؛ كان جدّهم أسد بن سامان من أهل خراسان وبيوتها وينتسبون في الفرس الى بهرام حشيش الذي ولاه كسرى أنوشروان مرزبان اذربيجان . وبهرام حشيش من أهل الري ونسبهم اليه هكذا : أسد بن سامان خذاه بن جثمان بن طغسان بن نوشردين بن بهرام نجرين بن بهرام حشيش . ولا وثوق لنا بضبط هذه الاسماء . وكان لاسد أربعة

من الولد : نوح وأحمد ويحيى والياس ، وأصل دولتهم هذه فيا وراء النهر أنّ المأمون لما ولي خراسان اصطنع بني أسد هؤلاء ، وعرف لهم حق سلفهم واستعملهم . فلما انصرف الى العراق ولى على خراسان غسان بن عباد من قرابة الفضل بن طاهر مكان ابنه اسحق ، ومحمد بن الياس. ثم مات أحمد بن أسد بفرغانة سنة احدى وستين ، وكان له من الولد سبعة : نصر ويعقوب ويحيى واسمعيل واسحق واسد وكنيته أبو الاشعث وحميد وكنيته أبو غانم . ولما توفي أحمد ، وكانت سمرقند من أعماله استخلف عليها ابنه نصراً ، وأقام في ولايتها أيام بني طاهر وبعدهم . وكان يلي أعماله من قبل ولاة خراسان إلى حين انقراض أمر بني طاهر واستيلاء الصفار على خُراسان .

ولاية نصر بن أحمد على ما وراء النهر

ولما استولى الصفار على خراسان ، وانقرض أمر بني طاهر ، عقد المعتمد لنصر بن أحمد على أعمال ما وراء النهر ، فبعث جيوشه الى شط جيحون مسلحة من عبور الصفار فقتل مقدّمهم. ورجعوا الى بخارى ، وخشيهم واليها على نفسه ففرّ عنها . وولوا عليهم ثم عزلوا ، ثم ولوا ثم عزلوا فبعث نصر أخاه اسمعيل على شط بخارى . وكان يعظم محله ويقف في خدمته . ثم ولى على غزنة أبا اسحق بن التكين . ثم ولى على خراسان من بعد ذلك

رافع بن هرثمة بولاية بني طاهر ، وأخرج عنها الصفار وحصلت بينه وبين اسمعيل أعمال خوارزم فولاه اياها ، وفسد ما بين اسمعيل وأخيه نصر ، وزحف اليه سنة اثنتين وسبعين فأرسل قائده حمويه ابن علي الى رافع يستنجده فسار اليه بنفسه منها وأصلح بينهما ورجع الى خراسان ثم انتقض ما بينهما وتحاربا سنة خمس وسبعين، وظفر اسمعيل بنصر . ولما حضر عنده ترجل له اسمعيل وقبل يده وردّه الى كرسي امارته بسمرقند . وأقام نائباً عنه ببخارى ، وكان اسمعيل خيراً مكرماً لاهل العلم والدين .

وفاة نصر بن أحمد وولاية أخيه اسمعيل على ما وراء النهر

ثم توفي نصر سنة تسع وسبعين ، وقام مكانه في سلطان ما وراء النهر أخوه اسمعيل وولاه المعتضد . ثم ولاه خراسان سنة سبع وثمانين ، وكان سبب ولايته على خراسان أنّ عمرو بن الليث كان المعتضد ولّاه خراسان، وأمره بحرب رافع بن هرثمة فحاربه وقتله ، وبعث برأسه الى المعتضد ، وطلب منه ولاية ما وراء النهر فولاه وسير العساكر لمحاربة اسمعيل بن أحمد مع محمد بن بشير من خواصه ، فانتهوا الى آمد بشط جيحون . وعبر اليهم اسمعيل فهزمهم وقتل محمد بن بشير ، ورجع الى بخارى فسار عمرو بن الليث من نيسابور الى بلخ يريد العبور الى ما وراء النهر ،

فبعث اليه اسمعيل يستعطفه بأنّ الدنيا العريضة في يدك وانما لي هذا الثغر فأبى ولج .

وعبر اسمعيل النهر، وأحاط به، وهو على نجد فصار محصوراً وسأل المحاجزة فأبى اسمعيل وقاتله فهزمه. وأخذه بعض العسكر أسيراً وبعث بـه الى سمرقند . ثم خيره في انفـاذه الى المعتضد فاختاره فبعث به اليه ، ووصل الى بغداد سنة ثمان وثمانـين ، وأدخل على جمل وحبس . وأرسل المعتضد الى اسمعيـل بولاية خراسان كما كانت لهم فاستولى عليها ، وصارت بيده . ولما قتل عمرو بن الليث طمع محمد بن زيد العلوي صاحب طَبَرِسْتان والديلم في ملك خراسان فسار اليها ، وهو يظن أن اسمعيل بن أحمد لا يريدها ولا يتجاوز عمله فلما سار الى جرجان ، وقد وصل كتاب المعتضد الى اسمعيل بولاية خُراسان فكتب اليه ينهاه عن المسير اليها فأبى ، فسرح اليه محمد بن هرون قائد رافع ، وكان قد فارقه عند هزيمته ومقتله . ولحق باسمعيل فسرحه في العساكر لقتال محمد بن زيد العلوي ولقيه على جرجان فانهزم محمد بن زيد وغنم ابن هرون عسكره ، وأصابت محمد بن زيد جراحات هلك لايام منها. وأسر ابنه زيد فانزله اسمعيل ببخارى ، وأجرى عليه ، وسار محمد بن هرون الى طبرستان فملكها ، وخطب فيها لاسمعيل وولاه اسمعيل عليها .

استيلاء اسمعيل على الري

كان محمد بن هرون قد انتقض في طبرستان على اسمعيل ، وخلع دعوة العباسية ، وكان الوالي على أهل الري من قبل المكتفي أغرتمش التركي ، وكان سيء السيرة فيهم فاستدعوا محمد ابن هرون من طبرستان فسار اليها ، وحارب أغرتمش فقتله ، وقتل ابنين له ، وأخاه كيغلغ من قواد المكتفي . واستولى على الري فكتب المكتفي الى اسمعيل بولاية الري ، وسار اليها فخرج محمد بن هرون عنها الى قَزوين وَزِنْجان ، وعاد الى طَبَرِسْتان ، واستعمل اسمعيل بولاية الذين[1] على جَرْجان فارس الكبير . وألزمه باحضار محمد بن هرون فكاتبه فارس ، وضمن له اصلاح حاله فقبل قوله وانصرف عن حسان الديلمي الى بخارى في شعبان سنة تسعين . ثم قبض في طريقه ، وأدخل الى بخارى مقيداً فحبس بها ، ومات لشهرين .

وفاة اسمعيل بن أحمد وولاية ابنه أحمد

ثم توفي اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر في منتصف سنة خمس وتسعين ، وكان يلقّب بعد موته بالماضي ، وولى

---

(١) كذا . وينبغي : الذي لأن المقصود به «فارس» كما يظهر فيما بعد . والعبارة كلها ركيكة للغاية . والعبارة تقتضي أن تكون : «واستعمل إسماعيل والياً على جرجان فارس الخ» .

بعده أبو نصر أحمد ، وبعث اليه المكتفي بالولاية ، وعقد له لواء بيده . وكان اسمعيل عادلاً حسن السيرة حليماً . وخرجت الترك في أيامه سنة احدى وتسعين الى ما وراء النهر في عدد لا يحصى ، يقال كان معهم سبعمائة قبة ، وهي لا تكون الا للرؤساء فاستنفر لهم اسمعيل الناس ، وخرج من الجند والمتطوّعة خلق كثير . وخرجوا الى الترك وهم غارّون فكبسوهم مصبحين ، وقتلوا منهم ما لا يحصى وانهزم الباقون ، واستبيح عسكرهم . ولما مات وولى ابنه أبو نصر أحمد ، واستوسق أمره ببخارى بعث عن عمه اسحق بن أحمد من سمرقند فقبض عليه ، وحبسه .

ثم عبر الى خراسان ونزل نيسابور ، وكان فارس الكبير مولى أبيه عاملًا على جرجان ، وكان ظهر له أنّ أباه عزله[1] عن جرجان بفارس هذا . وكان فارس قد ولي الري وطَبَرِسْتان ، وبعث الى اسمعيل بن أحمد بثمانين حملًا من المال . فلما سمع بوفاة اسمعيل استردّها من الطريق ، وحقد له أبو نصر ذلك كله فخافه فارس . فلما نزل أبو نصر نيسابور كتب فارس الى المكتفي يستأذنه في المسير اليه ، وسار في أربعة آلاف فارس ، واتبعه أبو نصر فلم يدركه . وتحصن منه عامل أبي نصر بالري ، ووصل

(١) العبارة مرتبكة . وهذا الارتباك ناشيء عن عودة الضمير في «عزله» أيعود إلى فارس؟ وقد رأينا أنه ظل والياً على جرجان إلى النهاية . أم إلى أحمد نفسه؟ كما يقتضيه قوله : «بفارس هذا» فذلك يعني أن أحمد كان والياً على جرجان قبل فارس .

الى بغداد فوجد المقتدر قد ولي بعد المكتفي ، وقد وقعت حادثة ابن المعين فولاه المقتدر ديار ربيعة ، وبعثه في ظلب بني حمدان ، وخشي أصحاب المقتدر أن يتقدّم عليهم فوضعوا عليه غلاماً له فسمه ، ومات بالموصل وتزوّج الغلام امرأته .

استيلاء أحمد بن اسمعيل على سجستان

كانت سجستان في ولاية الليث بن علي بن الليث ، وخرج الى طلب فارس فأسره مؤنس الخادم ، وحبس ببغداد وولى على سجستان أخوه المعدل . ثم سار أبو نصر أحمد بن اسمعيل سنة سبع وتسعين من بخارى الى الري ، ثم الى هراة ، وطمع في ملك سجستان فبعث اليه العسكر في محرّم سنة ثمان وتسعين مع أعيان قواده أحمد بن سهل ، ومحمد بن المظفر وسيمجور الدواني ، والحسين بن علي المروروذي . فلما بلغ الخبر الى المعدل ، بعث أخاه محمد بن علي الى بست والزنج فحاصرته العساكر بسجستان . وسار أحمد بن اسمعيل الى بست فملكها وأسر محمد بن علي . وبلغ الخبر الى المعدل فاستأمن الى الحسين فملكها ، وحمل المعدل معه الى بخارى . وولى الامير على سجستان أبا صالح منصور بن عمه اسحق بن أحمد ، وكان قد قبض على اسحق لاوّل ولايته . ثم أطلقه الآن وأعاده الى سمرقند وفرغانة . وقد كان سيكري هزمته عساكر المقتدي بفارس ، وخرج الى مفازة سجستان

فبعث الحسين عسكراً لاعتراضه ، وأخذ أسيراً ، وبعثوا به وبمحمد ابن علي الى بغداد . وبعث المقتدر الى أحمد بالخلع والهدايا . ثم انتقض أهل سجستان على سيمجور الدواني ، وولوا منصوراً ابن عمه اسحق على نيسابور .

مقتل أبي نصر أحمد بن اسمعيل وولاية ابنه نصر

ثم قتل أبو نصر أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر آخر جمادى الآخرة سنة احدى وثلثمائة ، وكان مولعاً بالصيد فخرج الى برير متصيداً . وكان له أسد يربط كل ليلة على باب خيمته ، فأغفل ليلة فعدا عليه بعض غلمانه وذبحوه على سريره . وحمل الى بخارى فدفن بها ، ولقب الشهيد ، وقتل من وجد من اولئك الغلمان . وولي الامير مكانه ابنه أبا الحسن نصر بن أحمد وهو ابن ثمان سنين ، ولقب السعيد . وتولى الامور له أصحاب أبيه ببخارى ، وحمله على عاتقه أحمد بن الليث مستولي الاموز . وانتقض عليه أهل سجستان وعم أبيه اسحق بن احمد بسمرقند ، وابناه منصور والياس ومحمد بن الحسين ونصر بن محمد وأبو الحسين ابن يوسف والحسن بن علي المروروذي وأحمد بن سهل وليلى بن النعمان من الديلم صاحب العلويين بطبرستان ، ومعه سيمجور وأبو الحسين بن الناصر الاطروش وقراتكين . وخرج عليه اخوته يحيي ومنصور وابراهيم بنو أبيه وجعفر بن داود ومحمد بن الياس

ومرداويج ووشكمير ابنا زياد من أمراء الديلم ؛ وكان السعيد نصر مظفراً على جميعهم .

انتقاض سجستان

ولما قتل أحمد بن اسمعيل انتقض أهل سجستان وبايعوا للمقتدر ، وبعثوا اليه وأخرجوا سيجور الدواني فأضافها المقتدر الى بدر الكبير ، وأنفذ اليها الفضل بن حميد وأبا يزيد من قبل السعيد نصر ، وسعيد الطالقاني بغزنة كذلك فقصدها الفضل وخالد ، واستوليا على غزنة وبستة ، وقبضا على سعيد الطالقاني وبعثا به الى بغداد . وهرب عُبَيْد الله الجِهِسْتاني . ثم اعتل الفضل وانفرد خالد بالامور . ثم انتقض فأنفذ اليه المقتدر أخا طغج الطولوني فهزمه خالد ، وسار الى كرمان فأنفذ اليه بدر الجيش فأخذ أسيراً ، ومات وحمل الى بغداد .